

عَلَى أَحْسَدِ الْبَهَادِلِي

الْجُزْءُ الْعَلَمِيُّ مِنَ الْجُمْهُورِ

مَعَالِمُهَا وَحُرُكُهَا الْإِصْلَاحِيَّةُ

١٣٣٩ - ١٤٠١ هـ

١٩٢٠ - ١٩٨٠ م

دَارُ الزَّمَانِ
لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيْعِ

لِبْنَانِ - بَيْرُوتِ

المَوْزَنَةُ الْعَلَمِيَّةُ فِي النَّجْفِ
مَعَالِمًا وَأَحْرَكَهَا إِصْلَاحِيَّةً

عَلِيُّ أَحْمَدَ الْبَهَادِلِي

الجُزْءُ الْعَلَمِيُّ مِنَ الْجَفِّ

مَعَالِمُهَا وَحَرَكَتُهَا الْإِصْلَاحِيَّةُ

١٣٣٩ - ١٤٠١ هـ

١٩٢٠ - ١٩٨٠ م



دار الزهراء

للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

رسالة ماجستير في الدراسات الإسلامية
أجيزت عام (١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م) بتقدير (جيد جداً).

الأهداء ...

الى الشيخ أحمد البهادلي ..
لا، لأنّه والدي
بل لأنّه: أحد الوجوه المشرقة
والأيدي النقيّة
والنفوس الطاهرة
في الحوزة العلميّة بالنجف .
على

دلالات الرموز المستعملة في هذه الرسالة

دلالتہ	الرمز	تل
هجري	هـ	١ -
ميلادي	م	٢ -
صفحة	ص	٣ -
صلى الله عليه وآله وسلم	(ص) بين هلالين	٤ -
العدد	ع	٥ -
عليه السلام	(ع) بين هلالين	٦ -
عجل الله تعالى فرجه	(عج)	٧ -
جزء	ج	٨ -
مجلد	مج	٩ -
(كيلومتر)	كم	١٠ -
السنة	س	١١ -
لا تاريخ	لا . ت	١٢ -
لا ناشر	لا . ن	١٣ -
طباعة	ط	١٤ -
مصدر سابق	م . س	١٥ -
المصدر نفسه	م . ن	١٦ -

مُقَدِّمَةٌ

بِسْمِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ

الحمد لله الذي علمنا ما لم نعلم ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين ، وعلى آله الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

وبعد : فالنجف مدينة في العراق ، تقع إلى الجنوب الغربي من العاصمة (بغداد) ، على بعد (١١٠) مئة وعشرة أميال تقريبا . صغيرة هي النجف في مساحتها الجغرافية ، فقيرة في مواردها الإقتصادية ، قليلة في عدد سكّانها ، جافة المناخ ، شحيحة المياه .

يا ترى : فما الذي جعل النجف تحتل هذه المكانة في نفوس عشرات الملايين إذا لم أقل مئات الملايين من الناس . . . ؟ ، وما الذي جعل النجف مهوى أفئدة الكثيرين ؟ لا الأحياء منهم فقط ، بل وحتى الأموات ؟ .

يلوح للباحث أن ذلك قد يعود إلى سببين رئيسين :

السبب الأول : وجود مرقد علي بن أبي طالب (عليه السلام) في تلك المدينة .

السبب الثاني : إحتضان مدينة النجف للحوزة العلمية ، وللمرجعية الدينية العليا ، لاسيما وأن الحوزة العلمية لم توصل على نفسها باب الإجتهاد ، مما يعني التجاء ما لا يقل عن مئة وخمسين مليوناً من المسلمين إلى مقام المرجعية الدينية العليا ، في كل ما يطرأ لهم في حياتهم من مسائل الحلال والحرام .

ولمّا كان موضوع مرقد الإمام علي (عليه السلام) قد عالجت - من جوانب عديدة - عشرات الدراسات العلمية والتاريخية ، بما أغنى المكتبة الإسلامية ، بحيث لم يُترك ثَمَّة مجال فيه لباحث في أن يأتي بجديد ذي بال ؛ فإن موضوع (الحوزة العلمية في النجف) ، لم ينل حظه من اهتمام الباحثين ، اللهم ، إلا في دراسات محدودة مختصرة ، مرّ على الكثير منها عشرون سنة وتيف . . . مع ما يمكن أن يضاف لهذه الحقيقة من أن النجف - بحوزتها العلمية - قد شهدت بعض المشاريع الإصلاحية الرامية لإصلاح بعض جوانب الحوزة العلمية في النجف ، دون أن تحظى تلك المشاريع باهتمام من باحث يقوم على جمعها ، ودراستها وبالتالي تقويمها والوقوف على إيجابياتها وسلبياتها معاً . بل ظلت متناثرة في مجلّات وصحف ، متباعدة زمنياً . . . وفي وريقات قليلة ضمن بعض موسوعات الأعلام ، والفقه ، والأدب ، والبلدان .

من هنا : كان حلم الكتابة عن النجف يداعب خاطري من حين لآخر . لا سيما وأنها مسقط رأسي ، وملاعب طفولتي ، رضعت هواها طفلاً ، ودرجت على ترابها ، وفي دروبها تفتحت على الحياة عيناى ، وعنها تغرّبت قسراً ، وجّع القلب ، دامع العين .

وبين شواغل هذه الحياة ، وهموم غربة مريرة لا زلت أكابد منها منذ خمس عشرة سنة : بقي ذلك الحلم يتراقص في مخيلتي ، لا يودّ مفارقتها .

ولم أكن لأصدّق حين أبلغني الوجيه الحاج/توفيق راشد الحوري

رئيس أمناء المركز الإسلامي للتربية في بيروت ، رغبته بأن يكون موضوع رسالتي الجامعية لمرحلة (الماجستير) بكلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية في بيروت ، عن الحركة الإصلاحية في الحوزة العلمية بالنجف ..

فكان ذلك موافقاً لهوى في نفسي ، ومُحَقَّقاً لأمل في خلدي .

ولم أنم ليلتها . . .

فقد رحت أستعيد النجف ، كما يستعيد المحبُّ صورة محبوبته . . .
وكما يستعيد أوالهُ وجه ملهمته .

أجل : رحت أستعيد النجف ، وأستعيد مشهد تلك القباب الشامخة التي تفخر باقتران وجودها باسم علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

وأستعيد هدير حلقات الدرس والتدريس في مساجدها الكثيرة . .
بل وأستعيد حتى تكويرة آلاف العمائم المُتَحَلِّقة تنهل من غدير مدينة العلم .

وأستعيد أزقة النجف الضيقة . . والمنازل المتواضعة فيها لفظاحل العلماء ، وجهابذة الفكر . ففي أحد تلك الأزقة منزل صغير للشيخ محمد كاظم الخراساني المعروف بأبي الأحرار ، ومن ذلك المنزل انبثقت الثورة الدستورية في العقد الثالث من القرن الهجري الماضي ، الربع الأول من القرن الميلادي الحالي .

وفي الأزقة نفسها هناك منزل متواضع صغير يفخر على غيره من المنازل ، لأن محمد باقر الصدر كتب في إحدى حجراته كتاب (اقتصادنا) والذي كان فتحاً في مجاله ، وبِكرًا في طرحه .

أجل : رحت أستعيد ليلتها صورة ذلك المرتدي للكوفية والعقال يجوب شوارع النجف ببساطة وتواضع ، حتى إذا رأته حسبته أعرابياً لا

يحسن فكّ طلاسم الحرف ، وما إن تُسأل أحد النجفيين عن اسمه حتى يفاجئك الجواب بأنه : (أسد حيدر) ، مؤلف موسوعة (الإمام الصادق والمذاهب الأربعة) .

وأستعيد سوق النجف الكبير : فأقف عند دكان صغير فيه لبيع العطور ، لا تشكل مجموع مساحته عمقاً سوى (٧٥) خمسة وسبعين (ستمتراً مربعاً) ، تسأل عن اسم البائع الوقور الهاديء الذي يجلس فيه يبيع قينة العطر بـ (٢٠) عشرين فلساً عراقياً ، وتُفاجأ بالجواب : إنه الدكتور : (محمود البستاني) ، صاحب النظريات النقدية الجريئة في ما يتصل بالشعر والأدب .

وهكذا كثير من الصور التي رحلت أستعيدها في ليلتي تلك .

ألم أقل : إن رغبة (الحوري) قد وافقت هوى في نفسي ؟

... ووضعت خطة البحث فجعلتها في مدخل وأربعة أبواب ، يتألف كل منها من ثلاثة فصول :

فالمدخل يُخصّص للحديث عن المدارس الإسلامية في العالم الإسلامي . وتضمن الباب الأول التعريف بالنجف كمدينة عادية ، وكيف تطورت كمدينة علمية ، والأدوار العلمية التي مرّت بها الحوزة العلمية في النجف .

ويتناول الباب الثاني معالم الحوزة العلمية في النجف ، حيث خصّص الفصل الأول منه للتعريف بالحوزة ، ونشوتها . ومكوناتها ، وأهميتها . فيما كان الحديث في الفصل الثاني عن استقلالية الحوزة العلمية في النجف عن السلطة السياسية في الجانب الفكري والمالي . وخصّص الفصل الثالث للحديث عن الإجتهد ، إذ لا زالت الحوزة العلمية في النجف تفتح أبواب الإجتهد على مصراعها منذ قيامها حتى اليوم ، بحيث إنعكس ذلك إزدهاراً على الحركة الفكرية فيها .

وكان الباب الثالث مَحْصَصاً للحديث عن مفهوم المرجعية الدينية العليا لدى الإمامية الاثني عشرية ، فتناول الفصل الأول من هذا الباب بيان مفهومها ، والمراحل التاريخية التي مرّت بها . والفصل الثاني خَصَّص للحديث عن صفات المرجع الأعلى وطريقة إختياره . أما الفصل الثالث فقد تضمن حديثاً عن الأفكار الإصلاحية في نطاق الحوزة العلمية ، بما يرتبط بالكيان المرجعي ، ولعلّه أول بحث يمسّ الكيان المرجعي بوضوح وبصراحة .

أما الباب الرابع ، فقد تناول النظام التربوي التعليمي الحوزوي في النجف ، فبعد إعطاء لمحة عن النظام الدراسي العام في الحوزة العلمية بالنجف في الفصل الأول ، جاء الفصل الثاني ليتناول دراسة الأفكار الإصلاحية للنظام الدراسي الحوزوي ، وكانت (كلية الفقه) نموذجاً للإصلاح الدراسي ، خَصَّص لدراساتها وتقييمها الفصل الثالث ، على اعتبار أن هذه الكلية إنما انبثقت من قلب الحوزة العلمية في النجف .

وبعد هذه الفصول الأربعة قدّمت بعض الملاحظات والاستنتاجات ، وهي عادةً ما تكون مخاض البحث وزبدته .

أما مصادر البحث لهذه الدراسة ، فقد كانت متناثرة كمعلومات في بعض الموسوعات العلمية والرجالية ، وفي دراسات متفرقة في هذه المجلة أو تلك . ولقد عانيت من ندرة واضحة في ما يتعلق بمصادر موضوع الكيان المرجعي ، أو تجربة كلية الفقه ، إذ لم تطفر مثل تلك الأمور بدراسة مستوعبة شاملة . لذا : كنت مضطراً للإرتكاز في بعض جوانب هذه الدراسة على المقابلات الشخصية مع رجال رافقوا الأفكار الإصلاحية ، وكانت لهم مساهماتهم في إدارة ما انبثق عنها من مشاريع . في ضوء ذلك فبالإمكان تقسيم مصادر هذه الدراسة الأساسية إلى ثلاث فئات :

الفئة الأولى : المصادر المطبوعة :

من الكتب المخصّصة للحديث عن نُظْم الدراسة في النجف ،
ولعل أبرز تلك الكتب :

١ - (حديث الجامعة النجفية) ، للمرحوم الشيخ محمد رضا شمس الدين ، وقد صدر الكتاب سنة (١٣٧٣ هـ / ١٩٥٣ م) وهو - على اختصاره - من أنضح الدراسات التي تناولت شؤون الحوزة العلمية في النجف من كافة جوانبها ، بيد أنه أعرض عن تسجيل الكثير من الملاحظات - وهو العارف بها - على سير الدراسة ونظمها ، وكذلك على المناهج والمرجعية الدينية العليا ، دون أن يهمننا البحث في سبب إعراضه خشية الاستطراد .

٢ - (موسوعة العتبات المقدّسة) ، قسم النجف ، ج (٦ و ٧) لجعفر الخليلي ، الذي صَدَرَ سنة (١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م) ، وقد إستفدت من الجزء السادس من هذه الموسوعة الذي يتناول دراسة تاريخ مدينة النجف ، إلا أن الجزء السابع الذي تضمّن بحثاً عن سير الدراسة في النجف إعتمد فيه مؤلفه الهيكلية نفسها والخطة ذاتها التي إعتمدها مؤلف كتاب (حديث الجامعة النجفية) .

٣ - (مدرسة النجف وتطوّر الحركة الإصلاحية فيها) لمحمد مهدي الأصفي . صدر هذا الكتاب سنة (١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م) ، وفيه يدرس المؤلف الحياة الفكرية في النجف ليصل إلى الحديث عن الشيخ محمد رضا المُظفّر أحد دُعاة إصلاح نُظْم الدراسة ومناهجها في الحوزة العلمية في النجف . ولهذا الكتاب أهمية كبيرة ، فمن ناحية ، فإن المؤلف فيه قد جاء على الكثير من جوانب الحياة الفكرية النجفية بأسلوب سهل مُبسّط ، ومن ثم تحدّث عن سير الإصلاح داخل الحوزة العلمية في النجف . وصولاً إلى الحديث عن تجربة (منتدى النشر) لارتباطها بأحد رجالها المؤسسين ، وهو الشيخ المظفر .

ومن ناحية أخرى : فإن أهمية الكتاب ، تكمن في أن مؤلفه هو أحد العلماء النابغين في الحوزة العلمية بالنجف ، وأحد مؤسسي بعض الحركات الإسلامية التي انبثقت عن النجف ، عن حوزتها العلمية تحديداً .

ونضيف لذلك كله : أن قيمة هذا الكتاب تكمن فيما احتواه من أفكار ناضجة وهادئة . من هنا : فقد اعتمدت عليه في دراستي هذه اعتماداً كبيراً ، وربما يكون هو الوحيد من بين مصادر هذه الدراسة الذي رافقني من أول الرحلة حتى نهايتها .

٤ - (شعراء الغري أو النجفيات) ، لعلي الخاقاني ، لا يمكن من (١٢ اثني عشر جزءاً) صدرت هذه الموسوعة - التي تناول ترجمة ما يقارب (٤٠٠ أربع مئة شاعر نجفي) - سنة ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤ م . ولما كان جل هؤلاء المترجمين من رجال الحوزة العلمية في النجف ، فقد وجدت فيه - لا سيما في موضوع حركة إصلاح الكيان المرجعي ونظم الدراسة - إشارات متناثرة ، اعتمدت على الكثير منها في صفحات هذه الدراسة . دون أن يفوتني التنويه إلى ما اتسمت به ملاحظات مؤلفه الخاقاني من (حدة) وعنف ، وخروج في كثير من الأحيان عن أصول النقد ، وقواعد التقويم ، وضوابط الملاحظة . الأمر الذي جعلني حذراً في التعامل مع أفكاره وآرائه فيما يرتبط بموضوعات هذه الدراسة .

الفئة الثانية : المقابلات الشخصية .

١ - لقد التجأت للمقابلات الشخصية ، إذ كانت تنقصني المعلومات الخاصة بتجربة (كلية الفقه) ، حيث لم تكتب عنها دراسة مستقلة مفصلة . لذا فقد قصدت المتخرجين الثلاثة الأوائل لأول دورة دراسية في تلك الكلية ، فُضِّن عليَّ اثنان منهم بعموماتهما رغم ما كانا يعلمانه من تجشمي السفر للقائهما خارج لبنان ، فيما غمرني المتفوق الأول على الدورة الدراسية الأولى الشيخ محمود الكوثراني بفضلته ، وقدم

لي كافة ما يملك من معلومات ووثائق ، تفيد البحث وتدعمه .

٢ - ولكي أفق على رأي التقليديين من رجال الحوزة في إصلاح نظام الدراسة في الحوزة العلمية في النجف ، فقد أُشير علي بلقاء الشيخ موسى شرارة ، أحد علماء مدينة الهرمل شمالي لبنان ، إلا أن التوفيق لم يكن حليفي ، إذ لم يكتب لمثل هذا اللقاء أن يتم فعدتُ إلى المصادر المطبوعة أستقرئها آراء التقليديين .

٣ - لقاءات شخصية مع بعض من تلقوا العلم في النجف ، وتسلّموا فيها بعض المسؤوليات الإدارية والعلمية .

وكان لا بد من توثيق تلك المعلومات - آفة الذكر - لذا فقد عمدت إلى تسجيل اللقاءات على شريط تسجيل بالصوت فقط ، ومن ثم عرضت محضر اللقاء على من قابلتهم فعَدّلوا فيه ، وأضافوا إليه ، وحذفوا منه .

الفئة الثالثة : البحوث العلمية والمجلات

لقد استفدت كثيراً من مجموعة مقالات عن الحوزة العلمية في النجف ، إن في مجلات نجفية أو مجلات أخرى ، وبشكل أساسي استفدت من :

١ - مجلة (العرفان) التي كان يصدرها في صيدا ببلبنان الشيخ (أحمد عارف الزين) ، فقد احتوت على مقالات ، ودراسات قيّمة عن الحوزة العلمية في النجف ، وكذلك الكثير من المقالات والبحوث التي تتناول موضوع إصلاح النظام الدراسي في الحوزة العلمية . ولولا مجلة العرفان لضاع الكثير من تلك الدراسات ، كما ضاع الكثير فعلاً .

٣ - مجلة (النجف) سواء تلك التي كان يقوم على إدارتها ورئاسة تحريرها بعض رجال (جمعية منتدى النشر) للفترة من (١٣٧٦ هـ - ١٣٨٠ هـ ١٩٥٦ - ١٩٦٠ م) ، أو أعداد مجلة النجف التي

قام بتحريرها ، والإشراف عليها طلاب كلية الفقه للفترة من (١٣٨٠ - ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٠ - ١٩٦٨ م) ، فقد راجعت جميع أعدادها واعتمدها مصدراً أساسياً في الفصل الذي تناولت فيه دراسة كلية الفقه خاصة .

هذه هي أهم المصادر التي اعتمدها . وهناك مصادر أخرى ، لكنها ثانوية أشرت إليها في ثنايا البحث وهوامشه .

ومن باب تعميم الفائدة فإني أشير إلى ما استفدته من خلال الحوار المباشر مع الأستاذ المشرف على الدراسة ، فقد كنت أسجل أفكاره في الموضوعات التي أناقشها معه ، بحيث ينعكس ذلك نضجاً واستيعاباً على موضوعات الدراسة التي تخضع للحوار والنقاش .

لا أدعي الكمال هنا لما قدّمت من عمل ، فالتقص صفة ملازمة للبشر ولأعمالهم ، ويبقى الكمال لله وحده ، بل يمكن أن أدعي بأنني وضعت لبنة فوق لبنات من قبلي ، وآمل أن ينبري آخرون ليضعوا فوق هذه اللبنة لبنات أخرى ، فقد يصلون إلى ما لم أصل إليه ، ويأخذون فيه بما لم آخذ به ، وقد ينالون في ذلك من النجاح والتوفيق أكثر مما نلت ، أو أدركت ومع إنّي متيقن من أنّ كلمة (شكراً) ذات معنى محدود ، لا تُعبّر عن عطاء غير محدود . إلا أنّي سأقولها لكلّ من آزرني في عملي هذا :-

شكراً للدكتور نايف محمود معروف الذي لم يكن لي مشرفاً جامعياً فحسب ، بل كان أخصاً كبيراً ، وكان حبيباً ونسياً .

شكراً للصديق الودود الشيخ محمد حسن العاملي ، فهو عصاي التي أتوكأ عليها في لبنان ، وأهش بها على غنمي ، وليّ فيها مآرب أخرى .

شكراً للوجيه السيّد مهدي بحر العلوم ، صاحب دار الزهراء في

بيروت ، فلولا له لم يكن هذا الكتاب بين يديّ القارئ الكريم الآن .
وشكراً لكلّ من كان لي عوناً في توفير مصادر هذه الدراسة ، مبتهلاً
بأن يكون جزاء هؤلاء جميعاً من الله تعالى خيراً ورحمةً وبركات .

وبعد هذا : فرجائي أن يكون ما قدّمته هنا من فكرٍ إصلاحي يمس
الحوزة العلمية في النجف ، بكيانها المرجعي ، ونظامها التعليمي
الدراسي ، دافعاً نحو التفكير جدياً بأمر الإصلاح ، وأن يتقبل المهتمون
ملاحظاتي بصدر رحب ، ويناقشوها بنقد بناء ، ويتناولونها بأفق واسع .
مقدرين نبل الدافع ، ونزاهة القصد . مع علمي بأن في حرصي على
كشف نقاط الضعف ، ومواطن الخلل في الحوزة العلمية بالنجف ما يؤلم
الذين ينظرون إلى الأمور نظرة تبجيل وتقديس . ولهؤلاء أقول : بأن
السكوت على ما تعانيه الحوزة في النجف من داء وعلل ، هو خيانة
للنجف ، ولحوزتها العلمية ، وخيانة للدماء الزكية الطاهرة التي سقطت
من أجل النجف . . ومن أجل حوزتها العلمية .

اللهم قد بلغت اللهم فاشهد . . .

والحمد لله رب العالمين

بيروت الثلاثاء ٤ محرم الحرام ١٤١٢هـ

١٦ تموز ١٩٩١م

عليّ بن محمد الجهادي

مدخل البَحْث

ظهور المدارس الاسلامية في العالم الاسلامي

ظهور المدارس الإسلامية في العالم الإسلامي

صلة الذات بمقوماتها ، هي تلك الصلة بين دعوة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين العلم . وهي صلة لا تحتاج إلى مزيد جهد للبرهنة والتدليل ، إذا ما علمنا أن أول ما نزل به الوحي على الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وهو - إذ ذاك - في غار حراء هو سورة العلق^(١) حيث نزل جبرائيل (عليه السلام) بقوله تقُدَّست أسماؤه :

﴿ إقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * إقرأ وربك الأكرم * الذي عَلَّمَ بالقلم * عَلَّمَ الإنسان ما لم يعلم ﴾^(٢) . «وقد تقرر في أصول الفقه : أن ترتيب الحكم على الوصف مُشعر بكون الوصف علة ، وهذا يدل على أن الله سبحانه اختص بوصف الأكرمية المؤداة بأفعل التفضيل»^(٣) .

(١) العلق : ١ - ٥ .

(٢) العاملي (الشهيد الثاني) : منية المرید في آداب المفید والمستفید ، ٢٠ .

(٣) الإخباري : تاريخ اليعقوبي ، ٢٦/٢ .

هارون : تهذيب سيرة ابن هشام ، ٤٤ .

الخوئي : البيان في تفسير القرآن ، ١٥٢/١ .

وحين نزلت تلك السورة ، وبقيّة السور المكيّة ، لم يكن في مكة عصرئذ - أكثر من سبعة عشر رجلاً يقرأون ويكتبون^(١) ، وبين الدعوة الربانية بـ (إقرأ) وبين وجود هذا العدد الضئيل ممّن يجيد القراءة والكتابة ، كان لا بد للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من أن يولي هذا الأمر ما يستحقه من اهتمام ، لما يتطلبه أمر انتشار الإسلام وحفظ هذا الدين من وجود قوم يحفظون القرآن كما أنزل على صدر النبي الكريم . وبذلك يمكن تناوله وتعليمه للناس مكتوباً ، لكي لا يكون الحفظ من أسباب الزيادة والنقصان ، بما للذاكرة - فيما نعلم - من حالات وهمٍ وخطأ لا يسلم منها إلا من عصم ربي .

وبدأ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) - كما يتبدىء كل داعية - بتعليم أصحابه ، ومعتمقي ذلك الدين الجديد . وكان محور التعليم في مرحلته تلك هو النص القرآني ، باعتبار أن الإسلام إذ ذاك - لم يكن مدوناً إلا من خلال الآيات القرآنية الشريفة ، ولذا نجد في ما يروى عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قول معاذ « سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : ما من رجل علّم ولده القرآن ، إلا تَوَجَّ الله به يوم القيامة تاج الملوك ، وكُسي حُلَّتَيْن لم يَرِ الناس مثلهما »^(٢) .

على أن من المفيد أن نشير هنا إلى أن أول دروس القرآن - إذ ذاك - قراءته .

.. وقيام الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بتعليم أصحابه القرآن الكريم ، يمكننا القول : إن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أول مُعلِّم في الإسلام ، كان يتلو القرآن على صحابته ، ويعلمه ويفسره

(١) البلاذري : فتوح البلدان ، ٤٧١ .

(٢) الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن ، ١٢١/١ .

لهم ، وهم يعلموه للناس . مع ما يترتب عليه ، أو يتفرع عنه من علوم ومعارف . وقد سار الخلفاء على خطى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ونهجه . في مجال التعليم : ﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلل مبين ﴾^(١) وقال جلّ وعلا : ﴿ كما أرسلنا رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾^(٢) .

من الطبيعي - في ما عرفناه من اهتمام القرآن ، والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بأمر التعليم - أن يتوافر للمتعلمين على يد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مكان يتلقون فيه علومهم القرآنية ، وكانت البداية في ما يذكره المؤرخون - دار الأرقم بن عبد مناف ، حيث اعتبر داره الموضوع الأول المخصص لقراءة القرآن وتدارسه . فقد كان (صلى الله عليه وآله وسلم) يجتمع في تلك الدار بالذين آمنوا بدعوته ، يعلمهم القرآن الكريم ، حتى عُرِفَت تلك الدار « بدار الإسلام الأولى »^(٣) أما موقع تلك الدار ، فيكاد يتفق المؤرخون على أنها في مكة عند الصفا^(٤) .

وبالإضافة لدار الأرقم ، كان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وقبل إنشاء المساجد « يجلس بمنزله بمكة والمدينة ، ويلتفت حوله المسلمون ليعلمهم ويزكيهم »^(٥) .

ولعل في اختيار دار الأرقم وغيره من المنازل - في تلك الفترة -

(١) آل عمران/ ١٦٤ .

(٢) البقرة/ ١٥١ .

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ١٣٣٥/٣ .

(٤) هارون : تهذيب سيرة ابن هشام ، ٤٨ و ٦٥ .

(٥) شليبي : تاريخ التربية الإسلامية ، ٦٨ .

أمكنة لتعليم القرآن هو بسبب ما تتطلبه المرحلة السرية من مراحل الدعوة المباركة ، فيكون طبيعياً مع انتشار الإسلام وكثرة معتقيه وقوتهم ، أن يتوافر للمسلمين الجو الملائم لكي يمارسوا فيه شعائهم . ويجهرُوا بكلمة (لا إله إلا الله) ، فكان المسجد هو ذلك المكان الذي انتقل إليه مكان التعليم من دار الأرقم وغيره من المنازل التي كان يمارس فيها التعليم بتوجيه كريم من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وفي أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الشيء الكثير الذي يؤكد صلة المسجد بالعلم والتعلم ، فقد ورد عنه - ضمن ما ورد - قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) :

« من غدا إلى المسجد لا يريد إلا ليتعلم خيراً أو يعلمه كان له أجر معتمر تام العمرة . ومن راح إلى المسجد لا يريد إلا ليتعلم خيراً أو ليعلمه فله أجر حجاج تام الحجة »^(١) . وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « من دخل مسجدنا هذا ليتعلم خيراً أو ليعلمه كان كالمجاهد في سبيل الله ، ومن دخل لغير ذلك كان كالناظر إلى ما ليس له »^(٢) .

على أنه من المفيد أن نشير إلى أن حلقات التعليم ظلت قائمة بالمنازل حتى بعد إنشاء المساجد منذ العهد وإلى قرون عديدة ، ولعل في ما نقرأه في التاريخ من أن « أهم هذه المنازل منزل الرئيس ابن سينا . يقول الجرجاني صاحبه : كان يجتمع كل ليلة في دار ابن سينا طلبه العلم ، وكنت أقرأ معه الشفاء . وكان يقرئ غيري من القانون نوبة ، وكان التدريس بالليل لعدم الفراغ بالنهار (. . .) »^(٣) وقضينا على ذلك زمناً^(٤) . وفي اتجاه مواز لنشر العلم من خلال المسجد كان يتحرك الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ « طلب إلى كل

(١) العاملي (الشهيد الثاني) : منية المرید ٢٢٦ .

(٢) شلبي : تاريخ التربية الإسلامية ، ٦٨ .

(٣) إشارة إلى عبارة محذوفة .

أسير فقير قارىء من أسرى قريش في (بدر) أن يعلم عشرة من صبيان المدينة الكتابة والقراءة بدل الفدية المالية ليطلق سراحه ^(١) وكذلك فعل (صلى الله عليه وآله وسلم) في مكة بعد افتتاحها ، فقد « خُلف معاذاً يفقه أهلها ، ويعلمهم الحلال والحرام ، ويقرئهم القرآن » ^(٢) ، وكذلك وجّه (صلى الله عليه وآله وسلم) جماعة من الصحابة يعلمون الناس القراءة والكتابة ، ومنهم عبادة بن الصامت ، ومن يتقن القراءة والكتابة يعلم الفرائض السنن ، وكذلك أرسل مصعب بن عمير مع من بايعه بالعقبة الأولى ، وأمره أن يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ، فكان يُسمّى المقرئ بالمدينة ^(٣) ، وفي كل ذلك - كما هو واضح - إحياء للمسلمين بيّن إتجاه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى محبة التعليم ونشره ^(٤) .

ونظراً لما حظي به أمر التعليم من رعاية وتشجيع من قبل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد «ازداد إقبال الناس على طلب العلم حتى أصبح يعقد في المسجد الواحد أكثر من حلقة دراسية» ^(٥) . فأصبح المسجد يؤدي رسالته التعليمية ، حتى أصبحت مساجد المسلمين موثلاً للتعليم . وتعدّ المساجد الكبيرة من الجامعات ، التي لا تقل أحياناً عن جامعات أوروبا أهمية . فمسجد الكوفة شهد حلقات في جانب منه حلقات تدريس اللغة العربية ، وفي جانب آخر منه حلقات تفسير القرآن ، وأخرى للفقهاء وأخرى للأدب ، ومثلها تستمع مساجلدة للكثير

-
- (١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ١٠٩/١ .
 - (٢) أمين : فجر الإسلام ، ١٧٣ - ١٧٤ .
 - (٣) هارون : تهذيب سيرة ابن هشام ، ٤٤ .
 - (٤) الأهواني : التعليم في رأي القاسبي ، ٧٤ .
 - (٥) فياض : تاريخ التربية عند الإمامية ، ٣٤ .

الأسدي وحمّاد الراوية . وهكذا ، حتى لقد « قال الحسن بن علي ابن زياد الوشاء لابن عيسى القميّ : إني أدركت في هذا المسجد - يعني مسجد الكوفة - تسعمائة شيخ كلّ يقول حدّثني جعفر بن محمد (عليه السلام) »^(١) وكان مسجد البصرة مركزاً لحركة علمية كبيرة ، وفيه نشأت المباحث الكلامية « وفيه اعتزل واصل بن عطاء حلقة الحسن البصري »^(٢) فنشأت فرقة المعتزلة . وهكذا قل في مساجد بغداد كمسجد ابن المبارك ، ومسجد المنصور الذي كان « قبلة أنظار الأساتذة والطلّاب ، حتى إن الخطيب البغدادي لما حجّ شرب من ماء زمزم ، وسأل الله أن يحقّق له ثلاث حاجات كان من بينها أن يُتاح له أن يملّي الحديث بجامع المنصور »^(٣) . وجامع عمرو بن العاص في القسطنطينية ، وجامع ابن طولون ، والأزهر الشريف في مصر ، أما جامع قرطبة فكان بحق جامعة من الجامعات الإسلامية العالية .

أما متى خرجت الدراسة من المسجد ليصبح لها وضعها المستقل ؟ وفي أي تاريخ حدث ذلك بالضبط ؟ وما هي أهم الأسباب التي دعت لذلك ؟

فإن الإجابة عن مثل تلك التساؤلات تقتضينا أن نفرّد لها عنوانين فرعيين لنعالجهما معالجة موضوعية هادئة ، ثاني هذين العنوانين هو : (تاريخ ظهور المدارس الإسلامية) ، أما العنوان الأول ، فهو :

بواعث انفصال المدرسة عن المسجد :

بقراءة لما دُوّن من أسباب وبواعث في موضوع انفصال الدراسة

(١) الأصفى : مقدمة الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية ، ٣٣/١ .

(٢) شلبي : تاريخ التربية الإسلامية ، ١١١ .

(٣) : المصدر نفسه .

والتعليم عن المسجد ، نضع أيدينا على أسباب رئيسية يلتقي عليها أغلب من بحث في المدارس التي ظهرت في العالم الإسلامي ، وتتركز تلك الأسباب في النقاط التالية :

أولاً : تغيير أساليب التدريس ، وكثرة الحلقات ، وما يصاحب ذلك من ضجيج وتشويش على المصلين ، في مكان يفترض فيه أن يكون مهياً - أصلاً - للعبادة بمعناها الأخص ، « ولهذا نجد أن الأزهر الشريف يُتْرَك للتدريس لا يقام به إلا صلاة الجمعة »^(١) . فحيث يضايق الدرس والتدريس المصلين ، ويشوش عليهم كان لا بد من أن يُخصَّص مكان معين للتدريس والراحة .

ثانياً : تطور العلوم وإدخال مواد دراسية أخرى أضيفت إلى دراسة القرآن الكريم ، وخاصة موضوعات علم الكلام المقترن بالنقاش الحاد ، والجدل الطويل مما « قد يخرج بأصحابه أحياناً عن الأدب الذي تجب مراعاته في المسجد »^(٢) . وهو من أكبر الأسباب التي دعت لفصل المدرسة عن المسجد ، بالإضافة إلى ما قد يشمل عليه الدرس - إذ ذاك - من جدل ولغظ ، ومقارعة للحُجَّة بالحُجَّة ، والدليل بآخر ، فما كان من المسلمين إلا أن عظّموا المسجد أن يكون مكاناً لمثل ذلك الجدل واللغظ ، وقَدَّسوه عمّا يدور بينهم من مجادلات .

ثالثاً : إن جملة من المعلمين كانوا بالإضافة إلى انشغالهم بالتعليم يمارسون بعض الأعمال الحرفية المحدودة ، وحيث لم يفلحوا في تأمين مورد مناسب ، لم يكن أمامهم إلاّ اتّخاذ المدارس وسيلة تكسب ، وهو رأي (فون كريمر) Von Kremer الذي نقله الدكتور أحمد شلبي ، حيث جاء فيه .

(١) : شلبي : تاريخ التربية الإسلامية ، ١١٣ .

(٢) : ميز (Mez) في القرن الرابع الهجري ، ٢٥٤/١ .

« . . . تبعاً لرأي Von Kremer كان هناك جماعة شغلوا بالتعليم معظم وقتهم وحولوا أن يرتزقوا من طريق جَرَف بسيطة كانوا يقومون بها مع التدريس ، لكنهم فشلوا في الحصول على مستوى مناسب من العيش ، فلم يكن بدّ - حينئذ - من إنشاء المدارس لتضمن لهم جريات تقوم بحاجتهم »^(١) .

ونم أجد في ما اطلعت عليه من دراسات حول ظهور المدارس الإسلامية في العالم الإسلامي من يذهب إلى هذا الرأي غير (كريمة) .
رابعاً : « عبث الصبيان الصغار الذين لا يتحفظون من النجاسة ، جعل الفقهاء ، يمنعون تعليم الصبيان في المسجد »^(٢) . وحيث لم يكن ممكناً إهمال أمر تعليمهم بسبب ذلك ، اضطر القائمون على أمر التعليم إلى إنشاء أماكن خاصة لتعليم الصبيان منفصلة عن المسجد . أُطلق عليها (الكتاتيب) .

بيد أن هذا الرأي يرتبط بموضوع إنشاء الكتاتيب ، في ما لا نريد أن نقع في الخلط هنا بين موضوع : الكتاتيب ، وموضوع المدارس . وهو خلط لم يكن ليرتضيه بعض من كتب في موضوع المدارس الدينية ، حيث يؤخذ على الكثير من الباحثين أنهم لم يفرّقوا بين نوعي الكتاب بحيث « قرّروا أنه كان هناك نوع واحد من الكتاتيب تُعلّم فيه القراءة والكتابة ، ويُحفظ فيه القرآن ، وتدرس به علوم الدين »^(٣) .

(١) شلبي : م . س ١١٣ (نقلاً عن) : Khada Buksh : islamic civilisation- p283 —

(٢) الأهواني : التعليم في رأي القاسبي ، ٧٥ .

(٣) شلبي : م . س ، ٤٦ .

تاريخ ظهور المدارس الإسلامية :

يحار القارىء ، وهو يحاول أن يضع يده على تاريخ انفصال الدراسة عن المسجد ، وإنشاء أول مدرسة في العالم الإسلامي ، ويضع بين مجموعة آراء يحاول كل صاحب رأي دعم موقفه ، وإبراز دليله . ومع هذه الضبابية في تحديد التاريخ والمكان ، يجد الباحث نفسه مضطراً لعرض كافة ما اطلع عليه من آراء في موضوع التاريخ الأول لنشأة المدارس الدينية وظهورها في العالم الإسلامي لنحاكم - بموضوعية في ما بعد - كل تلك الآراء ، بهدف اختيار الرأي الذي يسنده الدليل ، ويدعمه التاريخ .

بادئ ذي بدء : نؤكد أن مدخل البحث هذا لا يُعنى بموضوع المدارس غير الإسلامية التي أشار إليها أحمد أمين في (فجر الإسلام) حين قال : « والذي نعرفه أن المدارس التي كانت في الممالك قبل الفتح ظلت على حالها بعد الفتح كمدارس السريانيين »^(١) . بل إن ما يهمنا تحديداً هو تلك المؤسسات التعليمية التي انفصلت عن المساجد لأسباب التي عرضناها في الصفحات السابقة ، لتكون كياناً مستقلاً مختصاً بعلوم القرآن وما يتفرع عنه من معارف ، أُطلقت على تلك المؤسسات لفظ (المدارس) . هنا تواجهنا خمسة آراء في ما يخص التاريخ الأول لذلك :

الرأي الأول : إن المدارس الإسلامية ظهرت في نهاية القرن الثاني الهجري في خراسان . وفي هذا السياق ذكرت دائرة المعارف البريطانية : « إن أول مدرسة أُسست في خراسان ، أسسها المأمون العباسي في نهاية القرن الثاني الهجري أيام ولايته هناك »^(٢) ويعتقد

(١) أمين : فجر الإسلام ، ١٦٥ - ١٦٦ .

(٢) زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي ، ٢٠٠/٣ (نقلاً عن) : Encyclopaediq Brit art Mamun .

البعض - دون أن أدري على ماذا استند - أن المبادرة بتأسيس تلك المدرسة كانت بإشارة من الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) (١). وإن كان زيدان بعد أن يذكر ما عرضته دائرة المعارف البريطانية يعقب فيقول: «ولا ندري من أين نقلوا ذلك، ولم نر له ذكراً في كتب العرب التي طالعناها» (٢).

الرأي الثاني: إن بخارى (٣) هي المعهد الأول للمدارس الإسلامية في العالم الإسلامي. وإن الربع الأخير من القرن الثالث الهجري ربما يكون التاريخ الأول لذلك، فقد جاء في تاريخ بخارى، تأليف (أرمينوس فامبييري) صفحة ١٠٦-١٠٩-١١٠: - أن إسماعيل ابن أحمد بن أسد بن سامان المتوفى سنة ٢٩٥هـ/٩٠٧م، كانت له مدرسة كان يقصدها طلاب العلم ليستكملوا دراستهم فيها، وليبحثوا بدار كتبه التي وقف عليها الأوقاف (٤).

وربما يدعم الرأي القائل بأن (بخارى) هي المهد الأول للمدارس الدينية في العالم الإسلامي ما ذكره (البرسخي) من أن مدرسة كانت تقع بمحلة (بكار) ببخاري يقال لها (فارجك) احترقت سنة ٣٢٥ هـ /

(١) الهلالي: نشأة المدارس الدينية، مجلة النجف (النجف)، ع/٤، س/٥ شعبان ١٣٧٢هـ/١٩٦٢م.

(٢) زيدان: م. س.

(٣) بخارى: مدينة إسلامية على الحدود بين الجمهورية الإسلامية الإيرانية وبين روسيا، يقول عنها ياقوت إنها «من أعظم مدن ما وراء النهر» وكتب عنها السيد الأمين فقال بخارى هي اليوم جزء من جمهورية أوزبكستان السوفياتية التي عاصمتها (طشقند) تقع على السجری الأسفل لنهر زار فشان.

أنظر: ياقوت: معجم البلدان، ٣٥٣/١.

الأمين: دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، ٢٩٣/٤.

(٤) معروف: مدارس قبل النظامية، ١.

٩٣٧ م . كما ذكر مدرسة أخرى يقال لها مدرسة (كولا رتكين) كانت موجودة ببخارى قبل سنة ٣٤٨ هـ / ٩٦٠ م وهي سنة وفاة أبي بكر البرسخي ، أسسها الأمير : قدرخان جبرائيل بن عمر^(١) . ويدعي أحد أساتذة الإسلاميات بالمعهد الشرقي في جامعة (توبنغن) بألمانيا الإتحادية (هاينز هالم Heinz halm) أن النص الذي نقلناه والمدون في تاريخ بخارى هو : « أقدم نص عن المدرسة في الإسلام »^(٢) .

الرأي الثالث : إن أهل نيسابور^(٣) نم من سبق في إقامة المدارس الإسلامية في العالم الإسلامي ، وذلك في أواخر القرن الثالث وبداية القرن الرابع الهجريين . ويعتمد صاحب هذا الرأي على مجموعة نصوص تاريخية تشير إلى إنشاء ثلاث مدارس في النصف الأول من القرن الرابع الهجري في مدينة (نيسابور) . والمدارس الثلاث هي :

١ - المدرسة التي أنشأها حسان بن محمد القرشي الأموي ، المعروف بأبي الوليد النيسابوري المولود سنة (٢٧٧ هـ / ٩٨٩ م) المتوفى سنة (٣٤٩ هـ / ١٠٦٠ م)^(٤) ، والتي كانت تقوم في قسم من منزله^(٥) .

٢ - مدرسة دار السنة على باب المسجد الجامع التي أوقفها أحمد بن إسحاق بن أيوب الصبغي ، المتوفى سنة ٣٤٢ هـ / ٩٥٣ م .

٣ - مدرسة محمد بن حبان البُستي التميمي ، الذي كان يعاصره

(١) نفسه ، ٨ .

(٢) هالم : (Halim) أصل المدرسة في الإسلام ، مجلة الفكر العربي (بيروت) ع / ٢١ آذار ١٩٨١ م .

(٣) نيسابور : أو نيشابور ، عاصمة خراسان ، من أعظم المدن الإسلامية في القرون الوسطى مع بلخ وهرات ومرو .

(٤) معروف : مدارس قبل النظامية . ٩ .

(٥) هالم : م . س .

النيسابوري ، وهو أبو حاتم الفقيه ، المتوفى سنة ٣٥٤هـ/٩٦٥م^(١) .

وإذا تجاوزنا النصف الأول من القرن الرابع الهجري إلى النصف الثاني ، فإننا نعر على نصوص تشير إلى إنشاء مدارس في هذا الوقت مع ذهاب من أرخ لها بأنها أول مدرسة . فهذا هو الحاكم النيسابوري صاحب (تاريخ نيسابور) يذكر : « إن أول مدرسة هي تلك التي بُنيت لمعاصره أبي إسحاق الإسفراييني المتوفى سنة ٤١٨هـ/١٠٢٧م » نيسابور^(٢) .

الرأي الرابع : إن أول مدرسة دينية إنما أنشئت في بغداد في الربع الأخير من القرن الرابع الهجري وتحديدًا سنة ٣٨٣هـ/٩٩٤م ، « حيث أسس أبو نصر سابور بن أردشير وزير بني بويه داراً للعلم في الكرخ غربي بغداد^(٣) . وأن الشريف الرضي ، المتوفى سنة ٤٠٦هـ/١٠١٥م ، كان قد اتخذ داراً سماها دار العلم ، وفتحها لطلبة العلم وعين لهم جميع ما يحتاجون إليه^(٤) .

وهناك من يقول - وهو يتحدث عن الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري - إن الخليفة الفاطمي العزيز بالله « اشترى في سنة ٣٧٨هـ/٩٨٨م داراً إلى جانب الجامع الأزهر ، وجعلها لخمس وثلاثين من العلماء^(٥) . دون أن يقول بأولوية هذه الدار في ما يرتبط بدور العلم أو المدارس .

(١) وعن مدرسة ابن جبان يقول الحافظ أبو عبد الله الحاكم : « أبو حاتم بن جبان داره التي هي اليوم مدرسة لأصحابه ومسكن للغرباء يقيمون بها من أهل الحديث والمتفقه . . »

أنظر : معروف : مدارس قبل النظامية ، ٩ .

(٢) ميز : (MEZ) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ٢٥٤/١ .

(٣) نفسه ، ٢٢٤٩/١ .

(٤) نفسه ، ٢٤٩/١ - ٢٥٠ .

(٥) ميز : (MEZ) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ٢٤٩/١ - ٢٥٠ .

الرأي الخامس : وهو الذي عليه أكثر المؤرخين : إن أول من بنى المدارس في الإسلام هو نظام الملك الطوسي ، وزير شاه السلجوقي ، في أواسط القرن الخامس الهجري^(١) في مدينة بغداد عندما أنشأ المدارس التي حملت اسمه (النظامية) « وقد افتتحت تلك المدارس للدراسة يوم السبت عاشر من ذي القعدة (٤٥٩ هـ / ١٠٦٦ م) »^(٢) .

وهناك من الباحثين من يعرض هذا الرأي مع الاعتراف ضمناً بوجود مدارس سبقت النظامية بيد أنه ولكي يدعم وجهة نظره ينفي أن تكون المدارس قبل النظامية ذات أثر قوي في الحياة الإسلامية ، وأنها - بحسب رأيه - « جهد محدود وضحل لم يعمر طويلاً »^(٣) .

الرأي المختار : بعد عرض أهم الآراء حول تاريخ ظهور المدارس الإسلامية في العالم الإسلامي يمكن أن نختار ونركن إلى الرأي القائل بأن أهل نيسابور كان لهم قصب السبق في إنشاء المدارس الدينية في النصف الأول من القرن الرابع الهجري . فقد أنشئت هناك عدة مدارس منها ما تعرضنا له عند الرأي الثاني . ومنها مدرسة ابن فورك المتوفى سنة (٤٠٦ هـ / ١٠١٤ م)^(٤) ، والمدرسة البيهقية ، والمدرسة السعيدية التي بناها (نصر بن سبكتكين) ، أخو السلطان (محمود الغزنوي)^(٥) ، دون أن ننسى مدارس بخارى التي أنشئت في الفترة نفسها التي ظهرت فيها مدارس نيسابور .

-
- (١) زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي ، ٣ / ٢٠٠ .
ميز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ١ / ٢٥٤ .
شليبي : تاريخ التربية الإسلامية ، ٣٥٨ .
(٢) معروف : علماء النظاميات ومدارس الشرق الإسلامي ، ٩ .
(٣) شليبي : م . م . س . ٣٥٨ .
(٤) زيدان : م . م . س . ٣ / ٢٠٠ - ٢٠١ .
(٥) المقرئبي : المواعظ والإعتبارات في ذكر الخطط والآثار ، ٤ / ١٩٣ .

ومما تقدم يمكن أن نوجز الرأي المختار في «أن المدرسة نشأت في أواخر القرن الثالث الهجري وأوائل القرن الرابع في نيسابور بخراسان ، وما وراء النهر»^(١) وهذا الرأي نجد من يؤيده من المؤرخين . إذ يذكر المقرئزي في خططه : «... وأول من حفظ عنه بنى مدرسة في الإسلام أهل نيسابور»^(٢) . وقد تطورت المدرسة الإسلامية في العالم الإسلامي كما تتطور أية ظاهرة بيئية أخرى ، ووصلت إلى ما وصلت إليه في القرون اللاحقة .

أما كون المأمون هو الذي أسس أول مدرسة في خراسان أيام ولايته ، فلم تؤيده حتى تلك المصادر التي تناولت حياة المأمون وأعماله وإنجازاته . وقد انفردت دائرة المعارف البريطانية بهذا الرأي ، دون أن تدلنا على المصدر الذي استقت منه هذا الرأي .

يبقى أن نناقش ادعاء الكثيرين بأسبقية نظام الملك الطوسي في إنشاء المدارس ، وأن المدرسة النظامية التي أنشأها ببغداد هي المدرسة الأولى في العالم الإسلامي ، فإن هذا الادعاء لا يمكن الركون إليه ، والاعتماد عليه ، والتسليم به لأمرين :

الأمر الأول : مخالفته ما كانت عليه الحركة العلمية أوائل العصر العباسي من نضج الأفكار والعلوم ومن نقل الكتب وترجمتها وانتشار الثقافة مما يبعد معه عدم وجود محلات للتدريس خصوصاً مع انتشار طرق التدريس الجمعي ووجود بعض العلوم التي كانوا يجلبون المسجد أن تُدرّس فيه ، كالمنطق والفلسفة ، وما شاكلهما .

الأمر الثاني : وجود إشارات ونصوص تاريخية تفيد وتؤكد على

(١) هالم . Halim . أصول المدرسة في الإسلام ، مجلة الفكر العربي (بيروت)

ع / ٢٠ آذار ١٩٨١ م .

(٢) المقرئزي : م . ن .

وجود مدارس في أواخر القرن الثاني ، وفي القرن الثالث ، كتلك التي نقلناها في الصفحات السابقة ، كمدارس بخارى ونيسابور . حتى إن باحثاً قديراً كالدكتور ناجي معروف تابع هذا الأمر . ونقّب فيه فتوصل إلى « أن مدارس كثيرة تمّ إنشاؤها قبل مدارس نظام الملك بأكثر من مائة وستين عاماً »^(١) . وذكر أسماء عشرة مدارس يعود إنشاء بعضها إلى سنة (٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م)^(٢) ، بل إنه عاد وكتب بحثاً عنونه (مدارس قبل النظامية) بحث فيه في ثلاث وثلاثين مدرسة فقهية أنشئت كلها في الفترة الواقعة بين أواخر القرن الثالث الهجري حتى منتصف القرن الخامس الهجري أي قبل النظامية ببغداد بأكثر من قرن ونصف ، مع تراجم موجزة لمؤسسيها ومدريسيها ونظّارها وطلبتها والمتفقهة فيها .

ويمكن أن نعتمد على تحديد الدكتور معروف حول بداية إنشاء المدارس الدينية خارج المسجد لنخرج بالجدول التالي :

جدول رقم (١) تاريخ بداية ظهور المدارس الإسلامية في العالم الإسلامي

إسم البلد	خراسان	العراق	الشام	مصر	الحجاز	تونس	المغرب	الأندلس
هجري	٢٩٥	٤٥٧	٤٩١	٥٣٢	٥٧٩	٦٤٧	٦٨٥	٧٥٠
ميلادي	٩٠٧	١٠٦٤	١٠٩٧	١١٣٧	١١٨٣	١٢٤٩	١٢٨٦	١٣٤٩

(١) معروف : علماء النظاميات ومدارس الشرق الإسلامي ، ٤ .

(٢) نفسه .

(٣) معروف : نشأة المدارس المستقلة في الإسلام ، (المقدمة) .

على أنه من المفيد أن نشير إلى أن بعض المدارس الإسلامية ، كانت تقام جوار المسجد ، أو جوار بيت الملك ، في ما تقام مدارس إسلامية أخرى قريباً من قبرٍ أو مشهد فتقترن به « فني سمرقند كانت هناك مدرسة بجانب القبر المنسوب لقثم بن العباس ابن عم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) . أما قبر الفقيه الحنفي أبي حفص الكبير المتوفى سنة (٢١٧هـ / ٨٣٢م) ، مُدْجِل المذهب إلى بُخارى ، وتلميذ محمد ابن الحسن الشيباني ، فقد تحوّل إلى مدرسة منذ القرن الرابع الهجري درس فيها عدد من أعضاء أسرته الفقه الحنفي ، أما قبر الفقيه الشافعي الْقَفَال الشاشي بطشقند ، فقد بُنيت بصلقه مدرسة ما تزال موجودة إلى اليوم . فهي المقر للفتي هناك . وفي بغداد أُقيمت مدرسة على قبر أبي حنيفة سنة (٤٥٧هـ / ١٠٦٥م) . وفي القاهرة أُقيمت مدرسة على قبر الشافعي سنة (٥٧٥هـ / ١١٧٩)^(١) .

لا نستغرب بعد هذا العرض من فرار الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي سنة (٤٤٨هـ / ١٠٥٦م) بعد أن أحرق السلاجقة كتبه وداره وكرسياً كان يرتقيه أثناء التدريس ، فراره لمدينة النجف بالعراق ليجاور مرقد علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، ولينشئ هناك ما عرف بالحوزة العلمية « لتصير على يديه مدينة العلوم الإسلامية ، ومحطة المرجعية الإمامية في العالم الإسلامي . يشدّ الرحال إليها علماء الدنيا ، يغترفون المعرفة من مناهلها وتفيض معارفهم فيها »^(٢) .

(١) هالم : أصول المدرسة في الإسلام ، مجلة الفكر العربي (بيروت) ع / ٢٠ آذار / ١٩٨١م .

(٢) مكّي : تقديم كتاب النجف ، جامعتها ودورها القيادي لـ علي البهادلي ، ١١٤ .

الباب الأول

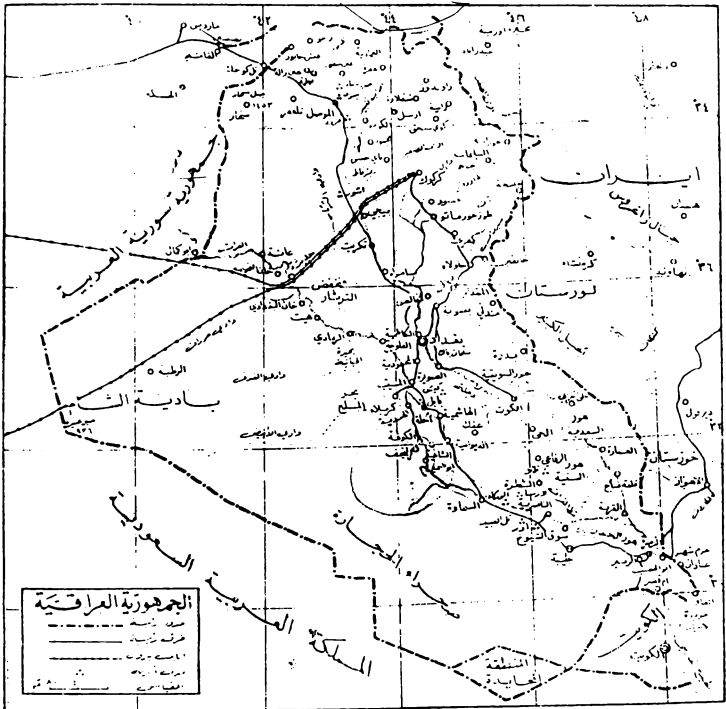
نشأة النجف، وتطورها كمدينة علمية

الفصل الأول: النجف المدينة.

الفصل الثاني: تطور النجف كمدينة علمية.

الفصل الثالث: أدوار الحوزة العلمية في النجف.

خريطة الجمهورية العراقية
 وفيها يتضح موقع مدينة النجف الأشرف



الفصل الأول :

النجف المدينة .

النجف لغة :

النَجْفُ لفظ « مفرد ، جَمْعُه نِجَاف : التَّلَّ .. المكان لا يعلوه الماء ، مستطيل في بطن الوادي ، وقد يكون ببطن من الأرض . أو هي أرض مستديرة مشرفة على ما حولها »^(١) .

أما ابن منظور فنقرأ له : « النَّجْفَةُ : أرض مستديرة مشرفة ، والجَمْعُ نَجَف ، ونِجَاف ، والنَّجْفَةُ بالتحريك : مكان لا يعلوه الماء . مستطيل منقاد »^(٢) .

النجف في الاصطلاح :

يقول ياقوت الحموي البغدادي :

« النجف بالتحريك ، وهو بظهر كالمُسْنَأة^(٣) تمنع الماء أن يعلو

(١) الفيروز آبادي : القاموس المحيط ، ٤٠٢/٣ ، مادة (النجف) .

(٢) ابن منظور : لسان العرب ، ٣٢٣/ . مادة (النجف) .

(٣) المُسْنَأة : الأرض المرتفعة .

الكوفة ومقابرها ، وبالقرب من هذا الموضع قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) . وقد ذكرته الشعراء في أشعارها فأكثرت «^(١) .

علي أن الحديث عن النجف يستلزم الحديث عن الكوفة أولاً ثم الحيرة ثانياً ، لأن كتب المؤرخين وعلماء اللغة ما أن تتحدث عن واحدة من تلك المدن إلا ويرد ذكر المدينتين معها .

عن الكوفة يقول ياقوت :

« الكوفة بالضم : المصر المشهور بأرض من سواد العراق ويسميتها قوم خدَّ العذارى ، سُميت الكوفة لاستدارتها أخذاً من قول العرب : رأيت كُوفانا وكُوفانا ، بضم الكاف وفتحها ، للرميلة المستديرة ، وقيل سُميت الكوفة لاجتماع الناس بها ، من قولهم : قد تكوّف الرمل »^(٢) .

أما الحيرة فقد كتب عنها ياقوت يقول :

« الحيرة : بالكسر ثم السكون وراء : مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة ، على موضع يقال له النجف . وأول من اتخذ الحيرة منزلاً من الملوك هو عمر بن عدي بن نصر اللخمي »^(٣) .

النجف : الموقع الطبيعي :

إن أهم ما يميز النجف هو وقوعها على هضبة غربي الكوفة ، أما من جنوب النجف فهو مدينة الحيرة ، والنجف «من جهتي الشمال والشرق [تطلُّ] على فضاء فسيح فيه من القباب والقبور للعلماء ولسادات ومشاهير الرجال من الأعيان والأمراء مئات الألوف»^(٤) .

(١) ياقوت : معجم البلدان ، ٢٧١/٥ - ٢٧٢ .

(٢) نفسه : ٤٩٠/٤ .

(٣) نفسه ، ٣٢٨/٢ .

(٤) محبوبة : ماضي النجف وحاضرها ، ٢٥/١ .

أما مناخ النجف « هواء صيفها حار يابس ، وفي الشتاء بارد قارس ، وعندما يشتد الحر في الصيف يلتجئ أهلها إلى سرايب منحوتة في الأرض نحتاً بديعاً تتفاوت في العمق كثيراً (. . .) والموقع الطبيعي للنجف هو الذي جعلها عرضة لاختلاف درجة الحرارة والبرودة فإن صيفها يشتد فيه الحر ، وتهب الرياح اللافحة (السموم) حتى تصل الحرارة إلى درجة (٤٥،٥) في المقياس المثوي ، وأما البرد فإنه يشتد بحيث تجمد المياه وتصل إلى الصفر ، وقد يكون بدرجة تحت الصفر»^(١) .

النجف في كتب المؤرخين :

لا نريد التوسع في استعراض الكثير مما ورد في كتب المؤرخين عن النجف ، كما يوحي بذلك عنوان هذه الفقرة . وقد كفانا مؤونة الحديث مفصلاً عن ذلك الدكتور حسين علي محفوظ في ما كتبه تحت عنوان (النجف في المراجع العربية)^(٢) ، وإنما نحاول أن نعرض لذلك بشكل موجز ، محاولة منا للتمهيد عن النجف المدينة العلمية :

وأول ما يطالعنا في هذا المجال هو ما قاله الشيخ محبوبة من أن « ظهر الكوفة الذي هو النجف يدعى خَدَّ العذار ، ينبت الخُزَامِي والإقحوان والقيصوم والشقائق »^(٣) .

يفسر المؤلف سبب تسمية (الشقائق) بما ورد في كتاب

(١) ماضي النجف وحاضرها ، ٢٥/١ .

(٢) نشر ذلك ضمن موسوعة العتبات المقدسة : ج ٦ ، ص ٦٥ حتى ١٩١ .

(٣) محبوبة : ماضي النجف وحاضرها ، ٤/١ .

والخُزَامِي والإقحوان والشيح والقيصوم . والشقائق ، هي أسماء لنباتات طيبة الرائحة ، وبعض الأنواع من الورود .

(الأذكياء) لابن الجوزي ، من أن عبيد - راوية الأعمشى - حَدَّثَ فقال : « خرج لنعمان بن المنذر إلى ظهر الحيرة وكان معشاباً ، وكانت العرب تسميه خدَّ العذارى ، وفيه ينبت الشَّيخ والقيصوم والخزامى والزعفران وشقائق النعمان والإقحوان . فمرَّ النعمان بالشقائق فأعجبه فقال : من نزع من هذا شيئاً فانزعوا كتفه ، قال : فَسُمِّيت شقائق النعمان»^(١) .

أما المسعودي ، فقد ذكر النجف عند حديثه عن الحيرة ، إذ قال : «كان جماعة من خلفاء بني العباس كالسفاح والمنصور والرشيد وغيرهم ، ينزلونها ويطلبون^(٢) المقام بها لطيب هوائها ، وصفاء جوهرها^(٣) وصحة تربتها ، وقرب الخورنق^(٤) والنجف منها»^(٥) .

ولعل ما يدعم ما ذهب إليه المسعودي ، نجده في ما نقله صاحب كتاب الأغاني من شعر إسحاق بن إبراهيم الموصلي . ففي موضوع

(١) محبوبة : م . ن ، ٤/١ .

الخاقاني : شعراء الغري . أو النجفيات ، ١٠/١ (والنص للأول) .

(٢) المسعودي : مروج الذهب ، ومعادن الجواهر ، ١٠٤/٢ .

(٣) في بعض النسخ ويطلقون المقام بها وفي بعضها (ويصلون المقام بها) .

(٤) الخورنق : موضع على مسيرة نحو ميل من النجف ، سكنه أول الأمر قبيلة إباد ، وقصر بناه في هذا الموضع الأمير اللخمي النعمان ، بعد عام ٤١٨م وقد أشاد بذكره شعراء العرب الجاهليون في كثير من أشعارهم . وعدَّوه هو وحصن صدير (لعله الأخضر) من عجائب الدنيا الثلاثين . واشتهر الخورنق أيضاً لأنه مضرب المثل السائر «جزاء سنَّار» وهو المهندس المعماري الرومي الذي شيده للنعمان وأتمَّه .

أنظر : خورشيد وآخرون : دائرة المعارف الإسلامية ، ٣٥/٩ .

(٥) الواثق بالله هو هارون بن محمد المعتصم ، تاسع الخلفاء العباسيين

(٢٢٧ - ٢٣٢هـ - ٨٤٢ - ٨٤٧م ولد في بغداد ٢٠٠هـ / ٨١٥م ومات بسامراء .

معلوف : المنجد في الأعلام : ٧٣٨ .

القصيدة التي قالها في النجف يحدثنا المؤلف فيقول :

« إن إسحاق قال : ما وصلني أحد من الخلفاء قط بمثل ما وصلني
به الوائق^(١) ولقد انحدرت معه إلى النجف فقلت له : يا أمير المؤمنين ،
قد قلت في النجف قصيدة ، فقال : هاتها ، فأنشدته :

يا راكب العيس لا تعجل بنا ووقف نحى دار السعدى ثم ننصرف
حتى أتيت على قولي :

لم ينزل الناس في سهلٍ ولا جبلٍ أصفى هواءٍ ولا أعذى^(٢) من النجف
حفت بيسر وبحر من جوانبها فالبر في طرفٍ والبحر في طرف
فقال : صدقت يا إسحاق ، هي كذلك . إلى أن قال : ومضيت
حتى أتممتها ، وقال : أحسنت ، والله يا أبا محمد ، وكنتاني بوقته . وأمر
لي بمائة ألف درهم »^(٣) . إلى آخر القصة .

وقال الجاحظ : « هرب رجل من الطاعون إلى النجف ، أيام شريح
[القاضي] ، فكتب إليه شريح : أما بعد فإن الفرار لن يبعد أجلاً ، ولن
يقلل رزقاً . وإن النجف من ذي قدرة لقريب »^(٤) . وكان هذا فضولاً من
شريح القاضي - كما يقول الدكتور مصطفى جواد - « إذ لو اتبع قوله ، لم
يستشف مريض ، ولا استوصف ، الأطباء ، ولا شرب الدواء ، لدفع
الأدواء ، ولا أحسن السكن والغذاء . ومن أجل صفاء الماء والهواء ،
وعداوة الأرض ، بنى المناذرة قصرهم المشهور (الخورنق) قرب
النجف »^(٥) .

-
- (١) يبدو أن الأصح قوله جوها . وقد يكون الخطأ مطبعياً .
(٢) أعذى : أطيب هواء . يقال عذا المكان يعذو ، وإذا طاب هواؤه .
(٣) الأصبهاني : الأغاني ، ٣٥٧/٥ .
(٤) الجاحظ : البيان والتبيين ، ١٦٢/٢ .
(٥) الخليلي : موسوعة العتبات المقدسة ، ٢٤/٦ .

« وجاء ذكر النجف في كتاب (حياة الحيوان) للدميري ، حيث نقرأ « . . . إن خالد بن الوليد لما تحصّن منه أهل الحيرة بالقصر الأبيض وغيره من قصورهم نزل بالنجف ، وأرسل إليهم أن ابعثوا إليّ رجلاً من عقلائكم . فأرسلوا إليه عبد المسيح بن عمر بن قيس بن حيان بن بقلية الغساني . وكان من المعمّرين فقاوله »^(١) .

سبب تسميتها :

لكل تسمية سبب ، وحين يطلق اسم ما ، أو صفة ما على أرض أو إنسان أو شيء آخر ، فإنما يكون لذلك في الغالب سبب وعلّة ما وراء تلك التسمية . فما هي إذن العلة في تسمية تلك البقعة الكائنة غربي الكوفة بـ (النجف) .

من خلال تتبّع الباحث لما كُتِبَ تعليلاً لتلك التسمية تظهر الآراء الثلاثة التالية في هذا المجال :

الرأي الأول : ما ذكره الشيخ الصّدوق في كتابه (علل الشرائع) في الباب (٢٦) تحت عنوان (العلة التي من أجلها سمّي النجف نجفاً) ما مضمونه : « أن النجف كان جبلاً عظيماً ، وهو الذي آوى إليه ابن نوح (عليه السلام) عند الطوفان وقال كما جاء في القرآن الكريم - : ﴿ سأوي إلى جبل يعصمني من الماء ﴾^(٢) . ولم يكن على وجه الأرض أعظم منه . فأوحى الله إلى الجبل : يا جبل أيعتصم بك مني أحد خلقي ؟ فتقطّع الجبل قطعاً قطعاً ، وصار رملاً دقيقاً ، وصار بعد ذلك بحراً عظيماً . وكان يسمى ذلك البحر (ني) ثم (جف) فقيل (ني جف) ثم صار - بعد أن حذفت الياء للتخفيف يسمونه (نجف) لأنه كان أخف على ألسنتهم »^(٣) .

(١) محبوبة : ماضي النجف وحاضرها ، ٥/١ .

(٢) هود/٤٣ .

(٣) الصدوق : علل الشرائع ، ٣١/١ .

الرأي الثاني : ما اعتمده الدكتور مصطفى جواد - بعد استعراضه لأقوال علماء اللغة وكتبهم - حيث يقول : « . . . وفذلكة الأقوال أن النجف إنما سُمي بهذا الاسم لأنه يعني أرضاً عالية معلومة تشبه المسناة ، تصد الماء عما جاورها ، وينجفها الماء^(١) من جوانبها أيام السيول ، ولكنه لا يعلوها فهي كالنجد والسد ، وتغلب على شكلها الاستطالة دون الاستدارة التي أشار إليها بعض اللغويين^(٢) . ومثل هذا الخبر أو الرواية (عن الاستدارة) التي أوردتها بعض الكتب يفتقر إلى كثير من الأدلة لتصبح مقبولة^(٣) .

الرأي الثالث : ما توصل إليه الباحث الشيخ جعفر محبوبة وهو يميز ما بين النجف والكوفة ، و نجف الحيرة ، فيقول : « . . . وبعد الفحص والتتبع إن النجف قديماً هو ما انفصل عن الكوفة وانحاز إليها من الظهر ، حتى يصل إلى الحيرة . ويضاف إليها فيقال : نجف الحيرة ، كما يقال : نجف الكوفة (وهو من قبيل تعريف الغامر بالعامر) . قال البحترى يمدح محمد بن أحمد الطائي ، في قصيدة له :

أرْمَوْ^(٤) الكوفَةَ أرضاً وأرى نجفَ الحيرة أرضاًها وطَن^(٥)

ويلوح للباحث أن رأي الدكتور مصطفى جواد ، ادعى للقبول والأخذ ، خاصة وأننا نجد ما يؤكد في ما جاء في معجم البلدان^(٦) وبعض المصادر العلمية الأخرى . وهو الرأي الذي ركن إليه المؤرخ

(١) يحيطها الماء .

(٢) الخليلي : موسوعة العتبات المقدسة ، ١٠/٦ .

(٣) نفسه ، ١٢/٦ .

(٤) أرمق : أنظر .

(٥) محبوبة : ماضي النجف وحاضرها ، ٧/١ .

(٦) ياقوت : معجم البلدان ، ٢٧١/٥ - ٢٧٢ .

النجفي علي الخاقاني^(١) .

أسماء أخرى للنجف :

وللنجف غير اسم (النجف) مجموعة أسماء نذكر منها هنا :
الطُّور ، الظَّهر ، الجودي ، الرُّبوة ، وادي السلام . لكن الأسماء الأكثر
شيوعاً واستعمالاً هي النجف ، والغري أو الغريان ، والمَشْهد . وحيث
أوضحنا معنى النجف وسبب تسميتها ، فلا بد هنا من بيان معنى الغري
والمَشْهد :

أ - الغري :

يثنى الغري ويطلق على النجف أيضاً فيقال : الغريان . والغري
وهو المطلي ، الغراء محدود وهو الغري الذي يُطلَى به ، والغري : فعيل
معنى مفعول ، والغري الحَسَن من كل شيء ، ويقال رجل غري الوجه
إذا كان حسناً مليحاً ، فيجوز أن يكون الغري مأخوذاً من كل واحد من
هذين^(٢) .

ولتسمية النجف بالغري قصة يرويها الكثير من المؤرخين ، تختلف
عباراتهم وإن كان مضمونها واحد ، يتلخص في الآتي :

إن الغري : نصب كان يذبح عليه العتائر (ذبائح الأصنام)^(٣) ،
حيث يقال إن المنذر بن امرئ القيس بن ماء السماء ، له نديمان من
بني أسد يقال لأحدهما : خالد ابن نضلة ، والأخر عمرو بن مسعود ،
فثملا ، فراجعا الملك ليلة في بعض كلامه فأمر وهو سكران فحفر لهما
حفيرتين في ظهر الكوفة ودفنهما حيين . فلما أصبح استدعاهما ، فأخبر
بالذي أمضاه فيهما فغمه ذلك ، وقصد حفرتيهما وأمر ببناء طربالين

(١) الخاقاني : شعراء الغري ، أو النجفيات ، ٨/١ .

(٢) ياقوت : معجم البلدان ، ٢٠١/٣ .

(٣) ابن منظور : لسان العرب ، ١٢٢/١٥ .

عليهما^(١) . وهما صومعتان . فقال المنذر : ما أنا بملك إن خالف الناس أمري : لا يمرّ أحد من وفود العرب إلا بينهما ، (ويقال إنه أمر الناس بالسجود لهما) . وقد جعل يوم بؤس ، ويوم نعيم ، والذي يمتنع عن السجود في يوم البؤس يُقتل ، (ويغرى) القبر بدمه . فجاء رجل من العرب في يوم البؤس فاقتيد إلى السجود . فامتنع فأرسلوه إلى الملك ليقتل وقيل له اطلب طلبتين ، فقال الأعرابي : يتقدم إليّ الملك لأضربه بهذه المدقة فتقدم الملك فضربه الأعرابي ، حيث بقي ثلاثة أشهر يتداوى ثم استدعي الأعرابي من سجنه لطلبه الآخر حتى يُقتل . فقال للملك : أضربك على عاتقتك الآخر ، فعفا الملك عنه^(٢) .

ومن هنا كانت تسمية مدينة النجف بالغرّي ، لوجود الصومعتين اللتين بناهما النعمان لتدعيمه على أرضها . ومن ثم تغرية أي طلاء^(٣) القبرين بدم القتل الذي يرفض السجود لهما .

ب - المَشْهَد :

وهو عبارة عن اسم مكان وزمان ، مأخوذ من الفعل (شَهِدَ) أي رأى وحضر . وكما جاء في القرآن الكريم : ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾^(٤) .

(١) الطربال : قطعة من جبل أو قطعة من حائط تستطيل في السماء وتميل . وقيل :

الطربال القطعة العالية من الجدار والصخرة العظيمة المشرفة من الجبل .

الخاقاني : شعراء الغري أو النجفيات ، ٦/١ .

(٢) القصة مروية بألفاظ مختلفة في :

محبوبة : ماضي النجف وحاضرها ، ١٠/١ .

الخاقاني : شعراء الغري ٥/١ - ٧ .

الخليلي : موسوعة العتبات المقدسة ، ٢٨/٦ .

(٣) ابن منظور : لسان العرب ، ٢٢٢/١٥ مادة (غرا) .

(٤) سورة البقرة ، الآية ١٨٥ .

أي من حضر ولم يكن مسافراً^(١) وقد جاء ذكر المشهد - كاسم من أسماء النجف في بعض أقوال الشعراء . فهذا أبو اسحاق الصابي يمدح عضد الدولة^(٢) عند زيارته مرقد الإمام علي (عليه السلام) في النجف فيقول :

توجهت نحو(المشهد) العلم الفرد على اليمن والتوفيق والطائر السعد
تزور أمير المؤمنين فيا له ويا لك من مجد منيخ على مجد^(٣)
وقال الشاعر سيد علي خان عند زيارته المرقد العلوي ، حيث ورد
اسم المشهد :

يا صاح هذا (المشهد) الأقدس قرت به الأعين والأنفس
والنجف الأشرف بانث لنا أعلامه والمعهد الأقدس
والقبة البيضاء قد أشرفت ينجاب عن لألائها الحندس^(٤)
مرقد الإمام علي :

أمامي وأنا أكتب هذه الفقرة (مرقد الإمام علي) أكثر من عشرة مراجع كلها تشير إلى أن « أول عمارة طرأت قبر الإمام علي (عليه السلام) في النجف وظهر القبر في وقتها كانت بأمر الخليفة

(١) شُبر : تفسير القرآن الكريم ، ٦٦ .

(٢) عضد الدولة : هو أبو شجاع قنا خسروبن ركن الدولة نسبة إلى بهرام جواد الملك ابن يزدخر وهو من وزراء الدولة العباسية . ولد بأصبهان سنة ، (٩٣٢٤هـ/٩٣٢) وتوفي سنة (٣٧٢هـ/١٠٨٠م) أنظر ترجمته في القمي : الكنى والألقاب ، ٤٦٩/٢ .

(٣) محبوبة : ماضي النجف وحاضرها ، ١٢/١ .

(٤) م . ن . والهندس : الليل المظلم ، والجمع حناديس : الليل الشديد الظلمة . أو الليالي الثلاث من آخر كل شهر .

العباسي هارون الرشيد سنة (١٧٠هـ / ٧٦٨م)^(١) ولم أستطع الركون لهذه المعلومة ، فتاريخ الخلفاء العباسيين والأمويين لم يكن ليشجع على الأخذ بقول كهذا ، لا سيما وأن هؤلاء الخلفاء - دون حديث استثناءات - ظلوا ينظرون إلى علي بن أبي طالب وأولاده (عليهم السلام) نظرة الشك والارتياب ، فراحوا يلاحقونهم ويلاحقون أتباعهم ، حتى إن الذي يقرأ تاريخ الأئمة (عليهم السلام) لا يجد فيهم من مات على فراشه دون سم أو قتل . . !

أقرر هذه الحقيقة لأصل إلى : أن القول بأن هارون الرشيد هو الذي أمر ببناء قبة على قبر الإمام علي (عليه السلام) قول لا يمكن القبول به والتصديق له بسهولة .

ومن هنا رحلت أتابع مصدر هذه المعلومة في مظانها فأوصلتني جميع المراجع التي بين يدي إلى مصدر واحد استقت كلها منه تلك المعلومة ذلك المصدر هو كتاب (فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي في النجف) لمؤلفه/ غياث الدين السيد عبد الكريم ابن طاوس ، المتوفى سنة (٦٩٣هـ / ١٢٩٣م) فقد جاء في كتابه :

« . . . وفيما ذكر ابن طحال : أن الرشيد بنى عليه^(٢) . بنيانا بأجر أبيض - أصغر من هذا الضريح اليوم من كل جانب بذراع ، ولمّا كشفنا الضريح الشريف وجدناه مبنياً عليه تربة وجصّ ، وأمر الرشيد أن يُبنى عليه قبة فُئيت من طين أحمر ، وطرح مع رأسها حبرة خضراء وهي في الخزانة^(٣) إلى اليوم^(٤) .

(١) منها : المظفر : تاريخ الشيعة ، ٢٤٣ . الأمين : أعيان الشيعة ، مع / ١ - ٥٦٣ .

الخاقاني : شعراء الغري ١ / ١١ .

(٢) الضمير يعود قبر الإمام علي (عليه السلام) .

(٣) الخزانة : يقصد بها تلك الخزانة الموجودة في داخل مرقد الإمام علي (عليه السلام) ، تحفظ فيها الهدايا والنفائس التي تقدم لقبر الإمام .

(٤) ابن طاووس : فرحة الغري ، ٦٢ - ٦٣ .

لماذا بنى هارون الرشيد قبر الإمام علي (عليه السلام) ؟ يجب
ابن طاوس في قصة على لسان الراوي عبد الله بن حازم ، إذ يقول :

« خرجنا يوماً مع الرشيد من الكوفة نتصيد فصرنا إلى ناحية الغريين
والثوية فرأينا ظباءً ، فأرسلنا عليها الصقور والكلاب فحاولتها ساعة ثم
لجأت الظباء إلى أكمة فسقطت عليها ، فسقطت الصقور ناحية ورجعت
الكلاب ، فتعجب الرشيد من ذلك ، ثم إن الظباء هبطت من الأكمة
فسقطت الصقور والكلاب ، فرجعت الظباء إلى الأكمة فتراجعت عنها
الكلاب والصقور ففعلت ذلك ثلاثاً . فقال هارون اركضوا فمن لقيتموه
فأتوني به ، فأتيناه بشيخ من بني أسد ، فقال هارون ما هذه الأكمة ؟ قال :
إن جعلت لي الأمان أخبرتك . قال : لك عهد الله وميثاقه ألا أهيجك ولا
أؤذيك ، قال حدثني أبي عن أبيه : أنهم كانوا يقولون هذه الأكمة قبر
علي بن أبي طالب جعله الله حرماً لا يأوى إليه أحد إلا آمن . فنزل هارون
ودعا بماء وتوضأ فصلى عند الأكمة ، وتمرغ عليها فجعل يبكي ثم
انصرفا »^(١) .

ومن طريف ما قاله بعض أصحاب هارون لهارون وهو يفعل ذلك :

« تفعل هذا بقبره وتحبس أولاده ؟ فقال : ويلك إنهم يؤذونني .
ويخرجونني إلى ما أفعل بهم »^(٢) .

وقد تبعت حياة هارون الرشيد في بعض المصادر الأصلية ،
والكتب التاريخية كتاريخ الأمم والملوك ، وتاريخ اليعقوبي . والكامل في
التاريخ ، ومروج الذهب ، فلم أعثر على ما يدعم ما ذهب إليه السيد ابن
طاوس من أن هارون الرشيد هو الذي بنى قبر الإمام
علي (عليه السلام) . والموضوع يحتاج إلى تحقيق ومتابعة ليس مجالها
رسالة جامعية عن الحوزة العلمية .

(١) نفسه ، ١٢ .

(٢) ابن طاوس : فرحة الغري ، ١٢١ .

وكيف كان أمر العمارة الأولى للقبر الشريف ، فقد طرات عليه عدة عمارات وإصلاحات حتى أصبح مثلما هو اليوم من قباب ذهبية شامخة ، ومقام يقصده الملايين من المسلمين يتقربون إلى الله فيه من خلال زيارة أحد أوليائه^(١) .

مقبرة النجف :

وتعرف مقبرة النجف وادي السلام . يقول عنها الشاعر الجواهري « إنها أكبر غابة للأموات في العالم »^(٢) . وفي وادي السلام يشعر الإنسان أنه في مدينة خربة واسعة متراميه الأطراف ، ويشعر بصمت عميق غمر الملوك والرعايا ، ويرى قبوراً دارسة وقبوراً مائلة للإنهدام ، وقبوراً جديدة ، والقبور بين قبر عليه دكة تختلف صغراً وكبراً وآخر حوله سور يختلف سعة وارتفاعاً ، وثالث عليه بنية . والبنيات قد تكون ذات فخامة وإتقان تشبه داراً من أحسن الدور ، يقيم فيها شخص يقرأ القرآن في أوقات معينة ، ويتقاضى أجراً من ذوي العلاقة . وكثير من المقابر عليها قباب تختلف كبراً وصغراً ، ولوناً وتصميماً . وكثير من هذه القبور تاريخي ، وعلى كل قبر إلا ما شذ صخرة نُجت عليها اسم الميت وتاريخ وفاته وبعض المميزات الأخرى^(٣) .

وفي وادي السلام بالنجف يتزاحم ما لا يقل عن عشرة أجيال من كثير من البشر حتى لكأن الشاعر أبا العلاء المعري عناه بقوله :

رُبَّ لحدٍ قد صار لحداً مراراً ضاحكٍ من تزاحم الأضدادِ
صاح هذي قبورنا تملأ الأُر ض فأين القبور من عهد عادِ
سرٌّ إن اسطعت في الهواء رويداً لا اختيالاً على رفات العبادِ

(١) أنظر الملحق رقم (١) صورة خارجية لمقعد الإمام علي في النجف ص ٣٣٤ .

(٢) الجواهري : ذكرياتي ، ١٥٤/١ .

(٣) الفقيه العاملي : جامعة النجف في عصرها الحاضر ، ٩٤ - ٩٥ .

ولعله من المفيد أن نشير إلى أن الموتى الذين يدفنون في مقبرة وادي السلام ليسوا من النجفيين أو العراقيين فقط ، بل يُجلب إليها الموتى من آسيا وإفريقيا وحتى من الدول الأوروبية ، أما العدد التقريبي للموتى الذين يُدفنون في النجف ، فقد قُدِّر بحوالي ألفي ميت^(١) شهرياً . وهذا القدر يعود إلى ما قبل مائتي وخمسين سنة ، أما الآن فيمكن أن نركز إلى الجدول الذي نشره الأستاذ طالب الشرقي عن ذلك والذي نفرد له الصفحة اللاحقة رقم (٥٤) . وقد استقينما ما تضمن من معلومات من التقرير السنوي للجنازات الواردة لمكتب استعلامات الدفن في النجف ، كما أورده الأستاذ الشرقي^(٢) .

وقد اعتبرت مقبرة وادي السلام في النجف « أكبر جبانة إسلامية في الشرق »^(٣) . ولشعراء النجف في (وادي السلام) قصائد كثيرة نختار منها القصيدة الرائعة التي نظمها الشيخ علي الشرقي عام ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م ، والتي من التادر أن تجد نجفياً لا يحفظ بعض أبياتها ، نقتطف من القصيدة هنا بعض الأبيات ، حيث يقول فيها الشاعر :

سَلِ الحَجَرَ الصَّوَّانَ والأثر العادي	خليليِّ كم جيلٍ قد احتضنَ الوادي
فيا صيحةَ الأجيالِ فيه إذا دَعَتْ	ملايينُ آباءٍ ملايينُ أجدادِ
ثلاثونَ جيلاً قد ثَوَّتْ في قرارةٍ	تزاحم في عرب و فرس وأكرادِ
ففي الخمسة الأشبار دَكَّتْ مدائنُ	وقد طَوَّبت في حفرةِ أَلْفُ بَغدادِ
عبرتُ على الوادي وَسَقَّتْ عُجاجةَ	فكم من بلادٍ في الغبارِ وكَم نادِ

(١) النفيسي : دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث ، ٧٧ .

(٢) الشرقي : النجف الأشرف : عاداتها وتقاليدها ، ٥٣ .

(٣) الشرقي : عواطف وعواصف (ديوان شعر) ، ١٣٩ .

جدول رقم (٢)
عدد جوائز الموتى من الذكور والإناث الذين يجلبون إلى النجف للدفن فيها مع بيان الجهات الواردة منها ، وذلك خلال سنة واحدة^(١)

جائز الموتى الواردة من خارج العراق	الاجممع المام	عدد الإناث	عدد الذكور	التاريخ الشهر والسنة
_____	٢٠٦٠	٩٩٥	١٠٦٥	١٣٩٤م/١٩٧٤م
الكويت (١٧) + سورية (٣) + السعودية (١)	٢١٣٠	٨٧٠	١٢٦٠	تشرين الثاني ١٣٩٤م/١٩٧٤م
الكويت (٤١) + إيران (٢)	٢٦٠١	١١٨٩	١٤١٢	كانون الأول ١٣٩٤م/١٩٧٤م
الكويت (٣٦) + بريطانيا (١) + لبنان (١) + منظمة التحرير الفلسطينية (١)	٢٩٢٦	١١٩٣	١٧٣٣	كانون الثاني ١٣٩٥م/١٩٧٥م
_____	٢٣٦٠	١١١٠	١٢٥٠	شباط ١٣٩٥م/١٩٧٥م
الكويت (٢٣) + مسقط وعمان (١٣) + بريطانيا (١) + فرنسا (١)	٢٧٥٣	١٢٨٢	١٤٧١	آذار ١٣٩٥م/١٩٧٥م
الكويت (٢٤) + باكستان (١)	٢٦٩١	١٢١٩	١٤٧٢	نيسان ١٣٩٥م/١٩٧٥م
الكويت (١٧) + البحرين (١) + السعودية (١)	٢٤٠٢	١٠٠٢	١٤٠٠	آيار ١٣٩٥م/١٩٧٥م
الكويت (١٩) + الإتحاد السوفياتي (١) + باكستان (١) + إسبانيا (١)	٢١٧٨	٩١٨	١١٤٢	حزيران ١٣٩٥م/١٩٧٥م
الكويت (٢٠) + السعودية (١) + البحرين (١)	٢٠٣٣	٨٨٥	١١٧٣	تموز ١٣٩٥م/١٩٧٥م
الكويت (٢٥)	١٩٧٧	٨٥٩	١١١٨	آب ١٣٩٥م/١٩٧٥م
				أيلول ١٣٩٥م/١٩٧٥م

(١) الشرحي : النجف الأشرف ، عادتها وتقاليدها ، ٥٣ (تقلا عن) مكتب استعلامات الدفن في النجف - التقرير السنوي للجائز الواردة للمكتب خلال سنة .

وأبقيتُ لم أنفضُ عن الرأسِ تَرْبَهُ
 أعقباك يا دنيا قميصَ وطمرة
 فذو الزهوِ خَلَى الزهوَ عنه وقد نوى
 فكم من همومٍ في الترابِ وهمة
 ثوت كومةً للتربِ من حولِ كومةٍ
 وهل لَبِيتَ بالراقدينِ حُلومُهُم
 وما هذه الأجسادُ من بعدِ نزعِها

لأرفعَ تكريماً على الرأسِ أجدادي
 بحفرةِ أرضٍ من خراباتِ زُهَادِ
 وطلَّت على الغبرا سيادةُ أسيادِ
 وكم طُوِّيت فيه شمائلِ أمجادِ
 فهل تطلُّعُ الأرواحِ مطلعُ أورادِ
 بأطيافِ أفراحِ وأطيافِ أنكادِ
 سوى قفصِ خالٍ وقد أفلتَ الشادي^(١)

المكتب والمكتبات في النجف :

في عنوان مثير نشرت مجلة (لغة العرب) ببغداد مقالاً للشيخ محمد رضا الشيبلي حمل عنوان (النجفيون صرعى الكتب والمكتبات)^(٢) . إذ تنافسوا في جمعها وتأسيسها وانتشرت عدوى الهواية فأصابت الأميين ، فاقتنوا الكتب وهم لا يقرأون ، بل كان الفرد يجد مع جهله لذة في اقتنائها ، وارتياحاً إلى الازدياد منها^(٣) . وإذا كان هؤلاء الأميون يجدون - مع جهلهم بمحتوى الكتاب - لذة في اقتنائه وعبدَ وريقاته . « فهناك فئة رعت عهد الكتاب فلهجت بحبه وولعت لمطالعة ، منهم الشيخ علي كاشف الغطاء الذي كان يقصّ على ناديه أحاديث المصنفات ، ومغامراته في جمعها ، ولقد جاب بلاد الفرس وترك مصر وسورية والحجاز ، لا للتسلية بل انتجاعاً للعلم والرواية »^(٤) .

(١) الشرقي : عواطف وعواصف ، ١٣٩ - ١٤٠ .

(٢) الشيبلي : مجلة لغة العرب (بغداد) س/٢ ج٩ ربيع الثاني ١٣٣١هـ/ آذار ١٩١٣ م .

(٣) نصر الله : النجف الحضارية ، مجلة الغدير ، ٢/٤ ربيع الأول ١٤٠١هـ/ك ١٩٨١ م .

(٤) نفسه ،

ومن ظواهر الملفتة للنظر حقاً والتي تكشف عن تقدير النجفيين للكتاب فـ« لقد بلغ من شأن الكتاب وحتى الكتاب (العادي) أن يتقبله البزّار (بائع الأقمشة) ، والبقال ، وغيرهما ، رهينة عن مبلغ ربّما تجاوز ثمنه أضعافاً مضاعفة »^(١) .

ولعلنا نجد في القصة التي يذكرها الأستاذ جعفر الخليلي خير ما يعبر عن ولع النجفيين بالكتاب ، يقول وهو يتحدث عن كيفية معرفته بالشاعر النجفي أحمد الصافي :

« كان (الجداول) ديوان إيليا أبي ماضي قد طُبع ونقد قبل أن تصل منه نسخة إلى العراق وكنت قد كتبت للدكتور محمد حسين هيكل الذي كان يشرف على تحرير صحيفة السياسة الأسبوعية ، (. . .) لقد كتبت له أرجو مسعاه في أن يكلف من يعتمده بالحصول على نسخة من (الجداول) وجاءتني هذه النسخة من مصر ، وقيل أن أتلوها خطفها مني الصافي فقد كان هو الآخر شديد الإعجاب بأبي ماضي (. . .) وظل الصافي يستمهنني في إعادة النسخة ولعله قرأها غير مرة ، وحين أعاده إليّ قال إنه : ” دفع به لأحد أصدقائه ليتنسخ له نسخة منه وقد فعل »^(٢) .

وفي النجف هناك سوق (المزاد) الخاص بالكتب « يقام في كل يوم خميس ويوم جمعة ، من كل أسبوع . وهما اليومان اللذان تعطل فيهما الدراسة (الحوزوية) في النجف ، فيتهزباعة الكتب هذه الفرصة ، وينزلون بالكتب التي يعهد إليهم ببيعها إلى السوق ، وتبدأ المزايدة من قبل الأساتذة وشيوخ العلم ، والهواة والطلاب ، ولم يزل هذا السوق قائماً منذ العصور القديمة حتى اليوم »^(٣) .

(١) الخليلي : موسوعة العتبات المقدسة ، ٢١٨/٧ .

(٢) نفسه ، ٢١٢/٦ - ٢١٣ .

(٣) نفسه ، ٢١٩/٧ .

وقد غالى النجفيون في الكتاب : حفظاً ، واقتناءً ، وإحاطةً ، حتى إنهم لم يرتضوا القول المشهور (إن زكاة الكتاب عاريتة) ، فجعلوها (إن زكاة الكتاب رعايته) ، وهناك قول مشهور يُنسب إلى الإمام محمد حسين كاشف الغطاء مضمونه : إن من أرجع كتاباً قد استعاره فهو غبي ، والأغبي منه من أعار الكتاب^(١) . . . ومن النجفيين من يعتذر عن تلبية أي طلب لاستعارة كتاب بدعوى أنه قد حكم على ما اقتناه من كتب بالسجن المؤبد . . !

« ومن عرف في النجف من الغلاة في اقتناء الكتب العالم المحدّث الكبير الشيخ ميرزا حسين النوري المتوفى قبل اثنتي عشرة سنة تقريباً^(٢) . فقد كان متعلقاً بجمع المخطوطات متفانياً في إحراز نفائس الآثار ، وله نوادر غريبة في هذا السبيل تدل على شديد افتتانه ، وعظيم بلائه بها ، منها : أنه وجد يوماً في سوق من أسواق كربلاء كتاباً كان ينشده عند امرأة فاستباعها واستامها عليه فأرضاهما . ويظهر أنه كان ذاهلاً لعشوره على ضالته ، فإنه لما أراد ايفاءها ثمن الكتاب لم يجد عنده شيئاً ، ولكنه بادر فخلع حلّة ثمينة كانت على منته وباعها في سوق كاسدة بثمان تافه يسير وأخذ الكتاب من صاحبه بهذه اللجاجة الغريبة »^(٣) .

ويقدر عدد المكتبات الكبيرة في النجف بحدود الـ (٥٠) مكتبة بين عامة وخاصة^(٤) ، تحتوي على ملايين الكتب المطبوعة ، وآلاف من الكتب المخطوطة النفيسة .

(١) المصدر سماعي ، ولم أقف على صحة نسبة هذا القول إلى المرحوم كاشف الغطاء .

(٢) هذا النص نشر في عام (١٣٣١هـ / ١٩١٣م) .

(٣) الشيبيني : صرعى الكتب والمكتبات ، م . س .

(٤) محبوبة : ماضي النجف وحاضرها ، ١ / ١٤٧ .

الخليلي . العتبات المقدسة ، ٧ / ٢٢٤

وبالإضافة إلى المكتبات الكبيرة، فإن كل مدرسة دينية تحتوي على مكتبة يستعين بها طلابها في قراءاتهم وبحوثهم ، بالإضافة إلى وجود مجموعة كتب صغيرة من بضعة رفاف في غرفة كل طالب تكبر وتصغر حسب الوضع المادي لذلك الطالب .

الوضعية الإدارية للنجف :

بقيت النجف إلى ما قبل سنة (١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م) قضاءً يتبع إدارياً محافظة كربلاء ، وقد « أصبحت محافظةً بعد صدور المرسوم الجمهوري المرقم (٤٢) في (٢٩/٢/١٩٧٦م / ١٣٩٦هـ) ^(١) . وألحقت بالنجف (الحيرة) و(الكوفة) وبعض المدن الأخرى لتكون أفضية لتلك المحافظة .

ويقدر سكانها بـ (٧٥٠) سبعمائة وخمسين ألف نسمة .

(١) الشرقي : النجف الأشرف : عاداتها وتقاليدها ، ١٠ .

الفصل الثاني :

تطور النجف كمدينة علمية .

إذا كانت أقوال مؤرخي مدينة النجف تتفق على أنها بدأت تاريخها كمدينة مقدسة منذ أن كُشِف لأول مرة عن قبر الإمام علي (عليه السلام) عام (١٧٠هـ / ٧٦٨م)^(١) . فإنها تضطرب في موضوع بداية الحركة العلمية في تلك المدينة .

فهنالك من لا يفصل بين تاريخها كمدينة مقدسة ، وتاريخها كمدينة علمية بل ذهب إلى أبعد من هذا « من إرجاع تأسيس الجامعة النجفية إلى عهد الإمام علي (عليه السلام) »^(٢) ، باعتبار أن الإمام (عليه السلام) « هو أول من شيد ركنها الأساسي ، ووضع حجرها الذهبي »^(٣) . ومن الأدلة التي أقامها على هذا الرأي من جملة أدلة كثيرة « ما يدل من التاريخ القديم والحديث على وحدة النجف والكوفة ، إذ الكوفة لم تزل عامرة حتى القرن الثامن الهجري أي بعد اتصال الكوفة بالنجف والنجف بالكوفة ، وقبل أن تبدء الأولى بالتقهقر العمراني والخراب . والثانية

(١) المظفر : تاريخ الشيعة ، ٢٤٣ .

(٢) و(٣) شمس الدين : حديث الجامعة النجفية ، ٣ .

بالتقدم وال عمران»^(١) .

وإن كان صاحب هذا الرأي - وهو يعرف أنه يخالف كل من كتب في هذا الموضوع - يحاول أن يمهد لقبول رأيه فيقول :

« نريد بالجامعة معناه البسيط ، أو اللغوي وهو الاجتماع للدرس والتعليم بحسب ذلك العصر وطريقته»^(٢) . ثم تتابعت الأحداث وتوفي الإمام علي (عليه السلام) « وظل قبره غير معروف سوى لأقرب أصحابه»^(٣) . حتى أُقيم البناء على قبر الإمام ، وعُرف القبر ، فتوافد إليه الموالون للزيارة ، وعبادة الله ، ومنهم من بقي بجوار المرقد يتعلم ويعلم . .

وهناك من لا يرى هذا الرأي ، إذ لم تتبين لديه معالم صورة واضحة للحركة العلمية والنشاط العلمي الديني الإسلامي في النجف قبل هجرة الشيخ محمد بن الحسن الطوسي^(٤) . إليها في سنة ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م . وعلى الإجمال فإن الباحث يمكن أن يضع يده على نظريتين في هذا المجال :

النظرية الأولى :

إن الحركة العلمية الدينية قد انطلقت قبل مجيء الشيخ الطوسي ،

(١) شمس الدين : حديث الجامعة الدينية ، ٣ .

(٢) نفسه ، ١٨ .

(٣) المظفر : م . س ، ٢٤٣ .

(٤) الطوسي : ولد في طوس بيران سنة ٣٨٥هـ / ٩٩٥م رافع أعلام الشريعة . شيخ الطائفة على الإطلاق ورئيسها الذي تُلوى إليه الأعتاق ، صنّف في جميع علوم الإسلام . من مؤلفاته الاستبصار فيما اختلف فيه من أخبار، والتهديب ، وهما من كتب الحديث الأربعة عند الشيعة . توفي ودُفن في النجف سنة ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م .

القَمِي : الكُنَى والألقاب ، ٤٦٩/٢ .

بأعوام كثيرة . وإن طلاب العلوم الدينية قد اجتمعوا في النجف وأسسوا فيها الحوزة العلمية الدينية منذ الأيام الأولى من رفع الحواجز والعقبات عن طريق زيارة قبر الإمام علي (عليه السلام) ، ووفود الناس إليها . وكان التحاق الشيخ الطوسي عام (٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م) بمثابة « إضافة بدر منير إلى النجوم المضيئة في أفق النجف الفكري »^(١) .

النظرية الثانية :

إن الشيخ الطوسي هو المؤسس للحوزة العلمية في النجف ، وإنه الإنسان الأول الذي وضع قواعد الحركة العلمية في النجف وأسسها ولم تكن ثمة دراسات في النجف قبل وصول الشيخ الطوسي إليها .

وبطبيعة الحال ، فإن كل واحد من الفريقين قد ساق مجموعة أدلة وبراهين ليثبت مدعاة ويفند رأي مخالفه . ولذلك فسنعرض هنا أهم الآراء مقترنة بدليل كل صاحب رأي ، ومن ثم مناقشتها للركون إلى الرأي الذي يرضيه الباحث .

الدليل الأول :

إن النجف بدأت كمدينة علمية قبل وصول الشيخ الطوسي إليها ، حيث ورد ذكر لبعض البيوتات العلمية التي لمعت في النجف في القرن الرابع الهجري ، والرابع الأول من القرن الخامس ، كآل شهريار^(٢) ، وآل الطحال وغيرهما . وهو دليل يتمسك به من يذهب إلى أن الحوزة

(١) الغروي : الحوزة العلمية الدينية في النجف الأشرف ، ورقة (٨) مخطوط مجلة الثقافة الإسلامية العدد (٢٨) .

(٢) عن آل شهريار يقول الشيخ جعفر محبوبية : خدمت هذه الأسرة العلم والدين خدمة جليلة ، وقضوا أياماً عديدة في سدانة مرقد الإمام علي (عليه السلام) وهم من الأسر العلمية في النجف .

محبوبة : ماضي النجف وحاضرها ، ٢٥٩/١ .

العلمية . إنما قامت في النجف قبل أواسط القرن الخامس الهجري (تاريخ هجرة الشيخ الطوسي) ، حيث أن « وجود أمثال أبي طالب ابن أحمد بن شهریار (. . .) كاف في الرد »^(١) على من يخالف هذا الرأي فقد « روى أبو جعفر الطبري عنه ، كما روى عنه النجاشي قبل هجرة الشيخ الطوسي »^(٢) للنجف .

مناقشة الدليل الأول :

يمكن الرد على الدليل الأول من خلال نقطتين :

الأولى : لا يمكن للباحث أن ينكر أن آل شهریار من الأسر العلمية العريقة في مدينة النجف ، بيد أن تتبّع ترجمة رجال تلك الأسرة يوقف الباحث على الإشارات التالية :

- « عرفت آل شهریار بالنجف واشتهرت أوائل القرن الخامس الهجري على عهد شيخ الطائفة الشيخ الطوسي »^(٣) .

- « إن أحمد بن شهریار الخازن أبو النصر ، والد أبي عبد الله محمد بن أحمد شهریار الخازن للحضرة (الغروية)^(٤) قد روى عن الشيخ الطوسي »^(٥) .

وهذه الإشارات وأمثالها التي ترد في تراجم رجال هذه الأسرة تفيد عدم وجود من عُرف من رجال تلك الأسرة قبل الشيخ الطوسي ، بالفضل والعلم والرواية .

(١) و(٢) شمس الدين : حديث الجامعة النجفية ، ١٤ .
(٣) الطهراني : طبقات أعلام الشيعة ، ٢٢٩/٢ . ومحبوبة : ماضي النجف وحاضره ، ٣٩٩/٢ .

(٤) الغروية : نسبة إلى الغري ، أحد أسماء النجف ، وهذا من قبيل تسمية المكين بالمكان .

(٥) الطهراني : م . س .

الثانية : في ما يتعلق بآل الطحجال ، وأنهم من الأسر العلمية القديمة في النجف بحيث يستند لذلك من يقول بوجود حركة علمية في النجف قبل هجرة الشيخ الطوسي إليها . فعن هذه الأسرة نقراً : « . . . آل الطحجال من أسر العلم القديمة في القرن الرابع الهجري ، عُرفت في النجف في ذلك العصر »^(١) . وإذا عرفنا أن أبرز شخصيات آل الطحجال هو الشيخ الأمين : الحسين بن أحمد بن محمد بن محمد ، وإنه من مشائخ محمد بن علي بن شهر آشوب سنة ٥٣٩هـ / ١١٤٤م^(٢) . فيكون الحسين بن أحمد الطحجال متأخراً عن الشيخ الطوسي ، حيث أن « الفترة المقررة في علم الحيث بين طبقة وطبقة هي أربعون عاماً »^(٣) .

الدليل الثاني :

إن الشاعر أبا عبد الله الحسين بن أحمد ، المعروف بابن الحجاج المتوفى سنة (٣٩١هـ / ١٠٠٠م) عندما زار النجف في أواخر القرن الرابع الهجري ، أنشد قصيدة قال في مطلعها مخاطباً أمير المؤمنين علي (عليه السلام) :

يا صاحب القبة البيضاء على النجف من زار قبرك واستشفى لديك شفي

وفيها :

وقل سلاماً من الله السلام على أهل السلام وأهل العلم والشرف^(٤) :

(١) محبوبة ماضي النجف وحاضها ، ٤٢٣/٢ .

(٢) القمي : الكنى والألقاب ، (مصدر سابق) .

(٣) الغروي : الحوزة العلمية الدينية في النجف الأشرف .

(٤) الأمين : أعيان الشيعة ، ٤٣٣/٥ .

الخليلي : موسوعة العتبات المقدسة ، ٩٧/٦ .

القمي : الكنى والألقاب ، ٢٤٨/١ .

« وأهل العلم والشرف الذين عناهم الشاعر هم العلماء المجاورون
لقبر الإمام (عليه السلام) الذين ليس لهم غرض من تلك المجاورة إلا
العلم والدين كأكثر سكان النجف والمجاورين لها اليوم »^(١) .

ومعنى ذلك وبملاحظة تاريخ وفاة هذا الشاعر ، فإن النجف كانت
قد شهدت العلم وحلقات الدرس قبل هجرة الشيخ الطوسي إليها .

مناقشة الدليل الثاني :

إن قراءة القصيدة المذكورة قراءة هادئة وباستيعاب ، تؤكد لنا
الشاعر إنما كان يخاطب صاحب القبة ، وهو الإمام علي (عليه السلام)
وهو أهل الشرف والعلم ، ولم يكن هذا الشاعر يخاطب أهل النجف
وسكانها من الناس . ولنا في سياق القصيدة ما يدعم هذا الرأي وخاصة
في البيت الذي يسبق البيت (محل الشاهد) ، إذ يقول الشاعر :

إذا وصلت إلى أبواب قبته تأمل الباب تلقا وجهه وقف
وقل سلام من الله السلام على أهل السلام وأهل العلم والشرف
إني أتيتك يا مولاي من بلدي متمسكاً من حبال الحق بالطرف^(٢)

الدليل الثالث :

ما جاء في كتاب (فرحة الغرى) ، وهو يتحدث عن زيارة عضد
الدولة لمشهد الإمام علي (عليه السلام) وذلك في شهر جمادي الأولى
من سنة إحدى وسبعين وثلاث مائة إذ قال : « وورد مشهد الحائر لمولانا
الحُسين (. . .) وتوجه إلى المشهد الغروي يوم الاثنين ثاني يوم وروده ،
وزار الحرم الشريف وطرح في الصندوق دراهم ، فأصاب كل واحد منهم
واحدًا وعشرين درهماً ، وكان عدد العلويين ألفاً وسبعمائة اسم ، وفرَّق

(١) شمس الدين : حديث الجامعة النجفية ، ١٢ .

(٢) الخليلي : موسوعة العتبات المقدسة ، ٩٧/٦ .

على المجاورين وغيرهم خمسمائة ألف درهم وعلى المتتردين خمسمائة ألف درهم وعلى الناحية ألف درهم ، وعلى الفقهاء وثلاثة آلاف درهم»^(١) .

فمن هذا الرقم الكبير من المال « نعرف كمية العلماء أو كثرة الفقهاء الموجودين في النجف الأشرف حوالي هذا التاريخ ٣٧١هـ/ ٩٨١م . ومن وجودهم حوالي هذا التاريخ نعرف أيضاً أنهم سبقوه^(٢) . بمدة طويلة ، إذ يبعد - عادةً - مجيئهم دفعة واحدة بل كان ذلك بالتسلسل والتدرج»^(٣) .

مناقشة الدليل الثالث :

إنَّ عضد الدولة ممن كان يحب العلم حباً شديداً ، كما تدل على ذلك أكثر المصادر التي ترجمت له ، وكان ممن يبذلون على الفقهاء والعلماء الأموال الطائلة ، إذ يُروى عنه أنه « كان ينفق كل جمعة عشرة آلاف درهم على الضعفاء والأرامل ، ويصرف كل سنة ثلاثة آلاف دينار ثمن أحذية للحفاة من الحجاج ، وعشرين ألف درهم كل شهر لتكفين موتى الفقراء ، واستحدث ثلاثة آلاف مسجداً وخاناً للغرباء»^(٤) .

وإذا كان هذا شأن عضد الدولة مع غير أهل العلم فإنه - وهو من عُرف بحبه لأهل العلم - كان « يجري الأرزاق على الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين ، والنحاة والشعراء والنسابين والأطباء والحُساب والمهندسين . وأفرد لأهل الاختصاص من العلماء والحكماء موضعاً يقرب من مجلسه»^(٥) .

(١) ابن طائوس : فرحة الغري ، ١٣٢ - ١٣٣ .

(٢) الضمير يعود على عضد الدولة .

(٣) شمس الدين : م . س ، ١٣ .

(٤) و(٥) : المظفر : تاريخ الشيعة ، ٢٠٥ وما بعدها .

والأمين : دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ، ٤٩٦/٢ .

إن الذي يهمننا من هذا العرض : أن من كان عطاؤه بهذا الحجم ، فكيف نقول أنه يزور النجف ، وينفق على فقرائها ثلاثة آلاف درهم .. ومن ثم لنستنتج من ذلك وجود أعداد كثيرة من الفقهاء والرواة وقت زيارته !؟ .

إن النص يفيد عكس ما أريد إثباته ، فإن قلة الإنفاق على الفقهاء والفقراء ليدل على قلة عدد العلماء في النجف . إذ لا يعقل أن تكون في النجف حوزة علمية لها طلابها وأساتذتها ويوزع عليهم جميعهم مع الفقراء مبلغ زهيد (ثلاثة آلاف درهم) على رجل معطاء كعضد الدولة . . .

الدليل الرابع :

إن الحركة العلمية في النجف قد بدأت في النجف قبل هجرة الشيخ الطوسي إليها بدليل إصدار بعض العلماء إجازات اجتهاد لنقل الحديث لعلماء آخرين ، ووجود نصوص تفيد وتشير إلى سماع الحديث من عالم في النجف ، وكل ذلك في تواريخ تسبق تاريخ هجرة الشيخ الطوسي للنجف ، ومن هذه النصوص :

١ - « إن محمد بن بابويه القمي (الصدوق) ، قد سمع من شيخه محمد بن علي بن الفضل الكوفي في سنة (٣٥٤هـ / ٩٦٥م) في مشهد أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وهو في طريقه إلى الحج »^(١) .

٢ - ما روي عن الحسين بن أحمد بن المغيرة ، من أنه « كان عراقياً مضطرب المذهب وكان ثقة فيما يرويه ، له كتاب (عمل السلطان) أجازنا بروايته أبو عبد الله ابن الخمري الكوفي ، الشيخ الصالح في مشهد مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) سنة أربعمائة »^(٢) .

(١) الخليلي : موسوعة العتبات المقدسة ، ١٢/٧ .

(٢) الخليلي : موسوعة العتبات المقدسة ، ١٣/٧ .

وجه الاستدلال بهذين النصين هو أن سماع الشيخ الصدوق للحديث والرواية سنة (٣٥٤هـ/ ٩٦٥م) عن شيخه المتقدم ذكره في النجف ، و صدور الإجازة من ابن الخمري لابن المغيرة سنة (٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م) في النجف أيضاً ، هو خير دليل على أن الحوزة العلمية كانت قائمة والعلماء كانوا يتداولون الأبحاث والدراسات ، لا قبل هجرة الشيخ الطوسي للنجف سنة (٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م) . بل حتى قبل ولادته في سنة (٣٨٥هـ/ ٩٩٥م) .

مناقشة الدليل الرابع :

إن ما ذكره صاحب هذا الدليل من صدور إجازة ، ورواية حديث في مشهد الإمام علي (عليه السلام) لا تدلّان على وجود مركز علمي نشيط في النجف قبل هجرة الشيخ الطوسي إليها ، لأن مجرد الاستحصال على إجازة نقل الروايات في بلد ما ، أو الاستماع للروايات عن شيخ في الحديث والفقه لا يكون شاهداً على أن البلد الذي يتم فيه اللقاء العلمي ، أو الاستماع للحديث فيه يحتوي على مركز علمي ، فأنت تعثر في علم الرجال على شخصيات علمية التقت بشخصيات مرموقة في الحديث والفقه ، وتبادلوا الروايات والأحاديث المأثورة أو استجاز أحدهم الآخر لنقل كتاب أو مجموعة أحاديث ، مع أن ذلك المكان الملتقى ، ليس بمحل للنشاط العلمي والفكري والروائي . وقد جاء السيد الغروي بأمثلة عديدة على ذلك ، نحيل من يريد التوسع إلى مؤلفه للاطلاع عليها^(١) .

أدلة أصحاب النظرية الثانية :

في الصفحة (٦٠) من هذا البحث قلنا : إن هناك نظريتين حول

(١) الغروي : الحوزة العلمية الدينية في النجف الأشرف ، مجلة الثقافة الإسلامية . العدد (٢٨) .

نشأة الدراسة في النجف ، وحول التاريخ العلمي لتلك المدينة ، وقد عرضنا - فيما مرّ من صفحات - لأدلة أصحاب الرأي الذاهبين إلى وجود مركز علمي في النجف قبل هجرة الشيخ الطوسي وناقشنا تلك الأدلة . فيما نعرض الآن أدلة أصحاب النظرية الثانية ، الذين يذهبون إلى أن الشيخ الطوسي هو المؤسس الأول للحوزة العلمية الدينية في النجف^(١) .

في مجال الاستدلال لدعم هذا الرأي نعرض هنا ملخصاً لرأي السيد محمد باقر الصدر^(٢) واستدلّاه حيث يقول :

« . . . إن مؤرّخي هجرة الشيخ الطوسي إلى النجف ، لم يشيروا إطلاقاً إلى أن تلامذة الشيخ الطوسي في بغداد قد رافقوه أو التحقوا به فور هجرته إلى النجف »^(٣) . وهو دليل على عدم وجود كيان علمي إذ لو كان مثل ذلك الكيان موجوداً لالتحق الطلاب بشيخهم . . . وما يعزز احتمال حداثة الحوزة التي تكونت حول الشيخ في النجف الدور الذي أدّاه فيها ابنه الحسن ، المعروف بأبي علي ، فقد تزعم الحوزة بعد وفاة أبيه ، ومن المظنون به أن أبا علي كان في دور الطفولة ، أو أوائل الشباب ، حين هاجر أبوه إلى النجف ، لأن تاريخ ولادته ووفاته وإن لم يكن معلوماً ، لكن الثابت تاريخياً أنه كان حياً في سنة (٥١٥هـ/١٢٢١م) . . . والصورة التي تكتمل لدينا على هذا الأساس هي أن الشيخ الطوسي بهجرته إلى النجف ، انفصل عن حوزته الأساسية في بغداد ، وأنشأ حوزة

(١) القمي : الكنى والألقاب ، ٣٩٤/٢ .

الحكيم : الأصول العامة للفقّه المقارن ، ٦٠٠ وما بعدها .

(٢) محمد باقر الصدر : ولد في مدينة (الكاظمية) بالعراق في الخامس والعشرين من ذي القعدة (١٣٥٣هـ/١٩٣٤م) أحد علماء الإمامية ، من كتبه : اقتصادنا ، فلسفتنا ، الأسس المنطقية للإستقراء ، الفتاوى الواضحة ، دروس في علم الأصول . استشهد وأخته آمنه الصدر (بنت الهدى) في العراق في جمادي الثانية (١٤٠٠هـ/نيسان ١٩٨٠م) .

(٣) الصدر : المعالم الجديدة للأصول ، ٦٦ - ٦٧ .

جديدة حوله في النجف وتفرغ في مهجره للبحث وتنمية العلم»^(١) .

ويذهب السيد الصدر إلى أبعد من ذلك ليدل على حداثة الحوزة العلمية في النجف أثناء وجود الشيخ الطوسي فيها ، فإذ يذهب الكثير من العلماء إلى « أن أكثر الفقهاء الذين نشأوا بعد الشيخ كانوا يتبعونه في الفتوى تقليداً له لكثرة اعتقادهم فيه ، وحسن ظنهم به »^(٢) . حتى روى عن الحمصي - وهو ممن عاصر تلك الفترة - أنه قال : « لم يبق للإمامية مفت على التحقيق بل كلهم حاك »^(٣) . « وحتى قيل « إن ما خلفه الشيخ من كتب الفقه والحديث كاد أن يستأثر في عقول الناس فيسد عليها منافذ التفكير في نقدها ما يقارب القرن »^(٤) .

يفسر السيد الحكيم ذلك كله على أنه بسبب « عظم مكانة الشيخ الطوسي وقوة شخصيته التي صهرت تلامذته في واقعها ، وأنستهم أو كادت شخصياتهم العلمية ، فما كان أحد منهم ليجرؤ على التفكير في صحة رأي لأستاذه الطوسي أو مناقشته »^(٥) .

وللسيد الصدر في تفسير هذه النظرة للشيخ الطوسي ولمؤلفاته رأي آخر ، حيث يذهب إلى أن « التقدير العلمي لفقهاء في العادة - مهما بلغ لكي يغلق على الفكر الفقهي للأخريين أبواب النمو والتفاعل مع آراء ذلك الفقيه ، إنما يتحقق هذا عادة حين لا يكون هؤلاء في المستوى العلمي الذي يؤهلهم لهذا التفاعل ، فيتحول التقدير إلى إيمان وتعبد »^(٦) .

ومن هنا فإن جمود الفكر الفقهي الشيعي ، ووقوفه على نظريات الشيخ الطوسي إلى ما بعد مائة سنة من وفاته ، يمكن أن يكون دليلاً واضحاً على حداثة الحوزة العلمية في النجف . وبالتالي يمكن

(١) و(٢) و(٣) الصدر : المعالم الجديدة للأصول ، ٦٦ - ٦٧ .

(٤) الحكيم : الأصول العامة للفقه المقارن ، ٦٠٠ .

(٥) الحكيم : م . ن .

(٦) الصدر : المعالم الجديدة في الأصول ، ٦٧ .

استخلاص كون تأسيس الحوزة إنما تم على يد الشيخ الطوسي بعد هجرته من بغداد للنجف سنة (٤٤٨هـ / ١٠٥٦ م) .

خلاصة ما تقدم والرأي المختار :

إن النجف بدأت تاريخها كمدينة مقدسة منذ اكتشاف قبر الإمام علي (عليه السلام) سنة (١٧٠هـ / ٧٨٦ م) . بعد أن كان غير معروف إلا لبعض شيعته ، أما تاريخها كمدينة علمية ، فهناك من يرى أنها بدأت بعد هجرة الشيخ الطوسي إليها سنة (٤٤٨هـ / ١٠٥٦ م) (وهو ما يميل إليه الباحث) ، وهناك من يعيد ذلك التاريخ إلى زمن أقدم فيرى وحدة المدينة المقدسة والمدينة العلمية ، أو يرى وحدة النجف والكوفة ، أو يستدل ببعض الأدلة على وجود هيئة علمية قبل الشيخ الطوسي .

ومهما يكن من أمر التاريخ العلمي لتلك المدينة ، فإن ما يتفق عليه الجميع : أن الشيخ الطوسي هو أول من فتح باب التدريس على طريقة (الاجتهاد) المتبعة اليوم في النجف ، وأول من جمع من الإمامية بين الحديث والفقه والأصول في مؤلفاته وأول من أوجد هيئة علمية ذات حلقات ونظم خاصة^(١) ، «وحيث أن المورد العذب كثير الزحام ، فقد أخذت تؤم النجف - منذ أن حط الشيخ الطوسي رحله فيها - أفواج كثيرة من طالب العلم ورواد المعرفة ، ثم ليعودوا إلى حيث أتوا فينشروا هذه الأحكام ، ويؤدوا واجبهم الشرعي في الدعوة إلى الله»^(٢) . حتى قيل « إن عدد طلاب الحوزة في النجف قبل الاحتلال البريطاني للعراق (١٣٣٤هـ / ١٩١٤ م) يقدر بنحو عشرة آلاف طالب»^(٣) .

(١) أنظر : شمس الدين : حديث الجامعة النجفية ، ٢٥ .

الخليلي : موسوعة العتبات المقدسة ، ١٨/٧ .

(٢) البهادلي : النجف جامعتها ودورها القيادي ، ٣١ (باختصار) .

(٣) المظفر : تاريخ الشيعة ، ١٠٣ .

الفصل الثالث:

أدوار الحوزة العلميّة في النجف .

حيث اعتمدنا في الفصل الثاني الرأي القائل بتأسيس الحوزة العلمية في النجف على يد الشيخ الطوسي ، فإننا نقسّم الأدوار العلمية لتلك الحوزة لثلاثة أدوار ، وهي :

١ - الدور الذي يبدأ مع وصول الشيخ الطوسي للنجف سنة (٤٤٨هـ / ١٠٥٦م) . وينتهي أوائل القرن السابع للهجرة مع نبوغ المحقّق الحليّ^(١) في مدينة الحلة^(٢) .

٢ - الدور الذي يمكن أن يُؤرّخ بالنصف الأخير من القرن العاشر

(١) المحقّف الحليّ : هو أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن بن يحيى بن سعيد الحلي ، أحد أكابر فقهاء الإمامية ولد في الحلة سنة ٦٠٢هـ / ١٢٠٥م وتوفي سنة (٦٧٦هـ / ١٢٧٧م) دفن في النجف . من مؤلفاته : شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام .

القميّ : الكنى والألقاب ، ١٥٤/٣ .

(٢) الحلة : بالكسر ثم التشديد ، مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد ، أول من عمّرها ونزلها سيف الدولة صدقة بن منصور سنة ٤٩٥هـ / ١١٠١م . أنظر ياقوت : معجم البلدان ، ٢٩٤/٢ .

الهجري ، حتى انتقال الحوزة إلى مدينة كربلاء^(١) بداية القرن الثاني عشر الهجري .

٣ - الدور الثالث يبدأ في أواخر القرن الثاني عشر ، حتى أوائل القرن الرابع عشر حيث انتقلت الحوزة العلمية من النجف إلى سامراء . ولم يطل بقاءها في سامراء إلا بضع سنين . عادت بعدها إلى النجف حتى السنة الأخيرة من القرن الهجري الرابع عشر ، حيث انتقلت إلى مدينة قم بإيران .

ولإلقاء الضوء على هذه الأدوار الثلاثة لابد من شيء من التوضيح لكل دور من هذه الأدوار .

الدور الأول للحوزة العلمية في النجف :

ويبدأ الدور الأول من أدوار الحوزة العلمية في النجف بانتقال الشيخ الطوسي ، من بغداد إلى النجف سنة ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م ، ففتح باب التدريس على طريقة الاجتهاد المتبعة اليوم في النجف ، ووضع في علوم : الفقه ، والأصول ، والحديث مصنّفات كانت ولا زالت موضع اهتمام العلماء من القدماء والمُحدّثين^(٢) نذكر منها :

(١) كربلاء : بالمَدّ : وهو الموضع الذي قُتِل فيه الحسين بن علي (رضي الله عنه) . فأما اشتقاقه فالكربلة رخاوة في القدمين ، يقال : جاء يمشي مكربلا .

ياقوت : م . س ، ٤ / ٤٤٥ .

(٢) يعتبر الشيخ شمس الدين هذا العهد هو الدور الثاني من أدوار الحوزة العلمية في النجف إذ يرى أن الدور الأول يبدأ بقدم الإمام علي (عليه السلام) للكوفة سنة (٣٦٦هـ / ٦٥٦م) .

أنظر : شمس الدين : حديث الجامعة النجفية ، ٢١ و ٢٥ .

- ١- المبسوط : في الفقه .
 - ٢- العدة : في أصول الفقه .
 - ٣- التهذيب ، والاستبصار : في الحديث .
 - ٤- التبيان : في تفسير القرآن .
 - ٥- الفهرست : في أسماء المصنّفين من الشيعة .
- وغير هذه من المصنّفات العلمية القيّمة .

« واستمر شيخنا الرائد في جهاده العلمي ، والعمل الدائب في تنظيم الوضع الدراسي حتى خطا على عهده الشريف خطوات سريعة ، بحيث أصبحت الحوزة العلمية الفتية في النجف تربو على المثات من رواد الفضيلة والعلم والطلبة الناشئين»^(١) . ويمكن أن نحدد هؤلاء الذين يتلقون العلم في الحوزة العلمية بالنجف ببعض أولاد الشيخ الطوسي ، «أو الراغبين في الالتحاق بالدراسات الفقهية من مجاوري القبر الشريف ، أو أبناء البلاد القريبة منه كالحلّة ونحوها ، ونمت الحوزة على عهده بالتدرج وبرز فيها العنصر المشهدي - نسبة إلى المشهد العلوي - والعنصر الحي وتسربّ التياز العلمي منها إلى الحلّة»^(٢) .

إنقل مؤسس الحوزة العلمية في النجف ، الشيخ الطوسي إلى الرفيق الأعلى سنة ٤٦١هـ / ١٠٦٨ م . لكنّ الحركة العلمية في الحوزة لم تتوقف ، وظلّت تنمو بفضل رعاية ولده الشيخ الحسن بن محمدابن الحسن المعروف بأبي علي الطوسي^(٣) فقد كان أبو علي «من أبرز تلامذة والده شيخ الطائفة ، وأكثر قابلية من سائر تلامذة الشيخ لتحمل أعباء

(١) الصدر : المعالم الجديدة للأصول ، ٦٤ .

(٢) نفسه .

(٣) أنظر : شمس الدين : م . س ، ٢٦ .

المسؤولية لإدارة شؤون الحوزة ، واستمرار الحركة العلمية فيها زمانا ليس بالقصير»^(١) .

وما أن انتقل الشيخ أبو علي الطوسي إلى جوار ربه بعد سنة ٥١٥هـ / ١١٢١م . حتى تولى من بعده مقام المرجعية الدينية ، ومقام التدريس في الحوزة العلمية في النجف مجموعة من طلابه وبرز في كتابات المؤرخين اسم نجل الشيخ أبي علي ، وهو الشيخ أبو منصور محمد الطوسي ، «الذي قام مقام أبيه . . قال ابن الفلاح الحنبلي عنه : شيخ الشيعة وعالمهم وابن شيخهم وعالمهم ، رحلت إليه طوائف الشيعة من كل جانب إلى العراق وحملوا إليه - أي الأموال - وكان فوق ذلك مُقدَّساً»^(٢) .

وبعد الشيخ أبي منصور محمد الطوسي جاء عهد الشيخ علي ابن حمزة بن شهريار في الربع الأخير من القرن السادس الهجري الذي «تقوّت الدراسة فيه ، ونشطت حركتها العلمية ، وشجّع الناس إلى العلم ورعّبهم فيه ، فكان صاحب عهد جديد في تاريخ النجف العلمي»^(٣) .

وفي غضون ذلك بزغ نجم ابن إدريس^(٤) في الحلة بعد انتقاله إليها من النجف فقد "موج الحركة العلمية في الحلة ونشطت إلى حد كبير . وكان عهد هذا المجدد إيداناً بانتقال الحركة العلمية للحلة ، وقد تكاملت عناصر هذا الانتقال في أوائل القرن السابع الهجري»^(٥) إذ أصبح

(١) الخليلي : موسوعة العتبات المقدسة ، ٤٢/٧ - ٤٣ .

(٢) شمس الدين : حديث الجامعة النجفية ، ٢٦ .

(٣) نفسه ، ٢٦ - ٢٧ .

(٤) هو محمد بن أحمد بن إدريس الحلبي ، فاضل فقيه ، ومحقق ماهر ونبه ، صاحب كتاب السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي ، ومختصر تبيان الشيخ الطوسي ، توفي سنة ١٠٩٨هـ - ١٢٠١م .

القَمِي : الكنى والألقاب ، ١ - ٢١ .

(٥) الخليلي : م . س . ٤٦/٧ .

مجلس المحقق الحلبي يضم قرابة أربعمائة مجتهد . كما يذكر ذلك الخليلي في موسوعة العتبات المقدسة في الصفحة (٥٣) من الجزء السابع .

ولم يكن نبوغ ابن إدريس لوحده السبب وراء انتقال الحوزة العلمية من النجف إلى الحلة ، إنما هناك أسباب مادية يمكن أن نلخصها في الآتي :

١- لما أصاب طلاب العلم وعلماءها من الأذى لقلّة المياه في النجف .

٢- هجوم الأعراب الحجازيين المتكرر على النجف ، حيث ذاق النجفيون - آنذاك - الأمرين من هؤلاء الأعراب^(١) .

٣- غلاء الأسعار في النجف^(٢) .

ومع أن هذه الأسباب مجتمعة أدت إلى انتقال الحوزة من النجف ، فإنها لم تشلّها تماماً .

الدور الثاني للحوزة العلمية في النجف :

احتفظت الحلة بزعامة الحركة العلمية في الحوزة ما يقارب الثلاثة قرون تمتد من أوائل القرن السابع حتى النصف الأخير من القرن العاشر الهجري .

ولعل ما يفسّر سبب عودة المركز العلمي من الحلة للنجف ما ذكر من خلو الحلة من العلماء الكبار بوفاة فخر المحققين^(٣) كما ذكر ذلك

(١) الأمين : دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ، ٤١٥/٣ .

(٢) عيسى : الدراسة في النجف ، مجلة البيان (النجف) س/٢ ع/٢٧ و ٢٨ ، ذو القعدة ١٣٦٦هـ/تشرين الثاني ١٩٤٧ م .

(٣) فخر المحققين : أبو طالب . محمد بن الحسن بن يوسف بن المطهر الحلبي ،

ولد سنة ٦٨٢هـ/١٣٠٤م ، وتوفي سنة ٧٧١هـ/١٣٩٣م .

أنظر : القمي : م . س ١٦/٣ .

الشيخ شمس الدين^(١) وأضاف غيره سبباً من أسباب عودة الحركة العلمية للنجف هو « اهتمام كثير من السلاطين والعلماء بإيصال المياه إلى النجف واتخاذ الاحتياطات كبناء الأسوار ، لتقليل أثر الأعراب التخريبي »^(٢) .

ويرى بعض من كتب في هذا الموضوع : « أن الدوافع الرئيسية لبعث الحياة الفكرية أو تنشيطها في هذه المدينة يعود إلى عامل سياسي وطائفي دفع إلى بعث الحركة العلمية في النجف . ذلك أن السلطة الجلائرية والإيلخانية - أئمتين حكمتا بغداد زماناً ليس بالقصير - كانتا على قصد في إحياء الحركة العلمية في الحوزة النجفية وجعلها قوة دفاعية للشيعه ، ومركزاً مهماً يقابل بغداد »^(٣) .

ولهذا راح الجلائريون والإيلخانيون فبنوا المساجد والمدارس في النجف ، وأمدوا طلبة العلم هناك بالأموال الكثيرة على نحو ما صنعه الملوك البويهيون^(٤) .

وكيف كان أمر دعم الجلائريين والإيلخانيين للنجف ، فإن الحوزة العلمية في النجف قد « استمرت في أداء رسالتها حتى أواخر القرن الحادي عشر للهجرة فقد قلت الهجرة إليها . ووفود الطلاب ، وما إن أطل القرن الثاني عشر حتى بدت فيها مظاهر الضمور ، ثم ما كادت تمر عليها فترة حتى انتقلت منها إلى كربلاء »^(٥) .

ولعل من أهم انتقالاتها إلى مدينة كربلاء ما ذكرته بعض المصادر من سببين خارجيين ، وبعض المصادر ترجعها إلى جملة أسباب داخلية^(٦) .

(١) شمس الدين : حديث الجامعة النجفية ، ٢٨ .

(٢) الخليلي : موسوعة العتبات المقدسة ، ٥٧/٧ - ٥٩ (باختصار) .

(٣) نفسه ، ٥٩/٧ .

(٤) شمس الدين : م . س . ٢٨٧ .

(٥) الخليلي : م . س / ٧٢ .

(٦) أنظر الخليلي : موسوعة العتبات المقدسة ، ٧٢/٥٧ .

الأسباب الخارجية :

١- تصادم المملكتين الصفوية والعثمانية ، مما سبب قلة الهجرة ووفود الطلاب إلى النجف^(١).

٢- ضغط العثمانيين على العلماء بعد استيلائهم على العراق ، على العكس مما كان عليه الصفويون من تقدير العلم واحترام رجاله^(٢) .

الأسباب الداخلية :

١- ما أصاب النجفيين من ولاء الطاعون الذي انتشر آنذاك .

٢- انتقال زعيم الحركة العلمية الشيخ أحمد بن فهد الحلبي^(٣) إلى كربلاء^(٤) .

ورغم انتقال الحوزة العلمية من النجف إلى كربلاء من سنة (١١٥٠هـ/١٧٣٧م) إلى (١٢١٢هـ/١٧٩٧م). للأسباب آنفة الذكر « فإن النجف لم تُعدّم فيها الحركة العلمية وإنما بقيت تواكب حركتها »^(٥) .

الدور الثالث للحوزة العلمية في النجف :

يبدأ الدور الثالث من أدوار الحوزة العلمية في النجف في الربع الأول من القرن الثالث عشر الهجري إذ « عادت النجف إلى ميدانها العلمي كمركز أول (. . .) بعد أن عاشت زماناً وهي تتفاعل بتأثيرات

(١) شمس الدين : الحديث الجامعة النجفية ، ٣١ .

(٢) نفسه .

(٣) أحمد بن محمد فهد الحلبي الأسدي . ولد سنة ٧٥٧هـ/١٣٥٦م وتوفي سنة (٨٤١هـ/١٤٣٧م) . ودفن في كربلاء .

القَمِّي : الكُنَى والألقاب ، ٣٧٨/١ - ٣٨٠ .

(٤) عيسى : الدراسة في النجف ، مجلة البيان (النجف) س/٣ ، ع ٢٧ و ٢٨ ،

١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م

(٥) الخليلي : م . س ، ٣٧/٧ .

المدرسة الفكرية في كربلاء»^(١) ويتمكن الباحث أن يطلق على ذلك الدور «عصر النهضة العلميّة، لكثرة من نبغ فيه من الفحول الكبار والعلماء والأجلاء ، ولكثرة تهافت الناس على العلم فيه ، وازدياد الطلاب»^(٢) .

أما العالم المبرز في هذا الدور فهو السيد محمد مهدي بن السيد مرتضى الطباطبائي المتوفى سنة (١٢١٢هـ / ١٧٩٧م)^(٣) .

لعل أهم ما يميز هذا الدور ما لوحظ فيه من أمور تنظيمية للقضايا والمشاكل التي تفتضيها طبيعة البيئة المحيطة بالحوزة ، في الوقت نفسه الذي تقتضيه شؤون الزعامة الدينية في النجف .

« فمثلاً عُهد إلى الشيخ جعفر كاشف الغطاء المتوفى سنة ١٢٢٨هـ / ١٨١٣م) . بشؤون التقليد والفتوى ، وعُين الشيخ حسين نجف المتوفى سنة (١٢٥١هـ / ١٨٣٥م) ، للإمامة والمحراب ، فكان يقيم الجماعة في (الجامع الهندي) ، ويؤمّه الناس على اختلاف طبقاتهم . أما في القضاء والخصومات ، فقد حُصّ لها الشيخ شريف محي الدين فكان يُرشد إليه في ذلك ثقة بمهارته في القضاء ، وتبثته في الدين وسعة صدره لتلقّي الدعاوى والمخاصمات . واضطلع السيد محمد مهدي الطباطبائي بأعباء التدرّس»^(٤) .

ولم يحظّ النجف بهذا التوزيع لأدوار ومهمّات علماء الدين في الحوزة العلمية في النجف في غير ذلك الوقت، وما أحوج الحوزات العلمية اليوم إلى مثل ذلك التنظيم وتوزيع المسؤوليات .

ومن خصائص هذا الدور ما يتميز من « معاصرة مرحلة التغلغل الإستعماري وهيمنته وإمساكه بمفاصل ومرافق المسلمين فكراً وعسكرياً

(١) الخليلي : موسوعة العتبات المقدسة ، ٧٨/٧ .

(٢) شمس الدين : حديث الجامعة النجفية ، ٣٢ .

(٣) نفسه .

(٤) الخليلي : م . س ، ٧٩/٧ .

واقتمادياً»^(١). وهو ما جعل علماء الحوزة في مواجهة حادة مع مستعمر يحاول فصل الأمة عن قيادتها وتحجيم دور الدين في حياة الإنسان . تماماً كما حصل من عزل الكنيسة في القرون الماضية .

ويمكن أن نؤرخ لنهاية الدور الثالث من أدوار الحوزة العلمية في النجف عام ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م . حيث حُجِّم دور الحوزة وتضاءل دورها العلمي في الوقت الذي نشطت فيه الحوزة العلمية في قم بإيران . ولذلك عدة أسباب يمكن أن نوجزها بالآتي :

١- تهجير الآلاف من طلاب الحوزة العلمية في النجف من العراق بدعوى حملهم جنسيات غير عربيّة .

٢- الملاحقة الأمنيّة للطلاب العرب والعراقيين خصوصاً ، بدعوى انتمائهم لأحزاب دينيّة محظورة .

٣- إعدام مجموعة من طلبة العلوم الدينيّة عام (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) بدعوى انتمائهم إلى حزب ديني محظور .

٤- قيام الجمهورية الإسلاميّة في إيران سنة (١٤٠٠هـ/١٩٧٩م) ، وانتقال السيد روح الله الموسوي الخميني إليها . ممّا شجّع طلاب الحوزة النجفيّة بالهجرة إلى إيران طلباً للأمن .

٥- إعدام السيد محمد باقر الصدر سنة (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) ، وملاحقة طلابه وإغلاق الكثير من المدارس والمؤسسات التابعة للحوزة .

إن ذلك كله لا يعني انعدام الحركة الفكرية في النجف ، بل إن النجف حافظت رغم ذلك كله على حوزة محدودة بفضل بقاء مرجع المسلمين الإمامية السيد أبي القاسم الموسوي الخوئي في النجف مع مجموعة محدودة من طلابه .

(١) نزال : الدور التربوي الاجتماعي والسياسي للنجف في مطلع القرن العشرين ٤٢ .

الباب الثاني

معالم الحوزة العلميّة في النجف

الفصل الأول: الحوزة العلميّة: مصطلحها ...
نشوؤها.. مكوناتها.. أهميتها.
الفصل الثاني: استقلاليّة الحوزة العلميّة في النجف
عن السلطة السياسيّة.
الفصل الثالث: الاجتهاد ودوره في ازدهار الحركة
الفكريّة في الحوزة العلميّة بالنجف.

الفصل الأول:

الحوزة العلميّة: مصطلحها.. نشؤها.. مكوناتها.. أهميتها

لا تكمن الصعوبة في الحديث عن (الحوزة العلمية) في أنها مصطلح لم نجد - بتركيته التي أوردناها - أثراً له في المصادر العلمية فحسب ، بل وفي ندره ، أو قل : انعدام المراجع الحديثة أيضاً . وإن وجدنا من تلك المراجع شيئاً يتناول الحوزة العلمية ، فهو إنما يتناولها تناولاً عمودياً ، يراد به تعزيز وجهة نظر معينة ، دون إخضاع الحوزة العلمية لدراسة افقية تأتي على معالمها بالبيان والتحليل ، أو حتى النقد والتقويم .

من هنا تأتي صعوبة التصدي لبحث في هذا المجال ، كون المعلومات المتعلقة به مبعثرة هنا وهناك ، إنما قد ترد عرضاً في ترجمة شاعر ، أو فقيه ، أو سياسي ، له رابطة ما من قريب أو من بعيد بالحوزة العلمية ، أو قد تأتي في عرض ترجمة بلد ما لسبب أو لآخر. وحتى مثل تلك المعلومات ، إنما ترد لا لبيان معالم الحوزة العلمية ، أو دراسة بعض جوانبها بقدر ما يراد من ذلك إضفاء طابع علمي على هذه المدينة أو تلك . أو بيان دور ذلك السياسي ، أو الفقيه ، أو الشاعر ، في حوزة

معينة ، وفي تاريخ معين . . .

بيد أن ذلك - وإن كان في مجمله يُشكّل صعوبة معينة - ربّما كان حافظاً ، ودافعاً مغرباً لباحث يتلمّس طريقه لطرق موضوع بكر
يجمع فيه ذلك الشتات من المعلومات المتناثرة عن الحوزة العلمية ليخرج منها بفكرة واضحة ومؤلف متواضع لا زال مكانه شاغراً في رفاف المكتبة الإسلامية والعربية وليعرّف من خلال ذلك كله بالحوزة العلمية ، إحدى قلاع الفكر لدى المسلمين . عبر حملات (التتريك)^(١) ، وموجات (الفرنجة)^(٢) التي اجتاحت بلاد المسلمين وعقولهم في حقبة طويلة مرّة من التاريخ .

بعد هذا نتساءل - قبل أن ندخل في صميم البحث - عن المعنى الذي نريده حين نطلق لفظ (الحوزة) و (الحوزة العلمية) . ونتساءل أيضاً عن مصدر هذا المصطلح وماذا يقصد به لغة ، واصطلاحاً ، وكذلك نحاول التثبّت من وروده في القرآن الكريم ومن عدمه .

تعريف الحوزة

أ- الحوزة لغةً :

لكي نصل إلى تحديد واضح لما تعنيه (الحوزة) ، فلا بد من تحديد جذر الكلمة ، والمادة الأصلية التي تدرج تحت عنوانها - عادةً - في كتب اللغويين .

إن جذر كلمة (حوزة) في اللغة هو الفعل (حاز : ح ، ا ، ز) . وحازَ حَوْزاً وحِيازَةً وأَحْتِيَازاً : يراد به الشيء إذا ضَمَّهُ ، وَجَمَعَهُ ، أو إذا حصل عليه . والحَوْزُ : الموضع إذا أُقيم حوالياً سدّ أو حاجز . ومن هنا

(١) التتريك . . كالتعريب ، يطلق إذا ما أُريد محاولة إضفاء الطابع التركي على الحياة أو على سلوك الإنسان .

(٢) الفرنجة : كناية عن التغرّب نسبة إلى العالم الغربي .

فإن حَوْز الدار : ما انضم إليها من المرافق والمنافع^(١) .

فإذا ما أخذنا كل تلك المعاني بعين الاعتبار ، فإن الحوزة تكون بالمعنى اللغوي العام هي : الناحية . ولذلك يقال إن حوزة المملكة ، ما بين تخومها .

على أننا نسمع إطلاق كلمة الحَيِّز ، والحَيِّز ، ويراد بهما المكان ، فالمعنى هنا مأخوذ من الحَوْز « الجَمع » . يقال هذا في حَيِّز التواتر ، أي جهته ومكانه^(٢) .

وهكذا فالحوزة بمفهومها اللغوي العام هي : المكان المحدد بتحديد ما . وتطلق (الحوزة) إذا ما أريد تصغير الحوزة . على أن (الحوزة) حين تُطلق اليوم يتبادر الذهن إلى تلك المدينة الواقعة « في الخور الأعظم شرق دجلة »^(٣) تُسبب تخطيطها إلى سابور ذي الأكتاف^(٤) . ويقطن تلك المدينة غالبية من العرب . ومنطقة الحوزة هي اليوم ضمن أرض الجمهورية الإسلامية في إيران . وينطقها الإيرانيون (الهوزة) بإبدال الحاء هاءً . شأنهم في ذلك شأن كل غير الناطقين بالضاد .

ب - الحوزة في القرآن الكريم :

بمراجعة الآيات القرآنية الكريمة لم نعثر على مصطلح (الحوزة) جذراً ، واشتقاقاً . باستثناء ما ورد ضمن قوله - تقدّست أسماؤه - :

﴿ يا أيها الذي آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم

(١) ابن منظور : لسان العرب ، مادة (حوز) ، ٣٤٢/٥ .

(٢) نفسه .

(٣) خورشيد وآخرون : دائرة المعارف الإسلامية ، ١٥٣/٨ .

ياقوت : معجم البلدان ، ٣١٩/٢ .

(٤) ياقوت : معجم البلدان ، ٣١٩/٢ .

الأدبار * ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ﴿١﴾ .

(فـ متحيزاً) هنا جاءت بمعنى مُنحازاً^(٢)، وتحديدًا تعني : منحازاً إلى جماعة من المسلمين يستعين بها^(٣) وإذا ما انحاز الإنسان فإنه انضم . .

خلاصة ما تقدم من حديث عن معنى الحوزة ، من خلال ما عرضناه من كتب اللغة والقرآن الكريم ، يتضح : أن الحوزة بمعناها اللغوي العام هي المكان الذي ينضم فيه إلى بعضهم البعض .

ج - الحوزة في الاصطلاح :

للحوزة في الاصطلاح عدة تعريفات ، اختلفت فيها الألفاظ ، وإن كانت تلقي في مجملها لتقدم إطاراً عاماً لمفهوم الحوزة العلمية . نعرض إلى ما أمكننا الوقوف عليه من تعريفات ، ومن ثم نحاول استخلاص تعريف من مجموع ما تقدمه من تعريفات ، ليعكس الصورة الأقرب والأوضح فيما نعنيه من مصطلح الحوزة . بعد أن نكون قد تناولنا التعريفات تلك بالنقد والدراسة والنظر . ولذا فستكون العناوين الجانبية التي تدخل تحت عنوان الحوزة في الاصطلاح هي :

١- عرض التعاريف .

٢- نقد التعاريف .

٣- التعريف المختار .

نحاول هنا الوقوف عند كلِّ عنوان من هذه العناوين :-

(١) سورة الأنفال/ الآية : ١٥ - ١٦ .

(٢) شبر : تفسير القرآن الكريم ، ١٩٢ .

(٣) نفسه .

١- عرض التعاريف :

أ- ورد في كتاب «لمحات عن خراسان» أن «الحوزة العلمية هي مصطلح يطلق على الدراسات الإسلامية لبحث وجهة نظر الإسلام في كافة مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والفكرية والثقافية ، والاجتماعية ، والعبادية . وتشكل على مرّ الزمن فريق^(١) من الباحثين والدارسين جل اهتمامهم هو البحث في مراكز علمية خاصة بهم . هذه المراكز العلمية التي تختص بالدراسات الإسلامية يُطلق عليها اصطلاح الحوزات العلمية الدينية»^(٢) .

ب- تعريف الشيخ حسن طراد : إن «الحوزة اصطلاح حديث يراد به المؤسسة العلمية التي تقام لغاية الدراسات العلمية الشرعية ، التي تمكّن الطالب من معرفة الأحكام الشرعية في مختلف مجالات حياته العلمية» . ولا يبعد أن يكون المعنى مأخوذاً من المدلول اللغوي وهو (الحَوْز) ، وكأنه مكان معنوي (يحوز) مجموعة من الطلاب»^(٣) .

ج- تعريف الشيخ محمد جعفر شمس الدين : الحوزة هي : «مجمع علمي يحوي عدداً من طلاب العلوم الدينية ، مع ما يستلزمه هذا العدد من هيكلية تدريسية من أساتذة متخصصين في المواد التي تدرس ضمن هذا المجمع التعليمي ، وهيئة إشراف تضمن سير هذا المجمع من النواحي العلمية ، والمسلكية ، والتنظيمية»^(٤) .

(١) هكذا وردت في النص المقتبس مرفوعة ، ويفترض أن تكون منصوبة لأنها مفعول به للفعل تشكل والفاعل هنا ضمير مستتر تقديره (هي) يعود على الحوزة .
(٢) خليل : الإمام محسن الطباطبائي الحكيم ، ٥٤ (مخطوط) - (نقلاً عن) لمحات عن خراسان ص : ٧ ، إصدار مركز إحياء التراث الإسلامي . إيران .
(٣) طراد : مقابلة شخصية في بيروت بتاريخ ١١٣ شعبان ١٤١١هـ / ١٨ شباط ١٩٩١ م .

(٤) زيتون : الحوزات العلمية في الضاحية الجنوبية لمدينة بيروت ، ٣١ .

د - ما ورد من تعريف لأحد أبناء النجف في هامش ضمن بحث عن أحد علماء النجف من أن : « الحوزة العلمية تسمية عربية ، فالحوزة لغةً هي المكان ، أو الناحية التي إذا ما حُصِّصت للدرس والتحصيل جاز أن تُسمَى حوزة علمية . وتبعاً للأصل اللغوي فإن الحوزة يمكن أن تُخصَّص لمختلف أوجه النشاط الإنساني ، إلا أنها ارتبطت بلغة علماء الدين بتلقّي العلم ، حتى بات مفهوماً تلقائياً : إن الحوزة لا بدُّ أن تكون علمية »^(١) .

هـ - « إن الحوزة هي بمثابة مجتمع ثقافي دراسي ، ضمن منطقة معينة تُتَّسع وتضيق حسب الظروف السياسية أو الاجتماعية المحلية المحيطة بها »^(٢) .

و - « الحوزة العلمية هي التعبير المتعارف بين الذين ينتسبون إلى المراكز الدينية الرئيسية كالنجف ، وقم ، والأزهر . التي صارت مشهورة تاريخياً على أنها المدارس الكبرى التي تضم الألوف من المدرِّسين والعلماء الذين يعتنون بالتدريس والتلقين والرعاية لطلاب العلوم الدينية الذين بعد دراستهم في تلك المراكز والحواضر الكبرى للعلم الديني يعودون إلى بلدانهم ليكونوا مبلغين ومبشرين بالإسلام .

فالحوزة العلمية بناء على هذا هي جامعة غير رسمية (بمعنى غير مرخَّص لها قانوناً) ، حسب مفهوم الدولة في عصرنا . وإنما تحمل رخصتها من خلال كونها الوسيلة الأهم عبر التاريخ الإسلامي في حفظ الاسلام ضد كل حملات التشكيك والتوهين »^(٣) .

ز - « الحوزة هي معهد في بلد أو قرية أو مدينة يسكنها جمهرة من

(١) البهادلي : الإمام المجاهد الشيخ محمد جواد الجزائري . مجلة الموسم (الهند) ع / ٨ ، مج / ٢ ، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م .

(٢) خشيش : الحوزات العلمية في جبل عامل (جزين وجباع) ، ١٠٣ .

(٣) المقداد : جواب خطي عن سؤال للمؤلف ، بتاريخ ١٥ شعبان ١٤١١ هـ / الأول من آذار ١٩٩١ م .

أهل العلم والفضل ، يديرون فيها حلقات التدريس المنعقدة من طلاب المعرفة المتعدّدي المواطن عادة»^(١) .

٢ - نقد التعاريف :

إذا كان الغرض من التعريف - أي تعريف - تفهيم المُعرّف (بفتح الراء) وتمييزه عما عداه^(٢) ، فإن من أحد الشروط الخمسة اللازمة في التعريف هي أن يكون المُعرّف (بكسر الراء) مانعاً جامعاً^(٣) .

نقد التعريف (أ) :

فالذي يلاحظ على التعريف (أ) أنه عرّف الحوزة بالدراسة . إذ قال : الحوزة مصطلح يُطلق على الدراسات . . . إلخ ، وهو تعريف بأحد لوازم الحوزة . إذ تشكّل الدراسة أحد مصاديق الحوزة . أو قل : أحد أركانها . فلا يجوز - والحال هذه - أن نعرّف الكل ببعض أجزائه . رغم أن صاحب هذا التعريف أردف - وكأنه يستدرك على نفسه - فقال : « وتُشكّل على مرّ الزمن فريقاً من الباحثين » . ففي ضوء التعريف : ولكي يكون فريق من الباحثين لا بدّ من وجود حوزة ، وحتى يمكن إطلاق

(١) عطوي : الحوزات العلمية في فكر الإمام الخميني ، مجلة المنطلق (بيروت)

٥٧/ع محرم ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م .

(٢) المظفر : المنطق ، ٩٥/١ .

(٣) أما بقية شروط التعريف ، بالإضافة إلى كون المعرّف مانعاً جامعاً ، فهي :

١ - أن يكون المعرّف أجلى وأعرف عند المخاطب من المعرّف .

٢ - أن يكون المعرّف عين المعرّف ، كتعريف الحركة بالانتقال والإنسان بالبشر .

٣ - أن يكون خالياً من الدور كتعريف الشمس بأنه كوكب يطلع بالنهار ، والنهار لا يُعرّف إلا بالشمس .

٤ - أن تكون الألفاظ المستعملة في التعريف ناصعة واضحة لا إبهام فيها .

أنظر : المظفر : م . س ، ٩٥/١ - ٩٨ .

مصطلح الحوزة لا بدُّ من وجود فريق من الباحثين . وهو دور ، لا يرتضيه في أي تعريف علماء المنطق .

وليس ذلك ما نلاحظه على التعريف (أ) فحسب بل إذا ما تذكرنا أن من شروط التعريف أن يكون جامعاً مانعاً فإن التعريف المذكور ، لا يمنع من دخول المؤسسات الجامعية المتخصصة بالدراسات الإسلامية ، أو بما يُصطلح عليه وفق العرف الجامعي الحديث ”بكليات الشريعة“ مع أننا ندرك بجلاء ووضوح : أن الحوزات غير كليات الشريعة ، وإن شكَّلت المواد الدراسية في كليهما أحد أهم الجوامع المشتركة فيما بينهما .

نقد التعريف (ب) :

مع أن هذا التعريف أصاب حين أعطى مصطلح الحوزة صفة الحدائث ، إلا أنه صور الحوزة العلمية بـ(المؤسسة العلمية) المتخصصة بدراسة العلوم الشرعية ، فمع أنه يرد عليه ما أوردناه على التعريف الأول من إمكانية أن يشمل كليات الشريعة الإسلامية في الجامعات الحديثة اليوم ، فإنه في الوقت نفسه يرد عليه قصر نشاط الحوزة وأهدافها في تمكين الطالب من معرفة الأحكام الشرعية ، دون إعطاء الحوزة صفة لبعض ممارستها في ميادين الحياة العامة ، إن في المجالات السياسية أو الفكرية ، أو الاجتماعية ، وبالتالي الأدوار القيادية للحوزة .

نقد التعريف (ج) :

تظل ملاحظتنا في أن أغلب التعاريف التي أوردناها للحوزة ، تصوّر الحوزة وكأنّها (مؤسسة تعليمية) . بحيث يتراءى لمن لا يعرف الحوزة عن كثب وكأنها مدرسة أو معهد أو كلية لدراسة علوم الشريعة بالمعنى المعروف لدى طلبة الجامعات الحديثة . والحال إن الحوزة غير هذا .

ثم إن هذا التعريف يفترض وجود « هيئة إشراف تضمن سير هذا

المجمع من النواحي العلمية والمسلكية ، والتنظيمية » ، وإن كان ذلك ينطبق على الحوزات المنظمة في لبنان ومصر ، فإن الأمر لا ينصب على حوزة علمية عريقة كحوزة النجف التي لم تقم على ذلك ، وإنما ضلّت أمورها تسيير تلقائياً دون تنظيم أو هيئة إشراف أو ما شاكل ، دون أن يعنى ذلك إقرارنا لمثل تلك الفوضى في نظام الدراسة في الحوزة العدمية بالنجف .

وإذا ما أضفنا لهاتين النقطتين اللتين تردان على تعريف الشيخ شمس الدين ، نقطة ثالثة هي : أن الشمولية في تعريفه يمكن أن تشمل ما اصطلاح عليه بكليات اللاهوت لدى النصارى إذ عبّر التعريف بـ (العلوم الدينية) التي لا يمكن - في حدود التعريف - قصرها على العلوم الإسلامية . إذ هناك علوم دينية استوحاها أصحابها من التوراة والإنجيل المُحرّفين ، والتي لا يمكن أن نعدّها بحال من جملة ما يتعلّمه طلاب الحوزات العلمية .

نقد التعريف (د) :

هذا التعريف لم يصل إلى العمق بل تناول مصطلح الحوزة وألَبَسَه حُلَّتَه العربية لكأنه يرد على من يعتبر الحوزة مصطلحاً غير عربي ، ومن ثمّ جعل المصطلح شاملاً لمختلف أوجه النشاط الإنساني بعد أن ربط بأصل المعنى اللغوي للحوزة وهو المكان . ورغم ذلك كله ، فإن التعريف يكون أقرب إلى المفهوم اللغوي ، وإلى أصل التسمية منه إلى التعبير عن واقع الحوزة وما تدل عليه حاضراً .

نقد التعريف (هـ) :

لو استغنيا عن كلمة (الحوزة) التي جاءت في التعريف ، وأبدلناها باسم أية رابطة أدبية ، أو منتدى ثقافي ، بل أبدلناها باسم أية ثانوية من ثانويات العالم ، لظل التعريف مترابطاً متماسكاً . مما يعني : أن التعريف حين يُعرّف الحوزة بأنها مجمع ثقافي ضمن منطقة معينة . . .

إلخ فإنما هو يعبر بهذا التعريف لا عن الحوزة وإنما عن كل مؤسسة تعليمية ، دون أن يوحي لنا التعريف بأية خصوصية للحوزة ، ودون أن يعبر عن أي من معالمها وأركانها وركائزها ، وطابعها الخاص الذي يميزها عن غيرها من معاهد العلم ، وأماكن الدراسة .

ويظل في إدراجنا له ضمن التعاريف الواردة عن الحوزة تجاوزاً ، كونه ورد في رسالة جامعية^(١) عن حوزتين ساهمتا بأدوار فاعلة في المجالات الثقافية والأدبية والفكرية في جبل عامل .

نقد التعريف (و) :

لعل أول ما يواجهنا في نقد هذا التعريف أنه طويل شيئاً ما ، فكلما كان التعريف مختصراً اختصاراً غير مخل بشمولية المعنى كان أفضل . وإذا تتبعنا مفردات التعريف فستتوقف حتماً - كما توقفنا عند غيره - عند تعبير (العلوم الدينية) ، إذ قلنا إن هذا الاستعمال غير دقيق لإمكانية شمول المعاهد الدينية غير الإسلامية ككليات اللاهوت لدى النصارى ، مع تسجيل أمر مهم هو عدم رضانا بهذا الفصل بين العلوم ، لتسمى بعضها علوم دينية وكان هناك علوماً غير دينية . . .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى : فقد خلص صاحب هذا التعريف إلى أن الحوزة هي «جامعة غير رسمية» مع أننا ندرك أن الاعتراف الرسمي بالحوزة لا يُخرجها عن كونها (حوزة) ، ولا يغيّر من مفهوم الحوزة . نعم يمكن القول هنا : إن الاعتراف الرسمي يحد من فاعلية الحوزة نوعاً ما ، دون أن يمسي ذلك اصطلاحاً وتسميتها .

(١) الرسالة من إعداد الطالبة إنتصار خشيش بعنوان : الحوزات العلمية في جبل عامل .

نالت عليها درجة (الدبلوم) في الدراسات المعمّقة في علم إجتماع التربية من معهد العلوم الإجتماعية (الفرع الأول) بالجامعة اللبنانية عام (١٤٠٨هـ/١٩٨٧م).

نقد التعريف (ز) :

هذا التعريف يُقصر الحوزة فيما يرتبط بحلقات التدريس أولاً . ولا يُشَم منه اختصاص الحوزة بعلوم الشريعة كالفقه وأصول الفقه ثانياً . ودون أن يعطينا فكرة عن أهداف الحوزة والتي من أبرزها إعداد الطالب لمرحلة الاجتهاد ، التي تكاد تكون الهم الأكبر لكافة الحوزويين طلاباً كانوا ، أم أساتذة أم مراجع

٣- التعريف المختار :

مع ما أوردناه من ملاحظات على كل تعريف من التعاريف التي عرضناها سابقاً ، فإن الشيء الأهم الذي نورده هنا هو إغفالها لمسألتين مهمتين من المسائل المرتبطة بالحوزة ، هاتان المسألتان هما :

١- خط الاجتهاد الذي تتبناه الحوزة العلمية ، والذي يشكّل الهدف الأبرز في أهداف الحوزة العلميّة ، إذ تتحد المناهج مع العناصر الحوزوية البشرية لصياغة الإنسان المجتهد في علوم الشريعة الإسلامية ، حيث يواصل - بموجب بلوغه مرحلة الاجتهاد - مسألة تولّي استنباط الأحكام الشرعية ، وتبليغها لأفراد الأمة .

٢- خط التبليغ ، فمَن ليس له القدرة الكافية لبلوغ مرحلة الاجتهاد من طلاب الحوزة العلمية ، فإن عليه مسؤولية لا تقل أهمية عن السعي لبلوغ مرحلة الاجتهاد ، وهي مهمة التبليغ التي قد تكون بواسطة المحاضرات أو الندوات ، أو تأليف الكتب ونشرها وقد تكون بواسطة ارتقاء المنبر الحسيني في أيام شهري رمضان ومحرم . كل ذلك وغيره هو خط التبليغ الذي أخذت الحوزة على عاتقها القيام به ، وقد قامت به عبر فترة طويلة من التاريخ خير قيام .

ولهذا فقد ابتكرت تعريفاً يجمع هاتين المسألتين ، ويتجنّب كافة الملاحظات التي أوردناها على ما سبق من تعاريف . وهذا التعريف ،

هو :

« الحوزة العلمية : كيان علمي وبشريّ يؤهّل للاجتهد في علوم الشريعة الإسلامية ، ويتحمّل مسؤولية تبليغ الأمة ، وقيادتها » .

نشوء الحوزة العلمية

الحوزة سبغها الدراسي التبليغي إنما نشأت مع اشعاعه فجر الإسلام ، حين كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي دار الأرقم بالذات يجمع من حوَّنه المصدِّقين برسالاته ليركِّبهم ويعلمهم الكتاب والحكمة^(١) . وإذ ضاق المسجد بالمتعلِّمين ، وتزبهاً للمسجد من أن يكون محلاً لما شهدته حلقات الدرس في تدريس - عصرئذ - من جدال ، ومناظرات كلامية ، عُمل على تخصيص مكان خاص بالدراسة ، قد يكون بيت الأستاذ ، وقد يكون ضمن دار للعلم مجاورة للمسجد ، ومن ثم لتتطور تدريجياً فتأخذ لنفسها كياناً مميزاً له خصائصه وسماته « لتخرج عن مجرد كونها حلقة درس حول شخص ، لتصبح ظاهرة ثقافية وسياسية ذات أثر بالغ »^(٢) . إن في المجتمع ، أو في فرداه وفي شؤونهم العامة

قد نشأت وتطورت الحوزات العلمية وازدهارها في العالم الإسلامي

(١) تناولنا هذه النقطة بشيء من التفصيل في مدخل هذه الرسالة الذي عنوانه (ظهور مدارس الإسلام في العالم الإسلامي) .

(٢) سطوي : الحوزات العلمية في فكر الإمام الخميني . مجلة المنطلق (بيروت)

ج ٥٧ / محرم ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م .

بمجاورة قبور المعصومين^(١) ، والأولياء . حيث تقام الحوزة بجوار تلك القبور على اختلاف في السبب الدافع لذلك . ولعلّ السبب الأبرز هو ما يصاحب وجود قبر معصوم أو ولي من زيارات الناس وترددهم عليه ، وحسب الأوقاف على المرقد وعلى المحتاجين المحاولين له . ولمثل تلك الأمور مجتمعة أو متفرقة مردود إيجابي لا يُستهان به ، لعلّه يتمثل فيما يتمثل بسهولة الاتصال بزوّار تلك المرقد ، ووعظهم وإرشادهم وبالتالي توجيههم ، ومن ثمّ ليمثّل في استفادة المراكز العلمية المجاورة للمرقد ، وطلّابها من أوقاف المرقد ممّا يعني وجود مورد مالي يدعم وجود واستمرارية هذه الحوزة أو تلك ، وبالضرورة يؤمّن لطلابها وأساتذتها مورداً كافياً من العيش يساعدهم على التفرّغ لطلب العلم ، والاستمرارية فيه والإخلاص له .

وإذا كنّا نأخذ الحوزات العلمية الشيعية مثلاً على مجاورتها لقبور المعصومين والأولياء ، فالحوزة العلمية في النجف إنّما أقيمت بجوار مرقد الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) والحوزة العلمية في كربلاء إنّما قامت بجوار مرقد سيد الشهداء الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهكذا قل في الحوزة العلمية في سامراء^(٢) التي أقيمت قريباً من ضريح الإمام علي الهادي والإمام الحسن العسكري (عليهما السلام) والأمر نفسه بشأن الحوزة العلمية في مدينة

(١) حين نُطلق المعصومين فإننا نعني بها وقف ما تدل عليه في الإعتقاد الإمامي من عصمة جميع الأنبياء بالإضافة إلى الأئمة الاثني عشر من آل بيت الرسول (عليهم السلام) .

(٢) يقول ياقوت : -

سامراء : مدينة بين بغداد وتكريت على شرق دجلة ، وبها قبر الإمام علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر وابنه الحسن بن علي العسكريين . وبها غاب المنتظر في (زعم) الشيعة الإمامية ، وبها قبور الخلفاء الواصل والمتوكل وابنه المنتصر وأخيه المعتز والمهتدي والمعتمد بن المتوكل .

ياقوت : معجم البلدان ، ١٧٣/٣ - ١٧٨ .

قُم^(١) حيث أُقيمت في كنف السيدة فاطمة^(٢) أخت الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام).

ولئن تناولنا بالعرض تلك الحوزات مثلاً ، فإن الأمر لا يختلف كثيراً عن الحوزات الإسلامية غير الشيعية ، فقد كانت حلقات الدرس عامرة بالمدينة المنورة بجوار بركات القبر النبوي الشريف ، وازدهرت الدراسة في الأزهر الشريف بمصر ، بجوار مقام السيدة زينب (عليها السلام)^(٣) ، وبجوار المكان الذي يقال : إن رأس الحسين بن علي (عليهما السلام) دُفِن فيه . كما شهدت مدينة طشقند^(٤) حركة علمية زاهرة بجوار مقام الإمام البخاري^(٥) .

(١) قُم : هي إحدى مدن محافظة طهران ، لم تُفصل عنها إلا سنة (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) . تقع على بُعد (١٤٧) كلم . جنوب العاصمة طهران . فتح المدينة أبو موسى الأشعري في خلافة عمر بن الخطاب . أبرز معالم المدينة وجود ما يقارب الستة عشر مرقداً لأبناء أئمة آل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) . والمدينة اليوم تضم أكبر حوزة علمية ، ومنها انطلقت الثورة الإسلامية في إيران سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

(٢) في سنة ٢٠١هـ/٨١٦م . قُدمت فاطمة إلى قُم في الطريق إلى زيارة أخيها الإمام علي الرضا (عليه السلام) في خراسان . إلا أن مرضها الشديد منعها ، فبقيت في قُم حتى توفيت في السنة ذاتها .

(٣) هناك جدل تاريخي حول (زينب) صاحبة ذلك المقام . بين قائل إنها بنت الإمام علي (عليه السلام) وقائل إنها زينب ابنة الإمام الحسن (عليه السلام) . للإستزادة والإلمام بتفاصيل هذا الموضوع أنظر : مجلة الموسم ، ع/٤ ، مج/١ ، (١٤١٠هـ/١٩٨٩م) (عدد خاص بالسيدة زينب)

(٤) طشقند : مدينة إسلامية ، حالياً هي عاصمة لجمهورية أوزبكستان السوفياتية .

(٥) البخاري : هو محمد بن إسماعيل الجعفي (١٩٤ - ٢٥٦هـ/٨١٠ - ٨٧٠م) محدث ، حافظ ، فقيه ، مؤرخ . وُلِدَ في بُخارى وتوفي في سمرقند ، من أشهر كتبه : الجامع الصحيح والجامع الكبير ، والمُسند الكبير ، والتاريخ في تراجم رجال الإسناد والحديث .

وإذا ما تجاوزنا مسألة مجاورة الحوزة العلمية لقبور المعصومين والأولياء ، فإن من الضروري أن نشير إلى أن من أهم شروط بقاء الحوزة العلمية معطاءة مزدهرة هو وجود الشخصيات العلمية التي تشرى الحركة الفكرية وحركة الدرس والتدريس داخل الحوزة . فلا نمو للحوزة إلا بنمو طلابها ، وتقدمهم ، ولا يحصل مثل ذلك النمو والتقدم إلا بوجود علماء أكفاء ، أو عالم كبير على الأقل .

والحوزة العلمية في النجف - كمشال - إنما ازدهرت فيها حلقات الدرس والتدريس بفضل شخصية الشيخ الطوسي^(١) ، وإنما بقيت على مستواها المتقدم عبر فترة طويلة من التاريخ فبسبب وجود النوابغ والشخصيات العلمية الذين حافظوا على القمّة الفكرية التي رفع الشيخ الطوسي الحوزة إليها . وسنرى في ما يأتي من حديث في الباب الرابع أن الحركة تتراوح بين مد وجزر بسبب هجرة العلماء من النجف ، أو قدامهم إليها .

وإذا كان مقام المعصوم أو الولي أحد أسباب قيام حوزة علمية ما ، أو قل أحد العوامل المساعدة في قيام حوزة ما ، فإن لشخصية العالم الكبير الدور الأهم والأكبر ، الذي لا يمكن تغافله وتجاهله - كما سبق - . بل حتى مع عدم وجود المراقد في بلد ما ، فإن من الممكن أن يبرز هذا البلد ، أو تلك القرية مقترناً بوجود حوزة علمية فيه كنتيجة لتوطن أحد العلماء الكبار هناك .

ولعلنا نجد في قيام حوزتين كبيرتين في مدينتي جزيين وجباغ بجبل عامل حيث استوطن الأولي الشهيد الأول^(٢) ، وفي الثانية حيث استوطن الشهيد الثاني^(٣) ، خير ما يمكن أن يكون دليلاً^(٤) .

(١) مرت ترجمته في ص (٦٠) من هذا البحث .

(٢) و(٣) ستأتي ترجمتها في ص (١٩٦) و(٢٠٩) من هذا البحث .

(٤) لمزيد من الإطلاع على ما يتعلق بحوزتي جزيين وجباغ ، يراجع :

خشيش : الحوزات العلمية في جبل عامل .

ومع ما للشخصية العلمية الكبيرة من دور وخصوصية في ازدهار ،
أو قيام حوزة ما . فإن « خصوصية المكان تساهم مباشرة في الكثير من
شؤون الحوزة العلمية والسياسية والتبليغية ، كما تساهم مباشرة في تحديد
مدى قدرة الحوزة على النمو التطور ، وإذا أخذنا الوضع السياسي
الصعب الذي عاشته المناطق الشيعية خلافاً لمناطق السنة ، رأينا أن
مواطن الحوزات وظرفها السياسي قد ساعد بعض الحوزات على النهوض
بدور سياسي لا بأس به مقابل حوزات أخرى حافظت على دورها العلمي
بشق الأنفس .. »^(١) .

أما في ما يخص ظهور أول حوزة علمية ، فمع أننا أرجعنا ذلك إلى
عصر فجر الإسلام حيث كانت حلقات الدرس في المسجد وفي بيوت
الصحابة ، إلا أن هناك من يرى أن « أول حوزة علمية في تاريخ
المسلمين هي حوزة الكوفة التي أنشأها الإمام الصادق (عليه السلام)
والتي كانت تضم أربعة آلاف طالب »^(٢) ، دون أن نقف على مصدر
تاريخي في المصادر التي بين أيدينا يؤيد هذا الرأي . . . في ما يرتبه من
أولية حوزة الإمام الصادق (عليه السلام) .

(١) عطوي : الحوزات العلميّة في فكر الإمام الخميني ، مجلة المنطلق (بيروت) ،

ع/٥٧ محرم ١٤١٠هـ/ آب ١٩٨٩م .

(٢) شمس الدين : دور الحوزات الدينية في عملية التغيير ع/مزدوج ٤٤ - ٤٥ ذي

القعدة ، ذي الحجة ١٤٠٨هـ/ تموز- آب ١٩٨٨م .

مكونات الحوزة العلمية

وفق ما تقدم من تعريف للحوزة ، ووفق ما عرضنا لفكرة نشوء نظام الحلقات في الدراسة يمكننا القول : إن مكونات الحوزة العلمية ، وعناصرها الأساسية ، يمكن أن نحددها في دعامتين أساسيتين :

الأولى : الدعامة البشرية ، أو قل العنصر البشري ، ويشمل :

أ - الفقيه المرجع المجتهد .

ب - الأساتذة العلماء .

ج - الطلاب^(١) .

الثانية : وسائل الاتصال :

أ - المناهج الدراسية .

ب - المنبر الحسيني .

وللوقوف ملياً عند هاتين الدعامتين ، يجدر بنا تناول المفردات التي تدخل تحت العنوانين الكبيرين هنا ، وفق ما انتهجناه من عرض وتبويب .

(١) أنظر المصدر السابق نفسه ، إذ أعتبر أن مكونات الحوزة العلمية قائمة على العنصر البشري ليس إلا .

الدعامة الأولى :

وحدثنا فيها سيكون عن :

أ - الفقيه المرجع المجتهد .

ب - الأساتذة العلماء

ج - الطلاب .

أ - الفقيه المرجع المجتهد :

هناك اصطلاح تعرفه وتداوله حلقات الدرس والتدريس في الحوزة العلمية ، وهو اصطلاح (المرجعية) و(المرجع) والمرجع هو الذي يعود الناس إليه مأخوذ من المعنى اللغوي للمرجعية الذي يعني بمفهومه اللغوي العام محل الرجوع والعودة . إلا أنه في اصطلاح رجال الحوزة العلمية يعني ذلك « المركز القيادي الأعلى الذي يتولّى شؤون المسلمين في أمور الدنيا والدين ويسمّى ذلك المرجع إماماً ، ومَرَجِعاً دينياً »^(١) .

إذن فالمرجع هو رأس الهرم في الكيان الحوزوي ، يؤول إليه المقلّدون^(٢) في أحكام دينهم ودنياهم ، والمَرَجِعُ هذا هو الذي يتبوأ رأس المركز القيادي الديني بالفتيا والتدريس . وتُسَلَّمُ إليه الحقوق الشرعية من أخماس وزكوات ممن تُستحق عليهم ، ومن ثم ليقوم هو

(١) البهادلي : كيف وماذا يعني المرجع الأعلى لدى المسلمين الشيعة؟ جريدة السفير (بيروت) ع/٥٨٦٦ ، س/١٨ ، ٩ شوال ١٤١١هـ/٢٣ نيسان ١٩٩١م .

(٢) في اعتقاد الإمامية : إن كل من لم يبلغ رتبة الاجتهاد ، يجب عليه تقليد أعلم وأفقه وأورع المجتهدين ، هذا في فروع الدين ، أما في أصول الدين وهي لدى الإمامية خمسة : التوحيد ، النبوة ، العدل ، الإمامة ، المعاد . فلا يجوز فيها التقليد ، وإنما يجب الاعتقاد بها بالتأمل والتفكير .

وللتوسع يراجع المصدر : الفتاوى الواضحة ، ٨٨-٩٢ . والمظفر : عقائد الإمامية ، ٦٧ .

بتوزيعها على طلاب العلم ، وعلى المحتاجين ، وعلى المشاريع الخيرية ، بالإضافة إلى قيامه بواجبه كفائد للأمة ، يتصل بالناس في كل بقاع العالم من خلال من يختارهم من الوكلاء والمبلغين الذين يرتبطون بالمرجعية بشكل أو بآخر .

ويقوم الفقيه المرجع المجتهد - بالإضافة إلى ما ذكر - بالإشراف على سير الدراسة ضمن نطاق الحوزة العلمية . وهو الذي يتخرج على يديه - عادةً - الفقهاء المجتهدون ، إذ أن من أبرز مهام الفقيه المرجع المجتهد هو : إلقاء المحاضرات في مادتي الفقه وأصول الفقه ، وكذلك المحاضرات في مادة تفسير القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، لا من خلال كتاب معين ، وإنما يطرح - عادةً - مسألة معينة على طلابه ، ثم يستعرض فيها آراء من سبقه أو عاصره من العلماء الذين تناولوا تلك المسألة ، وبعد ذلك يعقب على كل الآراء ليخلص إلى الرأي الذي يتبناه هو - وفق ما أدى إليه اجتهاده - مستنداً إلى دليل شرعي أو علمي واضح . وهذه الحلقات الدراسية التي يدرس فيها المرجع يُطلق عليها اسم "البحث الخارج"^(١) .

أما كيف يتم وصول شخص ما إلى مركز المرجعية ، فذلك ما سوف نعرضه مفصلاً في الباب الثالث من هذه الدراسة^(٢) .

يبقى السؤال عن كيفية تبليغ المرجع ومقلّديه ما يصدره من فتاوى ، أو كيفية وصول المقلّد إلى مرجعه مع ما نعرف أن بين المرجع والمقلّد مسافة كبيرة هي المسافة بين النجف والهند ، أو بين النجف وبلاد التبت في الصين ؟ .

(١) إنما أطلق على بحث المرجع الأعلى (البحث الخارج) لأن الدراسة فيه تتم خارج نطاق الكتب التي يعتمدها الأستاذ في تحضير مادته .

(٢) أنظر الدراسة المختصرة عز: كيفية انتخاب المرجع الأعلى لدى الإمامية ل : علي البهادلي في جريدة السفّس ، م . ص .

وتتضح الصورة حين نعرف أن كل مجتهد يصدر مجموعة آرائه واجتهاداته وفتاواه بين دفتي كتاب يُطلق عليه في الاصطلاح الحوزوي (الرسالة العلمية) ، هذه الرسالة تحتوي عادة على المسائل التي يتبلي فيها المقلدون في حياتهم (العملية) .

والرسائل العملية عنصر جامد بحاجة إلى عنصر متحرك ، ينقلها . . . يشرحها يربط المقلدين بها . ذلك هو الطالب والأستاذ الحوزوي ، فأولئك هم أجنحة المرجع وأيديه العاملة ، ولسانه الناطق ، والذين قد يصبح بعضهم فيما بعد مرجعاً .

ب - الأساتذة العلماء :

ليس من شهادة معينة تُشترط في من يتصدى لمهمة التدريس ضمن نطاق الحوزة العلمية ، وليس من عمر معين ، أو أية شروط أخرى . كل ما في الأمر ، أن تتوافر في المتصدّي للتدريس القابلية العلمية ، والقدرة البيانية ، اللتان تخولانه القيام بتلك المهمة المباركة ، والطريقة المتبعة في أغلب الحوزات العلمية ، ومنها الحوزة العلمية في النجف - موضوع دراستنا هذه - ، هي نبوغ الطالب في أثناء درس أستاذه ، ومثابرتة على الدرس والتحصيل حضوراً ، وتفهماً ، ومذاكرةً ، ونقداً . وإذ يبرز مثل ذلك الطالب ، تجد أن هناك من يتوجّه إليه ممّن هم أدنى منه علماً ، لتلقّي دروسهم عليه ، دون أن يحكم المسألة قرار من جهة رسمية ، ودون أن يحكمها مثل ذلك القرار حتى من هذه الجهة أو تلك في الحوزة العلمية ، فالعلم ، والقدرة العلمية ، لا تُدرّك بقرار . . ولا تُفرض بسلطان . . أللهم إلا سلطان العلم نفسه ، وإلا سلطان البيان السليم ، والقدرة العلمية نفسيهما .

وإذا نبغ هذا أو ذاك كأستاذ متمكّن من المادة التي تصدّي لتدريسها فإن متلقّي الدرس لديه « قد يكون واحداً ، وقد يكون أكثر ، وذلك لأن

الدراسة في الحوزة العلمية انفرادية» (١) .

وكثيراً ما نجد الطالب أستاذاً في الحوزة العلمية بالنجف في الوقت ذاته الذي يتلقى فيه العلم ، إذ يتصدى لتدريس الكتب التي انتهى من دراستها فأتقنها ، بينما يظل مواصلاً دراسته . حيث يشكّل بلوغ مرحلة (البحث الخارج) ، أهم أهداف العملية التربوية العلمية للحوزة إذ يرعى المجتهد الأعلى حلقات (البحث الخارج) ، وفي مثل تلك الحلقات يتم إعداد الحضور - الطلاب - فيه لمرحلة الاجتهاد ، فطبيعة ذلك الدرس (البحث) تنشّط الفكر ، وتهيئ الطالب وتدرّبه على إبداء وجهة نظره في المسائل العديدة التي تطرح في البحث . إن في مجال الدراسة الفقهية ، أو الأصولية ، أو الدراسات القرآنية .

... وتظل مسألة إعداد الطالب لمرحلة الاجتهاد من أبرز المهام التي تضطلع بها الحوزة العلمية ، إن في النجف ، أو غيرها من المدن ، نظراً إلى عدم ركود حركة الاجتهاد لدى علماء الإمامية ، ونظراً إلى الاعتقاد الإمامي بعدم جواز الرجوع في التقليد إلى الأموات (٢) ، بخلاف بقية المذاهب الإسلامية - وخاصة الأربعة المشهورة منها - حيث ألزمت

(١) العاملي : جامعة النجف في عصرها الحاضر ، ١٠٥ .

(٢) يكاد يجمع علماء الإمامية على عدم جواز الابتداء بتقليد الميت ، نعم يجوز البقاء على تقليد الميت إذا كان الميت أعلم من كل المجتهدين الأحياء الموجودين بالفعل ، وحتى في مثل هذه الحالة لا يحق للمكلف أن يستمر هكذا في تقليده للميت بصورة اعتباطية ، وإنما يسوغ له الاستمرار بعد أن يتعرف على الأعم من المجتهدين الأحياء ، ويرجع إليه في التقليد في مسألة البقاء على تقليد الميت من عدمه ، فيسمح له بالاستمرار على العمل بفتاوى المرجع الميت وإذا لم يصنع ذلك ، واستمر على تقليد الميت بصورة اعتباطية كان كمن يعمل بدون تقليد .
للتوسع أنظر : الصدر : الفتاوى الواضحة ، ١١٠ ،

والخوئي : منهاج الصالحين ، ٩/١ .

واليزدي : العروة الوثقى ١٠/١ .

(والنصّ للسيد الصدر بتصرف محدود) .

أتباعها بالرجوع إلى فتاوى أحد أئمة تلك المذاهب ، إذ نقل عن الشيخ تقي الدين ابن الصلاح قوله « إن التقليد يتعين للأئمة الأربعة ، دون غيرهم »^(١) ولمثل تلك الدعوى للوقوف عند تقليد الأئمة الأربعة دوافع ومسوغات ستكون موضوع حديثنا في الفصل الثالث من هذا الباب حين نتناول موضوع (الاجتهاد ودوره في ازدهار الحركة الفكرية في الحوزة العلمية) .

وما دنا بضد الحديث عن الأساتذة العلماء ، فمن المهم أن نشير إلى أن ما جرت العادة عليه في الحوزات العلمية الكبرى ، ومنها حوزة النجف هي : أن من يُطلب إليه تدريس هذه المادة أو تلك فإنه إن كانت لديه فرصة من الوقت لم يسعه التخلّف بوجه . لا لأن هناك سلطة زمنية تضغط عليه ، بل لأن طبيعة النجف مبنية على هذا النهج ، فهو باستجابته يلبي دعوة الواجب الديني فقط ، ويشعر بالغبطة والسرور ، دون أن يتقاضى أي أجر على التدريس ، ولهذا الامتناع عن أخذ الراتب على التدريس عمقاً ، وبعداً اعتقادياً في ذهنية الأستاذ الحوزوي فطلب العلم واجب شرعي كفاي ، ونشر العلم واجب شرعي كفاي^(٢) أيضاً ، استفادة الفقهاء والمفسرون من قوله تعالى :

﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ، لعلهم يحذرون ﴾^(٣) .

(١) موسى : أحكام العبادات ، ١٥ .

(٢) معنى (كفاي) هنا أن مثل هذا الواجب إذا قام به من به الكفاية سقط عن الآخرين ، ويقابله مصطلح الواجب العيني الذي يتعلق بالمكلفين كلهم : كما إذا أفتى المرجع المجتهد بالنفير العام للجهاد ، فإن الواجب يتعلق بجميع السكّفين .

(٣) التوبة/١٢٢ .

ولكن كيف يؤمن الأستاذ الحوزوي معيشته ، ما دام لا يتسلم الأجر على التعليم ؟ . إن مثل ذلك السؤال مشروع وملح . وفي مورد الإجابة عن تساؤل كهذا نقول : إن مراجع التقليد في الحوزة العلمية . يضمنون للأستاذ ما يكفي متطلباته الحياتية الضرورية ، لا بعنوان الأجر على التدريس ، وإنما باعتباره مستحقاً فيتكفله بيت مال المسلمين ، وهكذا شأن الطالب ، بل شأن أي محتاج من المسلمين .

ولعل من عاش قريباً من جو الحوزة العلمية يدرك أن العديد من طلبة الحوزة العلمية وأساتذتها، وحوزة النجف بشكل أخص، كانوا ولا يزالون مثلاً للزهد والقناعة والمنعة بصورة من الصعب بمكان أن تجد لها مثيلاً في كافة بلاد المسلمين^(١) حتى إن الكثير من المقرئين لهؤلاء - سواء كانوا من ذريتهم أو ممن يشاركونهم الدرس والتدريس - لا يعرفون شيئاً عن فقرهم وحاجتهم ، لَكأنهم هم المعنيون بقوله تعالى :

﴿ يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ﴾^(٢) .

ج - الطلاب :

. . والطلاب في الحوزة العلمية هم العنصر البشري الذي يشكل الرقم الأكبر، والقاعدة الأوسع، والحوزة العلمية في هذا شأنها شأن كل المؤسسات التعليمية الحديثة والقديمة على السواء ، حيث تتمثل في الطلاب القاعدة العريضة في الغالب .

وهنا يبرز سؤال لا بد من الإجابة عنه ، وهو : ما هي شروط الانتساب للحوزات العلمية ، ولحوزة النجف بالذات ؟ وبتعبير آخر : ماذا يُطلب من المتقدم للحوزة ليكون أحد طلابها ؟ .

(١) سنعرض لبعض من صور الزهد لدى الطالب والأستاذ والمرجع في الحوزة العلمية في النجف ، بعد الإنتهاء من الحديث عن الطالب .

(٢) البقرة/ ٢٧٣ .

وفي معرض الإجابة عن تساؤل كهذا نقرر : « إن الانتساب [للحوزة العلمية في النجف] ليس له قيد ، ولا شرط ، ومثله الخروج منها»^(١) .

وإذا كان ذلك ميزة يفتخر بها البعض لما تمثله من حرية ، فإن وجهها السلبي لهو أسوأ بكثير مما وجدته البعض فيها من إيجابيات ، إذ قد يكون القادم للحوزة « ممن أغلقت أبواب الحياة بوجههم فوجد أوسعها باب العلم فقصده»^(٢) . وبذلك فإن أمثال هؤلاء الطلاب يشكّلون بكل تأكيد عبئاً ثقيلاً على الحوزة ، أو قد يكون - وقد فقدت الضوابط والقيود في قبول الطلاب - ممن ترسلهم هذه الجهة ، أو تلك ، وفق مآرب معينة ، وبالتالي ليكون مثل هذا النموذج من الطلاب وبالأعلى المجتمع ، قبل أن يكون عبئاً ثقيلاً على الحوزة .

وإذ أشرنا من قبل إلى قضية المورد المالي للأستاذ في الحوزة ، فإن المرجع الأعلى يخصّص عادة الرواتب الشهرية لطلبة العلم ، بالإضافة إلى توفير السكن المجاني للعزّاب منهم في المدارس الكثيرة التي تنتشر في النجف^(٣) ، بما يشبه نظام الرعاية السكنية في الأقسام الداخلية الذي تتبنّاه بعض جامعات العالم اليوم .

ماذا عن جنسية الطالب الحوزوي في النجف يا ترى ؟

أجل : ليس هناك من قيد أو شرط يرتبط بموضوع الجنسية ، وفي النجف نماذج عديدة من جنسيات متألّفة متجانسة ، وليس غريباً مثل ذلك التآلف ما دام طلب العلم هو الجامع المشترك . على أنه من المؤسف أن

(١) ألعالمي : جامعة النجف في عصرها الحاضر ، ١٤١ .

(٢) شمس الدين : دور الحوزات العلمية في عملية التغيير ، مجلة المنطلق (بيروت) عدد مزدوج ٤٤ و ٤٥ ذي القعدة ذي الحجة ١٤٠٨ هـ / تموز - آب ١٩٨٨ م .

(٣) أنظر أسماء وأعداد مدارس الحوزة العلمية في النجف في :

محبوبة : ماضي النجف وحاضرها ٤٠/١ .

نَسَجَلْ هِنَا نَدْرَة الْعَنْصَر الْعَرَبِي ، وَالْعِرَاقِي بِشَكْلِ أَحْصَ فِي الْحَوْزَة الْعَلْمِيَة فِي النَجْف ، لِأَسْبَاب لَا مَجَال لِبَسْط الْحَدِيث فِيهَا الْآن .

وَتَظَلُّ أَعْدَاد الْمَنْضُومِينَ تَحْتَ لُؤَاءِ الْحَوْزَة الْعَلْمِيَة فِي النَجْف أَسَاتذَةً وَطِلَاباً خَاضَعَة لِلظُرُوفِ السِّيَاسِيَة الْمَحِيظَة بِالْبَلَدِ نَفْسِهِ ، وَبَطْبِيْعَة نِظَامِ الْحُكْمِ ، وَالسَّلْطَة السِّيَاسِيَة فِي الْبَلَدِ . بَيْنَ مَدَّ وَجُزْرِ ، وَبَيْنَ زِيَادَة وَنَقْصَانِ .

فَإِذَا مَا تَرَكْتَ الْحَوْزَة الْعَلْمِيَة وَشَأْنَهَا نَجِدُ أَعْدَادَ الْقَادِمِينَ إِلَيْهَا فِي إِزْدِيَادٍ كَمَا حَصَلَ قَبْلَ الْاِحْتِلَالِ الْبَرِيْطَانِي الْبَغِيْضِ لِلْعِرَاقِ (٢) ، وَكَمَا حَصَلَ فِي عَهْدِ مَرْجَعِيَة السَّيِّدِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَصْفَهَانِي (٣) ، وَفِي مَا بَعْدَ مَتَنَصَّفِ عَهْدِ مَرْجَعِيَة السَّيِّدِ مَحْسَنِ الْحَكِيْمِ (٤) .

أَمَّا حِينَ يُضَيِّقُ عَلَيَّ الْحَوْزَة وَطِلَابِهَا ، وَيُضَيِّقُ عَلَيْهَا فِي مَوَارِدِهَا الْعَالِيَةِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَنْعَكِسُ دُونَ شَكِّ سَلْباً عَلَيَّ حَرَكَة الْقَادِمِينَ إِلَيْهَا لَطَلَبِ الْعِلْمِ ، وَلِنَا فِي فَتْرَةِ الدَّرَاسَةِ هَذِهِ مَا يُؤَيِّدُ ذَلِكَ كَمَا فِي عَهْدِ حُكُومَةِ السَّعْدُونِ (١) ، حَيْثُ « قَامَ عَامَ ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤مَ بِنَفْيِ بَعْضِ عُلَمَاءِ

(١) عَامَ ١٣٣٦هـ / ١٩١٧مَ ، قَدَّرَهُ بَعْضُ الْبَاحِثِينَ بِأَكْثَرِ مِنْ عَشْرَةِ آلَافِ طَالِبٍ .
(٢) مَا بَيْنَ الْأَعْوَامِ : (١٣٤٠هـ - ١٣٦٥هـ / ١٩٢١م - ١٩٤٥م) ، حَيْثُ تَمَتَّدَ مَرْجَعِيَة السَّيِّدِ أَبِي الْحَسَنِ .

(٣) تَمَتَّدَ مَرْجَعِيَة السَّيِّدِ مَحْسَنِ الْحَكِيْمِ مِنْ وَفَاةِ السَّيِّدِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَصْفَهَانِي عَامَ ١٣٦٥هـ / ١٩٤٥مَ حَتَّى وَفَاةِ عَامَ ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠مَ ، لِذَا فَيُمْكِنُ أَنْ نَعْتَبِرَ الْفَتْرَةَ مِنْ عَامِ ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠مَ حَتَّى ١٣٩٩هـ / ١٩٦٨مَ هِيَ فَتْرَةٌ مَا بَعْدَ مَتَنَصَّفِ عَهْدِ مَرْجَعِيَتِهِ .

(٤) عَبْدُ الْمَحْسَنِ السَّعْدُونِ : وُلِدَ فِي النَّاصِرِيَةِ جَنُوبِي الْعِرَاقِ ، تَعَلَّمَ فِي مَدْرَسَةِ الْعَشَائِرِ بِالْأَسْتَانَةِ ثُمَّ فِي الْمَدْرَسَةِ الْحَرَبِيَّةِ إِذْ تَخْرُجُ ضَابِطاً فِي الْجَيْشِ الْعُثْمَانِي ، عَادَ لِلْعِرَاقِ خِلَالَ الْحَرْبِ الْعَالْمِيَةِ الْأُولَى ، وَتَقَلَّدَ بَعْدَ الْحَرْبِ وَزَارَةَ الدَّاخِلِيَّةِ ثُمَّ كَانَ رَئِيساً لِمَجْلِسِ الْوُزَرَاءِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ مِنْ (١٣٤١هـ - ١٣٤٨هـ / ١٩٢٢م - ١٩٢٩م) انْتَهَتْ بِانْتِحَارِهِ بِرِصَاصَةٍ أُطْلِقَهَا عَلَيَّ نَفْسِهِ . كَانَتْ وَوَلَادَتُهُ سَنَةَ (١٢٩٦هـ / ١٨٧٩م) .

الحوزة»^(١) إلى خارج البلاد ، وكما حصل في آخر سني مرجعية السيد محسن الحكيم حيث قامت السلطات بحملة تسيير وترحيل جُلّ طلاب الحوزة العلمية في النجف من غير العرب أما العرب فقد شملتهم حملات التضييق وملاحقة أجهزة المخابرات ، شأنهم في ذلك شأن العراقيين الذين لوحقوا بالإضافة إلى ذلك بمسألة إلغاء قرار العفو عن التجنيد الإجباري الذي كان من قبل يستثني طلبة العلوم الدينية في النجف كما في غيرها من الحوزات العلمية في العراق .

ومسألة الترحيل خارج العراق بالنسبة لغير العرب ، ومسألة إخضاع الطالب الحوزوي العراقي لقانون التجنيد الإجباري ، بالإضافة إلى التضييق المخابراتي على من بقي بعيداً لا تطاله سلطة الترحيل والتجنيد . هذه المسائل الثلاث تعتبر من أكبر الضربات التي أثرت سلباً على طلاب الحوزة . بحيث عادت الحوزة العلمية اليوم قائمة على عدد من الطلاب لا يتجاوز على أحسن التقادير (٥٠٠) خمسمائة عنصر ، وفي اعتقادي أن وجود المرجع الديني الأعلى للمسلمين الإمامية في النجف سماحة السيد أبي القاسم الخوئي هو الذي حافظ على هذا العدد الضئيل ، بعد أن كان عدد الطلاب لا يقل عن عشرة آلاف طالب . !

علماً بأن ازدياد عدد طلاب الحوزة العلمية في النجف كان مما يشغل بال السلطات في غير بلد ، فجهاز المخابرات الإيرانية في زمن الشاه محمد رضا بهلوي - على سبيل المثال - اعتبر الزيادة التي حصلت في عهد مرجعية السيد الحكيم مصدر قلق له ، واعتبر أن الزيادة في المخصّصات الشهرية للطلاب هي السبب المباشر في ذلك ، ومما جاء في التقرير الذي خُصص للحديث عن حوزة (قُم) :

« بعد بدء شهرية آية الله الحكيم ازداد عدد الطلاب بنسبة ٢٥٪ عن

(١) العلوي : الشيعة والدولة القومية في العراق ، ٩٤ .

السابق ، حتى وصل الأمر إلى عدم وجود أي فراغ في المدارس الدينية في قم . وإن هذه الشهرية التي خصّصها الإمام الحكيم لطلاب الحوزة العلمية في قم . تعتبر عاملاً مهماً لتقوية ودعم الحوزة وزيادة عدد الدارسين فيها»^(١) .

وحين يتضاءل عدد طلاب الحوزة العلمية في النجف ، بسبب تضيق السلطات السياسية الحاكمة ، فإن كثيراً من الطلاب ينتقلون بطبيعة الحال إلى مراكز علمية حوزوية أخرى ، وهنا نشير إلى ما سبق أن أشرنا إليه من ازدهار الحوزة العلمية في قم بعد التضيق على النجف وحوزتها فيما بعد سنة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م . وكذلك ظهور تجمّعات حوزوية - إذا جاز هذا التعبير- في لبنان انتهجت الخط الفكري للنجف ، واعتمدت منهاج الحوزة العلمية في النجف نفسها ، وإن كانت قد أدخلت شيئاً من (الحدائث) في بعض الجوانب الإدارية التي كانت وما تزال تفتقدها النجف . ولا غرابة في انتهاج خط الحوزة العلمية في النجف من قبل هذه الحوزات الفتية ، كون القائمين عليها من إداريين وأساتذة في معظمهم من طلبة العلم في النجف ، الذين هجروها بعد التضيق عليها .

صور مشرقة من زهد الحوزويين :

وإذ نكون قد أتينا على نهاية الحديث عن العنصر البشري الذي يضمّه الكيان الحوزوي ، فلا ضير علينا أن نختم حديثنا ذلك بعرض الصور المشرقة من زهد المَرَجِع ، والأستاذ ، والطلاب في الحوزة العلمية في النجف .

ولعلّ القصة التي لا زالت عالقة في ذهني منذ ما يقارب العشرين سنة ، والتي حفظتها عن بعض حلقات الدراسة في الحوزة العلمية في

(١) أنظر الملحق رقم (٢) صورة عن تقرير الشرطة السرية الإيرانية (السافاك) ويُقصد بالشهرية هنا : الراتب الشهري .

النجف ، هي قصة ذلك الشيخ المُسنّ الذي كان يتخذ غرفة من غرف إحدى المدارس سكناً له ، في وقت يشتد الطلب ، ويتزاحم الطلاب للحصول على الرعاية السكنية التي تمنحها الحوزة مجاناً .

يخرج الشيخ من غرفته ليرى طالباً في باحة المدرسة يجلس القرفصاء من شدة البرد ، سأله عن سبب جلوسه في ساحة المدرسة مع شدة برودة الجو ، فأجابهُ : بأن ناظر المدرسة قد سمح له بالسكن في المدرسة ، إذا ما كان هناك ثمة غرفة خالية ، أو طالباً من المقيمين بالمدرسة يوافق على إيوائه معه في غرفته . وهنا فكّر الشيخ بضمّه إليه في السكن ، لكنه اشترط عليه شرطاً أساسياً وهو أن لا يُحدّث بكل ما يراهِ في الغرفة من أفعال الشيخ . . !

. . وتمضي الأيام والشيخ يغادر غرفته فجراً ليعود بُعيد صلاة الظهر ، فيفك صُرة تحتوي الخبز اليابس ، وينقعها بالماء ، ويتقاسمها وضيّفه .

وذات نهار ، بينما كان الشيخ كعادته في طلب العلم ، جلس الطالب (الضيف) قريباً من حوض الماء الذي يتوسّط المدرسة ، فجاء أحد أثرياء البلد ، ودخل المدرسة ليتوضأ من ماء ذلك الحوض ، فرقّ قبله لمنظر ذلك الطالب ، فعاد لبيته ليُحضّر له طبقاً من الأرز والدجاج وشيئاً من المقبلات .

وإذ تسلّمها ذلك الطالب ، فكّر في انتظار الشيخ ليردّ له بعض معروفه بدعوته للمشاركة في تلك الوجبة الشهية من الطعام . ولكن ماذا حصل بالضبط بعد ذلك ؟ .

طلب الشيخ من الطالب مغادرة الغرفة فوراً ، لأنه لم يف بتعهده . فنفي أن يكون قد أباح أي سر من أسرار الشيخ . . لكن الشيخ ردّ عليه بما مضمونه : بأن مجرد جلوسك في باحة المدرسة شاحب اللون ، هو إعلام بما أنا عليه من الجوع والفاقة . . فقد مضت - والكلام للشيخ

المُسن - عليّ سنون طويلة وأنا على هذه الحالة دون أن يدري أحد !!! .
وقصة أخرى عن الشيخ راضي نصّار العبسي^(١) ، الذي دخل عليه أحد مراجع النجف عصرئذ ، وكانت له صحبة وروابط أكيدة معه ، إذ دخل ذلك المرجع على الشيخ في داره في شهر رمضان وقت الإفطار على حين غفلة ، فوجده يفطر على خبز و (كُرَاث)^(٢) ، فخرج منه ذلك المرجع مسرعاً ، وجمع له من جماعة من أهل الثروة من زوّار بلادهم مقداراً من المال ، وجاء به إليه ، فتأدّى الشيخ من ذلك وقال له : إني لم أكل ذلك من حاجة ثم قلب (بادية)^(٣) بقربة فأراه ما تحتها من المال الكثير ، وقال : إنّما فعلت ذلك زهداً ولكي أرغم نفسي عن شهواتها^(٤) .

وماذا عن الشيخ الأنصاري^(٥) ما دمننا نتحدث عن الصور المشرقة ؟

-
- (١) هو أحد علماء النجف ، توفي في النجف ودُفِن فيها سنة (١٢٣٠هـ / ١٨١٤م)
تَرَجَم له الشيخ حرز الدين فقال : عالم تقي زاهد عابد من شيوخ النجف وأدبائها ، وكان زهده وورعه أشهر من علمه ، له مصنّف بعنوان (شهداء الطف)
أنظر : حرز الدين : معارف الرجال ، ١ / ٣١٤ - ٣١٥ .
- (٢) الكُرَاث : نبات يكثر في أسواق العراق ، وبسبب كثرتة فإن ثمنه زهيد جداً . له فوائد صحية جَمَّة .
- (٣) البادية يقصد بها الكاتب هنا : الإناء من نحاس توضع فيه وجبة الطعام من الطبخ عادة .
- (٤) حرز الدين : م . س ، ١ / ٣١٥ .
- (٥) الشيخ الأنصاري : هو مرتضى بن الشيخ محمد أمين التستري الأنصاري النجفي ، وُئِد في ذفول سنة (١٢١٤هـ / ١٧٩٩م) ، وهاجر للنجف لطلب العلم ، كان فقيهاً أصولياً متبحراً في الأصول ، من أهم كتبه : المكاسب في الفقه ، والرسائل في الأصول . وقد أصبحت كتبه ومصنفاته مدار حركة التدريس في المراحل العليا من الدراسة الحوزوية منذ حياته حتى اليوم . توفي في النجف ودُفِن فيها سنة ١٢٨١هـ / ١٨٦٤م .
أنظر : حرز الدين : معارف الرجال ، ٢ / ٣٩٩ - ٤٠٤ .

والشيخ الأنصاري هو الذي « انتهت إليه رئاسة الإمامية على الاطلاق سنة ١٢٦٦هـ/ ١٨٤٩م وأطبقت الشيعة الإمامية على تقليده في شرق الأرض وغربها إلا نادراً»^(١) ، ورغم هذه المكانة ، ورغم ما يجبي له من أموال الخمس والزكاة فقد « كان يعيش عيشة الفقراء ، ويسقط البذل على الفقراء والمحتاجين سراً ، وقال له بعض أصحابه : إنك مُبالغ في إيصال الحقوق إلى أهلها فأجابه : ليس لي فخر ، ولا كرامة ، إذ من شأن كل عامي وسوقة أن يؤدي الأمانات إلى أهلها وهذه حقوق الفقراء أمانة عندي»^(٢) .

ولشيخ الأنصاري أكثر من ذلك إذ « حَدَّث بعض تلاميذه أنه كان يأنف من تناول من حقوق الفقراء في شيء مع كونه مصداقاً ، وكان أقل ما يُجلب إليه من الحقوق في كل سنة عشرون ألف تومانا»^(٣) - في زمان قلة النقد - ومع هذا توفي فقيراً ، وقام بنفقة عيالة ومصرف فاتحته ستة أيام رجل نجفي من أهل المجد والشرف والدين»^(٤) .

وفي بعض تعداد تركته في وصيته قال الشيخ الأنصاري : « القدر وقف ، والرقعة لنا»^(٥) .

ولا نريد الاسترسال في سرد القصص عن زهد وورع علماء وطلبة الحوزة العلمية في النجف . فهذا السيد هاشم الحطّاب^(٦) ، وحكايته

(١) حرز الدين : م . س ، ٤٠٢/٢ .

(٢) نفسه .

(٣) التومان : عملة إيرانية .

(٤) حرز الدين : م . س ، ٤٠٢/٢ .

(٥) نفسه ، ٤٠٣/٢ .

(٦) هو هاشم بن السيد محمد بن السيد عواد الكبير ، وُلِد ونشأ وتوفي في النجف ، كان عالماً فاضلاً تقياً زاهداً ورعاً متعظاً ، توفي سنة ١١٦٠هـ/ ١٧٤٧م ، ودُفِن في داره بمنطقة الحويش بالنجف .

أنظر ترجمته في : حرز الدين : معارف الرجال ، ٢٤٩/٣ - ٢٥٦ .

المعبرة مع نادر شاه^(١) ، فحين « قدم نادر شاه زائراً مرفداً للإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام) في النجف ، وزار العلماء في بيوتهم جاء إلى دار السيد الحطّاب ، وكان السيد جالساً على حصيرة في ذلك الوقت زهداً منه وتواضعاً . فقال له السلطان : أنا نادر شاه ألا أمرتأمربي به فأنجزه وأنا بذلك فخور فأجابته : نعم . . احبس عني البعوض ، فإنه لا يذرنني أنام في الليل ، فقال له الملك : سلني مالاً ينفعك فإني أقدر على ذلك ، فأجابته السيد إني أسأله ممّن يقدر على كل شيء ، ثم قام السلطان ، ولم يسأله شيئاً »^(٢) .

وفي قصة أخرى للسيد هاشم الحطّاب مع نادر شاه مضمونها أن الأخير « دخل النجف بجيش يزيد على الألفي جندي ، وجعلوا معسكرهم خارج سور البلد ، وصارت الجنود تدخل البلد زمراً . . زمراً بكثرة فحصل الأذى منهم إلى بعض النجفيين بالتعدّي عليهم ، وشكوا عند العالم المقدّس السيد الحطّاب ، فقصده الشاه إلى مخيمه راكباً على حمار له ، وأعلمه بذلك ، فخرج الأمر : أن لا يؤذى العسكرُ العرب ، وأكرم الشاهُ السيّد ، وأمر له بمال جزيل ، فأخذ السيد يلكّزه بعصاه ، ويقول له : هذا المال لي أو لحماري ؟ فإن كان لي فأنا غنيّ عنه ، عندي قوت يومي . وإن كان لحماري فهو أغنيّ منّي لأنه مكفول المؤنة . خذّه لا حاجة لي به ، وقام »^(٣) .

يضيف صاحب الرواية فيقول : « فقال السلطان لأصحابه : ما أزهّد هذا الرجل »^(٤) .

(١) نادر شاه : وُلِدَ في مشهد بيران سنة (١١٠٠هـ / ١٦٨٨م) ، وتوفي في فتح آباد سنة ١١٦٠هـ / ١٧٤٧م أحد ملوك إيران الصفويين ، فتّح آسيا الوسطى ، وقسماً من هندستان حتى دهلي ، توفي حين قتله أحد قوّاده .

(٢) حرز الدين : معارف الرجال ، ٣ / ٢٥٠ - ٢٥١ .

(٣) حرز الدين : م . س ، ٢ / ٢٥١ .

(٤) ن .

وإذ نسوق تلك القصص عن زهد الطالب والأستاذ والعالم في الحوزة العلمية في النجف فلأننا نلاحظ هذه الأيام بعض المنتمين للحوزة والمتزيين بزيها ، تركوا مهمتهم الأساسية في طلب العلم ، وتبليغ أحكام الله ، وراحوا يركضون وراء المناصب والمنافع المادية والألقاب ، وتهافتوا على حطام الدنيا . وهم بذلك لا يخذعون إلا أنفسهم . والأولى بهم ، إن لم يستطيعوا تقويم سلوكهم ، ترك هذا السلك لأهله ، والتفرغ بعد ذلك لطلب الدنيا واللهات وراء حطامها . . .

أهمية الحوزة العلمية في الأمة :

تتبع أهمية وضرورة وجود الحوزة في جسم الأمة ، في ذلك العمق التاريخي المقترن بمسيرة الحوزة العلمية منذ إشراقه فجر الرسالة الإسلامية حتى اليوم . هذا أولاً ، وفي هذه المساحة الجغرافية العريضة التي تنتشر فوقها الحوزة العلمية ، فتضيء جوانبها ، وتبدي ظلمات الجهل فيها ، ثانياً ، وما ذلك الأثر ليكون إلا بفضل الطليعة المباركة التي تخرجها الحوزة العلمية من آلاف العلماء ، والفقهاء المجتهدين ، وكذلك المبلغين ، الذين ساهموا بشكل فاعل وعبر حقب طويلة من التاريخ ، وفي بقعة واسعة من أرض المسلمين في نشر معارف وعلوم الدين ، مضمحين بأوقاتهم ، وأموالهم ومداهم ، وفي أحوال كثيرة بدمائهم الزكية ، وبذل الأنفس :

والجودُ بالنفس أقصى غاية الجود .

وهنا يحضرني قول للسيد الخميني من كلمة طويلة وجهها لطلبة الحوزة العلمية بمناسبة صدور كتاب «الآيات الشيطانية» للمرتد سلمان رشدي . يقول السيد الخميني : « لا شك في أن الحوزات العلمية ، والعلماء الملتزمين ، كانوا طيلة تاريخ الإسلام والتشيع أهم قواعد الإسلام الحصينة في مواجهة الحملات والإنحرافات والأفهام الملتوية ، لقد بذل علماء الإسلام الكبار جهودهم في كل مراحل عمرهم لنشر مسائل

الحلال والحرام كما هي ودون أدنى تدخّل فيها أو تصرّف .

لو أن الفقهاء لم يكونوا . . . ما كنّا نعلم أي علوم كانت تُقدّم اليوم إلى الناس بأسم علوم القرآن والإسلام وأهل البيت (عليه السلام)»^(١)

يضيف السيد الخميني موضحاً دور العلماء الذين تُخرّجهم الحوزات العلمية في حفظ علوم القرآن وفي حفظ السنة النبوية ، فيقول : « . . لم يكن من السهل جمع علوم القرآن ، وآثار النبي الأعظم وأحاديثه وسنة المعصومين وسيرهم (عليهم السلام) ، وتبويب ذلك وتفيحه في الظروف التي كانت الإمكانيات فيها قليلة جداً . . وكان السلاطين والظلمة يبذلون كل ما في وسعهم لمحو آثار الرسالة»^(٢) .

ولكن ألم تكن هناك وسيلة لحفظ علوم الشريعة الإسلامية غير هذه الطريقة من التفقه؟ وبغير قيام الحوزات العلمية؟ . يجيب السيد الخميني عن ذلك فيقول :

« ولا أتصور طريقة أفضل من طريقة علماء السلف للتحقيق المعمق الشامل في العلوم الإسلامية . وتاريخ أكثر من ألف سنة من التحقيق لعلماء الإسلام ، شاهد على دعوانا في مجال تعهد غرسة الإسلام المقدّسة بالرعاية»^(٣) .

وإذا كنا نلاحظ التركيز من قبل السيد الخميني في حديثه على العلماء ، فإنّما لأنّ الحوزة « إذا ازدهرت فبالعلماء الذين يسمون بها في مراتب الرفعة ، وإذا تراجعت وانحطت فبفعل الزمن وعادياته التي تأتي على هؤلاء العلماء موتاً أو تشريداً ، فيأفل نجم حوزة في مكان ، ليرتفع

(١) الخميني : كلمة بمناسبة صدور كتاب (الآيات الشيطانية) بتاريخ ١٦ رجب

١٤٠٩هـ/ ٢٢ شباط ١٩٨٩م ص ٥ .

(٢) نفسه .

(٣) نفسه .

في مكان آخر ، ربما بنحو أكثر سطوعاً . وهي سنة الله في أرضه ولن تجد لسنة الله تبديلاً» (١) .

والحديث عن أهمية الحوزة العلمية في الأمة يقتضي بالضرورة الحديث عن مناهج الحوزة العلمية وتوضيح الصورة التي تعكسها عن أهمية الكيان الحوزوي في جسم الأمة فالتركيز على اللغة العربية ، والثقافة الإسلامية ، وتعريب المسلمين القادمين إلى تلك الحوزة من الصين ، ومنغولياً ، وأزبكستان ، وأفغانستان ، والهند وتركيا ، وإيران . ومثل هؤلاء الطلاب من غير العرب يعودون إلى بلادهم وهم علماء نحو و صرف ، وبلاغة كما هم علماء دين . وغير خفي ، ما لمثل ذلك من أهمية في نشر اللغة العربية ، وعلوم القرآن . إذ بمجرد أن يعود أولئك الطلاب المغتربون إلى بلادهم فإنما يعودون وهم يشعرون بشيء غير قليل من الفخر والزهو لأنهم يعرفون العربية ، ويقرؤون القرآن ، ويفهمون كتب التاريخ الإسلامي والعربي ، بلغتها العربية وقد ينقلون ذلك لأبنائهم في تلك البلدان الأجنبية ، كما هي حالة المتعلمين العرب الآن في الجامعات الأوروبية (٢) .

وإذا ما علمنا أن اللغة العربية لم تلقَ من الإعراض والإهمال في تاريخها الطويل ، ما لاقته في القرون المتأخرة قبل (ما أُطلق عليه) عصر النهضة ، عرفنا بعض ما أسدته الحوزة العلمية في النجف إلى لغة القرآن الكريم .

« ولئن ناضلت جامعة الأزهر القاهرية ضدَّ العامية والإنكليزية ، وحمّت جامعة الزيتونة في المغرب اللغة العربية من هجمة البربرية ،

(١) عطوي : الحوزات العلمية في فكر الإمام الخميني ع/٥٧ محرّم ١٤١٠هـ/آب ١٩٨٩م مجلة المنطلق (بيروت) .

(٢) العلوي : الشيعة والدولة القومية في العراق ، ٤٦ .

(٣) نفسه .

والفرنسية والإيطالية فجامعة النجف حرسست العربية من غزو بضع عشرة لغة استطاعت أن تجتاح العاصمة بغداد ثم الموصل والبصرة»^(١).

ولأن حديثنا هو عن الحوزة العلمية في النجف فإننا نحبّ إعطاء فكرة عن الحالة التعليمية السائدة قبيل الحرب العالمية الأولى في العراق . فـ « المدارس الرشيدية (التي تعادل الدراسة المتوسطة اليوم) لم تكن لتضم أكثر من (٣٦٠) ثلاثمائة وستين طالباً في جميع أنحاء العراق موزعين على عشر مدارس»^(٢). في حين أن الحوزة العلمية في النجف وحدها في ذلك العصر كانت تضم ما يقارب من عشرة آلاف طالب^(٣) . . والفرق بين العشرة آلاف وبين الـ (٣٦٠) ، فرق كبير ، ويستوقف الباحث حتماً .

إذا وضعنا كل تلك الحقائق نصب أعيننا : أدركنا - جلياً - أهمية الحوزة العلمية في رفع المستوى الفكري والعلمي والحضاري للأمة في عصور التجهيل ، وأدركنا كم للحوزة من دور فاعل في الحفاظ على التراث العلمي للأمة الإسلامية . مع أنني أرجو أن لا يفهم بتخصيص النجف بالحديث هنا ، تجاهل دور غيرها من المدارس ، أبداً ، لن يكون ذلك . وكيف يكون ذلك ونحن نعرف : « أن مساجد ومدارس فاس والقيروان والزيتونة والأزهر [كما النجف] ، كانت في أوج عطائها التربوي والفكري والسياسي في عهد الاستعمار المباشر للأقطار القائمة فيها . وقادت فكراً وعملياً المقاومات الشعبية للوجود الاستعماري ، الذي عجز أن ينال منها أو من مكانتها عند الجماهير»^(٤) .

(١) نصرالله : النجف الحضارية ، مجلة الغدير (بيروت) ، ع/٢ ، شعبان ١٤٠٢هـ/ك٢ ١٩٨١م .

(٢) العلوي : الشيعة والدولة القومية في العراق ، ٢٧٨ .

(٣) المظفر : تاريخ الشيعة ، ١٠٣ .

(٤) المهاجر : إشكالية التربية والتعليم في دار الإسلام ، مجلة المنطلق (بيروت) ع/٤٣ ، رمضان ١٤٠٨هـ/آيار ١٩٨٨م .

الفصل الثاني :

استقلالية الحوزة العلمية في النجف عن السلطة السياسية.

يعالج هذا الفصل عناوين جانبية عديدة هي :

- ١- توضيح مفردات عنوان الفصل .
- ٢- إستقلالية المناهج الدراسية .
- ٣- إستقلالية الطالب الحوزوي .
- ٤- إستقلالية الأساتذة العلماء .
- ٥- إستقلالية المرجعية الدينية العليا .
- ٦- الإستقلالية في جانبها الفكري والمادي .

١- توضيح مفردات العنوان :

يشتمل عنوان هذا الفصل بالإضافة إلى مصطلح (الحوزة العلمية) الذي أوضحناه مفصلاً في الفصل الأول من الباب الثاني ، يشتمل هذا العنوان على مصطلحين لا مندوحة لنا عن تعريفها ، وإيضاح المقصود عند استخدامها في صفحات هذا الكتاب .

هذان المصطلحان هما : أ - الإستقلالية . ب - السلطة السياسية .

ويبقى حرف الجر (عن) مستغنياً عن الشرح والتعريف ، لمثل المهتمين ببحث كهذا البحث . فماذا يعني هذان المصطلحان يا ترى ؟ .

أ - مفهوم الاستقلالية : - لعل الاستقلالية مشتقة من الفعل (اسْتَقَلَّ) الذي يأتي في أحد دلائله اللغوية بمعنى : التفرّد . والمصدر (الإستقلال)^(١) ، فاستقلت البلاد ، إذا ما انفردت بحكم نفسها . واسم الفاعل (المُسْتَقِلَّ) . يقال : هو مُسْتَقِلٌّ بنفسه ، أي ضابط أمره ، وبلاد مُسْتَقِلَّةٌ ، أي تحكم نفسها بنفسها .

ب - السلطة السياسية : يمكن أن تُعرّف السلطة السياسية بأنها : « هيئة منظمة تتولى حكم أفراد الأمة ، والإشراف عليهم ، ورعاية مصالحهم ، وإدارة الإقليم وحمايته وتنظيم استغلال ثرواته »^(٢) .

وفق ما قدمناه من تعريف وتوضيح لمصطلحي الاستقلالية ، والسلطة السياسية ، يكون من اليسير علينا أن ندخل في صميم موضوع استقلالية الحوزة العلمية في النجف عن السلطة السياسية .

أجل : بقيت الحوزة العلمية لدى علماء الإمامية بجميع مكوناتها من فقيه مرجع مجتهد ، وأساتذة علماء ، وطلاب ، ومناهج دراسية ، وأنظمة مالية ، بقيت مستقلة منذ نشأتها حتى اليوم عن السلطات السياسية المتعاقبة على الحكم ، إن في العراق ، أو في الدول المجاورة للعراق ، وستبقى هكذا (إن شاء الله تعالى) ، بفعل الضوابط المتينة التي توطّر عمل وسير الحركة العلمية ، وهذا ما يجعلها « حرة في حركتها ، متحررة من آية وصاية أو أي ارتباط مشبوه ، قد يؤدي إلى مسلكية معينة تحرف الحكم الشرعي عن طريقة وتحوله إلى سلك ليس فيه روح »^(٣) .

(١) ابن منظور : لسان العرب ، مادة (قل) ،

(٢) بسيوني : النظم السياسية ، ٣٣ (بتصرف) .

(٣) شمس الدين : دور الحوزات الدينية في عملية التغيير . مجلة المنطلق (بيروت)

ع/٤٤ - ٤٥ ذي القعدة - ذي الحجة - ١٤٠٨ هـ / تموز - آب ١٩٨٨ م .

٢ - استقلالية المناهج الدراسية :

إن المناهج الدراسية للحوزة العلمية في النجف - وحتى في غير النجف - يتم اختيارها من قبل أساتذة متخصصين ، بل قد يتم اختيارها من قبل طلاب الحوزة أنفسهم ، فليس في الحوزة العلمية إلزام لهذا الأستاذ بوجود اعتماد الكتاب الفلاني في هذه المادة أو تلك للمدرس . كما ليس هناك إلزام للطلاب بدراسة هذا الكتاب الفلاني أو ذاك ، وعلى سبيل المثال : فلو أخذنا مادة (البلاغة) كمنهج دراسي حوزوي ، فإن الطالب في النجف مُلزم بتكوين ثقافة عن هذه المادة ، تعينه على فهم حلقات الدرس العالية في التفسير وفي الحديث والفقه وأصوله . وليس مُهِمّاً بعد ذلك في أن يكون مصدر هذه المادة كتاب (المُطَوَّل) للفتازاني ، أو أن يكون كتاب (جواهر البلاغة) للهاشمي ، أو يكون الجزء الثاني من (النحو الواضح) للجارم .

وقد يكون لا هذا . . . ولا ذاك ، إذ قد يختار الطلبة فيما بينهم ، أو بمشاركة من اختاروه لتدريس المادة ، كتاباً آخر ، أو تلفيق الموضوعات من هذا المصدر أو ذاك .

نعم : هناك كتب جرى العرف الحوزوي على تداولها كمواد دراسية أساسية في الحوزة العلمية ، فيما تظل المادة العلمية الرصينة هي التي تفرض نفسها في وسط الحلقات الدارسية في نطاق الحوزة العلمية في النجف .

. . وفق الصورة التي قدمناها ، فإن السلطة السياسية لا شأن لها أبداً في مثل تلك المناهج .

وإذا كانت السلطة تتدخل ، أو تحاول التدخل في توجيه طالب ما ، ليكون أحد طلاب الحوزة العلمية في النجف ؛

وإذا كانت السلطة قد حاولت غير مرة اللجوء إلى الشأن المادي للحوزة ؛ فإن المناهج ظلت بعيدة عن كل محاولة تدخل من تلك

السلطات . ولعلني أجد السبب الأهم في هذا المجال هو في محافظة الحوزة العلمية في النجف - خصوصاً - عبر تاريخها الطويل على عمقها الفكري ، وخاصة في مجالَي الفقه وأصوله ، مع اعتماد مبدأ الاجتهاد كأحد أهداف الطالب الحوزوي ، وبملاحظة هذا الأمر ، نعرف وندرك بسهولة بأنه لا يتأتى (لعالم السلطة) مهما أُوتِي من حظوة ، ومهما بذلت وجهت السلطة لتلميع صورته أن يرتقي إلى مستوى الكتب الحوزوية في عمق فكرتها ، ودقّة مبادئها ، وتفريع مسائلها ، لتكون كتبه - إذا ما استطاع - بديلاً عن الكتب المألوفة .

والمدعش حقاً : أن تاريخ الحوزات العلمية لم يعرف تسلاً لكتاب أرادت السلطة السياسية إقراره منهجاً دراسياً ، مع ما نعرفه من أن الكتاب الحوزوي ، لا يتم إقراره بموجب مرسوم ، أو قرار حوزوي صادر من هذا المرجع أو ذاك . وليس في مثل هذه الأمور أية إجراءات إدارية أو تنظيمية معينة . بل إن الأمر لا يعدو تعارفاً ، واتفاقاً ضمناً من مجموعة صغيرة من الطلاب وأستاذهم - كما أسلفنا - على الدراسة في كتاب ما ليكون ذلك الكتاب بمرور الأيام هو المتداول بين أعداد كبيرة قد تتجاوز الآلاف من طلاب الحوزة العلمية .

على أن ما نحب أن نكرّر الإشارة إليه لتأكيدِه في الأذهان : أن المادة العلمية التي تضمّنها دفن الكتاب ، هي التي تفرض استمرار تداوله ، كما قد تفرض الإعراض عنه إلى كتاب آخر .

.. إن استقلالية المادة الدراسية الحوزوية عن وصاية السلطة السياسية ، وتوجيهاتها لأمر يشكّل دعامة أساسية من دعائم استقلالية الحوزة العلمية في النجف ، بحيث يعمّق وجودها ويركّز دورها في قيادة الأمة ، بالإضافة إلى ما يمكن أن يشكّل وجهاً يعكس نزاهة الفكر الحوزوي ، ويساهم بالتالي بشكل فاعل في إعداد شخصية قيادية ، وفق مناهج إسلامية نقية من الشوائب ، غير متأثرة بهذا التيار السياسي، غير

الإسلامي ، أو بذاك ، بل غير متأثرة بالمناهج الفكرية الاستعمارية التي تسللت إلى المناهج الدراسية في بلاد المسلمين كما تسللت إلى عقول المسلمين أنفسهم ، إن قَبِل دخول جيوش المستعمر بلادنا أو في أثناء الاحتلال ، أو بعده وهو ما يتضح لنا شره المستطير يوماً بعد آخر ، بل وعدنا نتجرع غصصه دون أن نقوى على فعل شيء .

من هنا فإن نقاء المنهج الحوزوي ، واستقلاليته ، إنما يشكل ضماناً ضرورية وأساسية ، ومهمة جداً لاستمرار خط الدعوة إلى الله ، مجردة عن أهواء السلطات السياسية المتعاقبة هنا وهناك ، ومنزهة عن كل ما هو بعيد عن تشريعات الإسلام وتوجيهاته .

٣ - إستقلالية الطالب الحوزوي :

الطالب في الحوزة العلمية في النجف - وفي غير النجف - هو العنصر البشري الذي يشكل الرقم الصعب - كما يقولون - ، وهو العنصر الذي يشكل القاعدة الأساسية في الهرم البشري كما أوضحنا ذلك . فمن يتوجه للحوزة العلمية في النجف بنيتة الإنضواء تحت لوائها فليس لغير سلطة علماء الحوزة أي صلة في قبوله ، أو رفضه ، أو في أي شأن آخر من شؤونه ، بل وحتى في ما سميته بسلطة علماء الحوزة تجاوزاً . ليست هناك سلطة مباشرة . إنما يظل علماء الحوزة العلمية هم الذين يتولون مسألة توجيهه ، وهم الذين يلحقونه في السكن الداخلي المجاني - إذا كان محتاجاً للرعاية السكنية - ورجال الحوزة هم الذين يدفعون له المرتب الشهري ، وفق تقدير - من قبلهم أيضاً - لحاجته ولما يكفيه لوازم حياته الضرورية . ويطيعه الحال فإن هذه الأموال لم تكن لتؤخذ من السلطة السياسية ، أو من ميزانية (الأوقاف الرسمية) ، بل تُدفع مما تجمّع لدى المرجع الأعلى من أموال الحقوق الشرعية ، كالخمس والزكاة وغيرهما .

.. ونسير مع الطالب حتى يقارب مرحلة الاجتهاد ، لنرصد من خلال ذلك إستقلالية الطالب الحوزوي عن السلطة السياسية ، فحين

يصل الطالب في الحوزة العلمية لمرحلة الاجتهاد ، فإن العرف الحوزوي يقتضي أن يُمنح ما يُعبّر عنه في الحوزة بـ (الإجازة) . والإجازة هذه هي كالشهادة في العرف الجامعي الحديث . ولا يُمنح (الإجازة) في الحوزة إلاّ المجتهدون الكبار من مراجع الحوزة العلمية ، حيث تتم وفق تقاليد حوزوية عريقة ، وبعد اقتناع تام من قبل مانح الإجازة ، وثقته بطالب الإجازة ، أو المُستَجيز .

ومن المفيد أن نشير إلى أن الإجازة - والتي قد تكون بنقل الفتوى أو تدريس كتاب أو تجاوز مرحلة علمية وإجازات الاجتهاد كذلك - من غير الممكن أن تُمنح إلاّ لذوي القابلية العلمية والفكرية ، وإلاّ لأصحاب الإستعداد الكامل على استنباط الأحكام الشرعية من مصادرها الأساسية وهي : الكتاب والسنة .

وإذا كان ذلك كله يتم باستقلالية تامة عن السلطة السياسية ، فإن الإجازة التي تمنحها الحوزة العلمية لأي طالب فيه لا تُلزم الدولة بشيء ، بمعنى : أن حامل الإجازة الحوزوية لا يتمتع بأية حقوق لدى السلطة السياسية نتيجة حمله إجازة الاجتهاد الحوزوية . حيث أن السلطة السياسية لم تكن لتعترف بخريجي الحوزة العلمية .

ومع تأكيدنا على استقلالية الحوزة العلمية في منح شهادات الاجتهاد لطلابها عن السلطة السياسية ، نشير إلى خسر تولّي السلطة السياسية منح الشهادات . وفي العلوم الإسلامية بالذات ، وما يرافق ذلك من محاولة كسب أنصاف المتعلّمين ليكونوا أبقاً للسلطة ، ووعاظاً للسلطين . مع ما نعرف من أن « منح الشهادة والإجازة لغير متسحقها يشكّل ظلماً من قبل المانح ، وخيانة للدين والمسلمين ، لأن الممنوح سوف يكون خطراً على الرسالة السماوية ، وضرراً . لأنه بمظهره الديني وبشهادته التي يعرضها والتي تدفع الناس إلى الثقة به ، وهذه الثقة قد يستخدمها - كما هو المعروف عند فقهاء السلاطين وعلماء لقصور - لبلوغ

أغراضه وغاياته الشخصية من جهة ، ويجتهد من جهة أخرى بما ليس به علم^(١) :

وهكذا : فإن الطالب وهو يستشعر بالاستقلالية عن السلطة السياسية ، ورجالها استقلاليةً في مورده المالي ، وفي مناهجه التعليمية ، وفي سكنه ، وبالتالي في حصوله على الشهادة ، لن يجد ضرورة ، ولن يجد دافعاً أبداً نحو محاباة السلطة السياسية أو التأثر ببعض توجيهاتها . نعم حيث يستشعر بانضوائه تحت لواء القيادة العالمية في الحوزة العلمية ، سوف يجد نفسه مدفوعاً نحو تحقيق عناصر النجاح في طالب العلم الحوزوي من علم وورع ، وتقوى . بما ينعكس إيجابياً ويقوّي أركان الحوزة العلمية . وبالذات رأس الهرم فيها أعني به : المرجعية الدينية فيها ولتتمثل تلك القوة في نفوذ دور المرجعية الدينية القيادي في الأمة .

واستشعاراً من السلطات السياسية في غير بلد - ولكن يعينني الحديث هنا عن العراق بقوة الطالب الحوزوي المستقل عنها ، وارتهان من توجّهه وتدعمه لأوامرها ونواهيها ، فقد عمّدت السلطة السياسية في العراق قبل ما يقارب العشرين سنة^(٢) وفق خطة «للقضاء على الرجعية الشيعية قضاء كاملاً» في النجف فحسب بل في أنحاء العالم^(٣) . فقامت (١) نزال : الدور التربوي الاجتماعي والسياسي للنجف في مطلع القرن العشرين ، ١٦٠ .

(٢) من تاريخ إعداد هذا الكتاب ١٤١١هـ/١٩٩١م .
(٣) التكريتي : من مذكرات حردان عبد الغفار التكريتي ، ٥٣ . نُذكّر هنا أن حردان هو أحد أفراد الأسرة التكريتية الحاكمة في العراق منذ عام (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) ، وأحد قادة إنقلاب ذلك العام الذي جاء بهم للسلطة تولى وزارة الدفاع وعضوية مجلس قيادة الثورة في العراق ثم أقبل من جميع مناصبه عام (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م) وعُيّن سفيراً للعراق في الجزائر ، وهناك كتب مذكراته ، أعتيل في الكويت عام (١٣٩١هـ/١٩٧١م) . ولم تعلن السلطات في الكويت أو في العراق عن منفذي عملية الإغتيال ! .

تلك السلطة من ضمن ما قامت به لتحقيق هذا الغرض بـ « إدخال ما يقرب من (١٥٠) مئة وخمسين شاباً بعثياً في صفوف رجال الدين »^(١) .
يُبد أن عراقة التقاليد الحوزوية التي تقضي باستقلالية الطالب الحوزوي عن أية جهة سياسية ، وثقة الأمة بذلك الطالب النابعة من تلك التقاليد ، ما كانت لترتضي وضعاً مشوهاً كهذا ، ووجهاً مسخاً كذاك وهذا ما أكده وأشار إليه أحد رجال السلطة في العراق ، وهو يتحدث في مذكراته عن نتيجة إدخال السلطة لـ (١٥٠) من الشباب البعثي ليكونوا طلاباً في الحوزة العلمية ، إذ يقول : « . . لم يتجاوب الشعب مع الذين زورناهم في رجال الدين ، بل إنهم أخذوا يواجهون التحقير والازدراء من قبَله »^(٢) .

يضيف ذلك السياسي مُدلاً على السبب في عدم نجاح السلطة في ذلك ، ومُدلاً في الوقت نفسه على سبب رفض الأمة لأمثال أولئك الطلاب فيقول : « لأن تكوين الشعب العراقي لا يسمح بنجاح التزوير في رجال الدين ، خاصة الشيعة الذين لا يرتبط رجال دينهم بالدولة إطلاقاً ، لأنهم لا يعيشون على أموال الدولة »^(٣) .

٤ - إستقلالية الأساتذة العلماء :

قبل كل شيء أخال أن لا أحد يختلف معي في أن الإنسان مجبول على حب وتقدير واحترام من يتكفّل له بمعيشته . ودون حديث عن استثناءات ، فإن الصفة العامة هي أن المُستخدَم للقيام بأية وظيفة إنما يراعي قدر جهده رضى وقبول الجهة التي استخدمته ، بالدعاية لها ،

(١) التكريتي : من مذكرات حردان عبد الغفّار التكريتي ، ٥٣ (بتصرّف يسير جداً) . مع الإشارة إلى عدم إقرارنا بتعبير (رجال الدين) للدلالة على علماء الدين ، ولكن حيث وردت في نص مقتبس ؛ لا حيلة أماننا في إثباتها .

(٢) و(٣) : نفسه ، ٥٨ .

وتجميل صورتها حيناً ، والحرص على رضاها وعدم فعل ما يفضيها حيناً آخر ، على تفاوت في المسألة بين هذا وذاك في قوة اندفاعه ، أو حجم تخوفه .

والأستاذ ، أحد مصاديق المستخدمين . وخطورة دوره تكمن في أن مثل هذا الأستاذ - دون قصر الحديث عن الأستاذ الحوزوي - في كل المراحل التعليمية يظل يمثل الموجه الأهم والأخطر لعقول الناشئة ، فهو الباني لمعارفها ، وأفكارها . وتبعيته لجهة ما ، تعني بالضرورة جرّه لمجموعة كبيرة من الطلاب نحو تلك الجهة ، اللهم إلا أولئك النابهين من الذين يستطيعون تمييز الحق من الباطل ، ولا احوال أن عدد هؤلاء يتجاوز أصابع اليد من بين مجموعة عديدها الألف في غير زمان ومكان .

إن رفض الأستاذ في مدارس الدولة لأي توجيهات سياسية وحزبية للسلطة قد يكون سبباً من أسباب حرمانه من وظيفته ، أو سبباً لقطع راتبه الذي قد يكون مورده الوحيد ، وهي مشكلة تواجه أغلب مستخدمي السلطة .

أما الأستاذ في الحوزة العلمية ، فلا يرتبط بأية جهة سياسياً ، أو مالياً ، حيث أن الأستاذ شأنه شأن الطالب يتسلم الحقوق الشرعية من مركز المرجعية الدينية « لا بعنوان الأجر على التدريس ، وإنما باعتباره مُسْتَحَقّاً فيتكفله بيت مال المسلمين »^(١) . كما يتكفّل غيره من المستحقين .

إن هذه الاستقلالية للأستاذ في الحوزة العلمية تعطيه القوة الجوانية لقول الحق من جانب ، والإخلاص للعلم وللشريعة ومبادئها من جانب آخر ، وما يعكسه ذلك بالتالي من تأثير عميق في توجيه الطالب توجيهاً سليماً بعيداً عن توجهات السلطة السياسية وبعيداً عن هيمنتها ، أو

(١) الهادلي : النجف جامعتها ودورها القيادي ، ٤٦ .

تلويحها ببعض العقوبات الإدارية ، أو بسياط الفصل من الوظيفة ، أو قطع الراتب . وغير ذلك من الأساليب الضاغطة باتجاه استقطاب الفكر العام وتوجيهه نحو خدمة السلطة السياسية القائمة . بغض النظر عن مدى موافقة هذا الفكر للمبادئ الإسلامية ، أو مخالفته لها .

وحيث أشرنا إلى خطورة الارتباط الإداري والمالي لمستخدم السلطة ، فإن ما لا يجوز تغافله هو أهمية تكامل استقلالية الأستاذ والمنهج والطالب في الحوزة العلمية . ليشكّل هذا المجموع قوةً ، ودوراً فاعلاً يمثل الوجه الأنصح من معالم الحوزة العلمية - أي حوزة - ، وحوزة النجف موضوع دراستنا هذه بالذات . . .

٥ - إستقلالية المرجعية الدينية العليا :

يظلّ الحديث عن (المرجعية الدينية العليا لدى المسلمين الإمامية الاثني عشرية) مُليحاً طالما كنا نتحدث عن معالم الحوزة العلمية في النجف . إذ أن المرجعية الدينية تشكّل أحد أبرز مقومات الحوزة العلمية وأركانها ، وهي كما مرّت الإشارة بمثابة قِمة الهرم في الكيان الحوزوي .

ومع أننا قد عقدنا لبحث المرجعية الدينية تلك ، الباب الثالث من أبواب هذا الكتاب ؛ فإن ذلك لا يسوّغ لنا الحديث عن استقلاليتها دون الوقوف ولو إجمالاً عند دلالاتها ، فحين نطلق هنا (المرجعية الدينية العليا) فإنما نعني بها ما تعنيه في مصطلح الفقهاء المسلمين من الإمامية الاثني عشرية من أنها : « مركز قيادي أعلى يوجّه الإنسان المسلم في جانب كبير من حياته اليومية والعامة وفقاً لأوامر الله تعالى ونواهيه »^(١) .

إن هذا المركز القيادي يتسنّمه الفقيه المجتهد المُستكمل للشروط المطلوبة ، وبموجب تولّيه هذا المنصب فإن على عامة الناس - ممّن لم يبلغوا مرتبة الاجتهاد - تقليده ، والعمل وفق أحكام الله تعالى التي

(١) شمس الدين : مواقف وتأمّلات في قضايا الفكر والسياسة ، ٦٩ .

يستنبطها المرجع من مصادر التشريع . والتي يمثل : الكتاب الكريم ،
والسنة النبوية المطهرة أهمهما .

وفق هذا الدور المهم الذي يتقمّصه المرجع تتضح لنا مدى خطورة
ارتهان المرجع المُقلِّد بجهة ما ، أو بسلطة ما ، غير جهة الحق ، وغير
سلطة الله وتشريعاته .

وإذا عرفنا أن المرجع « غير مدين بأي شكل من الأشكال لأية جهة
في وصوله إلى مركزه اللهم إلا علمه وتقواه »^(١) ، أدركنا مدى ما يمنحه
ذلك من القوة والقدرة ليكون محور ما يصدر عنه من فتاوى واجتهادات ،
إنما يراد بها بيان كلمة الله ، وحكم الله في أي واقعة .

واستقلالية الفتوى من أهم عناصر نقاء مسيرة الدعوة الإسلامية ،
وبقاءها خالصة بعيدة عن هوى وتوجهات السلطات السياسية المتعاقبة
وتوجهاتها .

... وتمثل استقلالية المرجعية الدينية لدى الإمامية الاثني عشرية
في جانب آخر له أهميته البالغة ، وهو الجانب المادي ، فقد تناقلت
المصادر التاريخية الحديثة موضوع (خيرية أودة Aoudh)^(٢) التي رفضها

(١) البهادلي : كيف وماذا يعني المرجع الأعلى لدى المسلمين الشيعة ؟ جريدة
(السفير) بيروت ع / ٥٨٦٦ ، ٩ شوال ١٤١١هـ / ٢٣ نيسان ١٩٩١ م .

(٢) خيرية أودة تعني : أموال أو هبة أودة ، وأودة هي مقاطعة في الهند ، ووضَّع ملوكها
للإستثمار في قروض حكومية مبلغاً يُقدَّر بثلاثة ملايين ونصف المليون (باون
استرليني) ، ليُصرف على أفراد أسرهم ومتعلقيهم ، وظلَّ نسل هؤلاء يتقاضون
ربح ذلك المبلغ بالنسبة الأصلية بحيث يقبضون في كل سنة شيئاً يزيد على أربعة
عشر (لكاً) من الروبيات (الروبية : عملة هندية ، وواحد (لك) هو ١٠٠ مئة
ألف روبية هندية) . وقد كان البعض من مُستحقِّي هذا الوقف متعودين على
توزيع بعض المبالغ في العتبات المقدّسة ، الموجودة في مكة والمدينة وكربلاد
والنجف . ونظراً لأنَّ قسماً منهم لم يخلف وريثاً ، أو وصية خاصة في هذا
الشأن ؛ فقد ظل ما يستحقونه يُبعث كلّه إلى العتبات المقدّسة .

عدد كبير من مجتهدي الحوزة العلمية في النجف ، وحتى نظرة عامة الناس في النجف إليها - بلحاظ تدخّل البريطانيين بصرفها - نظرة شكّ وعدم ارتياح ، لا إلى هذه المبالغ ومن يتدخل بصرفها فحسب ، بل حتى إلى مستلّمي الوقف»^(١) .

وظل علماء الحوزة بسلوكهم وبحزمهم يؤكّدون استقلالية الفتوى والموقف عن السلطة السياسية ولعلّ القصة التي يذكرها رشيد عالي الكيلاني ، وزير داخلية العراق في أربعينات هذا القرن ما يؤكّد ويدعم رشيد ذلك ، يقول :

« إن الأمير عبد الإله^(٢) حاول رشوة الشيخ حسين كاشف الغطاء^(٣) ، أعظم العلماء الدينيين في العراق بمبلغ (٢٠) ألف جنيه من الذهب ، حتى يعمل على إثارة العشائر والقبائل ضد حكومة الدفاع الوطني ببغداد ، إلا أن الشيخ رفض ذلك بشدة ، وأمر الرسول الذي حمل الذهب إليه أن يحمله بنفسه إلى الكيلاني لإيداعه خزانة الدولة»^(٤) .

(١) ينظر : حرز الدين : معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء ، ١٠٨/٢ .

(٢) هو عبد الإله بن علي وُلد سنة (١٣٣٢هـ/١٩١٣م) أمير عراقي تولّى الوصاية على العرش بعد مصرع الملك غازي سنة (١٣٥٨هـ/١٩٣٩م) . قُتل عد الإله ضمن من قُتل من الأسرة الحاكمة سنة (١٣٧٨هـ/١٩٥٨م) .

(٣) المقصود به الإمام الأكبر الشيخ محمد حسين بن موسى كاشف الغطاء الذي ولد في النجف سنة ١٢٩٤هـ/١٨٧٦م ويُعد من أشهر مشاهير زعماء الدين في العالمين الشرقي والغربي كما يقول صاحب موسوعة شعراء الغري ، ١٠٠ . توفي سنة ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م ودُفن في النجف ترك ما يقارب الـ (٢٥) مؤلفاً مطبوعاً ، وما يقارب الـ (٢٠) مؤلفاً مخطوطاً .

(٤) العلوي : الشيعة والدولة القومية في العراق ، ١٨٣ - ١٨٤ (نقلًا عن) : مجلة آخر ساعة المصرية ، مذكرات رشيد عالي الكيلاني ، ع/١١٦٨ في

وهكذا فالمرجعية مستقلة تماماً في كل ما تخطوه من خطوات ، وفي كل ما تتخذه من مواقف ، وفي كل ما يصدر عنها من فتاوى والمرجع الديني الأعلى في الحوزة العلمية إنما « يتعامل مع الحدث قبل أي شيء على ضوء علاقته بالله والشريعة ، وإن تعارضاً بين القرار السياسي وبين نصّ شرعي صريح - كما حدث في قانون الأحوال الشخصية الذي أصدرته حكومة الثورة - ^(١) سيكون مثيراً حتماً لاهتمام المرجع الديني المستقل عن السلطة ، ولن يؤثر على قرار المرجعية أن تكون الحكومة محايدة أو صديقة للأغلبية الشيعية ، ما دام الأمر يتعلق بصميم الإسلام ، وهذا يكشف عن تراث طويل من تقاليد المرجعية التي تخضع لما هو إسلامي فوق ما هو مذهبي » ^(٢) .

وفي عودة لفتاوى علمائنا الأعلام ، نتبين مدى قوة الفتوى إذا لم تكن مرتبهة بتوجهات الحاكم ، وإذ نودّ الإيجاز نشير إلى اشتراط العدالة في إمام الجمعة والجماعة ^(٣) . ولكن قد يتساءل أحد فيقول وما هو ارتباط

(١) مرّت الإشارة إلى ذلك في ص

(٢) العلوي : م . س ، ٧ . ٢ . والمقصود بالثورة في النصّ المقتبس هي الثورة التي أطاحت بالأسرة الهاشمية المالكة في العراق ، وأُعلنت بعدها الجمهورية العراقية .

(٣) العدالة أحد شروط إمام الجمعة والجماعة وفق المعتقد الإسلامي الإمامي الاثني عشري ، وبالإضافة للعدالة فهناك شروط أخرى هي : العقل ، البلوغ ، طهارة المولد ، الإيمان ، وكذلك الرجولة ، إذ لا تصحّ إمامة المرأة للرجل وتصحّ لمثلها .

على أن السيد الخوئي (رحمه الله) يشدّد في اشتراط العدالة ، فيقول : لا بد من إحرازها ولو بالوثوق الحاصل من أي سبب ، فلا تجوز الصلاة خلف مجهول الحال .

أنظر : الخوئي : منهاج الصالحين (العبادات) ، ٢١٣/١ .
الصدر : الفتاوى الواضحة ، ٥٨٤ .

هذا بحديثك عن استقلالية المرجع الأعلى عن السلطة السياسية ؟ .

نعم يرتبط ذلك بموضوع استقلالية الفتوى التي يصدرها المرجع الأعلى ، فحيث تُشترط العدالة في إمام الجماعة والجماعة مع علم المراجع العظام بأن الحُكَّام في الغالب يقومون بإمامة الناس في الصلاة : «ولازم هذا الشرط أنّ صلاة المؤتمّين بهم باطلة لا يتقبّلها الله مع علمهم بفسق الإمام وجوره»^(١) .

بينما لا نجد العدالة شرطاً من شروط إمام الجماعة لدى المذاهب الإسلامية غير الإمامية^(٢) .

عوداً على بدء ، نقول : إن استقلالية الحوزة العلمية في النجف إنّما تبرز في جانبين رئيسين هما :

أولاً : الجانب الفكري والسياسي .

ثانياً : الجانب المادي .

١ - الجانب الفكري والسياسي :

ما دام المنهج الحوزوي يعتمد الكتاب والسنة كمصدرين أساسيين للتشريع ، فإن ذلك يعني استقلاليته عن كل خط فكري إسلامي ، ويظل القرآن الكريم كتاب الله وسنة رسوله أساس كل تشريع ومحور كل تحرك ، من هنا : «فلم يتعوّد الطالب هناك أن يتطوي في إطار سياسي مهما كان شكل هذا الإطار ، ومهما كانت الظروف السياسية»^(٣) . وإذا ما حصل ذلك ، فإن الطالب سيكون مرفوضاً . لا بقرار يصدر ، وإنما من مجموع العنصر البشري الحوزوي ومن عامة الناس . « ولم يعهد التاريخ

(١) مغنية : الشيعة والحاكمون ، ٢٧ .

(٢) أنظر : موسى : أحكام العبادات ، ١٦٨ .

(٣) الأصفى : مدرسة النجف ، وتطور الحركة الإصلاحية فيها ، ١٤ بتصرف .

منذ أكثر من ألف سنة ، أن يذوب كيان الحوزة العلمية في النجف في كيان سياسي لا إسلامي مهما كان نوع هذا الكيان ، ومهما كانت الملابس الاجتماعية . وظلّت الحوزة العلمية في النجف تحتفظ بشخصيتها الإسلامية الفدّة في خضم الأحداث السياسية التي مرّت على الوطن الإسلامي ، وفيما تجدد من تيارات سياسية عقديّة . ولعلنا نلمس في رسالة النجف تفسيراً لاستقلالها ، فالحوزة النجفية - كغيرها من الحوزات العلمية - ترى أن التشريع الوحيد الذي ينبغي أن تقوم عليه الحياة في كل مجالاتها هو التشريع الإسلامي ، في الوقت الذي ترى أن السياسات القائمة خليط من تشريع إسلامي وغيره ، أو من غيره خالصاً . والأخذ بمتطلباتها فيه شيء من البعد عن الأخذ بالإسلام كدين إلهي « (١) .

وفي استقلالية العنصر البشري في الحوزة العلمية في النجف عن السلطة ، بالإضافة إلى الاستقلالية الفكرية التي يفرضها المعتقد الذي يعتنقه المسلمون الشيعة الإمامية الاثنا عشرية ، الذين قامت الحوزة العلمية بين ظهرانيهم ، في ظل ذلك كله : يُشرق تاريخ ما بعد الإسلام بصفحات ناصعة من صور القوّة التي تمخّضت من تلك الاستقلالية ، فكانت - تلك القوة - تعارض السلطة السياسية الظالمة الجائرة وتحاربها .

٢ - الجانب المادي :

من المعروف أن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ، الذين تشيّع لهم الحوزة العلمية في النجف ، بمراجعتها وعلمائها ، وطلابها . كانوا يتسلّمون ما يصلهم من حقوق شرعية كالخمس والزكاة ممن يدفع من الشيعة الإمامية . وقد نهج مراجع الشيعة وفقهاؤهم نهج أئمتهم ، وكانوا

(١) ن (بتصرف) .

كما كان الأئمة (عليهم السلام) - « ينفقون منها على التعليم »^(١) .

من المفيد أن نشير : أن الشيعة حين يتوجّهون بدفع الحقوق الشرعية لأئمتهم (عليهم السلام) أو مراجعهم إنما يقومون بذلك استشعاراً منهم بالوجوب الشرعي في حصر الدفع في هذا الاتجاه دون اعتراف منهم بشرعية الحاكم . وبالتالي فإن الدّمة لا تبرأ بدفع الحقوق الشرعية من خمس وزكاة إلى السلطة الحاكمة ، فهي وفق المعتقد الإمامي سلطة جائرة غير شرعية .

والموارد المالية لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) ولمراجع الدين ، ومجتهدي الحوزة العلمية لم تكن لتقتصر على ما ذكرنا من خمس وزكاة ، « بل كان عدد من أسلاف الإمامية يوصون بأموالهم كلّها أو بجزء منها للإمام بعد وفاتهم »^(٢) ، وإذا ما أضفنا لكل تلك الموارد : واردات أوقاف المسلمين الإمامية التي تعود إلى الأئمة (عليهم السلام) أو إلى نوابهم من المراجع العظام ، عرفنا أن كل تلك الموارد - والتي لا دخل للسلطة في قبضها أو صرفها - إنما تشكل مورداً مهماً وكبيراً . بل والأهم من ذلك كلّهُ : تشكل مورداً ثابتاً ودائماً . يتيح للمرجعية العليا التي تشكّل رأس الهرم في الكيان الحوزوي . للإنفاق على شؤون الحوزة ، وتأكيد استقلاليتها عن السلطات الحاكمة المتعاقبة ، وما ينتج عن ذلك من استقلالية الفتوى ، واستقلالية الفكر الاجتهادي لدى الإنسان الحوزوي .

ثمّة ما لا يجوز تغافله وهو اعتقاد المسلم الإمامي بعصمة أئمتهم (عليهم السلام) التي تعني ضمناً قيّمة الاستقامة والحكمة في أيّ تصرّف بالإضافة إلى العصمة عن أي خطأ أو سهو أو زلل . ولما كان المرجع الأعلى للمسلمين الشيعة الإمامية يمثل في معتقد أولئك مركز النيابة عن الإمام (عليه السلام) ، وكان اشتراط العدالة فيه ، وهي التي

(١) فيّاض : تاريخ التربية عند الإمامية وأسلافهم من الشيعة ، ٥٩ .

(٢) ن ، ٦٠ .

تعني أن يكون قريباً من الإمام (عليه السلام) في ورعه وزهده وتقواه وأمانته ونزاهته .

لَمَّا كان ذلك : وجدنا أن من شايح الأئمة (عليهم السلام) من قَبْلُ ، ومن قَلَدَ المراجع من بَعْدَ أولئك جميعاً وجدناهم يدفعون حقوقهم الشرعية ، ويوقفون أموالهم ، أو يوصون بتركهم بعضها أو كلها ، إلى الإمام (عليه السلام) ، والمرجع ، بكل ثقة واطمئنان إذ أن مثل تلك الأموال لا يمكن إلا أن تصرف في وجوه الخير والبر . ممَّا يعطي حرية الحركة للإمام أو للمرجع في التصرف بمثل تلك الأموال باستقلالية تامة . لا عن السلطات الحاكمة فحسب ، بل حتى من المتمولين والأثرياء دافعي الحقوق الشرعية .

قد يتصور البعض أن مثل تلك الأموال من الحقوق الشرعية لا يمكن أن تقوم بنفقات الحوزة العلمية بعنصرها البشري الذي قد يتجاوز عشرة آلاف ، وبغير عنصرها البشري من مدارس ومناهج ، وكتب وغيرها .

يُبد أن ذلك التصوّر يتبدّد إذا ما قَدَمنا بعض الأرقام عن واردات الحوزة العلمية في النجف بالذات في بعض فترات هذه الدراسة .

« إن وارداً كوارد المرجع الأعلى في وقته السيد أبي الحسن الأصفهاني^(١) ، كان يبلغ في بعض السنوات ستمائة ألف دينار عراقي^(٢) ، وهو مبلغ ضخم إذا ما قيس إلى تكاليف المعيشة في ذلك »

(١) محمّد بن أحمد بن إدريس الحُلّي ، المتوفى سنة (٥٩٨هـ / ١٢٠١م) ، ذُكر في ترجمته إنه : فاضل فقيه ، ومحقق ماهر نبيه . فخر الأجلّة ، وشيخ فقهاء الحلّة ، صاحب كتاب (السرائر الحاوي بتحرير الفتاوي) و(مختصر تبيان الشيخ الطوسي) .

القَمّي : الكُنَى والألقاب ، ٢١٠/١ .

(٢) بما يعادل مليون وثمانمائة ألف دولار على سعر صرف الدينار العراقي في ذلك الوقت .

الوقت»^(١) .

دون أن ننسى الإشارة إلى آخر شأهاات إيران (محمد رضا بهلوي)^(٢) مَنع على عهد السيد أبي الحسن الأصفهاني إرسال الحقوق الشرعية من إيران إلى النجف تحت طائلة العقوبة بالإعدام^(٣) ، بهدف إضعاف المرجعية وضربها ، إذ لم يعجبه ما كان يقوم به مراجع أَلْفَتْوَى والتقليد في النجف الأشرف في ذلك الوقت من رفض لأسياده المستعمرين ومن نصّبوهم إن في العراق ، أو في إيران .

وفي تعليق له على وارد السيد أبي الحسن الأصفهاني يقول الملك عبد الله بن الحسين^(٤) . ملك الأردن في وقته : « إن وارد السيد المذكور يزيد على وارد بعض الدول »^(٥) .

وحيث أن السلطة السياسية تستشعر خطر استقلالية الحوزة العلمية في النجف عنها ، فإنها حاولت غير مرة الهيمنة والسيطرة عليها ، وذلك بمحاولة إلحاقها بمؤسسات الدولة دون جدوى . وهنا نذكر محاولة السياسي العراقي (صالح جبر)^(٦) الذي كان « يرى أن يربط النجف بمديرية الأوقاف العراقية لتكون كسائر المدارس والمراكز في العراق ، فلم يقتنع السيد أبو الحسن الأصفهاني برأيه ، وبقي يصرّ على ضرورة

- (١) الأصفى : مدرسة النجف وتطور الحركة الإصلاحية فيها ، ١٦ (بتصرف).
- (٢) وُلِد في طهران ١٣٣٨هـ/١٩١٩م . وتوفي في مصر ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م بعد عام من قيام الجمهورية الإسلامية في إيران .
- (٣) أنظر : الكاتب : تجربة الثورة الإسلامية في العراق ، ١٠٣ .
- (٤) وُلِد في مكة سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م أسس المملكة الأردنية الهاشمية سنة ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م ، أُغتيل في مسجد الأقصى سنة ١٣٧١هـ/١٩٥١م من مؤلفاته كتاب مذكراتي .
- (٥) شمس الدين : حديث الجامعة النجفية ، ٥٥ .
- (٦) تولى مناصب حكومية عدّة في حكومة فيصل الملكية . فكان محافظاً لكربلاء ، ووزيراً ، ورئيساً للوزراء .

استقلال النجف في جانبها المادي من حياتها»^(١) . ولم يكن للنجف مورد مالي حكومي من أية حكومة منذ أن أسسها الشيخ الطوسي حتى اليوم^(٢) .

وبقيت الحوزة العلمية في النجف قوية صلبة بوجه كل محاولات الاستتباع التي نجحت إلى حدّ ما مع معاهد البلاد الإسلامية ومدارسها كالأزهر والقيروان ، والزيتونة وفاس . حيث أنها بارتباطها وعدم استقلاليتها وضعت هي نفسها بيد أعدائها السيف الذي دُبِحت به .

وتلك القوة التي لازمت الحوزة العلمية بسبب استقلاليتها وجعلتها « منطلقاً لكل الحركات الإصلاحية والتجديدية والتغييرية التي دخلت الأمة في بعض إرهاباتها عبر التاريخ كحركة (ابن إدريس) في الجزائر . وحركة (ابن باجة) في المغرب ، وغيرهما من علمائنا العظام الذين حاربوا الظلم وحافظوا على مقدسات الإنسان المسلم ، وفي مقدمتها الشريعة .. »^(٣) .

هذا إذا ما حافظت الحوزة العلمية على أصالتها وانتهجت خطأً مستقلاً لا يقيم لغير سلطة الله أي حساب . أما إذا ارتهنت لجهة ما ، أو خضعت لذلك الحاكم الظالم فإنّها دون شك لا بوقاً للحاكم وأداة طيعة يسيرها وفق هواه فقط ، وإنما تصبح مصدر خطر وبلاء على الأمة ، ومشروع انحراف ، لاسيما وأن الفتوى تصدر من الحوزة العلمية نفسها . وهنا مكنم الخطر على الشريعة الإسلامية نفسها ، من تبعيّة الحوزة لحاكم جائر ، أو لأيّ جهة غير إسلامية .

* * *

(١) الأصفى : مدرسة النجف وتطور الحركة الإصلاحية فيها ، ١٦ .

(٢) أنظر الفضلي : دليل النجف الأشرف ، ٧٥ .

(٣) شمس الدين : دور الحوزات العلمية في عملية التغيير ، م . س .

الفصل الثالث:

الاجتهاد ودوره في ازدهار الحركة الفكرية في الحوزة العامة بالنجف .

عناوين كثيرة ، وأسئلة كبيرة تنتصب أمامنا حين نريد التحدث عن الاجتهاد ، فما هي يا ترى حقيقة الاجتهاد ؟ ، ثم متى بدأ الاجتهاد ؟ ، وهل حقاً ما يُشاع عن فريق أغلق باب الاجتهاد ؟ ، أم أنه لم يكن سوى ذلك الجمود الذي ران على عقول المسلمين عبر حقبة طويلة مريرة من التاريخ ؟ وغير مثل تلك العناوين والأسئلة .

لذا وقبل كل شيء علينا تحديد محاور البحث التي سنأتي عليها ضمن هذا الفصل ، وهي :

١- معنى الاجتهاد وحقيقته .

٢- متى بدأ الاجتهاد ؟ .

٣- الاجتهاد لدى الإمامية الاثني عشرية .

٤- دور الاجتهاد في ازدهار الحوزة العلمية .

سنتناول تلك النقاط الأربع ، بالقدر الذي تسمح به حدود هذا الفصل وللوقوف بالتالي على مدى مساهمة الاجتهاد في إغناء الحركة الفكرية لدى الشيعة الإمامية الاثني عشرية . لنخلص إلى إبراز أحد معالم الحوزة العلمية في النجف وهو (الاجتهاد) .

١- معنى الاجتهاد وحققيقته

أ- في اللغة :

يكاد يجمع اللغويون على أن الاجتهاد مأخوذ من الجُهد . وبذل الوسع . إذ يقال اجْتَهَدَ في الأمر : جَدَّ وبذل وسعه ، وَجَهَدَ يَجْهَدُ : جَدَّ وَتَعَبَ وَجَهَدَ نفسه ، وَأَجْهَدَهَا حَمَلَهَا فوق طاقتها^(١) .

ومن هنا فحين يقال اجتهد التلميذ في دروسه ، فُهِمَ من هذا القول إنه بذل ما يستطيع من وسع في فُهِمَ ومذاكرة دروسه . وهكذا إذا قلنا عن مزارع إنه اجتهد في علاقته بالأرض التي يزرعها . فُهِمَ من ذلك : أنه بذل ما يملك من طاقة في حرث الأرض ، وسقايتها وزراعتها ، وبالتالي جَنَى محاصيلها .

والجُهد والوسع والطاقة المشار إليهما أعلاه ، قد تكون ذهنية ، وقد تكون جسدية . فُجُهد الطالب في دروسه ذهنيًا . بخلاف جهْد الفلاح في أرضه فهو إلى الجسد أقرب منه إلى الذهن .

ثم إن الاجتهاد لا يكون إلا في الأشياء التي لها ثِقَل ، فيقال : اجتهد المزارع في حصاد حقله ، وقطف ثماره ، وجمَع غَلْتَه . في حين لا يُقال : اجتهد العاشق في قطف زهرة مثلاً ، إذا ما قطفها ليقدمها لمن يحب تعبيراً عما يختلج في مكنونه لمحبوته من هوى وغرام .

* * *

(١) ابن منظور : لسان العرب ، ١٣٤/٣ ، مادة (جهد) .

الفيروزي آبادي : القاموس المحيط ، ٢٩٦/١ ، مادة (جهد) .

وجدي : دائرة معارف القرن العشرين ، ١٩٧/٣ .

ب - في القرآن الكريم :

بتَّبَع آيات القرآن الكريم ، لم نَعثر على آية وردت فيها كلمة (الاجتهاد) ، بتركبتها هذه ، نعم : وردت آيات قرآنية كريمة جاء فيها (الجهد) كقوله تعالى : وهو يتحدّث عن المنافقين :

﴿ الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم ﴾^(١) . وفُسر الجُهد في هذه الآية بالطاقة^(٢) .

وفي آية أخرى وردت كلمة (الجُهد) أيضاً ، وذلك في قوله تقدّست أسماؤه : ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ﴾^(٣) ، بمعنى أنهم اجتهدوا في اليمين^(٤) .

وإذ عرضنا لورود لفظ (الجُهد) في آيات القرآن الكريم ، « فقد وردت في مواضع عديدة مادة (الجهاد) : جاهَدَ ، ويُجاهدون ، وجاهدوا .. والمعنى في الكلمتين : اجتهد ، وجاهد أصله واحد وهو بذل الوسع والطاقة ، هذا في ميدان الفكر ، وذلك في ميدان الحرب »^(٥) .

في ضوء ما تقدم من حديث عن المعنى اللغوي للاجتهاد ، وما عرضنا له من ورود بعض المعاني المشتقة من مادة (جهد) ممّا ورد في

(١) التوبة/ ٧٩ .

(٢) شُبر : تفسير القرآن الكريم ، ٢٠٩ .

(٣) الأنعام/ ١٠٩ . وقد تكررت كلمة (جهد) الواردة في هذه الآية ، وبالمعنى نفسه في سورة النحل/ ٣٨ ، والنور/ ٥٣ ، وفاطر/ ٤٢ .

(٤) شُبر : م . س ، ١٦٢ .

(٥) النمر : الإجتهد ، ٢٨ (الهامش) .

بعض آيات القرآن الكريم ، يمكننا القول : إن مادة الاجتهاد حيثما وردت في القرآن الكريم ، لم تكن لتختلف عما تدلّ عليه بمعناها اللغوي الذي عَرَضْنَا له من قبل . وهو الجُهد ، وبذل الوِسع .

ج - في السُّنة النبوية الشريفة :

وردت كلمة الاجتهاد في السُّنة النبوية الشريفة لا بتركيبها هذه ، وإنما في هيئة أخرى ، لكنها من المادة نفسها التي اشتقت منها كلمة الاجتهاد . أعني مادة (جهد) إذ ذُكِرَتْ في مجموعة أحاديث شريفة نقتطف منها ما ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : -

١ - حديث ابن عقبة :

« قال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لعقبة بن عامر ، ولرجل من الصحابة : إجتهدا فإن أصبْتُمَا فلكما عشر حسنات ، وإن أخطأتما فلكما حسنة »^(١) .

٢ - حديث ابن العاص :

« قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعمر بن العاص : أحكُم في بعض القضايا ، فقال : أجتهد وأنت حاضر؟ فقال : نعم إن أصبْتَ فلك أجران ، وإن أخطأت فلك أجر »^(٢) .

٣ - حديث معاذ :

« عن معاذ بن جبل : إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سأله إذ بعثه إلى اليمن بماذا تقضي؟ قال : أقضي بما في كتاب الله . قال : فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال : فبسنة رسول الله . قال : فإن لم

(١) الغزالي : المستصفى من علم الأصول ١٠٤/٢ .

(٢) ن .

تجدد في سنة رسول الله ؟ قال أجتهد رأيي ولا آلو^(١) . قال : الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضي رسول الله^(٢) .

يعقّب ابن منظور على ما نقلناه من حديث معاذ بن جبل ، فيقول : « وفي حديث معاذ (اجتهد رأيي) : الاجتهاد بذل الوسع في طلب

(١) لا آلو : بمعنى لا أقصر أو أبطيء ، ولعلّ المعنى يتضح إذا ما وضعنا هذه الكلمة مقابل المعنى اللغوي للاجتهاد ، وبعبارة أخرى : فإن معنى (اجتهد) يستبطن عدم التقصير أو الإبطاء .

(٢) رواه أبو داود الترمذي : أنظر : ابن حزم : المحلّى ، ٦٢/١ .
عن حديث معاذ بن جبل يقول ابن حزم في المحلّى ج/١ ، ص ٦٢ .
« حديث معاذ الذي فيه (اجتهد رأيي ولا آلو لا يصحّ لأنه لم يروه أحد إلا الحارث بن عمرو وهو مجهول . لا ندري من هو عن رجال من أهل حمص لم يسهم عن معاذ » . وفي الهامش شرحاً لذلك ورد في المحلّى :
« حديث معاذ رواه أبو داود الترمذي : وقال « لا نعرفه إلا من هذا الوجه وليس إسناده عندي بمتصل » وأحال كاتب الهامش إلى :

شرح أبي داود ج ٣ ، ص ٣٣ .
وجامع بيان العلم لابن عبد البر النمري ج/٢ ص ٥٥ .

وقد تابع المحقق السيد محمد تقي الحكيم سند حديث معاذ وتوصل إلى أنه لم يصح عن النبي (صلى الله عليه وآله) بطريق معتبر ، ونقل ما ورد في كتاب (عون المعبود) من « أن هذا الحديث أورده الجوزقاني في الموضوعات ، وقال هذا حديث باطل رواه جماعة عن شعبة وقد تصفحت هذا الحديث في أسانيد الصغار والكبار ، وسألت من لقيته من أهل العلم بالنقل عنه ، فلم أجد له طريقاً غير هذا ، والحارث بن عمرو ابن أخي المغيرة بن شعبة مجهول ، وأصحاب معاذ من أهل حمص لا يعرفون ، ومثل هذا الإسناد لا يعتمد عليه في أصل الشريعة . فإن قيل : إن الفقهاء قاطبة أورده واعتمدوا عليه ، قيل هذا طريقه ، والخنف قلد فيه السلف فإن يظهرها طريقاً غير هذا مما يثبت عند أهل النقل رجعتنا إلى قولهم وهذا مما لا يمكنهم البتة » .

أنظر : الحكيم : الأصول العامة للفقه المقارن ، ٣٣٩ . (نقلاً عن) هامش الأحكام السلطانية ، ٤٦ .

الأمر ، وهو : افتعال من الجهد والطاقة «^(١) .

ولم تكن الأحاديث أعلاه لتختلف في معناها وسياقها اللغوي عن المعنى اللغوي العام لمادة (جهد) . ومن ذلك نستخلص : أن المشتقات من مادة (جهد) التي وردت في بعض الأحاديث الشريفة ، إنما يراد بها المعنى اللغوي للكلمة ، وهو بذل الوسع والطاقة ، ومن هنا فإن كلمة (الاجتهاد) لم تخرج في عهد رسول الله عما هي عليه في دلالتها اللغوية .

د - الاجتهاد في عصر الصحابة والتابعين :

حتى نتبين معنى الاجتهاد ومدلوله في عصر الصحابة والتابعين ، فإننا نورد ثلاثة أحاديث ، ثم ننظر معناها ، حيث يعكس ذلك ما كانت كلمة الاجتهاد تعنيه في عصور من أوردنا عنهم الأحاديث .

١ - ما جاء في رسائل الخليفة عمر بن الخطاب أكثر من مرة ، وأبرزها ما ورد في رسالته إلى شريح القاضي حيث قال : « فإن أتاك ما ليس في كتاب الله ، ولا بسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يتكلم فيه أحد ، فإن شئت أن تجتهد رأيك فتقدم ، وإن شئت أن تتأخر فتأخر »^(٢) .

٢ - ما ورد في سؤال الصحابية أم حارثة من شأن ابنها حارثة عن رسول الله : « إن كان في الجنة صبرت ، وإن كان غير ذلك اجتهدت في البكاء »^(٣) .

٣ - ما ورد في حديث طلحة عن رجلين على عهد رسول الله :

(١) ابن منظور : لسان العرب ، ١٣٤/٣ .

(٢) ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين ، ٦١/١ - ٦٢ .

(٣) صحيح البخاري كتاب الجهاد ، ٩٣/٢ . ومسند أحمد ، ٢٦٠/٣ و ٢٨٣ .

والعسكري : معالم المدرستين ٢٣/٢ .

« كان أحدهما أشدَّ اجتهاداً من الآخر ، فغزا المجتهد منهما فاستشهد »^(١) .

من جملة ما نقلناه من أحاديث سريعة عن عصر الصحابة ثم التابعين ، نجد أن الكلمة لم تخرج عن معناها اللغوي وهو : بذل الوسع والطاقة . تماماً كما هو معناها حيث وردت في سياق بعض آيات القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

هـ - تطوُّر مدلول كلمة الاجتهاد :

لعل عصر تكوين المذاهب الإسلامية الأربعة المعروفة ، يعتبر نقطة البدء في تطوُّر كلمة الاجتهاد من مؤدَّاها اللغوي الذي أوضحناه فيما سبق إلى معناها الفقهي ، ومن ثم ليتطوَّر ذلك المصطلح رويداً رويداً حتى يصل إلى ما وصل إليه اليوم .

إن حدود معالجة موضوع الاجتهاد هنا لا تسمح في التوسع في الوقوف عند كل مرحلة من مراحل تطور ذلك المصطلح ، إذ أن مثل تلك المحطات وما يتطلبه الوقوف عندها من فسحة في الصفحات والزمان أتمناها قريبة ، ولأن التوسع هنا بالذات يخرجنا عن صلب موضوعنا الذي نهدف منه إبراز دور الاجتهاد في حدود مساهمته بازدهار الحركة الفكرية في الحوزة العلمية في النجف ، وبَدَهي أن مثل ذلك التوسع لا ترتضيه هنا الأعراف المتبعة في ما يرتبط بمنهجية البحوث الجامعية .

إلا أن ذلك كله لا يمنع من عرض سريع لمعاني الاجتهاد ، ومن ثم لتعريفات الأصوليين حوله . ولعل أدق من تناول تطوُّر مصطلح الاجتهاد - في حدود ما وقفت عليه من مصادر - هو العلامة أبو بكر الرازي الذي يحصر المداليل التي وصل إليها هذا المصطلح في ثلاثة معان :

(١) سنن ابن ماجه (كتاب الرؤيا) ، ٣٩٢٥ ، ومسند أحمد ١ / ١٦٣ ، ٢ / ٣٢٣ .

أحدهما : القياس الشرعي .

ثانيهما : ما يغلب في الظن من غير علة .

ثالثهما : الاستدلال بالأصول^(١) .

والاستدلال بالأصول هو الاجتهاد الذي جعله الفقهاء والأصوليون قطب الرحى في تعريفاتهم ، المختلفة مبني ، المتفقه معنى . سواء منهم أولئك العلماء القدامى أم المحدثين الذين تناولوا تعريف الاجتهاد .

وبتعبير أكثر إيجازاً وأوضح دلالة : إن الاستدلال بالأصول هو الاجتهاد بمفهومه الفقهي العام . وهو ما سنعرضه لاحقاً .

و - الاجتهاد في اصطلاح الفقهاء والأصوليين :

للاجتهاد في اصطلاح الفقهاء والأصوليين تعريفات كثيرة ، نختار من ضمن ما اطلعنا عليه منها ما هو أوسعها شمولاً وأقرب إلى الفن الأصولي :

١- تعريف العلامة الحلبي :^(٢)

إن الاجتهاد « إستفراغ الوسع في تحصيل الظن بالحكم الشرعي »^(٣) ، وفي تعريف آخر للعلامة لا يختلف عن هذا معنى ، هو أن الاجتهاد « إستفراغ الوسع في النظر في ما هو من المسائل الظنية الشرعية على وجه لا زيادة فيه »^(٤) وقد شارك العلامة في هذا التعريف

(١) الشوكاني : إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول ، ٢٥ (باختصار شديد) .

(٢) هو : الحسن بن يوسف بن المُطَهَّر الحلبي ، يُعْرَف بالعلامة . وُلِد سنة ١٢٥٠هـ / ١٢٥٠م وتوفي سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م ودُفِن في النجف .

(٣) الحلبي : تهذيب الأحكام ، ١٠٠ .

(٤) الحلبي : مبادئ الوصول إلى علم الأصول ، ٢٤٠ .

الشوكاني^(١) ويبدو أن العلامة اقتبس التعريف مما أورده الأمدى^(٢) عن الاجتهاد . لا كما يوحيه قول أستاذنا المحقق السيد الحكيم : بأن الأمدى هو الذي شارك العلامة الحلي في التعريف^(٣) إذ أن الأمدى توفي قبل ولادة العلامة بنحو (١٧) سبع عشرة سنة^(٤) .

٢- تعريف الإمام الغزالي :

إن الاجتهاد « بذل المجتهد وسعه في طلب العلم بأحكام الشريعة »^(٥) وقد شارك ابن قدامة المقدسي^(٦) . الغزالي في تعريفه هذا .

٣- تعريف الشيخ البهائي :

« الاجتهاد ملكة يُقَدَّرُ بها على استنباط الحكم الشرعي الفرعي من الأصل فعلاً أو قوةً قريبة »^(٧) .

هذه إضمامة من تعريف الاجتهاد باصطلاح بعض العلماء القدامى . ولكن بماذا عرّف علماء هذا القرن - الرابع عشر

(١) الشوكاني : إرشاد الفحول هلى تحقيق علم الأصول ، ٢٥٠ علماً بأن الشوكاني توفي سنة ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م .

(٢) الأمدى : هو سيف الدين أبو الحسن علي التغليبي ، توفي في دمشق سنة (١٢٣٣هـ/١٦٣١م) .

(٣) الحكيم : الأصول العامة للفقهاء المقارن ، ٥٦١ وتابع الحكيم في هذا الوهم محمد بحر العلوم في كتابه : الاجتهاد أصوله وأحكامه ، ٣٤ (الهامش) . ثم جاء الشيخ محمد مهدي شمس الدين ليقع في الوهم نفسه .

أنظر : مجلة الإجهاد ع/٩ س/٣ خريف ١٤١١هـ/١٩٩٠م .

(٤) أنظر هامش رقم (١) ورقم (٥) من هذه الصفحة .

(٥) الغزالي : المستصفى من علم الأصول ، ١٠١/٢ .

(٦) المتوفى بدمشق سنة ٦٨٢هـ/١٢٨٣م .

(٧) بحر العلوم : م . س (نقلاً عن) : ص ١١٥ ، زبدة الأصول للشيخ بهاء الدين

العالمي ، المتوفى سنة ١٠٣١هـ/١٦٢١م .

الهجري / العشرين الميلادي - الاجتهاد ؟ .

١- تعريف زعيم الحوزة العلمية في النجف ، المرجع الأعلى للمسلمين الإمامية الاثني عشرية الإمام أبي القاسم الموسوي الخوئي (قدس الله روحه) .

يعرّف سماحته الاجتهاد « بأنه بذل الوسع لتحصيل الحجة على الواقع ، أو على الوظيفة الفعلية الظاهرية »^(١) .

٢- تعريف الدكتور أحمد مصطفى الزرقاء .

إن الاجتهاد « عملية استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية في الشريعة »^(٢) .

٣- تعريف السيد محمد تقي الحكيم :

« ملكة تحصيل الحجج على الأحكام الشرعية ، أو الوظائف العملية ، شرعية أو عقلية »^(٣) .

وهذا التعريف - كما يقول السيد الحكيم - « مُتَّزِعٌ مما تبنته مدرسة النجف الحديثة في علم الأصول »^(٤) .

ولا نريد أن ندخل في معمعة مناقشة التعريفات التي عرضناها ، أو غيرها ، فلذلك مجال غير هذا البحث الذي يهّمه من الاجتهاد وتعريفه إلقاء الضوء على مساهمته في ازدهار ونموّ الحركة الفكرية في (الحوزة العلمية في النجف) - موضوع هذا الكتاب - رغم عدم رغبتنا تلك ، فإن

(١) عرفانيان : الرأي السديد في الاجتهاد والتقليد ، ٩ ، تقارير الإمام الخوئي .

(٢) الحكيم : الأصول العامة للفقهاء المقارن ، ٥٦٣ (نقلاً عن) مجلة حضارة الإسلام ع/٢ ، ج/١ ص (٧) دون الإشارة إلى كتاب ، أو عنوان الموضوع . ودون إشارة لتاريخ صدور عدد المجلة .

(٣) الحكيم : م . ن ، ٥٦٣ .

(٤) ن .

ما يمكن أن نخرج به من بعد عرض كل ما تقدم من حديث عن معنى الاجتهاد هو : أن الاجتهاد بمعناه اللغوي : بذل الجُهد والمشقة . وقد ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بالمعنى اللغوي نفسه ، ثم ليتطور معنى الاجتهاد في عصر تكوين المذاهب الإسلامية ، ليعني القياس الشرعي أو الاستدلال بالأصول - بحسب تعبير الرازي - وبالتالي ليستقر على تعبير يمكن أن يكون قريباً للكثير من التعاريف التي قدّمها علماء الفقه وأصول الفقه وهو :

إن الاجتهاد ملكة استنباط الأحكام الشرعية الفرعية الكلية ، أو الوظائف العملية من مصادرها .

٢- متى بدأ الاجتهاد ؟

لا شكّ لدى المسلمين الشيعة ، كما لدى غيرهم من المسلمين ، بأن ما من واقعة إلاّ والله فيها حكم . قد يختلف هذا الحكم عن غيره من حيث الحرمة والإباحة ، أو الكراهة أو الاستحباب . وقد بيّن (صلى الله عليه وآله وسلم) بعض تلك الأحكام للناس فيما بقيت أحكام كثيرة لم تحصل الدواعي لبيانها ، أو لعدم الابتلاء بها في عصر النبوة ، أو لعدم اقتضاء المصلحة لنشرها^(١) .

« إن صحابة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قد يختلفون في فهم معاني الكتاب الكريم أو أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، نظراً لاختلاف أفهامهم وقرائحهم ، أو أن الصحابيّ قد يسمع من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تغاير الحكمين ، غفل أحدهما عن الخصوصية ، أو التفت إليها ، وغفل عن نقلها مع الحديث فيحصل التعارض في الأحاديث ظاهرياً ولا تنافي واقعاً »^(٢) .

من هنا : كان احتياج السلمين - وحتى الصحابة - إلى الاجتهاد في

(١) للتوسع في هذه النقطة أنظر :

كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها ، ٧٧ .

(٢) ن .

فهم الآيات الكريمة ، والنظر في الحديث الشريف . ومن هنا أيضاً يتضح أن « الاجتهاد في الكتاب والسنة وجد منذ بداية التشريع ، لأن الاستفادة من النصوص التشريعية مما يتوقف عليها عمل المسلم عادة »^(١) .

بيد أن اجتهاد الصحابة لم يكن صعباً وعسيراً ، إذ « ظلّ الصحابة من بعد الرسول والتابعون من بعدهم يستقون مسائل الشريعة من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية »^(٢) ، وإذ « تكثرت الآراء واختلطت الأعراب بالأعاجم وتغيّر اللحن ، وصعب الفهم للكلام العربي على معناه ، وتكثرت الأحاديث والروايات ، وربما دخل الدس والوضع وتوافرت دواعي الكذب على النبي »^(٣) ، أصبح أمر الاجتهاد عسيراً ، ولا يتم دون جهد ودون الوسع وبذل الطاقة ، خلافاً لما كان عليه في عصر صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

من هنا فإن صدق كلمة الاجتهاد على العمليات الاستنباطية التي كانت لدى الصحابة ، لا يخلو من تسامح ، إذ لا جهد في استنباطهم الأحكام ، وصدورهم عن مثل هذا الاستنباط أقرب إلى الصدور التلقائي ، لأن القرآن والسنة وردا بلغتهم الخاصة .

وبالإضافة لما ذكرنا من عوامل كثرة الروايات ، واحتمال دخول بعض الدس أو التحريف فيها ، فإننا نذكر باستقطاب الملوك والحكام لمجموعة محدّثين ورواة ، مع ما نعرف من حرص الحاكم على إضفاء الشرعية على وجوده ، بل على ظلمه وجوره ، لا سيما في مجتمع تشكك

(١) بحر العلوم : الإجهاد أصوله وأحكامه ، ٣٩ .

(٢) التبريزي : الإجهاد عند الشيعة الإمامية حتى عصر السيد الخوئي مجلة الموسم (الهند ع/٦ مج/٢ /١٤١٠هـ/١٩٩٠) والبحث مستل من كتاب (التنقيح في شرح العروة الوثقى)

(٣) كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها ، ٧٧ .

فيه مجموعة كبيرة من أبناء الأمة يمثل تلك الشرعية .

... ودون التوسّع وملاحقة بدايات هذا الخلل ، والداء في جسم الأمة الإسلامية نضع أيدينا على ما أورده الشيخ أبوزهرة من أن «هوى أهل الدنيا قائماً في العصر الأموي ، فإن من حكام الأمويين من كانوا يقربون إليهم من ليس للدين مقام في قلبه ، ولا يمتنع عن الكذب لأجلهم ، ولا يكون حاجزاً لمن يبيع آخرته لدينيه ولدنياهم»^(١). ولولم يجد الأمويون من يضع الأحاديث ويكذب على الرسول فيضفي على حكمهم وانحرافهم الشرعية لما « صار الحكم في أيامهم ملكاً عضوضاً ، ولما صارت الخلافة في زمنهم إرثية بعد أن كانت شوروية »^(٢) .

هل كان الرسول (ص) مجتهداً ؟

في مجال الإجابة عن تساؤل كهذا يقرر العلامة الحلبي في كتابه (مبادئ الوصول إلى علم الأصول)^(٣) أنه « لا يصح الاجتهاد في حق النبي لقوله تعالى ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾^(٤) . ولأن الاجتهاد إنما يفيد الظن وهو (عليه السلام) قادر على تلقيه من الوحي . وأنه كان يتوقف في كثير من الأحكام حتى يرد الوحي^(٥) ، ولو ساغ له الاجتهاد لصار إليه ، لأنه أكثر ثواباً ولأنه لو جاز له لجاز لجبرائيل (عليه السلام)^(٦) . وذلك يسد باب الجزم بأن الشرع الذي جاء به محمد (عليه السلام) من

(١) أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية ، ٢٦٨/٢ .

(٢) التبريزي : م . س .

(٣) صفحة ، ٢٤٠ - ٢٤١ .

(٤) النجم/٤ ، والآية التي تليها قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ .

(٥) كما في مسألة الظهار واللعان . هامش محقق الكتاب عبد الحسين البقال ، عن : غاية البادي . ٣٨ .

(٦) بجامع كونهما مبلغين ، لكنه لم يجز ، إذ لو جاز لم يحصل لنا العلم بأن هذا الشرع من عند الله ، لجواز أن يكون من إجتهاده أنظر هامش ص ٢٤٠ ، عن غاية البادي ، ٢٣٨ .

الله تعالى . ولأن الاجتهاد قد يخطئ ، وقد يصيب ، فلا يجوز تعبده (عليه السلام) به ، لأنه يرفع الثقة بقوله .

وإذا كان نفي الاجتهاد عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هو رأي المسلمين من علماء الإمامية الاثني عشرية ، فإننا نجد : أن هناك من يرى أن للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعض الاجتهادات ، لكن « اجتهاد الرسول كان محدوداً لم يتجاوز الحقوق والواجبات ولم يخرج عن المسائل الحربية وقضايا الأفراد »^(١) ، فضلاً عن أن مثل تلك الاجتهادات المحدودة « لم يكن الله تعالى ليقرّه عليها دائماً ، وإنما كان سبحانه ينزل عليه قرآناً بتصويبها إذا كانت غير صائبة »^(٢) .

فالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وفق المذاهب الإسلامية - باستثناء الشيعة - « كان يجتهد فإن كان خطأ لا يقره الله تعالى ما دام يبين أصلاً شرعياً ، بل يبين له سبحانه وتعالى الحق فيه ، فخطأ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يمكن أن يترك من غير تصويب إذا كان يتعلق بمبدأ شرعي »^(٣) وإن ما يصدر عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) من هذه الأحكام هو تشريع للمسلمين وقانون واجب عليهم أن يتبعوه^(٤) .

وقد جَوَّز أبو زهرة خطأ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في غير تقرير المبادئ والأحكام الشرعية وأدعى أن النبي قرر أنه يخطئ في شؤون الدنيا ، وقد يخطئ في غير المبادئ^(٥) .

(١) الرافي : إسلامنا في التوفيق بين السنة والشيعة ، ١٠٦ .

(٢) ن . ١٠٧ .

(٣) أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية ، ٢٣٧/٢ - ٢٣٨ .

وخلّاف : خلاصة التشريع الإسلامي ، ١٧ . (والنص الأول) .

(٤) خلّاف : م . س ، ١١ .

(٥) أبو زهرة : م . س ، ٢٣٨/٢ .

ومثل تلك الأقوال عن خطأ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لا تقرّها اعتقادات المسلمين الإمامية ، إذ يجعلون العصمة^(١) ملازمة لكل ما يقع منه من فعل أو قول إذ « لو جاز أن يفعل النبي المعصية ، أو يخطيء وينسى ، وصدر منه شيء من هذا القبيل فيما أن يجب اتباعه في فعله الصادر منه عصيانياً أو خطأً أو لا يجب . فإن وجب اتباعه ، فقد جوزنا فعل المعاصي برخصة من الله تعالى ، بل أوجبنا ذلك . . . وهذا باطل بضرورة الدين والعقل . وإن لم يجب اتباعه فذلك ينافي النبوة التي لا بد أن تقتصر بوجوب الطاعة أبداً »^(٢) . . .

وفي عودة لمصطلح الاجتهاد واقتراحه بشخص الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يذكر ابن أبي الحديد في مقام الاعتذار عن تخلف الخليفين أبي بكر وعمر عن جيش أسامة ، فيقول :

« إن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يبعث السرايا عن اجتهاد لا عن وحي يحرم مخالفته »^(٣) . وهنا لا بد من الإشارة إلى أن كل المواضيع التي استعملت فيها كلمة الاجتهاد المقتزنة بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، لم تكن بالمعنى الذي عرفه الأصوليون لاحقاً وهو (بذل الجهد في استباط الحكم الشرعي الفرعي من أدلته التفصيلية) ، وإنما كان المقصود من استعمال الكلمة هو (التفكير الشخصي) ، كما يعبرُ السيد الصدر^(٤) ، أو كما يسميه غيره (العمل بالرأي) وهذا يعني أنه في الحالات التي لم يتعيّن فيها التكليف

(١) يعرف علماء الإمامية العصمة بأنها : التّره عن الذنوب والمعاصي ، صفاتها وكبارها ، وعن الخطأ والنسيان . أنظر : المظفر : عقائد الإمامية ، ٨٩ .
(٢) المظفر : م . ن . وكاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها ، ٦٣ (والنص الأول) .

(٣) العسكري : معالم المدرستين : ٧٧/٢ .

(٤) الصدر : المعالم الجديدة في الأصول ، ٢٤ .

الإلهي أو أنه متعَيّن ولكنه غامض ، يرجع المرء إلى العقل والذوق ، فما كان أقرب إلى الذوق والعقل والعدل وأشبه بالتعاليم الإسلامية يحكم به^(١) .

وصفوة القول في موضوع اجتهاد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أن الشيعة الإمامية لا يرون الرسول مجتهداً وإنما هو وحي يوحى . بينما يرى غيرهم جواز اجتهاده . بل جواز خطئه في اجتهاده ، ومن ثم مخالفة أمره وقوله ، إذا ما فسّر بأنه صادر عن اجتهاد كما في تخلف أبي بكر وعمر عن جيش أسامة بن زيد ، بعد أمر الرسول لهما بالالتحاق به .

٢ - الاجتهاد في عهد الصحابة :

... وإذ جاء عصر التابعين ، كان طبيعياً أن يواصلوا ممارسة الاجتهاد ، ومع ما شهد ذلك العهد وقبله من فتوحات ، وما نتج عنها من مسائل مستجدة ، كان طبيعياً أن يزداد عدد العلماء فينتشرون في البلاد المفتوحة . مما يعني - بالضرورة - ازدياد الحاجة إلى مزاولة الاجتهاد . وعلى الإجمال : فقد كانت القرون الثلاثة الأولى للهجرة النبوية الشريفة على إجمالها « قروناً عملاقة في علوم الشريعة وغيرها ، وقامت المدارس الفكرية والفقهية في المدينة ومكة والكوفة والبصرة وبغداد ، ودمشق والشمال الأفريقي والأندلس »^(٢) .

ولنمّو الفقه الإسلامي ، ونشاط حركة الاجتهاد في هذا العهد أسباب يمكن أن يكون من أهمّها :

(١) أنظر : الصدر : م . ن ، ٢٤ . مطهري : مبدأ الإجهاد في الإسلام ، ١٦ .
الأصفي : الإجهاد والتقليد وشؤون الفقيه ، ١٧ .
الأصفي : تمهيد لكتاب الرأي السديد في الإجهاد والتقليد ، لعرفانين ص ٤ - .

(٢) النمر : الإجهاد ، ١٤٦ .

١ - اتساع رقعة الدولة الإسلامية ، وضرورة وجود فتاوى يرجع إليها أفرادها .

٢ - توفر المصادر التشريعية في ذلك العهد ، لتدوين القرآن أولاً ، وتدوين أكثر السنة ثانياً ، ووجود الكثير من فتاوى الصحابة والتابعين .

٣ - نبوغ مجموعة كبيرة من العلماء في ذلك العهد^(١) .

.. وما إن كان العصر العباسي الثاني^(٢) يمضي ، حتى نرى ظهور المصنفات والمدونات الفقهية قد أصبح أمراً مألوفاً ، وبحيث « ظهر المجتهدون من فقهاء الإسلام ليكونوا لهم مذاهب نسبت إليهم ، غير أنها لم تستمر تجاه المذاهب الأربعة^(٣) التي حُصر التقليد والاتباع لها ، قضية سنعرض لها لاحقاً بشيء من التفصيل .

على أن علماء المذاهب الأربعة أولئك « لم يكونوا الذروة ، أو في الذروة وحدهم ، بل كان معهم الكثيرون من أمثالهم ، ومن يقاربههم ، ولكن الظروف والعوامل فعلت فعلها معهم »^(٤) .

وإذا كانت الحركة الفكرية قد جمدت منذ القرن الرابع الهجري بسبب موقف السلطة والحاكم من حرية الرأي والقول ، فإننا نتفاءل خيراً بالدعوات المخلصة لبعض المصححين من المسلمين الذين أحسوا بأن التقليد لا يفسح المجال للمنطق والتساؤل ، ولذا فقد ساروا على مبدأ (فتح باب الاجتهاد) من أمثال محمد عبده ، الشيخ مصطفى المراغي والأستاذ الأكبر محمود شلتوت .

(١) خلّاف : خلاصة التشريع الإسلامي ، ٥٩ .

(٢) سنة (٣٣٢هـ/١٩٤٣م) .

(٣) التبريزي : الاجتهاد عند الشيعة الإمامية حتى السيد الخوئي ، مجلة الموسس (الهند) ، ع/٦ مج/٢ /١٤١٠هـ/١٩٩٠م مُستَل من كتاب (التنقيح في شرح العروة الوثقى) .

(٤) النمر : الاجتهاد ، ١٤٨ .

وسيظل المصلحون المسلمون - يتذكرون بالإكبار والتبجيل خطوة الشيخ شلتوت الذي « انبرى بكل شهامة وجرأة لا تصدر إلا عن المصلحين العظام ، ورجال التاريخ المبرزين فكسر الطلسم الذي دام ألف سنة وأعلن رسمياً أن باب الاجتهاد مفتوح ، وأنه لا مانع من رجوع أتباع مذهب إلى مذهب إذا كانت حجته أقوى . وأفتى أيضاً بصحة اتباع مذهب الشيعة كسائر المذاهب الإسلامية الأخرى^(١) . وعلى إثر ذلك أسس في الأزهر كرسيًا للفقهاء المقارن ، حيث تُذكر في كل مسألة أدلة مختلف المذاهب ، وللطالب أن يختار حجة أي مذهب تكون هي الأقوى^(٢) . وبهذا بُعث النشاط التشريعي الإسلامي من مرقد ، والفقهاء الإسلامي يحيا بالتطبيق العملي والدراسة المقارنة .

يعلق الشيخ المطهري على خطوة الشيخ شلتوت تلك فيقول :

« لا شك أنه منذ أن دُون الفقه الإسلامي ، لم يَحْطُ أحد هذه الخطوط العريضة نحو خير عامة المسلمين وصلاحهم ، والمستقبل سيدرك قدر هذه الخطوة أكثر^(٣) . بيد أن البعض من علماء السلطة لا يرضيه ذلك ، فمع أننا نوافق على ما دعا إليه من « وضع شروط للاجتهاد في الإسلام^(٤) » . إلا أننا لا نقره في قوله « . . بإغلاق باب الاجتهاد نغلق الفتنة . . »^(٥) ! .

(١) أنظر صورة الفتوى في الملحق رقم (٣) .

(٢) مطهري : مبدأ الاجتهاد في الإسلام ، ٢٥ .

(٣) نفسه .

(٤) جاء ذلك في كلمة مفتي البقاع في لبنان الشيخ خليل الميس ، ممثلًا مقام مفتي

الجمهورية اللبنانية في احتفال في بلدة تبينين تحتاً بذكرى أربعين الرئيس

السابق للمحكمة الجعفرية العليا الشيخ حسين الخطيب . جريدة السفير

ع/٥٨٦٥ ، ٨ شوال ١٤١١هـ/٢٢/٤/١٩٩١م .

(٥) نفسه .

٤- الاجتهاد لدى الإمامية الاثني عشرية

قررنا في ما سبق : أن الاجتهاد وفق التعبير الفقهي يمكن أن يعبر عن قاعدة من القواعد^(١) ، التي أُقرت لدى الشيعة الإمامية^(٢) ، وفق القاعدة القائلة « إن الفقيه إذا أراد أن يستنبط حكماً شرعياً ، ولم يجد نصاً يدلّ عليه في الكتاب أو السنة رجع إلى الاجتهاد بدلاً عن النص والاجتهاد هنا يعني : التفكير الشخصي »^(٣) . ومثل هذا اللون من الاجتهاد دعت إليه كبرى المدارس الفقهية السنية ، كمدرسة أبي حنيفة « الذي يأخذ بالقياس والاستحسان والإجماع والعرف إذا لم يكن نص من القرآن أو سنة أو قول لصحابة »^(٤) .

ومثل هذا اللون من التوجه والفهم وإعمال الرأي الذي دعا إليه الكثير من المدارس الفقهية السنية « لقي معارضة شديدة من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ومن الفقهاء المذنبين ينتسبون إلى مدرستهم »^(٥) .

(١) أنظر ص (١٠٢) من هذا البحث .

(٢) عند إطلاق الشيعة الإمامية : يعني : الشيعة الإمامية الإثنا عشرية بصورة خاصة .

(٣) الصدر : المعالم الجديدة في الأصول ، ٢٢ .

(٤) أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية ، ٣٧٦/٢ - ٣٧٧ .

(٥) الصدر : م . س ، ٢٤ .

إذاً : فمدلول كلمة الاجتهاد بهذا المعنى لم يُرضِ علماء الإمامية ، ولم يرضِ قبل ذلك أئمتهم (عليهم السلام) . ويثور السؤال : ماذا كانت تعني عندهم كلمة الاجتهاد يا ترى ؟

نختصر هنا ما كتبه السيد الصدر - أحد علماء النجف -^(١) وهو يتبع كلمة الاجتهاد لدى الأئمة من آل البيت (عليهم السلام) ، ولدى العلماء الذين ساروا على هداهم . فيقول : إن كلمة الاجتهاد حملت منذ عصر الأئمة حتى القرن الهجري السابع المعنى نفسه الذي يراد به : العمل بالرأي والتفكير الشخصي ، وإن الروايات المأثورة عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) تدم الاجتهاد وتريد به ذلك المبدأ الفقهي الذي يتخذ من التفكير الشخصي مصدراً من مصادر الحكم . وقد دخلت الحملة ضد المبدأ الفقهي دور التصنيف في عصر الأئمة أيضاً . والرواة الذين حملوا آثارهم . وفيها تستعمل كلمة الاجتهاد لتشير إلى المعنى أعلاه . فقد صنفت كتب تدم أصحاب الاجتهاد والقياس ومن يردُّ آثار الرسول باعتماده نتائج العقول ؟ - كما هو عنوان أحد تلك المصنفات - .

وتستمر الحملة حتى أواسط القرن الرابع في ما كتبه الشيخ الصدوق . وفي أواخر القرن الرابع يجيء الشيخ المفيد ليسير على الخط نفسه ، ويهجم على الاجتهاد - بمعناه الأنف الذكر - ويصنّف كتاباً في ذلك تحت عنوان : « النقص على ابن الجنيد في اجتهاد الرأي » . ونجد المصطلح نفسه لدى السيد المرتضى في أوائل القرن الخامس الهجري ، إذ كتب في (الذريعة) يذم الاجتهاد ويقول :

« إن الاجتهاد باطل وإن الإمامية لا يجوز عندهم العمل بالظن ولا الرأي ولا الاجتهاد » كما كتب في كتابه الفقهي (الانتصار) مُعرّضاً بابن الجنيد قائلاً :

(١) ضمن كتابه المعنون (المعالم الجديدة في الأصول) ، ٢٤ - ٢٥ . والعبارة هنا فيها الكثير من الإختصار ، والقليل من التصرف .

« إِنَّمَا عَوَّلَ ابْنُ الْجَنِيدِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ عَلَى ضَرْبٍ مِنَ الرَّأْيِ وَالْاجْتِهَادِ وَخَطْوُهُ ضَاهِرٌ ». وَقَالَ فِي مَسْأَلَةِ مَسْحِ الرَّجْلَيْنِ فِي فَصْلِ الطَّهَارَةِ مِنْ كِتَابِ (الْإِنْتِصَارِ) :

« إِنَّا لَا نَرَى الْجَهْدَ وَلَا نَقُولُ بِهِ »^(١) .

يُضِيفُ السَّيِّدُ الصِّدْرُ ، وَهُوَ يَلِاحِقُ كَلِمَةَ الْجَهْدِ فِي كِتَابِ عُلَمَاءِ الْإِمَامِيَّةِ فَيَقُولُ :

مِصْطَلَحُ الْجَهْدِ يُؤَدِّي الْمَعْنَى نَفْسَهُ مِنَ الرَّأْيِ وَالتَّفَكِيرِ الشَّخْصِيِّ بَعْدَ ذَلِكَ أَيْضاً . فَالشَّيْخُ الطُّوسِيُّ الْمُتَوَفَّى أَوَاسِطَ الْقَرْنِ الْخَامِسِ الْهَجْرِيِّ يَكْتُبُ فِي كِتَابِ (الْعِدَّة) قَائِلاً : (أَمَا الْقِيَاسُ وَالْاجْتِهَادُ فَعِنْدَنَا انَّهُمَا لَيْسَا بِدَلِيلَيْنِ بَلْ مُحْظُورٌ فِي الشَّرِيعَةِ اسْتِعْمَالُهُمَا) .

وَفِي أَوَاخِرِ الْقَرْنِ السَّادِسِ الْهَجْرِيِّ نَقَرْنَا لِابْنِ إِدْرِيسٍ فِي كِتَابِهِ (السَّرَائِر) قَوْلَهُ : « ... وَالْقِيَاسُ وَالِاسْتِحْسَانُ وَالْاجْتِهَادُ بِاطِلْ عِنْدَنَا »^(٢) .

وَمِنْ بَابِ الْاسْتِطْرَادِ نَشِيرُ إِلَى أَنْ مِثْلَ ذَلِكَ الرَّفْضُ مِنْ قِبَلِ الشَّيْعَةِ لِمَبْدَأِ الْقِيَاسِ وَالرَّأْيِ لَمْ يَكُنْ لِمُحَارَبَةِ تَدْخُلِ الْعَقْلَ فِي الشَّرْعِ ، إِذْ مِنْذُ أَنْ تَمَّ تَدْوِينُ أَصُولِ الْفِقْهِ عِنْدَ الشَّيْعَةِ اعْتَبَرَ الْعَقْلَ وَاحِداً مِنَ الْأَدْلَةِ الشَّرْعِيَّةِ بَعْدَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ . فِي الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ فِيهِ أَهْلُ الْحَدِيثِ يَحْضُرُونَ الْأَدْلَةَ الشَّرْعِيَّةَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ . بَيْنَمَا يَحْضُرُهَا أَهْلُ الرَّأْيِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ وَالْقِيَاسِ^(٣) .

وَهَكَذَا « وَوَفَوْقَ هَذَا التَّعاقِبِ التَّارِيخِيِّ الْمُتَتَابِعِ ، فَإِنَّ كَلِمَةَ الْجَهْدِ كَانَتْ تَعْبِيراً عَنِ ذَلِكَ الْمَبْدَأِ الْفَقْهِيِّ الْمُتَقَدِّمِ إِلَى أَوَائِلِ الْقَرْنِ السَّابِعِ

(١) الصِّدْرُ : الْمَعَالِمُ الْجَدِيدَةُ فِي الْأَصُولِ ، ٢٤ وَمَا بَعْدَهَا بِإِخْتِصَارٍ وَتَصَرُّفٍ .

(٢) ن .

(٣) أَنْظَرِ : مُطَهَّرِي : مَبْدَأُ الْجَهْدِ فِي الْإِسْلَامِ ، ٣١ .

(الهجري) . وعلى هذا الأساس اكتسبت الكلمة لونا مقيّتا . وطابعا من الكراهية والاشمئزاز في الذهنية الفقهية الإمامية نتيجة لمعارضة ذلك المبدأ والإيمان بطلانه « (١) .

الاجتهاد لدى المحقق الحلّي :

أما وقد عنونا لهذه الفقرة بـ (الاجتهاد لدى المحقق الحلّي) . فلأنه (قدس الله نفسه) أوّل من تطوّر مصطلح الاجتهاد على يديه من علماء الإمامية - كما يذهب لذلك السيد الصدر - إذ « لا يوجد نصّ شيعي يعكس هذا التطور أقدم تاريخياً من كتاب (المعارج) للمحقق الحلّي » (٢) .

وفي حين يذهب السيد الصدر هذا المذهب ، يرى الشيخ المطهري : أن أوّل عالم من علماء الشيعة استعمل لفظه الاجتهاد بمعنى « المجاهدة العلمية في طلب الأحكام الشرعية » وارتضاها هو العلامة الحلّي في كتابه (تهذيب الأصول) . حيث عقد العلامة في كتابه فصلاً للاجتهاد واستعمل الكلمة بمعناها السائد اليوم (٣) . وبسبب ذلك يرى الشيخ المطهري أن « ذلك هو تاريخ قبول دخول هذه الكلمة مؤلفات الإمامية . إذ أصبحت بمعناها الصحيح مصطلح من مصطلحاتهم العلمية » (٤) .

ويبدو أن رأي السيد الصدر أقرب إلى الدقة ، صحيح أن العلامة الحلّي استعمل مصطلح الاجتهاد بمعناها المتداول اليوم ، لا في كتابه (تهذيب الأصول) الذي أشار إليه المطهري فحسب ، بل في كتابه

(١) الصدر : المعالم الجديدة في الأصول ، ٢٦ .

(٢) نفسه .

(٣) أنظر : مطهري : مبدأ الإجهاد في الإسلام ، ٢٩ - ٣٠ .

(٤) ن ، ٣٠ .

الموسوم (مبادئ الوصول إلى علم الأصول)^(١) ، بيد أن استعمال المحقق الحلّي لذلك المصطلح كان قبل استعمال العلامة له بنحو خمسين سنة هي (الفرق بين مصنّف المحقق) . الموسوم (المعارج) ، والذي ورد فيه عن الاجتهاد :

« وهو في عرف الفقهاء بذل الجهد في استخراج الأحكام الشرعية ، وبهذا الاعتبار يكون استخراج الأحكام من أدلة الشرع اجتهاداً ، لأنها تبني على اعتبارات نظرية ليست مُستفادّة من ظواهر النصوص في الأكثر . سواء كان ذلك الدليل قياساً أو غيره ، فيكون القياس على هذا التقرير أحد أقسام الاجتهاد . قلنا : الأمر كذلك ، لكن فيه إبهام من حيث أن القياس من جملة الاجتهاد ، فإذا استثنى القياس كُنّا من أهل الاجتهاد في تحصيل الأحكام بالطرق النظرية التي ليس أحدها القياس »^(٢) .

ويرى السيد الصدر على هذا النص بوضوح - : « أن كلمة الاجتهاد كانت لا تزال في الذهنية الإمامية مُثَقَلَةً بِتَبَعِيَّةِ المصطلح الأول . ولهذا يلمح النص إلى أن هناك من يتحرّج من هذا الوصف ، ويثقل عليه أن يُسمّى فقهاء الإمامية مجتهدين »^(٣) .

تطوّر المصطلح بعد الحلّي :

ويتطوّر مصطلح الاجتهاد لدى الإمامية بعد المحقق الحلّي الذي لم يتحرّج عن اسم الاجتهاد بعد أن حوّره ، أو قُلّ : تطوّر في عرف الفقهاء تطوراً يتفق مع مناهج الاستنباط في الفقه الإمامي ، فبينما كان الاجتهاد مصدراً للفقيه يصدر عنه ، ودليلاً يُستدل به كما يصدر عن آية أو رواية ، أصبح في المصطلح الجديد يعبر عن الجهد الذي يبذله الفقيه

(١) ص ، ٢٤٠ . تحقيق الأستاذ محمد علي البقال .

(٢) الصدر : المعالم الجديدة في الأصول ، ٢٦ .

(٣) نفسه .

في استخراج الحكم الشرعي من أدلته ومصادره . فلم يعد مصدراً من مصادر الاستنباط بل ظل هو عملية استنباط الحكم من مصادره التي يمارسها الفقيه^(١) .

وهنا يجب أن يتوقف الباحث ملياً وطويلاً ليفهم الفرق بين المعنى السابق للاجتهاد وبين المعنى الجديد . إذ يرى السيد الصدر أن « الفرق بين المعنيين جوهرى للغاية ، إذ كان للفقيه على أساس المصطلح الأول للاجتهاد أن يستنبط من تفكيره الشخصي وذوقه الخاص في حالة عدم توفر النص ، فإذا قيل له : ما هو دليلك ومصدر حكمك هذا ؟ استدل بالاجتهاد . وقال : الدليل هو اجتهادي وتفكيري الخاص . أما المصطلح الجديد فهو لا يسمح للفقيه أن يسوّغ حكم من الأحكام بالاجتهاد لأن الاجتهاد بالمعنى الثاني ليس مصدراً للحكم بل هو عملية استنباط الأحكام من مصادرها .

فإذا قال الفقيه (هذا اجتهادي) كان معناه أن هذا هو ما استنبطه من المصادر والأدلة التي استنبط الحكم منها »^(٢) .

وهكذا دخل مصطلح الاجتهاد في كتابات فقهاء الإمامية منذ عصر الحلّي (المحقق) ثم تلميذه الحلّي (العلامة) .

وكما دخل في كتابات الفقهاء ، فإن الإجازات العلمية التي يصدرها علماء الإمامية بعد عصر الحلّيين جاءت على ذكر كلمة الاجتهاد إذ « وجدنا في القرن الثامن الهجري بعض تلك الإجازات تصف العلماء بالمجتهدين مثل ما وصف به ابن العلامة الحلّي أباه في إجازته محسن ابن مظاهر المؤرخة (٧٤١هـ / ١٣٤١م) ، فقد جاء فيها : (والدي شيخ

(١) نفسه .

(٢) الصدر : المعالم الجديدة في الأصول ، ٢٧ .

الإسلام إمام المجتهدين) (١) .

وما ورد في وصف ابن العلامة بإجازة الشيخ علي النَّبَلِي لابن فهد والمؤرخة (١٣٨٨هـ / ١٧٩١م) : (شيخنا المولى الإمام العلامة خاتم المجتهدين) (٢) .

وفي العصور المتأخرة كان يُصْرَحُ في بعض الإجازات أحياناً فيما يوصف بشهادة بلوغ الخَرِيَجِ درجة الاجتهاد ، كما كتب الشيخ محمد باقر المجلسي صاحب موسوعة (بحار الأنوار سنة (١٠٨٥هـ / ١٦٧٤م) إجازة رواية مؤلفاته لسببته الخواتون آبادي ، وصرح فيه ببلوغه درجة الاجتهاد (٣) .

وفي أيامنا هذه دأب علماء الإمامية وفقائهم على إصدار ما اصطلح على تسميته (شهادة الاجتهاد) لِمَنْ بَلَغَ من تلامذتهم تلك الدرجة (٤) .

وهكذا يتطور مصطلح الاجتهاد في الذهنية الفقهية الإمامية ليستقر اليوم على تعريف اصطلاحى يمكن أن يكون : (ملكة تحصيل الحجج على الأحكام الشرعية ، أو الوظائف العملية ، شرعية أو عقلية) (٥) .

لماذا تأخر الاجتهاد لدى الإمامية ؟

وإذ أرخنا لمصطلح الاجتهاد لدى الإمامية ، وتابعنا تطوره ، فأتينا أن أول من استعمله هو العلامة الحلي في القرن الهجري السابع ، فإن ذلك يثير تساؤلاً في ذهن البعض عن سبب تأخر ظهور الاجتهاد لدى

(١) المجلسي : بحار الأنوار ، ١٠٧ / ٢١٥ - ٢١٦ .

(٢) ن ، ١٠٧ / ٢٢٢ - ٢٢٥ .

(٣) ن ، ١٠٥ / ٢٩ .

(٤) أنظر الملحق رقم (٤) وفيه نموذج عن شهادات الاجتهاد المعاصرة ص ٣٢٨ .

(٥) الحكيم : الأصول العامة للفقه المقارن ، ٥٦٣ .

الشيعة الإمامية عنه لدى إخوانهم السُّنة .

لقد ذكرنا أن أحد أسباب ذلك هو أن الاجتهاد بمفهومه الدال على الرأي في مقابل النص مرفوض من قبل الأئمة وعلماء مدرسة آل البيت (عليهم السلام) ولَمَّا لم يكن فقهاء الإمامية يستخدمون مصطلح الاجتهاد وإنما كانوا « يتبعون أئمتهم (عليهم السلام) في التسمية ، فسمّوا ذلك العلم بالفقه للمتخصّص به »^(١) .

وفي هذا يقول الكشي في معرفة الرجال^(٢) :

« تسمية الفقهاء من أصحاب أبي جعفر وأبي عبد الله (عليه السلام) جمعت العصابة على تصديق هؤلاء الأولين من أصحاب أبي جعفر وأبي عبد الله (عليه السلام) ، وانقادوا لهم بالفقه وقالوا أفقه الأولين ستة :

زُرارة ، ومعروف بن خربوذ ، وبريد العجلي ، وأبو بصير الأسدي ، والفضل بن يسار ومحمد بن مسلم الطائفي . قالوا : وأفقه الستة زُرارة ابن أعين .

والنقطة الأخرى التي نضيفها لتفسير تأخر الاجتهاد لدى علماء الإمامية ، هي أن الاجتهاد في عصر الأئمة منتف حيث يمثّل الأئمة (عليهم السلام) « امتداداً تشريعياً وقيادياً لرسالة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ويعتبرون عدلاً للقرآن الكريم . كما ورد ذلك في ما استفاض من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من حديث الثقلين

(١) العسكري : معالم المدرستين ، ٢/٢٩٥

(٢) ص ٢٣٨ .

(الكتاب والعترة) «^(١)». وبمعنى أوضح فإن الشيعة كانوا في عصر أئمتهم (عليهم السلام) يعيشون عصر النص الشرعي ، تماماً كما كان يعيشه المسلمون أيام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وفق ما ثبت في اعتقاد الإمامية من أن أئمتهم يمثلون الامتداد الطبيعي لقيادة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ضرورة الاجتهاد ووجوبه :

يُعَدّ الاجتهاد في عرف الإمامية واجباً على المكلفين في الأمة الإسلامية في كل عصر من عصورها ، ولكن إذا قام مَنْ به الكفاية في استنباط الحكم الشرعي سقط الوجوب عن باقي المكلفين وإن لم يَقُمْ به أحد أئمت الأمة كلّها . والدليل الذي يعتمد عليه الإمامية في ذلك قوله تعالى :

﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾^(٢) .

فمن هذه الآية يُستدل على وجوب الاجتهاد وجوباً كفائياً بمعنى إذا قام به مَنْ به الكفاية سقط عن باقي المُكَلَّفِينَ . بخلاف الوجوب التعيني

(١) فقد استفاض النقل عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : (إنِّي تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً ، إلا وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض) .
والحديث هذا رواه من الشيعة جمع كبير من المُحدِّثين ، كما رواه من السنة جمع من المُحدِّثين نذكر منهم :

- أحمد في مسنده (١٧/٣ ، ٥٩) و (٣٦/٤) و (١٨٢/٥ - ١٨٩) .

- مسلم : صحيح مسلم - فضائل أهل البيت ، ٣٦١/٢ .

- الحاكم في المُستدرك (١٠٩/٣) .

(٢) التوبة/ ١٢٢ .

الذي يتعلق بذمة كل مكلف حتى لو قام به غيره كوجوب الحج ، والجهاد إذا ما استوفى شروطه .

هذا من ناحية وجوب الاجتهاد على المكلفين من أفراد الأمة . أما عن ضرورة الاجتهاد فيقول السيد الصدر : (١) .

لـ « تمكين المسلمين من تطبيق النظرية الإسلامية للحياة ، لأن التطبيق لا يمكن أن يتحقق ما لم تُحدّد حركة الاجتهاد معالم النظرية وتفصيلاتها . . ولكي ندرک أبعاد الهدف بوضوح يجب أن نميز بين مجالين لتطبيق النظرية الإسلامية للحياة .

أحدهما : تطبيق النظرية في المجال الفردي وبالقدر الذي يتصل بسلوك الفرد وتصرفاته .

والآخر : تطبيق النظرية في المجال الاجتماعي وإقامة حياة البشرية على أساسها بما يتطلبه ذلك من علاقات اجتماعية واقتصادية وسياسية » (٢) .

وإذ كنّا نثبت ذلك عن ضرورة الاجتهاد ، فلأن الإسلام « مشروع حضارة إنسانية شاملة لا بدّ أن يستجيب للحياة في تدفّقها وتجدها المستمرّين . . كل ذلك يؤدّي إلى تكوين حاجات جديدة ونشوء وقائع جديدة لم ترد فيها نصوص خاصة في الكتاب أو في السنّة كما لم يبحثها الفقهاء الأقدمون بطبيعة الحال » (٣) .

(١) في محاضرة ألقيت عنه بالنيابة في جمعية الرابطة الأدبية بالنجف الأشرف سنة (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) ، ونشرت في عدة صحف لاحقاً .

(٢) الصدر : الإتجاهات المستقبلية لحركة الاجتهاد ، مجلة الهادي (قم/إيران) ع/٣ ، س/٢ ، صفر ١٣٩٣هـ .

(٣) شمس الدين : الاجتهاد ، جريدة السفير (بيروت) ع/٣٣٢٠ ، ذي القعدة ١٤٠٣هـ/شتاء ١٩٩١م .

بدايات الاستنباط لدى الإمامية :

مع أننا اعتبرنا القرن السابع الهجري تاريخاً لأول تداول لمصطلح الاجتهاد لدى علماء الإمامية ، فإن ذلك لا يمنع من أن نؤرخ لبدايات ظهور الاجتهاد وكيفية معالجة الأحاديث واستعمال القواعد والأصول ، بأنها ظهرت في عصر أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وبإرشاد وتوجيه كريم منهم « وذلك في كيفية استنباط الحكم الشرعي مباشرة من القرآن الكريم أو التوسعة على الناس بالبراءة من التكليف المحتمل في ما لم يرد فيه بيان من الشارع ، وفي جريان الاستصحاب في الموضوعات التي لها حالات سابقة متيقنة ويشك المكلّف فيها بعد ذلك »^(١) .

وتضاف إلى ذلك مسألة مهمّة ترتبط بممارسة الأصول العملية لدى الشيعة في عصر الأئمة (عليه السلام) « فقد كان عدم استيعاب الرواة وعدم فهمهم للرواية بصورة دقيقة - أحياناً - يؤدي إلى ظهور معارضات في ما يرد للمسلمين من أحاديث عن أهل البيت (عليهم السلام) كما كانت الظروف القلقة التي تحيط بهم (عليهم السلام) ومراقبة السلطة لهم وخوفهم (عليهم السلام) من إفشاء الحكم الشرعي أحياناً وتأييد الحكم الفقهي الذي تتبناه السلطة ، وكل ذلك كان يؤدي إلى ظهور أحاديث متعارضة ، وكان لا بد من إعطاء قواعد وتوجيهات لمعالجة هذه الأحاديث المتعارضة »^(٢) .

بيد أن الاجتهاد في عصر الأئمة من آل البيت (عليهم السلام) كان يمارس بشكل ممارسات وتطبيقات محدودة يفرضها وجود الأئمة (عليهم السلام) واعتقاد من شايعهم بأنهم إنما يشكلون الامتداد التشريعي والقيادي لرسالة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فتتوجه الأمة إليهم بالسؤال مشافهة ، أو بالكتابة مباشرة أو بواسطة موثقيهم . حتى

(١) الأصفى : الاجتهاد والتقليد وشؤون الفقيه ، ٢٠ .

(٢) الأصفى : الاجتهاد والتقليد وشؤون الفقيه ، ٢٠ .

إذا ما وقعت الغيبة الكبرى للإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، وذلك في النصف من شعبان ٣٢٩هـ / ٩٤٠م، كانت الحاجة لممارسة الاجتهاد أشد وأدعى وبالتالي ظهور الاجتهاد لدى الشيعة الإمامية كمدرسة ذات ملامح واضحة .

« وفي هذا العصر دُوت فروع الفقه الجعفري ، وأول من فتح باب استنباط الفروع من أدلتها وهذبها الشيخ الجليل محمد بن أحمد ابن الجُنَيْد ، أبو علي الكاتب الإسكافي^(١) .

وعلى يد الشيخ ابن الجنيد ، ومن بعده الشيخ الحسن بن الحذاء قفزت حركة الاجتهاد لدى الإمامية قفزة نوعية في بدايات القرن الرابع الهجري ، ولكنها استوت على الذروة في بداية القرن الخامس مع الشيخ المفيد محمد العسكري المتوفى سنة ٤١٣هـ / ١١٠٢م ، ومع السيد المرتضى الذي ألّف كتاباً في الفقه المقارن سمّاه الانتصار . وهنا اتسمت حركة الاجتهاد بالدقة والتنظيم ، وفي النجف تعهد حركة الاجتهاد شيخ الطائفة الطوسي ، حيث ألّف كتباً عديدة منها كتاب (الخِلاف) في الفقه المقارن^(٢) .

ومنذ عهد الشيخ الطوسي والنجف ترفد الفكر الإسلامي بتخريجها

(١) محمد بن أحمد بن الجُنَيْد ، أبو علي الكاتب الإسكافي . ذُكر في ترجمته إنه : متكلم ، فقيه ، محدث ، أديب ، واسع العلم . صنّف في الفقه والكلام والأصول والأدب . تبلغ مصنّفاته نحو خمسين كتاباً . توفي في الري سنة (٣٨١هـ / ٩٩١م) .

القُمِّي : الكُنَى والألقاب ، ٢٦/٢ - ٢٧ .

(٢) التبريزي : الإجتهد عند الشيعة حتى عصر السيد الخوئي ، مجلة الموسم (الهند) ٦/ع ، مج ٢/ ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ستل من كتاب (التنقيح في شرح العروة الوثقى) .

(٣) شمس الدين : الإجتهد . جريدة السفير م . س .

آلاف المجتهدين ، ولعل ما تفخر به النجف اليوم هو انتشار أكثر من ألف مُجتهد في أقطار الدنيا من خريجي حلقاتها الدراسية . وتفخر أكثر بوجود شيخ المجتهدين وإمام المحققين سماحة الإمام أبي القاسم الخوئي ، الذي ازدهرت في عهده حركة الاجتهاد لدى الإمامية كما ازدهرت من قبله بأفكار علماء النجف كالشيخ الأنصاري ، والشيخ محمد كاظم الخراساني ، وغيرهما ، مما يقتضي عرضه مؤلفاً مستقلاً

٥ - دور الاجتهاد في ازدهار الحوزة العلمية

لئن أصاب الركود حركة الاجتهاد لدى المسلمين - غير الشيعة - في القرن الرابع الهجري ، فإن المدرسة الإسلامية الشيعية - إذا جاز هذا التعبير - لم تتأثر بهذا الركود أبداً ، كون علماء تلك المدرسة غير مرتبطين بالسلطات الحاكمة منذ ذلك العصر ، ومن قبله ، وحتى اليوم وإن الاسباب التي أدت إلى مثل ذلك الركود لا ترتبط ولا تهتم الشيعة الإمامية من قريب أو بعيد. نعم : إنَّما تأخر الاجتهاد لدى الشيعة بسبب ارتباط مصطلح الاجتهاد بالرأي أولاً ، ولوجود الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام) كامتداد لقيادة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ثانياً .

ولئن أعلن الملك الظاهر بيبرس البنداقداري أحد ملوك دولة المماليك بمصر سنة ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م ، وبتحريض من الفقهاء : « أن المذاهب الرسمية هناك هي الحنفية ، والشافعية والمالكية ، والحنبلية ، وأن المذاهب الأخرى غير مُعْتَرَف بها رسمياً^(١) » . حيث ابتدأ منذ ذلك الوقت ما سُمِّي بحصر التقليد لدى غير الشيعة في تلك المذاهب الأربعة بما يعني ضمناً توقف حركة الاجتهاد والاتجاه نحو التقليد .

لئن حدث ذلك ، فإن حركة الاجتهاد لدى الفقهاء الإمامية ظلَّت مستمرة منذ أن تولدت ، وحتى الوقت الحاضر ، وستبقى هكذا حتى يأذن (١) المقرئزي : المواعظ والإعتبار في ذكر الخطط والآثار ، ١٤١/٤ .

الله تعالى بظهور قائم آل البيت (عليهم السلام) ، فيملاً الارض قسطاً وعدلاً بعد ما مُلئت ظُلماً وجوراً .

« وليس من شك : أن حركة الاجتهاد حين تستمر ، وتداولها الأفكار والذهنيات المختلفة على مرّ العصور تكتسب نضجاً وقوة أكثر من ذي قبل ، شأن أي علم ، وأي فن من الفنون ، وليس الاجتهاد بدعاً من علوم الإنسان وثقافته »^(١) . يتساءل الشيخ الأصفى بعد ذلك فيقول :

« فما ظنك لو كانت الرياضيات تتوقف عند عهد فيثاغورس ، والطب عند ابن سينا ، والكيمياء والفيزياء يتوقفان عند الرواد الأوائل لهذه العلوم . هل كان يُتاح أن تتقدم كل هذا التقدم الهائل الذي أحرزته نتيجة للتفكير والعمل المستمر ، الذي قام به علماء متخصصون على امتداد العصور ، وشأن الاجتهاد شأن غيره من العلوم »^(٢) .

ودون الاستغراق في الحديث عن ازدهار أي علم باستمرار الاجتهاد فيه ، فذلك أمر بدهي لا يخالف فيه إنسان واعٍ منصف مع آخر مثله . دون الاستغراق في ذلك الحديث نحصر حديثنا هنا في ربط استمرار الاجتهاد بازدهار الحركة الفكرية بالحوزة العلمية في النجف .

إن أحد ثوابت الفقه الإمامي - كمثال - هي مسألة عدم جواز تقليد الميت ابتداءً . . . فقد أفتى بذلك كل علماء الحوزة العلمية في النجف ، والمعاصرين منهم خاصة من الذين يدخلون في فترة دراستنا هذه^(٣) .

(١) الأصفى : الإجتهد والتقليد وشؤون الفقيه ، ٢٤ .

(٢) ن .

(٣) للتوسع في مسألة عدم جواز تقليد الميت ابتداءً ، أنظر :

اليزدي : العروة الوثقى ، ١٣/١ .

الصدر : الفتاوى الواضحة ، ١٠٥ .

الخميني : تحرير الوسيلة ، ٥/١ .

الخوئي : منهاج الصالحين ، (العبادات) ، ٧/١ .

وتبرز الفائدة في فتوى (عدم جواز تقليد الميت) في «تقدّم العلوم الإسلامية بتقليد الحي يوماً بعد يوم، وتكامل، وتُحلّ المشاكل التي لم تُحلّ بعد، فأيس صحيحاً أن جميع المشاكل قد حلّها العلماء، ولم تُعدّ لدينا مشكلة ما . إننا نجد آلاف الألغاز والمشاكل في العلوم الإسلامية مما قام العظماء السابقون بحل الكثير منها ، ولكن بقي منها الكثير الذي يتطلّب الحل . ويواجه المسلمون كل يوم مسائل جديدة في الحياة لا يعرفون موقفهم منها . وإنه لَمُن واجب العلماء اللاحقين أن يحلّوا تلك المشاكل ، ويكتبوا فيها كتباً أفضل وأشمل فيدموا تلك العلوم ، ويتقدّموا بها»^(١) .

وإذا كان الشافعي قد اختلفت فتواه حين انتقل إلى مصر عمّا كان يفتي به سابقاً وهو في المدينة نظراً لاختلاف بيئة الحجاز عن بيئة مصر ، فماذا نقول في العودة إلى تقليد ميّت منذ قرون لم يعش عصرنا ، ولم يُطلّع على مشاكله وهمومه . . ؟

تطوّر الفقه والأصول لدى الإمامية :

إن نظرة فاحصة لتاريخ الفقه لدى المسلمين من علماء الإمامية الذي بُني على أساس من استمرار مزاولة الاجتهاد ، إن مثل تلك النظرة تتيح للمتتبع ملاحظة التطوّر الكبير الذي أُتيح للفقه الإمامي خلال غير فترة من فترات تاريخ ما بعد الغيبة الكبرى وحتى اليوم . رغم حملات التنكيل والملاحقة التي طالت علماء الإمامية على يد حكام الجور والطغيان ، ورغم حرق العديد من مؤلفات أولئك العلماء . بل وخرق مكنباتهم .

ففي مجال الفقه من السهولة أن يلاحظ من « يراجع الكتب الفقهية

(١) مطهري : الاجتهاد في الإسلام والمشكلة الأساس في جماعة علماء الدين ، ٢٥ (بتصرف) .

السابقة على يد الشيخ الطوسي يجدها صغيرة ومختصرة ، إلا أن الشيخ الطوسي بكتابه (المبسوط) أدخل الفقه في مرحلة جديدة متسعة ومن ثم بتوالي الأدوار والأزمان وبمساعي العلماء والفقهاء ، اتسعت المسائل والتحقيقات الجديدة وازداد حجم الفقه^(١) .

ومع ازدياد الفقه حجماً ، برز علماء صَنَفُوا في الفقه ، كما صَنَفُوا في أصوله كتباً أوسع وأشمل مما عهدوه من كتب الشيخ الطوسي أو ابن إدريس . ومن أولئك المحقق الحلي المتوفى سنة ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م ، الذي ألف كتاب (شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام)^(٢) . فكان هذا الكتاب بعد تأليفه محوراً للبحث والتعليق والتدريس في الحوزة العلمية بدلاً من كتاب (النهاية) ، الذي كان الشيخ الطوسي قد ألفه قبل المبسوط^(٣) .

ويرى السيد الصدر أن « هذا التحول من النهاية إلى الشرائع يرمز إلى تطوّر كبير في مستوى العلم »^(٤) . وأن احتلال هذا الكتاب المركز الرسمي لكتاب (النهاية) في الحوزة واتجاه حركة البحث والتعليق إليه ، يعني أن حركة التفريع والتخريج قد عمّت واتسعت حتى أصبحت الحوزة العلمية كلّها تعيشها^(٥) .

وإذا تجاوزنا تلك القرون وعشنا مؤلفات الإمامية في مجالي الفقه والأصول خلال القرنين الأخيرين فأخذنا كتابي :

-
- (١) المطهري : الإجتهد في الإسلام ، ٣٠ - ٣١ .
(٢) الكتاب موجود حالياً بمكتبة كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية ببيروت في طبعته الجديدة المحققة من قبل السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب ، في (ثمانية مجلدات) .
(٣) أنظر : الصدر : المعالم الجديدة في الأصول ، ٧٥ .
(٤) نفسه .
(٥) نفسه .

- جواهر الكلام للشيخ محمد حسن .

- فرائد الأصول للشيخ مرتضى الأنصاري .

حيث اعتبر هذان الكتابان « خطوة جَبارة في عالم الفقه والأصول ، دون أن تقف حركة الاجتهاد بعد ذلك على هذا المستوى الذي خلفه صاحبها الجواهر والفرائد ، وإنما وقعت بعد ذلك خطوات أخرى واكتسب نضجاً وقوة أكثر»^(١) .

ومثل ذلك التطور الذي أشرنا إليه في مجال المصنفات الفقهية والأصولية لدى الإمامية يستطيع ملاحظته بيسر وبسهولة أهل الفن وذلك بمقارنة نتاجات الفقهاء الإمامية المعاصرة بما ذكرنا آنفاً من نتاجات ، إذ يتضح مدى التفاوت والتطور .

وبطبيعة الحال : فإن ذلك التطور كله لم يكن إلا بركة الاستمرار في ممارسة الاجتهاد .

وإذا كان هذا هو شأن التطور في مصنفات الإمامية أنفسهم ، فبطريق أولى يكون الفقه الإمامي والفكر الأصولي الإمامي متطوراً ومتقدماً بتقدم الزمن ، واستحداث المسائل على غيره من فقه وأصول المذاهب الإسلامية الأخرى ، كون الإمامية تمنع تقليد الأموات من ناحية ، وكونها لا تقيم بينها وبين ممارسة عملية الاجتهاد أية عوائق أو حواجز ، مهما كان شكل تلك الحواجز والعوائق .

ولعل التطور الذي أشرنا إليه في مجال الدراسات الحوزوية في مجالي الفقه والأصول لدى الإمامية لا يختص بهذين العُلمين فقط . وإنما يظل التطور والنمو سمة كل علم تُوفّر له الحركة الدائمة ، ولا توضع في طريق ازدهاره وتقدمه عقبات وسدود .

(١) لأصفي : الإجتهد والتقليد وشؤون الفقيه ، ٢٥ .

علاقة الفقه بالحاكم :

وإذ نعود لموضوع علاقة الفقه بالحاكم ، ، وقد أتينا على طرف منه عند حديثنا عن استقلالية الحوزة العلمية عن السلطة الزمنية ، فلأننا نحاول هنا أن نرى مدى تأثير علاقة الفقه بالحاكم وبالسلطة السياسية سلباً أو إيجاباً .

فالأمر الذي لا يحتاج إثباته إلى دليل : أن الفقه الإمامي طول تاريخه على علاقة غير جيدة مع الحاكم ، بل وكان يتحرك في دائرة عدم الرضا ، والغضب عليه من قبل السلطات المتعاقبة على الحكم .
وفرق بين فقه يعتمده الحاكم ، وفقه لا يرتضيه ، بل ويلاحقه ، ويضيق عليه .

وبارتباط الفقه بالحاكم ، فإنه يرتبط - دون أدنى شك - بالوضع السياسي . ويتأثر به شاء أم أبى : استقراراً أو اضطراباً . أما الفقه البعيد عن الحاكم فإنه إنما يتحرك في حدود حاجات المقلّدين .

من هنا : فإن الفقه الإمامي إنما كان يتحرك ويتفاعل مع حاجات الناس بعيداً عن تقلّبات المناخات السياسية القائمة . وإذا عرفنا أن السياسة الحاكمة تؤثر في الفقه استقراراً واضطراباً ؛ أدركنا بجلاء : أن الفقه الإمامي ظل يستجيب لحاجات الناس ومسائلهم . وحاجات الناس ومسائلهم لا يمكن أن تتوقف ، بل هي مستمرة متجدّدة .

في ضوء هذه المقدمة الضرورية يتضح سبب فقدان الفقه السني في القرنين السادس والسابع الهجريين لشيء من جذوته مع ارتباك الوضع السياسي ، بل وانهيائه على يد المغول ، في ما بقيت الحوزات العلمية لدى الشيعة الإمامية في منأى عن شؤون وشجون الحكم والحاكم ، وظلت بعيدة في الوقت نفسه عن المناخات السياسية المتقلّبة التي عصفت ببلاد المسلمين . وأثّرت تأثيرها السلبي في غير ركن من أركان المعرفة

مع عدم إنكار ما تمتع به الفقه السني من حيوية في عهدنا قبل حصر التقليد في مذاهب معينة .

وفي ظل اجتهاد مستمر شهدنا نموّ الحركة الفكرية وازدهارها في نطاق المؤلفات الدراسية للحوزة العلمية ، أو غيرها ، مما يتصل عقدياً بالإمامية في مجمل أفكارهم .

خط الاجتهاد في الحوزة العلمية :

بالاجتهاد تزدهر الحركة الفكرية في الحوزة العلمية ، وباعتماد الحوزة خطّ الاجتهاد هدفاً لطلابها إنّما تزدهر حركة الاجتهاد نفسه . وأعرّف أن المسألة تحتاج إلى بيان وتوضيح :

فالطالب في الحوزة العلمية - وفي النجف بالذات - حين يتوجّه إليها يكون قد وضع في مخيلته ووعيه وإدراكه ، نيل درجة الاجتهاد .

والسؤال هنا : ما هي مساهمة هذا الهدف في تطوّر الحركة الفكرية ، إن في داخل ذهن الطالب الحوزوي ، أو انعكاساً على مناهج البحث الحوزوي ، وبالتالي الحركة الفكرية الحوزوية بشكل عام ؟ .

. . لا شك أن هناك فرقاً بين من يدخل المعهد - أيّ معهد - وهو يعرف مسبقاً أنه محاط بأسوار وآراء علماء مذاهب قد يكون عددهم أربعة ، وقد يزيد عن ذلك ، وقد ينقص ، لا يُسمح له بتخطّيها وتجاوزها ، فضلاً عن الخروج عليها ونقدها . فيحد ذلك دون ريب من اندفاعه ، بل ينعدم لديه الإبداع ، ويظل جهده محصوراً في المحاكاة ، وكل ما يجهد في تعلّمه هو هضم آراء أولئك العلماء . ونقاط اختلافهم .

فرق بين طالب كهذا وبين طالب الحوزة العلمية أن في النجف أو في الحوزات العلمية التي تماشيها . إذ ما أن يدخلها الطالب إلّا وفي قرارة نفسه هدف يتمثّل في أن يكون في عداد المجتهدين الذين يسهمون بأرائهم وأفكارهم في عملية استنباط الحكم الشرعي . ومثل ذلك الطالب

سيندفع بقوة لطلب العلم ، وتنشط لديه القوة الفكرية ، ويحاول أن يستجيب لمنهجية الحوزة العلمية التي تقود إلى الاجتهاد ، وما ذلك إلا لأن « الحوزات من حيث المصادر وأساليب البحث والاجتهاد غنية وتملك قدرة الإبداع »^(١) .

أجل إن المنهج الدراسي الحوزوي يساهم في ازدهار حركة الاجتهاد ، كما يساهم الاجتهاد في ازدهار المنهج الدراسي الحوزوي وتطوره .

* * *

(١) الخميني : كلمة بمناسبة ارتداد سلمان رشدي صاحب كتاب (الآيات الشيطانية) بتاريخ ١٦ رجب ١٤٠٩ هـ / ٢٢ شباط ١٩٨٩ م .

الباب الثالث

مفهوم المرجعية الدينية العليا لدى الإمامية الاثني عشرية

الفصل الأول: المرجعية: مفهومها.. شرعيتها..
مراحلها.
الفصل الثاني: المرجع الأعلى: صفاته. وطريقة
اختياره.
الفصل الثالث: الحركة الإصلاحية للكيان المرجعي.

الفصل الأول:

المرجعية : مفهومها .. شرعيها .. مراحلها .

ما هي المرجعية : ؟

بالاستعانة بالموسوعات اللغوية ، يمكننا أن نعيد لفظ (المرجعية) إلى جذر الفعل (ر.ج.ع)^(١) فَرَجَعَ ، رُجُوعاً ، وَمَرَجِعاً ، وَمَرَجَعَهُ ، وَرُجِعِي ، وَرَجَعَانَا ضد انصرف^(٢) . وفي القرآن الكريم ﴿ إلى ربك الرُّجْعِي ﴾^(٣) ، أي الرجوع^(٤) . والمرجع : مصدر^(٥) وقد ورد في القرآن الكريم قوله - تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ - : ﴿ إذ قال الله يا عيسى أني متوفيك ، ورافعك إلي ومُطَهِّرَك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون ﴾^(٦) .

(١) بناء على أن الفعل هو أصل المشتقات ، كما هو رأي بعض النحاة .

(٢) ابن منظور : لسان العرب ، مادة (رَجَعَ) ، ١١٤/٨ .

(٣) العلق/ ٨ .

(٤) شُبْر : تفسير القرآن ، ٥٦٢ .

(٥) ابن منظور : م . س ، ١١٤/٨ .

(٦) آل عمران/ ٥٥ .

مما تقدم : يتضح لنا أن المرجعية بمفهومها اللغوي العام ، هي محل الرجوع والعودة .

وإذا كان (المرجع) هو محل الرجوع ، فمن السهل أن يصل الباحث إلى معنى (المرجعية) التي شاع استعمالها منذ قرون عديدة في أوساط الحوزات العلمية ، مقترنة بـ (الدينية) ، حيث عاد مألوفاً إطلاقها على العلماء المجتهدين الكبار الذين يتولون مهمة الإشراف والتوجيه للحوزة الدينية في هذه المدينة ، أو تلك . إذ يعود عامة الناس إلى هؤلاء العلماء في ما أشكل عليهم من أمور دينهم .

ورجوع العامة من الناس إلى المَرَجِعِ العالمِ المجتهد ، له ما يسوّغه ، ويؤكدده من خلال النصوص الشرعية أولاً وفي حكم العقلاء ثانياً . « فإذا اختلف اثنان في كلمة لغوية رجعا إلى كتاب في اللغة ، وذلك الكتاب يسمّى بالمرجع اللغوي ، وإذا تنازع عالمان في مسألة فقهية ، فحصا كتاب الله الكريم الذي هو المرجع الأكبر لعلماء المسلمين »^(١) .

ومن هنا يمكن أن نخلص إلى أن معنى المرجعية في اصطلاح الفقهاء بأنها : « الجهة المتولّية لشؤون الأمة أو الفرقة أو الطائفة بأجمعها ، ويدها الإدارة لتدبير أحوالها وأوضاعها الدينية ، ويسمى المتقمّص بها بالمرجع ، بفتح الميم وكسر الجيم »^(٢) .

ويعرّفها الشيخ محمد مهدي شمس الدين فيقول : « إن المرجعية في التقليد عند المسلمين الشيعة الإمامية مركز قيادي أعلى يوجه الإنسان المسلم في جانب كبير من حياته اليومية والعامة وفقاً لأوامر الله تعالى ونواهي »^(٣) .

(١) شمس الدين : حديث الجامعة النجفية ، ٧٨ .

(٢) كاشف الغطاء : باب مدينة علم الفقه ، ٣٥٨ .

(٣) شمس الدين : مواقف وتأمّلات في قضايا الفكر والسياسة ، ٦٩ .

أما السيد محمد حسين فضل الله فيعرّف المرجعية بقوله :
« هو الموقع القيادي الذي يطل على الواقع الإسلامي من أجل أن
يشارك في كل قضاياها وفي كل تطلعاته ، وفي كل حركاته العامة »^(١) .
ومن الضروري أن نشير إلى « أن طبيعة المرجعية الإسلامية تختلف
عن المرجعية في أي شيء آخر ، فعندما توضع (المرجعية) في إطار
التشريع الإسلامي ، تتسع لكل ما يعني الإنسان من شأن في حياته ، فيما
يتصل بشؤونه الفكرية والمادية وتحديد المرجعية الدينية في الإسلام في
إطار مسائل الصلاة ، والطهارة ، والحج لا مبرر^(٢) له بالنظر إلى سعة
مفهوم الدين في الإسلام »^(٣) .

(١) فضل الله : حديث شخصي في بيروت بتاريخ ١٣ رمضان ١٤١١هـ/ آذار
١٩٩١ م .
(٢) الصواب لا مسوغ .
(٣) الأصفى : مدرسة النجف وتطور الحركة الإصلاحية فيها ، ٥٠ .

شرعية المرجعية في الرؤية الإمامية الاثني عشرية

جاء الإسلام ، وفي كتابه تأكيد في كثير من الآيات القرآنية على أن هذا الدين هو دين التوحيد ، وأن لا حاكمية مطلقة ، ولا خضوع كُلي إلا لله الواحد الأحد ، هذا الواحد الأحد - تقدست أسماؤه كلها - قد شرف الإنسان بالخلافة على الأرض ، ونلمس هذا التشريف في مواطن عديدة من الكتاب المجيد . قال تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(١) . وقال تعالى : ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾^(٢) .

وبموازاة مسألة الخلافة ، هناك مسألة الشهادة التي تحدت عنها القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُم

(١) البقرة/ ٣٠ .

(٢) ص/ ٢٦ .

المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ﴿١﴾ .

يعتَبُّ الشهيد سيد قطب - رحمه الله رحمة واسعة - على هذه الآية في ظلاله فيقول :

« . . . فالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يشهد على هذه الأمة ، ويحدد نهجها واتجاهها ويقرر صوابها وخطأها . وهي تشهد على الناس بمثل هذا ، فهي القوامة على البشرية بعد نبيها ، وهي الوصية على الناس بموازين شريعته . وتربيتها وفكرتها عن الكون والحياة . ولن تكون كذلك إلا وهي أمينة على منهجها العريق المتصل الوشائج ، المختار من الله » ﴿٢﴾ .

وهكذا فالإلى جانب خط الخلافة - خلافة الإنسان على الأرض - خط الشهادة « الذي يمثل التدخّل الربّاني من أجل صياغة الإنسان الخليفة من الانحراف وتوجيهه نحو أهداف الخلافة الرشيدة ، فالله تعالى يعلم ما توسوس به نفس الإنسان ، وما تزخر به من إمكانيات ومشاعر وما يتأثر به من مغريات وشهوات وما يصاب به من ألوان الضعف والانحلال . وإذا تُرك الإنسان ليمارس دوره في الخلافة بلا توجيه وهدى كان خلقه عبثاً ومجرد تكريس للنزوات والشهوات وألوان الاستغلال . وما لم يحصل تدخّل ربّاني لهداية الإنسان الخليفة في مسيره فإنه سوف يخسر كل الأهداف الكبيرة التي رُسِمَت له في بداية الطريق ، وهذا التدخّل الربّاني هو خط الشهادة » ﴿٣﴾ . قال تعالى :

﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا

(١) الحج/٧٨ .

(٢) قطب : في ظلال القرآن ، ٦٣٢/٥ .

(٣) الصدر : خلافة الإنسان ، وشهادة الأنبياء ، ١٦١ - ١٦٢ .

للذين هادوا والبرانيون والأخبار بما است حفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴿١﴾ .

وبعد استشهاده بالآية الكريمة ، يقول السيد الصدر : - « . . . ومن هنا أمكن القول بأن خط الشهادة يتمثل : -

أولاً : - في الأنبياء .

ثانياً : - في الأئمة الذين يعتبرون امتداداً ربانياً للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذا الخط .

ثالثاً : - في المرجعية التي تعتبر امتداداً رشيداً للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، والإمام علي (عليه السلام) في خط الشهادة « (٢) .

يضيف السيد الصدر شارحاً الفكرة :

« فالنبي هو حامل الرسالة من السماء ، باختيار الله تعالى له للوحي ، والإمام هو المستودع للرسالة ربانياً . والمرجع هو الإنسان الذي اكتسب من خلال جهد بشري ، ومعاناة طويلة الأمد استيعاباً حياً ، وشاملاً ومتحرراً للإسلام ومصادره ، وورعا معمقاً يروض نفسه عليه حتى يصبح قوة تتحكم في كل وجوده وسلوكه ، وعياً إسلامياً رشيداً على الواقع وما يزره به من ظروف وملابسات ليكون شهيداً عليه « (٣) . وسنعرض لهذه النقطة بتفصيل عند حديثنا عن المرتكزات الأساسية للشخصية المرجعية ضمن هذا الباب إن شاء الله تعالى .

وهكذا ، ومن خلال مجموع ما تقدم يمكن أن نخلص إلى أن الاعتقاد لدى الإنسان المسلم ، يرتكز فيما يرتكز عليه من أصول

(١) المائة/٤٤ .

(٢) الصدر : م . س ، ١٦٢ .

(٣) نفسه ، ١٦٣ - ١٦٤ .

الاعتقاد ، إلى « أن صفة الحاكمية المطلقة مقررة لله بموجب التعميم الذي تحمله « مَنْ » الشرطية وجملة الجواب »^(١) في قوله تعالى ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾^(٢) « بحيث يخرج من حدود الملابس والزمان والمكان ، وينطلق حكماً عاماً ، على كل من لم يحكم بما أنزل الله ، في أي جيل ومن أي قبيل . . . »^(٣) . ومن ثم فإن الله - وهو الحاكم المطلق - أسند إلى نبيه الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) مهمة تبليغ رسالة السماء إلى البشرية . وإن الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن لينتقل إلى الرفيق الأعلى - بحسب الاعتقاد الشيعي - إلا وقد أعدَّ شخصاً ليخلفه في شؤون المسلمين إماماً^(٤) . إذ « لا بد أن يكون في كل عصر إمام هاد يخلف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في وظائفه من هداية البشر وإرشادهم إلى ما فيه الصلاح والسعادة في النشأتين . وله ما للنبي من الولاية العامة على الناس لتدبير شؤونهم ومصالحهم وإقامة العدل بينهم ورفع الظلم والعدوان من بينهم »^(٥) . ولنا في صدد إثبات النصوص التي تؤيد ذلك ، إذ مضى على هذه المسألة ما يقارب الأربعة عشر قرناً من الزمان ، وهي موضوع جدل العلماء^(٦) .

بيد أن الذي نركز عليه هنا هو اعتقاد الشيعة الإمامية الاثني عشرية بالإمامة . وبنص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على إمامة علي ابن

(١) قطب : في ظلال القرآن ، ٧٤٠/٢ .

(٢) المائة/٤٤ .

(٣) قطب : م . س ، ٧٤٠/٢ .

(٤) للتوسع أنظر : المظفر : عقائد الإمامية ، ١٠٢ ، وكاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها ٦٥ .

(٥) المظفر : م . س ، ١٠٢ - ١٠٣ .

(٦) للإحاطة في هذا الموضوع يراجع موسوعة :

الأمني : الغدير في الكتاب والسنة ، والأدب ، (١٢ مجلّد) .

أبي طالب (عليه السلام) للمسلمين بعده ، كما وأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) « قد نصّ على عترته التي هي عدل الكتاب جملةً وتفصيلاً مبتدئاً حديثه بعلي وخاتماً بالمهدي ولقد قام كل واحد من العترة بدوره في حماية الرسالة ومدّها بالحياة واحداً بعد واحد ، يدفعها السابق إلى اللاحق ، ويتسلّمها اللاحق من السابق ، حتى انتهى الدور إلى المهدي ، الذي أسند أمر الرسالة إلى الفقهاء ، لا بأسمائهم ولكن من خلال الصفات التي تؤهّلهم لتولي قيادة المرجعية »^(١) .

ومما تقدم يتضح - جلياً - الفرق بين (الإمامة) و(المرجعية) ، فالإمامة لا تكون إلا بالنص من الله تعالى على لسان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، أو لسان الإمام الذي قبله ، وليس هي بالاختيار والانتخابات من الناس^(٢) . وإذا كان هذا هو شأن الإمامة ، فإن المرجعية ، إنما يتولّاها المرجع الديني المعين من قبل الله تعالى « بالصفات والخصائص أي بالشروط العامة في كل الشهداء ، ومُعَيّن من قبل الأمة بالشخص ، إذ تقع على الأمة مسؤولية الاختيار الواعي له »^(٣) .

ومن هنا يتضح : « أن المرجعية كخط قراراً إلهياً^(٤) ، والمرجعية كتجسيد في فرد معين قرار من الأمة »^(٥) ، تتخذ وفق توجيهات أهل العلم والفضيلة ممن عرفوا المرجع وعاشوا معه وحضروا دروسه ، إذ أن عموم أفراد الأمة في الغالب لا يحسن الاختيار .

(١) معتوق : المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية ، ٩ .

(٢) المظفر : عقائد الإمامية ، ١٠٣ . وأنظر : كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها ، ٦٥ وما بعدها .

(٣) الصدر : خلافة الإنسان ، وشهادة الأنبياء ، ١٦٥ .

(٤) لا أدري لِمَ . . نصب السيد الصدر لفظ (قرار) مع أنه يفترض أن يُرفع ، على أنه خبر أن ، والمرجعية الإسم ؟ .

(٥) الصدر : م . ن ، ١٦٤ .

في ضوء هذا التمييز بين الإمامة والمرجعية نخلص إلى أن :
« ارتباط الفرد بالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ارتباطاً دينياً والرجوع إليه في أخذ أحكام الله تعالى عن طريقه يجعل منه مسلماً بالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وارتباطه بالإمام علي (عليه السلام) على هذا النحو يجعل منه مؤمناً بالإمام وارتباطه بالمرجع على النحو المذكور يجعل منه مقلداً للمرجع »^(١) .

(١) نفسه .

المرجعية في جذورها ومراحل تطورها

ما دمنا قد عرفنا - فيما تقدم من صفحات - أن المرجعية بمفهومها الاصطلاحي هي الجهة الشرعية التي يعود إليها عامة الناس لمعرفة شؤون دينهم وديناهم^(١) ، فإن من السهولة بمكان أن نعثر على جذورها الموعلة في القدم ، وإن كانت مختلفة في بعض أشكالها وممارستها ، ودائرة نفوذها من وقت لآخر ، بحكم ما يحيط بها من عوامل تضغط عليها لتجعلها في دائرة ضيقة حيناً ، لتنتقل في أحيان أخرى بفعل عوامل مؤاتية .

ولا يحوجنا القول بظهور بعض الترابط بين عامة الناس ، وبين الكهنة والقسيسين إبان عهود الرسالتين اليهودية والمسيحية . لا يحوجنا هذا القول إلى برهنة وتدليل كونه ينبع من ضرورة قيام (المرسل) بتبليغ ما كُلف به ، أو إسناد أمر المهمة إلى من ينوب عنه ضمن طريقة اختيار ، وحدود تبليغ يشير إليها ذلك المرسل ويقرّها .

وإذا كان ذلك فيما مضى من عهود الرسالات السماوية ، التي كان آخرها رسالة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) التي اختير ليكون لها مبلغاً وهادياً محمد بن عبد الله ، عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأزكى (١) أنظر ص (٢) من هذا الكتاب .

التسليم ، فإن الأمر لم يختلف كثيراً في العهود اللاحقة .

ولعلّ من قرأ الصفحات الأولى من كتابنا هذا حينما تحدثنا عن « نشأة المدارس الإسلامية في العالم الإسلامي » عرف كيف أن حَفَظَةَ القرآن الكريم ، من صحابة الرسول الأمين (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وآل بيته المعصومين^(١) ، بالإضافة إلى أولئك العالمين بفقهِ الإسلام ، هؤلاء جميعاً كانوا خيراً من حمل رسالة السماء إلى قبائل الجزيرة العربية ، وباقي الأمصار التي دخلها المسلمون . ومن هنا أمكن يسر القول : إن الصحابة والتابعين ، كانوا هم مرجع الأمة في الفتوى .

على أن الشيعة ، استناداً إلى معتقدِهِم بإمامة علي بن أبي طالب وأبنائه الاثني عشر (عليه السلام) اعتبروا أئمتهم مرجع الأمة بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، بحيث كانوا يرجعون إليهم في كل ما يستجد من شؤون الدين والدنيا ، وهكذا حتى تاريخ غيبة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) سنة ٢٦٠هـ-١٧٣م ، وهي (الغيبة الصغرى)^(٢) ، حيث لم ينقطع فيها الإمام المهدي عن شيعته وأتباعه ، فقد أبقي نواباً له ، ووكلاء ثقات ، وكانوا الوسائط فيما بينه وبين الأمة ، هؤلاء السفراء هم :

(١) لعل أفضل من كتب في موضوع (عصمة الأئمة الاثني عشر) هو : جعفر بن الحسن الحلبي الذي اشتهر بلقب (المحقق) (٦٠٢-٦٧٦هـ / ١٢٠٥-١٢٧٧م) ضمن كتابه الموسوم بـ (الألفين في إمامة أمير المؤمنين) طبع في النجف الأشرف عام (١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م) . وأعيد طبعه في بيروت ، دون أن أقف على زمان الطبع ومكانه . مما يجدر ذكره أن المحقق الحلبي : قدّم في كتابه هذا عدداً من الأدلة تقرب الألفي دليل ، مستنداً على وجوب عصمة الإمام إلى القرآن والسنة وعلم الكلام ، بعد أن عرّف العصمة بأنها : ما يمنع المكلف من المعصية متمكناً منها ولا يمتنع منها مع عدومها . أنظر ص/ ٥٠ .

(٢) للتوسع في دراسة موضوع الغيبة الصغرى أنظر : الصدر ، محمد : تاريخ الغيبة الصغرى .

١ - عثمان بن سعيد العمري أو العميري .

٢ - محمد بن عثمان بن سعيد .

٣ - أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي .

٤ - أبو الحسن علي بن محمد السمري أو السيمري^(١) .

وبموت آخر النَوَاب الأربعة سنة ٣٢٨هـ / ٩٣٩م . انتهت (الغيبة الصغرى) التي دامت نحواً من خمس وسبعين سنة . لتبدأ بعد ذلك الغيبة الكبرى ، المستمرة - وبحسب المعتقد الإمامي الاثني عشري - إلى يومنا ، حتى يأذن الله بظهور الإمام المهدي ، ليملا الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً^(٢) .

وإذا كانت الأمة (ترجع) في عصر الغيبة الصغرى إلى سفراء الإمام الأربعة ، فإنها في الغيبة الكبرى تكون ملزمة باللجوء إلى العلماء الفقهاء من الذين فقهوا القرآن وفسرُوا آياته ، وعرفوا خاصها من عامها ، ومطلقها من مقيدها) .

إن العودة والرجوع إلى العلماء تؤكده ، وتلزم الأمة عليه ، الكثير من الروايات الواردة عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل

(١) أنظر ترجمة السفراء الأربعة في : القمّي : الكُنَى والألقاب ، ٣/ ٢٦٦ .
(٢) هناك الكثير من المصادر والمراجع التي تناولت موضوع الغيبة . من المصادر نذكر :

١ - الغيبة للطوسي . ط . النجف (١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م) .

٢ - النعماني : كتاب الغيبة . ط . تبريز - إيران (١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م) .
ومن المراجع نذكر : - دخيل : الإمام المهدي (عليه السلام) ط . النجف ل . ت .

٢ - الفضلي : في انتظار الإمام . طُبع في النجف ، وببيروت ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

٣ - زين الدين : مع الدكتور أحمد أمين في حديث المهدي والمهدوية . ط . النجف (١٣٨١هـ / ١٩٥١م) .

بيته (عليهم السلام) ، نختار منها الرواية التي نقلها عمر بن حنظلة^(١) .
عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) وفيها يقول :

سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن رجلين من أصحابنا بينهما
منازعة في دين ، أو ميراث فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاة . أيجل
ذلك ؟

ردّ الإمام الصادق قائلاً : من تحاكم إليهم في حق ، أو باطل ،
فإنما تحاكم إلى الطاغوت وهو ما أمر الله أن يكفر به . وقرأ قوله تعالى
﴿ يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ﴾^(٢) .

سأله حنظلة : فكيف يصنعان ؟

قال : ينظران من كان منكم قد روى حديثنا ، ونظر في حلالنا
وحرامنا ، وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً . فإنني قد جعلته عليكم
حاكماً . فإذا حكم بحكمنا فلم يُقبَل منه ، فإنما استخف بحكم الله ،
وعلينا ردّ . والرادّ علينا رادّ على الله . وهو على حدّ الشرك بالله^(٣) .

وإذا كان البعض يفهم من هذه الرواية ، قصد الحكومة القضائية
للفقيه ، بمعنى : أن يكون الفقيه الذي عبّرت عنه الرواية بمن : « روى
حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا » هو المرجع في القضاء والخصومة ،
فبطريق أولى : يكون الفقيه مرجعاً للأمة في بيان أحكام دينها ودنياها .
دون أن نقر لهذا البعض توزيع أحكام الدين ومفردات الفقه الإسلامي

(١) عمر بن حنظلة ، هو أحد رواة الحديث الثقات ، الذين يَعتَمِد عليهم الإمامية في
رواية الكثير من الأحاديث . ذكر السيد الخوئي ثلاثة وعشرين من أسماء علمائنا
الذين رَووا عنه .

أنظر : الخوئي : معجم رجال الحديث ، ٣٧٤/١٣ - ٣٧٦ .

(٢) النساء/ ٦٠ .

(٣) الحر العاملي : وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ، ٤/١٨ ، ٩٩
« صفات القاضي » .

بحيث يخرج بعضها من دائرة اختصاص الفقيه كمرجع رئيسي للأمة .
علماً بأن الرواية المذكورة « جعلت الحكم مترتباً على النظر والمعرفة التي
من صغرياتها ولاية الحكم مع أن قبول الحكم في الرواية وغيرها يستلزم
قبول الفتوى ، لأن قبول الحكم يتوقف على اعتبار فتواه في بيان الحكم
الذي بدونه لا تنفصل الخصومة »^(١) .

ما دنا بصدد الحديث عن المرجعية في جزأورها ، يحسن بنا أن
نشير إلى كيفية الافتاء ، أو قل الطريقة العملية في ممارسة الفقيه لهذا
الدور ؟ :-

لقد كان أصحاب الأئمة (عليهم السلام) ، ومن قبلهم أصحاب
الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، يفتون الناس بنقل الحديث النبوي الشريف
نفسه للمستفتي ، ثم تطوّرت الفتوى عندهم فأخذوا يفتون بنص الرواية من
دون ذكر السند ، ثم لتطور الفتوى إذ أخذوا يفتون بما أذى إليهم
اجتهادهم في حكم الواقعة الشرعية بتعابيرهم الخاصة . ثم جاءت مرحلة
ما بعد غيبة الإمام المهدي الكبرى عام ٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م . ليتبدى عهد
احتياج الفقهاء إلى أعمال اجتهادهم في معرفة أحكام المسائل التي
تُعرض عليهم بردها لأصولها الموجودة في الكتاب والسنة ، وما تقتضيه
القواعد الشرعية ، والموازن العقلية ، وتشخيص ما قام إجماع علماء
الشيعة عليه . إلى غير ذلك مما يقتضيه الاجتهاد ، ويتطلبه
الاستنباط^(٢) .

مراحل المرجعية :

لقد مرّت مسألة رجوع الأمة إلى علمائها بمراحل عديدة ، حتى
وصلت إلى ما نراه اليوم من كيان مرجعي شامخ . وعن تلك المراحل ،
ولحاظ تطوّرها وتمركزها ، وتعميق اتصالها ووجودها بالأمة يتحدّث السيد

(١) معتوق : المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية ، ٣١-٣٢ .

(٢) أنظر : كاشف الغطاء : أدوار علم الفقه وأطواره ، ١١٥-١١٦ .

الصدر ، فيرى أنها مرّت بأربع مراحل هي كالتالي :

- ١ - مرحلة الاتصال الفردي .
- ٢- مرحلة الجهاز المرجعي .
- ٣ - مرحلة التمرکز والاستقطاب .
- ٤ - مرحلة القيادة^(١) .

ولكي نستوعب طبيعة كل مرحلة ، لابد أن نوضحها كلا على حدة من خلال ما عرضه السيد الصدر :

١ - مرحلة الاتصال الفردي :

وقد كان فيها هذا الكيان يعبر عن اتصالات فردية بين علماء ومجتهدين وقواعد شعبية في بلاد أولئك العلماء المجتهدين ، يُستفتى العالم فيفتي ، وكان الارتباط يقوم بشكل فردي ومباشر بين الناس ، وبين العالم المفتي . وهذه المرحلة التي عاشها أصحاب الأئمة (عليهم الصلاة والسلام) . واستمرت هذه المرحلة حتى أيام العلامة الحلّي^(٢) ،

(١) الصدر : المحنة (محاضرة أُلقيت في النجف الأشرف عام ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) ، وطُبعت فيما بعد ككتاب .

(٢) هو : الحسن بن يوسف بن علي المظهر الحلّي (٦٤٨ - ٧٢٦هـ/١٢٥٠ - ١٣٢٥م) ، أحد كبار علماء الشيعة ، انتقلت إليه الزعامة الدينية بعد وفاة أستاذه المحقق الحلّي (٦٧٦هـ/١٢٧٧م) . روي أنه لما حَجَّ اجتمع بابن تيمية في المسجد الحرام فتذاكرا فأعجب ابن تيمية بكلامه ، فقال له : من تكون يا هذا ؟ قال : الذي تُسميه ابن المنجس (حيث سماه بذلك في منهاج السنة) .

أنظر ترجمته في : القمي : الكنى والألقاب ، ف/٤٧٧ .

الأمين : أعيان الشيعة ٤٠٨/٥ .

الأصفي : (مقدمة) اللعة الدمشقية ، للعالمي ، ٧١/١ .

البقال : (مقدمة) مبادئ الأصول إلى علم الأصول ١٧ ،

(نقلًا عن) : الدرر الكامنة ٧٢/٢ .

إذ كان الوضع العام لهذا الكيان إلى أيام العلامة الحلي (رضوان الله عليه) ، هو وضع علماء مجتهدين يوجد كل منهم في مكان ويرتبط به شيعة يستفتوته فيفتي^(١) .

٢ - مرحلة الجهاز المرجعي :

وقد دخلها - بحسب ما أفهم من سير الأحداث - كما يقول السيد الصدر : على يد الشهيد الأول (رضوان الله عليه)^(٢) ، هذا الذي قدّم دمه في سبيل نقل هذا الكيان من المرحلة الأولى إلى المرحلة الثانية . على عهده أصبح هذا الكيان عبارة عن أجهزة من الوكلاء وعلماء الاطراف ، يرتبطون بالمرجع ، ويتصلون بالقواعد الشعبية . وبحسب سير الأحداث فإن هذه المرحلة قد دخلت على يد الشهيد الأول (رضوان الله عليه) ، حيث لم يعرف تطبيقاً أسبق من - من الناحية التاريخية - من تطبيق الشهيد الأول . فقد قام بهذا التطبيق في لبنان وسوريا ، وعيّن الوكلاء وفرض جباية الزكاة والخمس على القواعد الشعبية من الشيعة ،

(١) الصدر : المحنة ٤١ - ٤٢ .

(٢) الشهيد الأول هو : محمد بن جمال الدين مكّي العاملي الجزيني (٧٣٤ - ٧٨٦هـ / ١٣٣٣ - ١٣٨٤م) وُلِدَ في جَزِين بجبل عامل ، هاجر للعراق لطلب العلم ، وزار كثيراً من حواضر العالم الإسلامي ، وبهذا أتيح له نوع من التلاحق الفكري بين مناهج البحث الفقهي والأصولي عند الشيعة والسنة . من كتبه : الذكرى ، والدروس الشرعية في فقه الإمامية والقواعد ، واللمعة الدمشقية ، التي أصبحت أهم المصادر الفقهية ، وهي مدار البحث والدراسة في كل الحوزات العلمية الشيعية .

قُتِلَ الشهيد الأول بالسيف في دمشق ثم صُلب ورُجِمَ ثم أُحرق (بفتوى) القاضي برهان الدين بن جماعة الشافعي ، بعدما حبس سنة كاملة في قلعة الشام في محنة أليمة تُعرض عنها هنا . . .

أنظر ترجمته في : القَمِي : الكُنَى والألقاب ، ٣٧٧/٢ .

الأمين : أعيان الشيعة ، ٣٥٤/٧ .

الأصفي : (مقدمة) اللمعة الدمشقية ، ٧٣/١ .

وبذلك أنشأ كياناً دينياً قوياً للشيعنة مترابطاً لأول مرة في تاريخ العلماء .
وكان إنشاؤه لهذا الكيان هو من أهم الأسباب التي أدت إلى مقتله (رضوان
الله عليه) (١) ، كما أدت بعض أفكار السيد الصدر إلى مقتله لاحقاً !

٣ - مرحلة التمركز والاستقطاب :

لقد استمرت (مرحلة المرجعية مع الجهاز) إلى أن دخلت
المرجعية (المرحلة الثالثة) على يد الشيخ-كاشف الغطاء(٢) ومعاصريه
من العلماء . وهي مرحلة التمركز والاستقطاب ، لأن المرجعية في
المرحلة الثانية بالرغم من أنها كانت ذات أجهزة ، لكنها لم تكن متمركزة
بنحو تستقطب العالم الشيعي كله .

وفي عهد الشيخ كاشف الغطاء ، وعن طريق علاقات وارتباطات
واسعة بين العراق وإيران ، أمكن وضع بذرة للاستقطاب والتمركز ،

(١) الصدر : المحنة ، ٤٣ (بتصرّف) . على أنه من الضروري أن نذكر : أن الشهيد
الأول وفور عودته من الحلة في العراق - حيث كان يطلب العلم - إلى بلدته جزيين
بجبل عامل ، أسس فيها معهداً كبيراً لتدريس الفقه والأصول على مستويات
مختلفة عرف بـ(مدرسة جزيين) ، وهي أول مدرسة فقهية افتتحت في جبل
عامل ، ويبدو أنها كانت طليعة النشاط الثقافي والسياسي الشيعي في جبل
عامل .
أنظر : الأصفي : م . س ، ١١٥/١ .

(٢) كاشف الغطاء هو : جعفر بن خضر ، بن يحيى الجناحي ، - وجناحة : إحدى قرى
الحلة في العراق - وُلد بالنجف عام ١١٥٤هـ/١٧٤١م ، عُرِف عنه فقاوته ،
حتى إنه مضى زمن في إيران لا يُقلد ، ولا يكون مرجعاً عاماً من عاصره ولم
يحضر عليه .. وعُرِف بدفاعه شخصياً عن أهالي النجف من غارات سعود
الوهابي ، أظهر كتبه (كشف الغطاء) ، الذي جعل - لاحقاً - لقباً له ولأولاده ،
وأفراد أسرته الكبيرة حتى اليوم ، توفي في النجف ودفن بها عام
١٢٢٧هـ/١٨١٢م .

حز الدين : معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء ، ١٥٠/١ ، وما
بعدها .

ونشأت المرجعية المركزية التي تستقطب أنظار العالم الإسلامي^(١) .
« وقد قام الشيخ كاشف الغطاء بمحاربة الجمود الفكري الفقهي علماً وعملاً ، وقضى بجهوده الجبارة على الدعوة للبقاء على تقليد الأموات^(٢) ، ونقل الدراسة الدينية (من الحلة) إلى النجف ، واستدعى العلماء في العلوم الإسلامية ، حتى الطب والفلك والحساب^(٣) .

« وفي هذه المرحلة (الثالثة) مرت على هذه المرجعية فترة طويلة من الزمن في عهد الحكم العثماني قبل عصر الاستعمار^(٤) .

٤ - مرحلة القيادة :

ما إن دخل المسلمون عصر الاستعمار ، حتى وُجد نوع من التحول والتطور في الكيان المرجعي فبعد أن أصبح - وكما عرفنا من خلال مرحلته الثالثة - مركزياً يستقطب أنظار العالم الشيعي ، نراه في هذه المرحلة قد بدأ يتسلم زمام القيادة ، ويدخل الصراع مع الكافر المستعمر ، ويتبنى مصالح المسلمين ، ويدافع عنهم ، ليدخل مرحلة أخرى هي مرحلة (القيادة) ، زيادةً على استقطابه وتمركزه^(٥) .

ولعلّ بالإمكان - في ضوء ذلك - أن نجعل نهاية الربع الأول من القرن الرابع عشر الهجري / أوائل القرن العشرين الميلادي ، تاريخاً لتلك المرحلة « غاية الأمر إن هذه القيادة كانت تتذبذب بين مدّ وجزر . . بين ظهور وخفاء . . حسب الظروف والملابسات التي تُمنى بها خلال عملها^(٦) .

(١) الصدر : المحنة ، ٤٤ .

(٢) وذلك بوقوفه بوجه مدّ الحركة الإخبارية ، التي تجيز تقليد الأموات ، بينما ، يكاد يُجمع الأصوليون من الإمامية الاثني عشرية ، بعدم جواز تقليد الأموات ابتداءً ، نعم يجوز البعض البقاء على تقليد الميت ، إذا كان الميت أعلم من الأحياء .

(٣) كاشف الغطاء : أدوار علم الفقه وأطواره ، ٢٤٢ .

(٤) الصدر : م . س ، ٤٤ .

(٥) نفسه ، (باختصار وتصرف) .

(٦) نفسه .

الفصل الثاني :

المرجع الأعلى : صفاته . وطريقته . . اختياره .

ما دما قد عرفنا عند حديثنا عن شرعية المرجعية^(١) بأنها - برسالتها - ترتبط شديد الارتباط بآخر الرسائل السماوية ، وتأتي امتداداً طبيعياً لرسالة الإسلام التي حمل لواءها الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) . وعرفنا أيضاً أن الرسول لم يترك أمر من سيخلفه في قيادة هذه الأمة ، بل إنه (صلى الله عليه وآله وسلم) عهد بهذا الأمر إلى خليفة من بعده ، أوصى بالتمسك به لأنه وعترته (عليهم السلام) يمثلون - بما يُصطلح عليه اليوم - الهيئة التنفيذية ، التي يوكل إليها عادةً شأن تطبيق القانون . والعمل على نشر العدل والحق ، وفق الضوابط التي تحددها الأصول التشريعية .

وإذا كانت شرعية خلافة الأئمة الاثني عشرية (عليهم السلام) للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) - بحسب المعتقد الإمامي - تستند إلى نص الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على اسم علي (عليه السلام) ثم لينص الإمام عليٌّ على مَنْ بَعْدَهُ . وهكذا إلى أن نصل إلى الإمام الثاني عشر .

(١) من ص (١٨٤) حتى ص (١٨٩) من هذا الكتاب .

ما دنا قد عرفنا ذلك كله : فإن شرعية تولّي المجتهد أو المرجع ، إنما تستند إلى ممارسات وتطبيقات ، يمكن أن نضع أيدينا عليها من خلال قراءة سيرة الأئمة (عليهم السلام) . فقد « أرجع الإمام^(١) في حياته إلى رجال من أصحابه بعدما تخرّجوا من مدرسته ، واغترفوا من بحر علمه ، واقتبسوا من نور هديه . ليكونوا مراجع لشيئته في الشؤون الدينية ، وغيرها مما يرتبط برعاية الإمام عندما يتعذر ، الوصول إليه أو يتعسر واعتُبر الأخذ عنهم أخذاً عنه »^(٢) .

قال الإمام في حق العميري وابنه^(٣) : « ما أدياه إليك فعني يؤديان ، وما قالاك فعني يقولان ، فاسمع لهما وأطعمهما ، فإنهما الثقتان المأمونان^(٤) . »

وقال في حق زكريا : « عليك بزكريا بن آدم ، المأمون على الدين والدنيا »^(٥) وقال في حق يونس بن عبد الرحمن^(٦) . وقد سئل عن وثاقته لأخذ معالم الدين منه : « نعم هو ثقة خذ منه معالم دينك »^(٧) .

والذي أريد أن أصل إليه من خلال نقل هذه النصوص - ليكون الركيزة التي نستند إليه في الصفحات اللاحقة لهذا الفصل - « أن المرجعية في واقعها إنما تخضع للنص من الإمام (عليه السلام) فقط ،

(١) لم يحدد المؤلف أي إمام يعني من الأئمة الاثني عشر ، ويبدو أنه يقصد الإمام المهدي ، بقريته ذكر (العميري) الذي عاصر الإمام ، بل وكان أحد نوابه الأربعة .

(٢) معتوق : المرجعية الدينية العليا لدى الشيعة الإمامية ، ٢٩ .

(٣) أنظر ترجمتهما في : القمي : الكنى والألقاب ، ٢٦٦/٣ .

(٤) معتوق المرجعية الدينية العليا لدى الشيعة الإمامية ، ٣٠ .

(٥) معتوق : م . س .

(٦) أنظر ترجمته في : الأمين : أعيان الشيعة ، ٣٢٥/١٠ .

(٧) معتوق : م . س .

ولا تخضع لأية وسيلة أخرى»^(١) وهذا ينطبق بطبيعة الحال على زمن ما قبل الغيبة الكبرى للإمام الثاني عشر (المهدي) . هذا أولاً .

والأمر الثاني ، الذي أودأصل من خلال نقل النصوص المتقدمة هو : أن المرجعية - بما في إسناد أمرها لتعيين الإمام (عليه السلام) - إنما تدور وتتركز حول بيان (الصفات) التي توجب أن يتمتع بها المرجع ، وهي صفات يُدْرَكُ من يعيد قراءة نصوصها بهدوء واستيعاب ، أنها ضمانات أكيدة وضرورية للقيادة المرجعية من أن تنحرف عن خط الرسالة ، وبالتالي لتكون هذه الصفات هي الفيصل الذي تستهدي به الأمة - فيما بعد الأئمة ، وتحديداً فيما بعد الغيبة الكبرى - ، لاختيار مرجعها .

ولعلّ خير ما يمكن أن يحدد تلك الصفات بوضوح ، ذلك الحديث الذي ينقله الشيخ الطبرسي في كتابه الاحتجاج^(٢) عن أحد الأئمة (عليهم السلام) :

« فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه ، حافظاً لدينه ، مخالفاً لهواه ، مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يُقلدوه » .

إذن : يجوز لنا أن نقول بأن منصب المرجع الأعلى ، بما يمثل في الوجدان الشيعي الإمامي من معنى خلافة الإمام (عليه السلام) الذي هو خليفة للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يمكن أن يكون بالتعيين .

إذن : كيف يتم الأمر لدى الشيعة ؟ :

إن الصفات كما قلنا سابقاً هي الركيزة الأساسية التي يستند إليها ، في من تقع على كاهله مسؤولية (القيادة المرجعية) ، « فإذا وُجد من

(١) نفسه ، ٣٠ .

(٢) ٢٦٣/٢ - ٢٦٤ .

أستجمعها كاملة ثبتت مرجعيته ووجب على الناس وجوباً شرعياً الرجوع إليه^(١) ، فلا تعيين هنا ، ومع ذلك : فهناك أبداً خلف للسلف الراحل .

ويلخّ السؤال ، ويتأكد هنا : كيف يتم ذلك ؟ وبكلمة أخرى : كيف يكون تطبيق الصفات على الأفراد ، ليتم من خلالها اختيار المرجع .

يجيب الشيخ محمد نقي الفقيه عن هذا السؤال ، فيقول :
- « . . . إن الرئيس الجديد [ويعني به المرجع الأعلى] لا يُنتخب بعد فقد الرئيس الأول مباشرة ، ولا تنتخبه هيئة معلومة محدّدة ، ولا تتعين الرئاسة بعد فقد الرئيس لشخص واحد . نعم يجب أن تتوفر في الناخبين جملة من الصفات المشترطة في الرئيس ، فغير الثقة الورع كيف تُقبَل شهادته بورع آخر؟ ، وغير العالم اللامع كيف تُقبَل شهادته بأعلمية آخر ، وغير الإداري المتزن كيف تُقبَل شهادته بحُسن إدارة آخر؟ ، وهكذا سائر الصفات

فحيث يوجد عدد وافر من المعروفين بالعلم والفضل ، وهم بين مجتهد مطلق ، ومتجزئ^(٢) ومُراهق^(٣) ، وهؤلاء كلهم يشتركون في تمييز الأعلام ، ومن يُسمون « أهل التمييز » . ومعنى ذلك : أنهم يستطيعون تمييز الأعلام من غير الأعلام . فإن هؤلاء بعد ممارستهم للبارزين من العلماء ، بالحضور في دروسهم تارة ، وبمرافقتهم العلمية أخرى ، والمذاكرة معهم في المسائل المعقّدة التي هي مطرح أنظار

-
- (١) معتوق : المرجعية الدينية لدى الشيعة الإمامية ، ٤٠ .
(٢) الإجتهد المطلق : ما يُقْتَدَر به علي استنباط الأحكام الفعلية من إماراة مُعتَبَرة ، أو أصل مُعتَبَر عقلاً أو نقلاً في الموارد التي يظفر بها .
الإجتهد المُتَجَزِّئ : ما يقتدر به علي استنباط بعض الأحكام .
المراهق للإجتهد : هو المقارب للإجتهد .
أنظر : الحكيم : الأصول العامة للفقهِ المقارن ، ٥٧٩ و ٥٨٠ .

جهاذة العلماء ثالثة ، يتضح لهم المتفوق منهم ، بالإحاطة والاستقراء ، وإرجاع الفرع الفقهي لمبانيه ، وإرجاع القاعدة الأصولية والفقهيّة إلى أسسها الرصينة ، بل بإرجاع كل دليل ظني إلى دليل قطعي ، وبتنبه لما خفي على غيره من السلف والمعاصرين . إذا كان ذلك كله : شهدوا له بالأعلمية . .

ثمّ : لا تكون المسألة الواحدة والمسألان ، أو الباب الواحد من أبواب الفقه أو الأصول أو المسائل المدونة في الكتب مقياساً للتفوق ، بل المقياس التفوق فيها ، وفي غيرها من المسائل التي تُخلَق مع الزمن^(١).

هذا من ناحية أعلمية المُقلِّد ، أما بقية الصفات من ورع وتقوى ، وكيف نستدل على توافرها في المجتهد ليكون مرجعاً أعلى . فيعود الناس إليه في التقليد ، وتعود إليه شؤون القيادة المرجعية فيقول الشيخ الفقيه :

« . . إنها تُطلَب من المعروفين بالتقوى والصلاح ، سواء أكانوا من أهل العلم ، أم من غيرهم ، وهم بطبيعة الحال لا يشهدون بها لشخص إلا بعد ممارسة طويلة ، وتحريّات كثيرة في السر والعلن . .

أما معرفة حسن الإدارة والأتزان في الأمور العامة فتُطلب من رجال الفكر الذين يمارسون المصالح العامة ، على النهج السالف . وهؤلاء أحذر من أن يُخدعوا . وهكذا سائر الصفات »^(٢).

وأرجوا أن لا يتوهم القارئ وهو يقرأ ذلك ، فيظن أن اختيار المرجع إنما يتمّ كما نشهد اليوم من إجراءات إنتخابية محددة ، بتصويت كتابي أو شفهي . إن الأمر ليس كذلك في اختيار المرجع الأعلى لدى الإمامية .

لعلّ الأهم فيما ذكره الشيخ الفقيه ، هي تلك النتيجة التي يصل

(١) جامعة النجف في عصرها الحاضر ، ١٣١ ، وما بعدها .

(٢) جامعة النجف في عصرها الحاضر ، ١٣٥ - ١٣٦ .

إليها ، من أن اختيار المرجع الأعلى وفق ما قدّمه « لا يختص بفئة من الناس ، ولا بعدد محصور ، ولا يخضع للسلطة الزمنية ، ولا للسلطة الدينية »^(١) . كما هو الحال لدى بقية المذاهب الإسلامية ، حيث نجد « أن الدولة هي التي تعيّن الموظف الديني ، وتدفع له مرتباً ، وهذا الموظف يُعتبر القيم على الشؤون الدينية^(٢) » .

ليس ذلك ، ولا هذا ، بل هو توجّه الأمة إلى شخصية المرجع الجامع للشرائط في ضوء الصفات التي حفظها العلماء ، فيما وجدوه مروياً عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأئمة بيته الطاهرين (عليهم السلام) ، مبيناً الركائز الأساسية للشخصية المرجعية . دون أن ننسى الإشارة إلى أن عملية الاختيار يجب أن تكون مقترنة بعامل (الرقابة) المستمرة لكل توجهات المرجع وأفكاره ومسيرته . « حتى إذا حاد عن خط الرسالة التي تحمّل مسؤوليتها جرّد نفسه من حق المرجعية »^(٣) . وبالتالي يكون لزاماً على الأمة في مثل تلك الحالة - وهي حالة لم تحصل في كل تاريخ المرجعية - العدول عنه إلى مجتهد آخر ، دون أن يكون لزاماً عليهم الاستمرار إلى آخر حياتهم في تقليد من اختير للمرجعية . ولهذا العدول موارد وضوابط فقهية ، نعرض لها لاحقاً ، إن شاء الله تعالى .

ثمّة ما لا يجوز تغافله في هذا الصدد وهو « أن الاختيار الطبيعي للمرجع ، لا تقيده جنسية المرشح ، وما دام الإسلام عالمياً فيمكن أن يكون المرجع عربياً ، أو فارسياً أو غير ذلك »^(٤) ، وفق التفضيل القرآني ، على قاعدة :

(١) نفسه ، ١٣٦ .

(٢) النفيسي : دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث ، ١٢ .

(٣) معتوق : المرجعية الدينية العليا لدى الشيعة الإمامية ، ٤١ .

(٤) الأمين : دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ، ٤١٣/٣ ، وما بعدها .

﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾^(١) . وكذلك وفق التفضيل الذي أكدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من خلال قوله : (لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى)^(٢) .

ولعلّ استعراضاً سريعاً لأسماء العلماء الأعلام الذين تسنّموا مركز القيادة المرجعية منذ عهد الغيبة الكبرى ، حتى عصرنا الحاضر يؤيد بقوة ما ذهبنا إليه^(٣) . في أن المعيار الأساس هو الكفاءة ، والتقوى والأعلمية . « ومن هنا جاء نفوذهم الكبير على الناس ، ومن هنا وثقت الأمة بهم ، فأدّت إليهم طواعية واختياراً أموال الزكاة والخمس ، لينفقوها فيما يرون من مشاريع الخير ، وإنك لتدّش حين ترى تدفق المال على [المرجع]^(٤) ، ثم تراه يعيش حياة بسيطة لا تتميز بشيء عن حياة أوسط الناس ، ولا يتناول أحدهم من تلك الأموال لنفسه ، إلا بمقدار الضرورة الحياتية البسيطة »^(٥) .

وإذا كانت جنسية المرشح لا دخل لها ، فإن المرجعية أيضاً ليست مقتصرة على عائلة معينة ، أو محصورة فيها . وبتعبير آخر : فإن العائلة ليس لها دور في وصول هذا المجتهد أو ذاك إلى مركز القيادة المرجعية . بل تظل المواهب ، والنبوغ بالإضافة إلى الصفات الشرعية المطلوبة معيار الموازنة والاختيار والتفضيل - كما أسلفنا - .

وفي هذا السياق يذكر الشيخ معتوق قصة طريفة لها دلالاتها العظيمة عن أحد رجال المرجعية ، مستعرضاً بداية حياته ، ومراحل تلقيّة

(١) الحجرات/ ١٣ .

(٢) المفيد : الإختصاص ، ٣٤١ .

(٣) أنظر الملحق رقم (٥) ، حيث أثبتنا أسماء مراجع الشيعة الإمامية من الغيبة الكبرى حتى اليوم .

(٤) في الأصل : آية الله .

(٥) الأمين : ثورة إيران في جذورها الإسلامية الشيعية ، ٣٤ .

الدراسة في الحوزة العلمية بالنجف وأخيراً تسّمه زمام المرجعية العليا
فيقول :

« إن المحافل العلمية في النجف لا تزال تذكر قصة الطالب
الذي بدأ حياته طالباً باسم (جعفر) تصغيراً لشأنه ، ثم أصبح بعد
الدراسة (جعفر) فالشيخ جعفر ، فالشيخ على الاطلاق دون ما حاجة مع
اللقب إلى الاسم ، أو كما يقال أصبح علماً بالغلبة ، بعد أن ارتقى إلى
مرتبة لا مطمع فيها لأحد ، وظل الناس - بعد أن نال المرجعية العظمى -
يتكبرون نشأته الأولى ، وظل هو يذكر نفسه والناس بها حينما تحف به
، صاهر العزة والرفعة »^(١) .

. . . وباعتماد المرجع على تقواه ، وعلمه ، وورعه ، وحسن
تربيته ، وتدييره ، في الوصول إلى مركز القيادة المرجعية ، يتحرر تحرراً
تاملاً من أن يكون مديناً في منصبه لفريق انتخبه ، أو لسلطة عينته »^(٢) .
وهذا التحرر يجعله غير خاضع لأهواء فئة من الناس ، أو لأي سلطة زمنية
قائمة يمكنها أن تمنى عليه أو تهدده بالفصل أو العزل . ومن هنا نجد أن
فتاواه وأحكامه وممارسته إنما تنطلق من الشعور بعظم المسؤولية أمام الله
والناس ، ليقول كلمته حتى لو كان نتيجة هذه الكلمة سفك دمه^(٣) ، أو
نفيه^(٤) ، أو رميه في غياهب السجون^(٥) ، ولعلّ هذا من أبرز عوامل
(١) لعلّ الشيخ معتوق يقصد بهذه القصة شخص العلامة الكبير الشيخ جعفر كاشف
الغطاء أحد كبار مراجع النجف ، والذي ترجمنا له في ص (١٩٧) من هذا
الكتاب فراجع . .

(٢) الأمين : ثورة ايران في جذورها الإسلامية الشيعية ، ٣٤ .
(٣) كالمرجع السيد محمد باقر الصدر ، أنظر ترجمته ص (٦٨) من الباب الأول .
وأنظر أيضاً جدول رقم (٣) من هذا الكتاب .
(٤) كما في نفي الخميني من قبل من إيران إلى تركيا عام (١٣٨٣هـ/١٩٦٣م) ،
ونفي الشيخ الخالصي من بغداد إلى إيران أيام الإحتلال البريطاني البغيض
للعراق .

(٥) ككثير من العلماء الذي عانوا ما عانوا من سجون الظالمين من الحكام .

القوة - بالإضافة إلى عوامل أخرى - في المرجعية الدينية لدى الشيعة الإمامية . على أن السياسة حاولت أكثر من مرة التدخل في شؤون المرجعية الدينية لدى الشيعة الإمامية ، فكان حظها من وراء كل محاولة الفشل . وبقي هذا المنصب محتفظاً بحيويته وقديسته^(١) . ومن المهم أن نشير هنا إلى أن رفض المرجعية للتدخل من قبل السلطة في شؤونها ، ليس ناتجاً عن اختلاف مذهبي ، أو قل لم يكن رفض تدخل السلطة الرسمية في شؤون الحوزة والمرجعية بسبب كون مذهب تلك السلطة ، ليس كمذهب الحوزة أو المرجعية ، بل لكي تحتفظ الحوزة بطابعها القيادي وصفتها القيادية .

ثمّة أمر أخير لا بد من الإشارة إليه ، هو ما أنفناه من إضفاء صفة الزعامة الدينية على المرجعية الدينية في مدينة النجف لعموم الشيعة الإمامية ، حيثما وجدوا ، إذ لم تكن القيادة المرجعية ، وزعامتها مختصة بأولئك القاطنين في النجف ، أو مدن العراق الأخرى وحسب ، بل ظلّت تتحرك لتستقطب إليها الشيعة^(٢) أينما وجدوا .

يقول الشيخ حرز الدين في كتابه (معارف الرجال) :

« ولا يخفى أن الزعامة الدينية إذا تقلدها عالم يقيم في النجف يكون رئيساً عاماً في الأقطار الإسلامية أجمع . بخلاف غيرها من المدن وإن عظمت وعظم الرجل علماً وتقياً وحنكة فتكون رئاسته موضعية »^(٣) .

الركائز الأساسية للشخصية المرجعية

ما دمنا قد أنطنا بالمجتهد الأعلى أو المرجع شؤون ديننا ، وصرنا

-
- (١) معتوق : المرجعية الدينية العليا لدى الشيعة الإمامية ، ٥٠ .
(٢) يقدر المؤرخ السيد حسن الأمين عدد الشيعة الإمامية بـ خمسٍ مُسلمي العالم ، دون احتساب الزيدية ، والإسماعيلية .
أنظر : الأمين : ثورة إيران في جذورها الإسلامية الشيعية ، ٣٣ . وما بعدها .
(٣) حرز الدين ، معارف الرجال ، ٤٧/١ .

نرجع إليه في كل ما يستجد علينا في مسائل الحلال والحرام ، فإن ذلك يقتضي بالضرورة توفر مجموعة ركائز أساسية في شخصية المرجع .

ولعلّ محاولة التوفيق بين مجموعة آراء لعلمائنا الأعلام ، من القدماء والمحدثين ، تؤدي إلى القول : بأن الشخصية المرجعية ربّما تكون محصلة لنشاطات ثلاثة :

الأولى : المقومات التقوية في مقامَي الرعاية والسلوك .

الثانية : المقومات الاجتهادية في مقامي الأصول والفقّه .

الثالثة : المقومات القيادية في مقامي الإدارة والتوجيه^(١) .

هذه هي الخطوط العريضة ، والعامّة للشخصية المرجعية ، وإن اختلفت عبارات علمائنا العظام ، في التعبير عنها ، وفي تفاصيلها . ولكن قبل أن نأتي على استعراض آراء علمائنا الأعلام في صفات المجتهد المُقلِّد ، يجدر بنا أن نضع أيدينا على ما ورد من أحاديث عن الأئمة ، فيما يرتبط بصفات المرجع المُقلِّد ، لنجعلها أساساً - كما جعلها الفقهاء - نطلق من خلاله في استعراض رأي العلماء وموارد الاختلاف - فيما بينهم بخصوص صفات المجتهد المُقلِّد .

لعلّ أكثر النصوص تداولاً بين الباحثين ، وهم يتحدّثون عن صفات المرجع هو ما روي عن الإمام الصادق حيث يقول : - (فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه ، حافظاً لدينه ، مخالفاً لهواه ، مطيعاً لأمر مولاه ، فللعوام أن يقلّدوه)^(٢) .

استناداً إلى ما أوردناه من حديث فيما يرتبط بصفات الفقيه الذي يُسند إليه أمر تولى شؤون الأمة في مرجعيتها الدينية والدينيوية ، فقد

(١) البقال : مقدمة كتاب مبادئ الوصول إلى علم الأصول للعلامة الحلي ، ٢٠ .

(٢) الطبرسي : الإحتجاج ، ٢/٢٦٣ ، ٢٦٤ .

تعددت آراء الفقهاء حول هذه الناحية ، بحيث نجد أن تلك الآراء تسع أحياناً لتتشرط في المرجع عدداً من الشروط ، قد يتجاوز العشرة - مثلاً - ، في حين تضيق أحياناً أخرى لتكون الشروط في حدود الثلاثة ، ومرد ذلك - كما هو معروف لأصحاب الفن - إلى اختلاف هؤلاء العلماء في أدلة اعتبارها ، بحيث فهم كل صاحب رأي ما فهم من خلال النص . فالشهيد الأول^(١) ، ذكر في مقدمة كتابه (ذكرى الشيعة) ثلاثة عشر شرطاً للفقهاء^(٢) .

أما الشهيد الثاني^(٣) ، فبعد أن يتحدث عن الإفتاء ، وأنه لا يجوز بنقل الرأي^(٤) . إذ يلزم أن يكون المفتي مجتهداً . يقول : « إن الإفتاء عظيم الخطر ، كثير الأجر كبير الفضل ، جليل الموقع ، لأن المفتي وارث الأنبياء (صلوات الله عليهم) ، وقائم بفرض الكفاية ، لكنه معرض للخطأ والخطر »^(٥) .

-
- (١) راجع ترجمته في ص (١٩٦) من هذا الباب .
(٢) شمس الدين : حديث الجامعة النجفية ، ٨٢ .
(٣) هو : زين الدين علي بن أحمد العاملي . ولد في (جبع) بجبل عامل (٩١١هـ / ١٥٠٥ م) . وطلب العلم حتى صار أحد كبار علمائها له أكثر من ثلاثين مؤلفاً منها :-
١- تمهيد القواعد الأصولية والعربية .
٢- حقائق الإيمان .
قَبِلَ وهو في طريقه إلى مكة عام (٩٦٦هـ / ١٥٥٨ م) ، بعد أن كتب (قاضي صيدا) آنذاك للسلطات عن وجود مُبَدِعٍ عن (المذاهب الأربعة) . . . !!!
أنظر ترجمته في : القمي : الكنى والألقاب ، ٣٧٧/٢ .
الأمين : أعيان الشيعة ، ١٤٣/٧ - ١٥٨ .
الأصفي : مقدمة كتاب اللمعة الدمشقية ، ١٤٩ حتى ١٩٤ .
(٤) أنظر : الشهيد الثاني : منية المرید في آداب المفید والمستفيد ، ١٣٦ .
(٥) نفسه ، ١٤١ .

... ينتقل الشهيد الثاني بعد استعراض مجموعة آيات قرآنية ،
ورواية شريفة وردت في آداب الإفتاء ، والتوقف فيه ، والتحذير منه ،
فيقول :

« أعلم أن شروط المفتي كونه مسلماً ، مكلفاً ، عدلاً ، فقيهاً ،
وإنما يحصل له الفقه إذا كان قيماً بمعرفة الأحكام الشرعية ، مستنبطاً لها
من أدلتها التفصيلية من الكتاب والسنة والإجماع . وأدلة العقل وغيرها مما
هو محقق في محلّه » (١) .

يضيف الشهيد الثاني فيقول : « ولا يتم معرفة ذلك إلا بمعرفة ما
يتوقف عليه إثبات الصانع وصفاته التي يتم بها الإيمان والنبوة ، والإمامة
والمعاد من علم الكلام ، ومعرفة ما يكتسب به الأدلة من النحو والتصريف
واللغة من العربية ، وبشروط الحدّ والبرهان من علم المنطق ، ومعرفة
أصول الفقه ، وما يتعلق بالأحكام الشرعية من آيات القرآن ، ومعرفة
الحديث المتعلق بها ، وعلومه متناً وإسناداً ولو بوجود أصل صحيح
يرجع إليه عند الحاجة إلى شيء عنه ، ومعرفة مواضع الخلاف والوفاق ،
بمعنى أن يعرف في المسألة التي يُفتي بها أن قوله فيها لا يخالف
الاجماع ، بل يعلم أنه وافق بعض المتقدمين أو يغلب على ظنه أن
المسألة لم يتكلم فيها الأولون بل تولدت في عصره أو ما قاربه وأن يكون
له ملكة نفسانية ، وقوة قدسية يقتدر بها على اقتناص الفروع من أصولها
ورد كل قضية إلي ما يناسبها من الأدلة » (٢) .

لعلّ أغلب الفقهاء الذين تناولوا هذا الموضوع يلتفتون في اشتراط
ثلاث ركائز في شخصية المرجع المُقلّد وهي :

١ - العدالة .

(١) : الشهيد الثاني : منية المرید ، ١٣٦ .

(٢) : نفسه .

٢ - الأعلمية .

٣ - الحياة^(١) .

وإن تفاوتوا في اشتراط مجموعة ركائز أخرى بين مش شرط لها ،
وناف لاعتبارها شرطاً في شخصية المجتهد المقلد ، إذ لم يثبت لديه
الدليل على ذلك ، والركائز الأخرى هي :

١ - البلوغ .

٢ - العقل .

٣ - الحرية .

٤ - طهارة المولد .

٥ - الرجولية أو الذكورة^(٢) .

... تقتضينا المعالجة العلميّة تناول كل واحد من هذه الشروط

لمعرفة معناه وتقرير مدى حجّيته من عدمها :

(١) أنظر : الحكيم : الأصول العامة للفقّه المقارن ، ٦٤٩ .

الحكيم : مستمسك العروة الوثقى ، ٤٠/١ - ٤١ .

الخميني : تحرير الوسيلة ، ٥/١ « مع عدم ذكره لشرط الحياة ضمن ما ذكره
من شروط مرجع التقاليد » .

الصدر : الفتاوى الواضحة ، ١٠٥/١ .

الخوئي : منهاج الصالحين (العبادات) ٧/١ .

(٢) أنظر : الخميني : م . س . الذي يضيف إلى تلك الشروط ، كون المرجع غير
مكب على الدنيا ، ولا حريصاً عليها ، وعلى تحصينها جاهاً ومالاً على

الأحوط ، ٥/١ .

وينظر : الصدر م . س .

والخوئي : م . س . الذي يضيف بأن لا يقل ضبطه عن المتعارف ، دون أن
يشترط لحرية .

١- البلوغ : ويراد به في اصطلاح الفقهاء هو البلوغ الشرعي ،
والذي يكاد يجمع الفقهاء على تحققه في الذكر ، إذا توفر فيه أحد الأمور
الثلاثة التالية :

أ - خروج المنى ، سواءً كان ذلك في حالة النوم ، أم في اليقظة ،
في حالة جماع واتصال جنسي أو بدونه .

ب - نبات الشعر على العانة - وهي بين العورة ونهاية البطن - إذا
كان خشناً ، ولا اعتبار بالشعر الناعم .

ج - إكمال خمسة عشرة سنة من السنين القمرية^(١) .

على أن شرط البلوغ في المرجع إنما هو بدليل (الإجماع) الذي
استفاده بعض الفقهاء من كلام الشيخ الأنصاري^(٢) ، حيث قال : « يعتبر
في المجتهد أمور: البلوغ ، العقل والإيمان ». ويضيف الشيخ الأنصاري
فيقول : « ولا إشكال في اعتبار هذه الثلاثة فجعل اعتبار البلوغ من الأمور
المُسَلِّمة^(٣) » إذ قال (ولا إشكال) . وهذا ما استند إليه البعض في قوله
بإجماع العلماء على اشتراط البلوغ . بيد أن بعض الفقهاء ، يرى أن :

(١) اعتمدنا في بيان ذلك على : الصدر : الفتاوى الواضحة ، ١٢٩/١ .
(٢) هو : مرتضى بن محمد أمين التُّسْتَرِي النجفي الأنصاري ، ولد عام
(١٢١٤هـ/١٧٩٨م) . وكانت وفاته ومدفنه في النجف الأشرف ، سنة
(١٢٨١هـ/١٨٨٢م) . كان ملوِّساً في الحوزة تتلمذ عليه أعيان العلماء
والأساتذة في النجف الأشرف حتى صار مرجعاً للمسلمين ورئياً للحوزة العلمية
في النجف . وقد أصبحت بعض مصنفاته مدار حركة التدريس في المراحل العليا
في الحوزة العلمية حتى يومنا هذا ، وهي (المكاسب) في الفقه ، و (الرسائل)
في أصول الفقه .

أنظر ترجمته في القمي : الكنى والألقاب ، ٣٩٧/٢ .

حز الدين : معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء ، ٣٩٩/٢ - ٤٠٤ .

(٣) الخلخالي : دروس في فقه الشيعة ، ١١٨/٢ - ١١٩ .

« هذا المقدار لا يكفي في تحقق الإجماع »^(١) . مستنداً إلى نص للسيد الحكيم ، حول موضوع اشتراط البلوغ في المجتهد المقلد يقول فيه : « ولا ينبغي التأمل في عدم الفرق في بناء العقلاء بين البالغ وغيره إذا كان غير البالغ قد حاز مراتب الفضل حتى صار كالبالغ ، فاعتبار البلوغ في المفتي لا بد أن يكون بدليل شرعي يكون رادعاً عن اطلاق العقلاء ، وهو ليس إلا الإجماع إن تم »^(٢) .

فقوله - رحمه الله - (إن تم) ، يُستفاد منه عدم وجود مثل هذا الإجماع .

يضيف السيد الحكيم ، وكأنه يجيب من يُشكّل عليه بأن غير البالغ محجوراً عن التصرف وغير مكلف فيقول :

« ومجرد كونه محجوراً عن التصرف ومرفوعاً عنه القلم ، ومولى عليه ... ونحو ذلك ، لا يصلح رادعاً ، لأنه لا يوجب الاستبعاد المحض . كيف ؟ وربما كان غير البالغ حائزاً مرتبة النبوة ، أو الإمامة ، فكيف لا يصح أن يحوز منصب الفتوى ؟ اللهم إلا أن يقوم الدليل على كون منصب الفتوى مختصاً بالمعصوم ، وبمن يجعله له ، فالشك في جعل كاف في المنع لكنه خلاف إطلاق الأدلة ، ولا سيما بناء العقلاء »^(٣) .

ومما تقدم يمكن أن نخلص إلى أن « السيرة العقلانية ، وإطلاق الأدلة لا تمنع من أخذ الفتوى من الصبي ، إن كان جامعاً للشرائط المعبرة للفقهاء »^(٤) .

(١) الخلخاني : دروس في فقه الشيعة ، ١١٨/٢ - ١١٩ .

(٢) الحكيم : مستمسك العروة الوثقى ، ٤١/١ .

(٣) نفسه .

مع ملاحظة أن منصب النبوة أو الإمامة الذي يحوزه غير البالغ إنما هو وفق تأهيل ربّاني خاص ، لا يحق لنا والأمر كذلك في الإستناد إليه للإستدلال في عدم اشتراط البلوغ في المرجع المقلد الذي يفقد مثل ذلك التأهيل .

(٤) بحر العلوم : الإجتهد : أصوله ، وأحكامه ، ٢٣١ .

٢ - العقل :

والعقل هنا بمعنى الإدراك ، مقابل الجنون ، على اعتبار أن العاقل من يتصرف بفهم ويتدبّر ، بخلاف المجنون . وحين يذكر السيد الصدر العقل في سياق تعداده لشروط التكليف ، يقول : « العقل ، ونقصد به أن يكون لديه من الرُّشد ما يمكن أن يعي به كونه مكلفاً ويحس بمسؤوليته تجاه ذلك »^(١) .

وإذا كان العقل شرطاً بالمكلف - إذ لا معنى لخطاب المجانين ، وبتكليفهم بما لا يعونه من الأحكام - ، فبطريق أولى يكون لا معنى للأخذ عنهم ، حيث لا يعون ما يقولون . على أن اشتراط العقل في المرجع المقلد والمفتي أمر لا خلاف فيه ، إنه مورد للاتفاق^(٢) .

٣ - العدالة :

إذا كان أحد معاني العدالة لغة : الاستقامة^(٤) ، فإنها بمفهومها في كتب الفقهاء لم تخرج عن ذلك . يقول السيد الصدر : « العدالة عبارة عن الاستقامة ، على شرع الله وطريقته . قال تعالى ﴿ فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ﴾^(٥) . وقال : ﴿ وأن لو استقاموا على الطريقة ﴾^(٦) ، شريطة أن تكون هذه الاستقامة طبيعة ثابتة للعاقل ، تماماً كالعادة »^(٧) .

ويعرّف السيد محمد تقي الحكيم العدالة بقوله : « الاستقامة في السلوك ، - بالسير على وفق أحكام الشريعة الإسلامية الملزمة - والتي

(١) الفتاوى الواضحة ، ١٢٧ .

(٢) الحكيم : م . س ، ٤٢/١ .

(٣) التبريزي : التنقيح في شرح العروة الوثقى ، ٢١٧ .

(٤) ابن منظور : لسان العرب ، ٤٩٦/١٢ وما بعدها .

(٥) هود/١١٢ .

(٦) الجن/١٦ .

(٧) الفتاوى الواضحة ، ١٢٠ .

تنشأ عن بواعث نفسية ، تكون نتيجة دُرْبَة^(١) وإيمان وتمثّل لواقع الإسلام»^(٢) .

أما الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء^(٣) ، فيعرّف العدالة بأنها : « ملكة يستطيع معها المرء الكف عن المعاصي ، والقيام بالواجب . . . وقصارها أنها حالة من خوف الله ، ومراقبته تلازم الإنسان في جميع أدوار حياته »^(٤) .

ويعرّفها السيد الخميني بأنها : « عبارة عن ملكة راسخة باعثة على ملازمة التقوى من ترك المحرمات ، وفعل الواجبات »^(٥) .

وهكذا نلاحظ أن مدرسة النجف - شأنها الكثير من المدارس الإسلامية المشابهة - أولت موضوع العدالة إهتماماً عظيماً ، حيث اعتبرتها لا شرطاً في المرجع المقلد فقط ، بل وشرطاً في القاضي وإمام الجماعة ، والشاهد ، وراوي الحديث^(٦) .

وهكذا نلاحظ أيضاً « أن المسؤولية كلما كانت أكبر وأوسع ، وأجل خطراً ، كانت العدالة في من يتحملها بحاجة إلى رسوخ أشد وأكمل في طبيعة الاستقامة ، لكي يعصم بها من المزالق ، ومن أجل ذلك صح القول : بأن المرجعية تتوقف على درجة عالية من العدالة ، ورسوخ أكيد

(١) النُدْبَة : مأخوذة من الفعل (د . ر . ب) ، إذا ، اعتاد الشيء ، كما هو المستفاد بمراجعة كتب اللغة .

قارن : بحر العلوم : الإجتهد . . . أصوله وأحكامه ، ٢٣٣ .

والحكيم : الأصول العامة للفقهاء المقارن ، ٦٦٩ .

(٢) الحكيم : الأصول العامة للفقهاء المقارن ، ٦٦٩ .

(٣) أنظر جدول رقم (٣) .

(٤) كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها ، ٨٠ .

(٥) الخميني : تحرير الوسيلة ، ١٠/١ .

(٦) أنظر : البهادلي : النجف . . . جامعتها ودورها القيادي ، ٩٢-٩٣ .

في الاستقامة والإخلاص لله سبحانه وتعالى» (١) .

يبقى أن نجيب عن تساؤل مهم في هذا المجال ، حول كيفية ثبوت عدالة مرجع التقليد؟ يقول السيد الخوئي بهذا الصدد :

« تثبت عدالة المرجع في التقليد بأمور :

الأول : العلم الحاصل بالاختبار أو غيره .

الثاني : شهادة عادلين بها ، ولا يبعد ثبوتها بشهادة العدل الواحد ، بل بشهادة مطلق الثقة أيضاً .

الثالث : حسن الظاهر ، والمراد به حسن المعاشرة والسلوك الديني ، بحيث لو سُئل غيره عن حاله ، لقال لم نَرَمْنِه إِلَّا خَيْراً» (٢) .

« وتزول صفة العدالة حكماً بارتكاب الكبائر ، أو الإصرار على الصغائر ، بل بارتكاب الصغائر على الأحوط» (٣) .

ولعلني أستطيع القول بثقة تامة بأن إيمان الإمامية بمبدأ عصمة الأنبياء والمرسلين ثم الأئمة ، وإيمانهم بأن المرجع إنما هو بمثابة النائب للإمام دعاهم إلى القول بأن « العدالة المعتبرة إنما هي مرتبة عالية لا تُزاحم ولا تُغلب . بحيث بات المرتكز عند علمائهم قَدَح المعصية في هذا المنصب على نحو لا تجدي عندهم التوبة والندم» (٤) .

٤ - الحرية :

حين يرد لفظ الحرية - في كتب الفقهاء - كشرط من شروط المرجع المقلد ، فإنما يراد بها المعنى المضاد للعبودية . وقد اختلف الفقهاء في اشتراط الحرية في المرجع من عدمها .

(١) الصدر : الفتاوى الواضحة ، ١٢٠/١ - ١٢١ .

(٢) منهاج الصالحين ، (العبادات) ، ١٠/١ .

(٣) الخميني : تحرير الوسيلة ، ١٠/١ .

(٤) الحكيم : مستمسك العروة الوثقى ، ٤٣/١ .

وفي ما حكى بعض المصادر الفقهية عن جماعة منهم ثاني الشهداءين^(١) اعتبار هذا القيد ، بل قيل إنه المشهور^(٢) . فإن بعض فقهاءنا المعاصرين لم يذكروا هذا القيد كشرط من شروط المرجع المقلد^(٣) ، إذ أن « بناء العقلاء يؤكد على رجوع الجاهل إلى العالم من غير تفریق بين الحرّ والعبد »^(٤) .

٥ - الحياة :

الحياة هنا - كما هي في اللغة - ضدّ الموت ، ولعل (الحياة) كشرط من شروط المرجع المقلد ، من أبرز ما اختلف في اشتراطه من عدمه ، لا بين الإمامية وغيرهم ، بل حتى بين علماء الإمامية أنفسهم .

« . . فالأصوليون من الإمامية ، اعتبروا هذا الشرط ، ومنعوا من تقليد الميت ابتداءً »^(٥) .

أما أهل السنة ، فد اختلفت كلمتهم في ذلك ، فبعضهم أجازوا تقليد الميت ، ابتداءً ، كما سَوَّغوا الرجوع إلى الحي إذا كان متوافراً على شرائط التقليد^(٦) . ومنع البعض الآخر من تقليد الأحياء لقصرهم التقليد على الأئمة الأربعة^(٧) ، « دون غيرهم لأن مذاهبهم انتشرت ، وانبسطت

(١) مرت ترجمته في ص (٢٠٩) من هذا الكتاب .

(٢) الحكيم : مستمسك العروة الوثقى ، ٤٣/١ .

(٣) أنظر : الخوئي : منهاج الصالحين (العبادات) ، ٧/١ .

الخميني : تحرير الوسيلة ، ٥/١ .

الصدر : الفتاوى الواضحة ، ١٠٥/١ .

(٤) التبريزي : التنقيح في شرح العروة الوثقى ، ٢٧٧ .

(٥) الحكيم : الأصول العامة للفقهاء المقارن ، ٦٤٩ (بتصرف) .

(٦) أنظر : الحكيم : م . س ، ٦٤٩ - ٦٥٠ .

(٧) وهم أبو حنيفة النعمان ، ومالك بن أنس ، وأحمد بن حنبل ، ومحمد بن أدريس .

حتى ظهر تقييد مطلقها^(١) وتخصيص عمومها ، وشروط فروعها^(٢) » وإذا كان لكل رأيه في تقليد من يشاء ، أو اعتقاد المذهب الذي يجد فيه خير طريق يوصله لرضا الله ، دون أن يكون في اعتقاده هذا ، ما يسوغ له شرعاً اتهام غيره من المذاهب الإسلامية بأنها « لم تُضبط على وجه موثوق به »^(٣) .

نعود إلى موضوع الحياة ، حيث أن للقائلين باعتبار الحياة أدلة أهمها :

أ- الإجماع

ب- الاستصحاب

والإجماع يُستفاد من قول السيد الحكيم : « لا يجوز تقليد الميت ابتداءً إجماعاً إلا من جماعة من علمائنا الإخباريين »^(٤) . وبالإضافة إلى الإخباريين ، فإن بعض علماء السنة ذهبوا إلى ما ذهب إليه الإخباريون . إذن : كيف يُدعى الإجماع مع مخالفة الإخباريين وعلماء السنة ؟ .

نعم : إن الاجماع قائم ، وذلك لأن الإخباريين يرون « أن وظيفة المفتي لا تتجاوز نقل مضمون الرواية بفتياه ، وليس له أن يستند في الفتيا إلى مقدمات نظرية ، فهو مُخبر عن المعصوم ، ولا يُشترط الحياة في حجية خبر المُخبر باتفاق الكلمة . بينما يرى الأصوليون أن المفتي يجب أن يكون مستنبطاً للحكم من الأدلة . فاختلاف الإخباريين والأصوليين إذن ، اختلاف في أصل وظيفة المجتهد ، لا في شرائط الإفتاء »^(٥) .

(١) تقليد مسائلهم وتخصيص عمومها ، كما ورد في : الخضري : أصول الفقه ، ص (٣٨٤) .

(٢) موسى : أحكام العبادات ، ١٥ .

(٣) نفسه ، ١٦ .

(٤) مستمسك العروة الوثقى ، ٢٢/١ .

(٥) الحكيم : الأصول العامة للفقه المقارن ، ٦٥٠ .

أما أهل السنة ، فقد حرّر الشوكاني رأيهم في اعتبار الحياة نفيًا ،
أو اثباتًا ، إذ يقول :

« . . . وقد حكى الغزالي في المنحول إجماع أهل الأصول المنع
من تقليد الأموات . . وقال الروياني في البحر : إنه القياس ، وعللوا
ذلك بأن الميت ليس من أهل الاجتهاد ، كَمَن تجدد فسقه بعد عدالته ،
فإنه لا يبقى حكم عدالته ، أما لأن قوله وصف له . وبقاء الوصف بعد
زوال الأصل محال ، وأما لو كان حيًا لوجب عليه تجديد الاجتهاد ،
وعلى تقدير تجديده لا يتحقق بقاءه على القول الأول ، فتقليده بناء على
وهم أو تردد والقول بذلك غير جائز »^(١) ،

وعورض هذا القول - كما يقول الشوكاني - « بانعتاد الإجماع في
زمنه على جواز العمل في فتاوى الموتى . قال الهندي : وهذا فيه نظر ،
لأن الإجماع إنما يعتبر من أهل الحل والعقد ، وهم المجتهدون ،
والمجمعون ليسوا بمجتهدين ، فلا يعتبر إجماعهم بحال »^(٢) .

من هنا : فرأي علماء أهل السنة في موضوع اشتراط الحياة أو عدم
الاشترط لا يختلف في نتائجه عن رأي علماء الإمامية من الأصوليين^(٣) .

ب - الاستصحاب : وتوضيح كيفية الاعتماد على الاستصحاب في
اشتراط الحياة في المرجع المقلد ، هو احتمال « أن تكون حجبة فتوى
المجتهد مختصة بمن عاصره ، وكان من وظيفته الرجوع إليه ، أما
المكلف الموجود بعد موته ، فلا علم بحجبة فتواه في حقه من الأول ،
فيجربى استصحاب عدم جعل الحجبة في حقه بلا معارض »^(٤) .

(١) نفسه ، ٦٦٥ ، (نقلًا عن) : (مصباح الأصول في تقريرات السيد الخوئي) ٤٦٠ .

(٢) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ، ٢٦٩ - ٢٧٠ .

(٣) نفسه .

(٤) أنظر : الحكيم : الأصول العامة للفقهاء المقارن ، ٦٥٠ - ٦٥١ .

على أن « الأصل العملي يقتضي في هذا الموضوع اعتبار الحياة
لبداهة دوران الأمر فيه بين التعيين والتخير في مقام الحجية »^(١) .

ومن المهم أن نشير في نهاية حديثنا عن (الحياة) ، بما أنها شرط
في المجتهد المقلد إلى القول :

« إن في تشريع جواز الرجوع إلى الأموات في التقليد ابتداءً إماتة
للحركة الفكرية التشريعية ، وتجميداً للعقول المُبدعة عن الانطلاق في
آفاقها الرحبة »^(٢) . عند من حصروا التقليد بأئمة المذاهب الأربعة .
« حيث ظلت الحركة الفكرية واقفة عند حدودها قبل قرون ، وما أُلّف بعد
ذلك كان يفتقد في غالبه عنصر الأصالة والإبداع . بينما نرى نموّ الحركة
العلمية وتطوّرها عند العلماء والأصوليين من الشيعة ، بما يتناسب
ومستوى عصورهم »^(٣) .

٦ - الأعلمية :

عَلِمَ : حصلت له حقيقة العلم ، وَعَلِمَ الشيء : عرفه ، وتيقّنه ،
هذا في اللغة^(٤) . ومنه كانت صيغة (الأعلم) وهي صيغة تفضيل ، وفيها
ورد قوله تعالى ﴿ اللهُ أعلم ﴾^(٥) . أي أعلم من كل عالم ، بحكم ما
نفهمه من صيغة التفضيل .

وفي اصطلاح الفقهاء والأصوليين ، فالأعلمية هي : « أن يكون

(١) نفسه ، ٦٥٥ - ٦٥٦ .

(٢) نفسه ، ٦٥٦ .

(٣) نفسه ، ٦٥٦ .

(٤) ابن منظور : لسان العرب ، مادة (ع . ل . م .) ، ٣٢٧ / ١٢ .

(٥) وردت هذه التركيبة في آيات عديدة ، نذكر منها : قوله تعالى : ﴿ فلَمَّا وضعتها

قالت ربّ إِنِّي وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت ﴾ آل عمران / ٣٦ .

وقوله تعالى : ﴿ وإذا بدلنا آيةً مكان آيةٍ والله أعلم بما يُنزل ﴾ النحل / ١٠١ .

صاحبها أقوى ملكة في محالات الإستنباط»^(١) .

« لا الأوصلية إلى الواقع لعدم امكان احرازها في الغالب ، وكون الفتاوى التي منشؤها الأخذ بالاحتياط تقتضي أن يكون صاحبها أوصل ، لا تكشف عن علم صاحبها الذي هو المناط في المرجعية والتقليد»^(٢) .

وللقائلين بضرورة الأخذ برأي الأعلم ما يستندون عليه فيما روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال : « من تعلم علماً ليحاري^(٣) به السفهاء ، أو لياهي به العلماء أو يصرف به الناس إلى نفسه يقول : أنا رئيسكم فليتبوأ مقعده من النار . إن الرئاسة لا تصلح إلا لأهلها فمن دعا الناس إلى نفسه ، وفيهم من هو أعلم منه لم ينظر الله إليه يوم القيامة»^(٤) .

وفي مجال التفضيل بين الأعلم وغيره ، يقول الغزالي : « والأولى عندي اتباع الأفضل ، فمن اعتقد أن الشافعي (رحمه الله) أعلم ، والصواب على مذهبه ، فليس له أن يأخذ بمذهب مخالفه بالتشهي»^(٥) .

أما المحقق الكركي^(٦) : فقد ادعى الإجماع عليه ، وعن السيد المرتضى في كتابه : (الذريعة) كونه من المُسَلِّمات عند الشيعة^(٧) ،

(١) الحكيم : م . س ، ٦٥٩ .

(٢) نفسه .

(٣) يُحاري لغة : يجيب .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ، ١١٠/٢ .

(٥) المستصفى من علم الأصول للغزالي ، ١٢٥/١ .

(٦) هو نور الدين علي بن العالي الكركي العاملي ، المتوفى عام (١٥٣٣هـ/١٥٣٣م) ،

أحد كبار علماء الإمامية ، له مؤلفات عديدة .

أنظر : القمي : الكنى والألقاب ، ١٤٥/٢ .

(٧) أنظر : الحكيم : مستمسك العروة الوثقى ، ٢٦/١ - ٢٨ .

وهو مورد اتفاق أيضاً لدى فقهاء الشيعة الذين عاصرناهم^(١) . إذ « لا يتضح دليل على جواز تقليد المفضل مع تيسر الرجوع إلى الأفضل ، ومقتضى بناء العقلاء تعيين الرجوع إلى الأفضل ، لأن رأي الأفضل معلوم الحجية ، ورأي المفضل مشكوك الحجية »^(٢) .

على أن في اشتراط الأعلمية في المرجع المقلد ، ما يمكن أن يكون خير دافع نحو البحث والتحصيل العلمي المستمر الدؤوب في المسائل الفقهية . العبادات منها والمعاملات ، دون الاكتفاء والوقوف عند النشر المستحصل من المعارف ، بحيث نجد جميع المجتهدين في نسابق نحو المعرفة والتحصيل العلمي متمثلين في هذا المضمار قوله تعالى : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾^(٣) .

وتطالعنا فتاوى علماء مدرسة النجف فيما يخص مسألة (الأعلمية) ، فنقرأ :

- إذا قلّد مجتهداً فمات ، فإن كان أعلم من الحي وجب البقاء على تقليده ، وإن كان الحيُّ أعلم وجب العدول إليه .
- إذا اختلف المجتهدون في الفتوى ، وجب الرجوع إلى الأعلّم .
- إذا قلّد الأعلّم ثم صار غيره أعلم ، وجب العدول إلى الأعلّم^(٤) .

(١) الخميني تحرير الوسيلة ، ٦/١ .

والخوئي : منهاج الصالحين ، ٨/١ ،

والصدر : الفتاوى الواضحة ، ١٠٥/١ .

(٢) الحكيم : مستمسك العروة الوثقى ، ٢٦/١ .

(٣) الإسراء/ ٨٥ .

(٤) المسائل الثلاث عن : الخوئي : منهاج الصالحين ، ٨/١ .

أما كيف يُعرف الأعلَم من بين المجتهدين ؟ فيجيب السيد الصدر عن ذلك بقوله « إنه يعرف بطرق منها :

أولاً : شهادة عادِلَيْن من المجتهدين الأكفاء ، أو الأفاضل القادرين على التقييم العلمي .

ثانياً : الخبرة والممارسة الشخصية من المقلِّد ، إذا كان له من الفضل والعلم ما يتيح له ذلك وإن لم يكن مجتهداً»^(١) .

أما إذا تساوى مجتهدان في مقدار الأعلمية ، فيجب الأخذ بأحوط الأقوال على رأي السيد الخوئي^(٢) ، وإلى مثل هذا الرأي ذهب السيد الصدر ، إذ يقول : « الواجب حينئذ في كل واقعة الأخذ بمن كان قوله أقرب إلى الاحتياط ، وبكلمة أخرى لا يتصرف المكلف تصرفاً إلا إذا اتفقا على الترخيص فيه »^(٣) . بيد أن السيد الخميني ، وهو يفترض ما إذا تساوى المجتهدان في العلم أو لم يُعلم الأعلَم منهما فيقرر : أن يتخير المكلف بينهما^(٤) .

ومن المفيد هنا أن نشير إلى رأي غريب في بابهِ للدكتور البستاني يرى فيه « أن الفهم العربي للرواية (التي جاءت على صفات المرجع)^(٥) تركّز على الجانب السلوكي أكثر مما تركّز على الجانب العلمي ، لأن موضوع العلم حيادي ، ولا ينحاز ولا دخل للأخلاق فيه ، على عكس السلوك من الورع ، والتقوى والعدالة ، ومقوماتها من الفضائل التي هي ملاك أفضلية الأنبياء على سائر البشر . وإلا لو كان العلم هو مقياس الأفضلية المطلقة لكان إبليس أفضل الناس بعلمه واستطاعته أن يفعل ما

(١) الفتاوى الواضحة ، ١٠٦/١ .

(٢) الخوئي ، م . س ، ٨/١ .

(٣) الفتاوى الواضحة ، ١٠٦/١ .

(٤) تحرير الوسيلة ، ٦/١ .

(٥) راجعها في ص (١٤٩) من هذا الكتاب .

لا تستطيع البشرية بمجموع عقولها أن تفعله» (١) .

ويبدو أن الدكتور ، انطلق في حديثه هذا من زاوية قومية ، فتحدث بلغة قومية ليدعي من خلالها أن المراجع من الإيرانيين إنما رجّحوا جانب الأعلمية على صفة العدالة عند المجتهدين المتكافئين ، لأن الفارسي (على حد تعبيره) يقطع ويحرز في نفسه عدم العدالة ، وازدواجية السلوك غالباً ، مما يجعله معرضاً للقدح في عدالته ، مما يعني إبعاده عن مركز الزعامة . فجعلوا الأعلمية ملاك التقدّم لاطمئنانهم بإحرازها (٢) .

ولا نرى - ونحن نفهم حقيقة دوافع الكاتب وتوجهاته - حاجة لرد... ! ثمة تساؤل يُطرح بعد كل حديثنا عن الأعلمية ، هو في أي عرين ، وعلم يعرف مقدار علمية هذا أو ذاك ؟ وبلغة أكثر وضوحاً ودقة : هل يشترط أن يكون المجتهد أعلم في الفقه أم في الأصول ، أم في الإدارة ، أم ماذا ؟ .

ولو أردنا معالجة هذه النقطة لطلال بنا المقام ، بيد أننا نعرض هنا رأي السيد محمد حسين فضل الله ، دون أن يفهم من ذلك إقرارنا برأيه أو رفضنا له .

يقول السيد فضل الله : - إن اشتراط علمية المرجع المُقلد « هو الذي خلق كثيراً من المشاكل في حركة المرجعية لأنك قد تجد ثقيهاً يملك المستوى المتقدم به في الفقه بحيث يكون أعلم فقهاء عصره ، ولكنه لا يملك إية ذهنية منفتحة فيما هي المسألة الإسلامية على صعيد التحديات الفكرية الكبيرة التي يعيشها الإسلام في الساحة الفكرية كما أنه قد لا يملك أي وعي أو فهم للواقع الذي يعيشه المسلمون في كل

(١) مدرسة النجف . أدوارها العلمية ، وأطوارها الفكرية ، ورقة رقم ٤٨٨ - ٤٨٩ (مخطوط) .

(٢) نفسه ، ورقة رقم ٤٨٨ .

قضاياهم ومشاكلهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية»^(١) .

وبعبارة موجزة - يقول السيد فضل الله : - « قد نجد المرجع إنساناً متقدماً فيما هي المسألة الفقهية ، ولكنه متخلف فيما هي المسألة الاجتماعية والسياسية والحركية »^(٢) .

على أن التوسع في هذه النقطة يخرجنا عن صلب الموضوع ، مع الإشارة إلى ضرورة بلورته من قبل المختصين . .

(١) الحسيني : صراع الإرادات ، ٢٢٢ .

(٢) نفسه .

جدول رقم (٣)
 أسماء وبيانات عن أشهر مراجع التقليد
 في النجف للفترة ١٣٢٩ - ١٤٠١ هـ / ١٩٢٠ - ١٩٨٠ م

مسلسل	إسم مرجع التقليد	تاريخ ولادته		تاريخ وفاته		مكان الدفن	ملاحظات
		هجري	ميلادي	هجري	ميلادي		
١	الشيخ ميرزا محمد حسين النائيني	١٢٧٣	١٨٥٦	١٣٥٥	١٩٣٥	النجف الأشرف	
٢	آقا ضياء الدين العراقي	١٢٧٨	١٨٦١	١٣٦١	١٩٤٢	النجف الأشرف	
٣	السيد أبو الحسن الموسوي الأصفهاني	١٢٨٤	١٨٦٧	١٣٦٥	١٩٤٥	النجف الأشرف	
٤	الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء	١٢٩٤	١٨٧٧	١٣٧٣	١٩٥٤	النجف الأشرف	
٥	السيد محمد الطباطبائي الحكيم	١٣٠٨	١٨٩٠	١٣٩٠	١٩٧٠	النجف الأشرف	
٦	السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي	١٣١٧	١٨٩٩	١٤١٣	١٩٩٢	النجف الأشرف طهران	
٧	السيد روح الله الموسوي الخميني	١٣٢٠	١٩٠٢	١٤٠٩	١٩٨٨	النجف الأشرف	أسس الجمهورية الإسلامية
٨	السيد محمد باقر الصدر	١٣٤٩	١٩٣٠	١٣٤١	١٩٨٠	النجف الأشرف	

الفصل الثالث :

الحركة الإصلاحية للكليان المرجعي .

لم أتردّد - كما تردّد الكثيرون من قبلي ، ويتردد الكثيرون من بعدي - وأنا أحاول الكتابة في موضوع الحركة الإصلاحية للكليان المرجعي ، كون المرجعية هي الامتداد الطبيعي لمهمة الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام) . وبلغت شيعية : فالمرجعية تمثل ولاية الإمام المعصوم (عليه السلام) وخلافته .

وإذا كانت المرجعية في وجدان الناس ، اعتقاداً ، له مثل تلك الجذور المقدّسة ، فمن يا ترى سيجرؤ على انتقادها ؟ وتسجيل المؤاخذات عليها ؟ . وإذا غامر وتجراً من تجراً .. فهل تراه يسلم من كلمات الناس ، بل من لكلماتهم . فضلاً عن عدم وجود أذن صاغية تعي .. وقلب واع يسمع ...

أخوض غمار هذا الموضوع ، وأنا متأكد من أنني لن أرضي الأطراف كلّها ، أجل : كل الأطراف المحيطة بالمرجعية ممن هم لها ، أو عليها ، أو أولئك الذين لا يمكن تصنيفهم ضمن من هم لها أو عليها .

فالذين يقفون مع المرجعية - مع غض النظر عن مسوغاتهم - بكل سلبياتها وإيجابياتها ، لن يكون موقفهم من كلامي موقف رضى ، كوني

تطاولت - هكذا في تقديري سأنت - على هذا المقام الموعول في
القدم . . .

والذين يأخذون على المرجعية ما يأخذون - على إختلاف دوافعهم
ومشاربهم - دون أن يقدروا على إعلان مأخذهم ، على تفاوت في
مسوغات هذا الجبن وحجمه ، أولئك لن يكون موقفهم مني موقف رضى
أيضاً . والسبب : أنهم ينتظرون ممن يغامر في خوض هذا الموضوع أن
يقدم كل ما لديه ، ويرفع كل الأتعة ، ويحاول محو الغشاوة .

. . وبين هذا الطرف ، وذاك ، طرف ثالث : يعرف مواطن
الخلل ، ويشخص مواطن الداء ، بيد أنه يفضل غير هذا الطريق لمعالجة
الخلل ، والنصح بالدواء ، فالمرجعية هي المعنية بالأمر . وكل حوار ،
وحديث ، عن سلبياتها يجب أن لا يخرج عن دائرة المرجعية . . .

ولست مقررّاً في هذه المقدمة : أن الحق مع هذا . . . أو أن ذلك
مجانب للصواب ، أو العكس . بل أن المبتغى حين يكون وجه الله ،
فلست مبال بعده رضى من هذا ، أو قبول من ذلك . . أو غضب الاثنين
معاً .

مفهوم الحركة الإصلاحية :

قد يثير عنوان كهذا تساؤلاً لدى الكثيرين ، عن مدلوله ، وتحديد
المقصود به ، مثل هذا التساؤل يكون لمزيد من المعرفة في الموضوع
مرة ، وفضولاً مرة أخرى ، وقد يقترن لسبب أو لآخر بالاستغراب
والتعجب مرة ثالثة .

وحتى يكون حديثنا أكثر وضوحاً ، فإن ذلك يقتضي منا : تحديد
مفهوم (الحركة الاصلاحية) في ما أوضحنا من قبل معنى (الكيان
المرجعي) ، ضمن حديثنا عن المرجعية . وبهذا التحديد نكون قد أجبنا
عن تساؤل من يطلب مزيداً من التوضيح والمعرفة ، ونكون قد أشبعنا

فضول قسم آخر ، وأزلنا إمارات الاستغراب ، وعلامات التعجب من
عيون الفريق الثالث .

إذن : ماذا نعني بالحركة الاصلاحية ؟

الإصلاح : إشتقاق من الفعل (صلح ص . ل . ح) ، الذي يعني
بمفهوم اللغويين المعنى المضاد لفسد ، فيقال : صلحت حال فلان ، أي
زال عنها الفساد^(١) . وقد يتبادر الذهن حين تُطْلَق اليوم عبارة
(الإصلاحية) ، إلى تلك المؤسسة التي يُسَجَن فيها الأعداء
المراهقون ، الذين يرتكبون جرائم ، استصلاحاً لأخلاقهم .

أما في القرآن الكريم فقد وردت كلمة الاصلاح ، والإشتقاقات
القرية منها ، بمعان متعددة ، فقد ورد الاصلاح بمعنى مضاد للافساد
كقوله تعالى :

﴿ ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ﴾^(٢) . ووردت في القرآن
بمعنى الإحسان في قوله تقدست أسماؤه : ﴿ ويسئلونك عن اليتيم قل
إصلاح لهم خير ﴾^(٣) . كما وردت في القرآن الكريم بمعنى إصلاح ذات
البين ، كقوله تعالى : ﴿ وبعولتهن أحق بصدتهن في ذلك إن أرادوا
إصلاحاً ﴾^(٤) . وقوله تعالى : ﴿ إن يريدوا إصلاحاً يوفق الله بينهما ﴾^(٥) .

ولعل كل المعاني التي وردت في القرآن الكريم ، لمفهوم
الاصلاح ، تلتقي في دائرة لتقابل معنى الافساد . إضافة إلى أن
مصطلحي (الإصلاح ، والافساد) من الكلمات الزوجية المتضادة التي
وردت في القرآن الكريم أكثر من مرة كما تقدم .

(١) ابن منظور : لسان العرب ، ١٦/١٢ ، مادة (صلح) .

(٢) الأعراف/ ٥٦ .

(٣) البقرة/ ٢٢٠ .

(٤) البقرة/ ٢٢٨ .

(٥) النساء/ ٣٥ .

يعلل الشيخ مطهري السبب في طرح المصطلحات الزوجية معاً بـ : « أن أحداها يجب أن تنتفي حتى يمكن تطبيق الثانية »^(١). وهذا التعليل يهمننا جداً ، ويفيدنا كثيراً في الوصول إلى موضوع بحثنا من الحركة الإصلاحية للكيان المرجعي .

موضوع بحثنا من الحركة الإصلاحية :

بما أن الإصلاح - في أحد معانيه - هو إصلاح أمر الأمة ، الذي أرسل الله سبحانه وتعالى الأنبياء والرسل (عليهم السلام) للقيام بهذا الأمر . وعبر عنهم بـ (المصلحين) ، فنقرأ ما ورد في القرآن الكريم على لسان النبي شعيب (عليه السلام) : ﴿ قال يقوم أريتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقاً حسناً وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه أن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴾^(٢) . والمراد بالإصلاح هنا : هو إصلاح أمر الدين والدنيا^(٣) .

وهكذا فالدعوة الإصلاحية هي دعوة الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام) وحيث اختتمت الرسالات السماوية برسالة محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فقد كان لا بد للمسلم - كل مسلم - أن يكون داعية إصلاح في حدود امكانياته . وفق ضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، التي يعتبرها فقهاؤنا العظام « من أعظم الواجبات الدينية »^(٤) .

وإذا كان الكيان المرجعي بما يمثل من امتداد لخط الأئمة (عليهم السلام) في أمر تبليغ الأحكام الشرعية قد تحمّل هذه المهمة عبر حقبة طويلة ، ابتدأت منذ عصر الغيبة الصغرى حتى اليوم ،

(١) الحركات الإسلامية في القرن الرابع عشر ، ٨ .

(٢) هود/ ٨٨ .

(٣) شُبر : تفسير القرآن الكريم ، ٢٣٦ .

(٤) الخوئي : منهاج الصالحين ، (العبادات) ٣٣٥/١ .

وإن كانت تختلف في شكل ممارستها وأدائها من وقت لآخر .

فإن مسيرة المرجعية تلك ، كان لا بد من أن تتعرض في غير وقت ، لملاحظات وانتقادات اصلاحية أحياناً ، تهدف لتقويم ما أعوج ، وتنظيم ما فسد . وتخريبية أحياناً أخرى . لا تبغى إلا وضع العراقيل بوجه مسيرة المرجعية الظافرة . على أن ما لا يمكن التغافل عنه هو : أن ضرورة اصلاح الجهاز الداخلي للمرجعية - إذا جاز التعبير - تكمن في أن مثل ذلك الإصلاح يمكن المرجعية من أداء دورها الخارجي على خير وجه ممكن .

وإذا وضعنا هذه الحقيقة نصب أعيننا ، فإن موضوع بحثنا من (الحركة الاصلاحية للكيان المرجعي) هي تلك الأفكار المخلصة النابعة من محيط الكيان المرجعي ، كونها أقرب إلى هذا الكيان ، وبالتالي أكثر قدرة على الملاحظة والتقويم . دون أن يعني اختيارنا لنماذج اصلاحية معينة إتهام الأفكار الاصلاحية الأخرى ، أو الإنتفاص من قيمتها . .

... بيد أن طبيعة البحث لا تسمح بالتوسع ، لا سيما وأن « كثير من هم الذين حملوا هم الإصلاح »^(١) ، غير أن الذين وفقوا ل طرح أفكارهم قلة قليلة ، ولم يكن هؤلاء قادرين على تجاوز ما كان أمامهم من قيود . سببها الجهل حيناً ، والتقاليد حيناً آخر ، والحرص على كيان المرجعية من بعض المحافظين أحياناً ، « ومن عاش أوضاع الحوزة العلمية يدرك كم هي قاسية تلك المواجهات التي يصطدم بها من يحاول الإصلاح حقاً »^(٢) .

(١) القبانجي : الجهاد السياسي للإمام الصدر ، ٢٩ .

(٢) نفسه .

موارد الإصلاح

١ - العلاقة من المُقلد :

إن أول ما يواجهنا من ملاحظات على الكيان المرجعي هو أن التقليد قد فقد فاعليته ودوره في صياغة جماهير واسعة جداً^(١) . وبمعنى آخر : إن التقليد عاد التزاماً شكلياً دون أن يكون « صلة حية بين التوجيه الفقهي ، وبين المسلم العادي »^(٢) .

يعلّل الشيخ شمس الدين سبب ذلك فيرده إلى سببين رئيسيين ، إذ يقول : « . . . وإذا كان علينا أن نعترف بأن انحسار الدين عن الحياة اليومية والعامة في مجتمعاتنا مسؤولة عن هذه الظاهرة الى حد كبير ، فلا ينبغي لنا أن نهمل عاملاً مهماً آخر ، وهو أن المرجعية في التقليد نفسها مسؤولة عن جانب كبير من ضمور دورها في توجيه الحياة اليومية ، والعامة للمسلم ، وذلك نتيجة لعدم انفتاحها على هموم العصر الحاضر وتغيراته ، مما سبب انفصاماً في العلاقة بين المسلم العادي وبين المرجعية »^(٣) على اختلاف في تفسير ذلك الانفصام :

(١) شمس الدين : مواقف وتأملات في قضايا الفكر والسياسة ، ٦٩ .

(٢) نفسه .

(٣) شمس الدين : مواقف وتأملات في قضايا الفكر والسياسة ، ٦٩ .

فَمِنْ قَائِلِ بِأَنَّ السُّلْطَاتِ الْمُتَعَاقِبَةَ هِيَ الَّتِي عَمِلَتْ مِنْذُ وَقْتِ بَعِيدٍ عَلَى سَحْبِ الْبَسَاطِ مِنْ تَحْتِ أَقْدَامِ الْمَرْجِعِيَّةِ . وَلِصَاحِبِ هَذَا الرَّأْيِ مَا يَسْتَنْدُ عَلَيْهِ مِنْ مِمَارَسَاتِ السُّلْطَةِ الْبَرِيْطَانِيَّةِ الْمُحْتَلَّةِ ، « فَعِنْدَمَا رَأَتْ نَفُوذَ النَّجْفِ وَهَيْمَتَهَا عَلَى بَاقِي رُبُوعِ الْفِرَاتِ مِنْ نَاحِيَّتِي الْعَقِيْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ ، قَامَتْ فَحَدَدَتْ مِنْ هَذَا النَّفُوذِ ، بِتَقْلِيصِ ظِلِّ النَّجْفِ وَجَعَلَهُ قَضَاءً لَا يَلْتَحِفُ بِهِ إِلَّا قَصْبَةُ الْكُوفَةِ فَقَطْ . خَشِيَّةٌ أَنْ تَصْبِحَ مَرْجِعاً . . . فَيُضَافُ إِلَى قُوَّةِ السُّلْطَانِ الْإِتِّصَالِ الْمُسْتَمِرِّ . وَلَمَّا جَاءَ الْحُكْمُ الْوِطْنِيَّ عَامَ (١٣٣٩ هـ / ١٩٢٠ م) بَقِيَ الْأَمْرُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ » (١) .

إِلَى مَنْ يَعْتَرِفُ بِوُجُودِ هَذِهِ الْفُجُوءِ ، بَيْنَ الْمَرْجِعِ وَالْمُقَلَّدِ خَاصَّةً فِي مَجْتَمَعِ عَشَائِرِي كَالْعِرَاقِ (٢) . فَالْمُقَلَّدُ يَرِيدُ مِنَ الْمَرْجِعِ أَنْ يَشَارِكَهُ فِي حَيَاتِهِ : فِي أَفْرَاحِهِ وَأَتْرَاحِهِ ، بَيْنَمَا فِي الْمَقَابِلِ نَجِدُ أَنَّ الْمَرْجِعَ حَتَّى يَجُوزَ تَقْلِيدَهُ ، وَتَرْجِعُ إِلَيْهِ الزَّعَامَةَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْأَعْلَمُ (٣) ، وَالْأَعْلَمِيَّةُ تَقْتَضِي مِنْهُ الْإِنْعِزَالَ عَنِ النَّاسِ حَتَّى يَحْصُلَ لَهُ الْعِلْمُ . وَيَأْتِي وَكَيْلَ الْمَرْجِعِ وَمِمَثْلَهُ الْقَاصِرُ فِي وَعِيهِ ، وَأَسْلُوبِ عَمَلِهِ لِيُوسِّعَ الْهَرَّةَ إِذْ يَمَارَسُ مَسْئُولِيَّاتِهِ لَا بِصِفَتِهِ مِمَثْلاً لِلْمَرْجِعِ ، بَلْ وَكَأَنَّهُ السُّلْطَةُ الَّتِي لَا سُلْطَةَ فَوْقَهَا ، وَالْمَرْجِعُ - بِطَبِيعَةِ الْحَالِ - هُوَ الْمَسْئُولُ عَنِ نَوْعِيَّةِ وَكَيْلِ كَهَذَا .

« وَمِنْ هُنَا ، فَإِنَّ مِثْلَ تِلْكَ الْإِشْكَالِيَّةِ فِي الْعِلَاقَةِ بَيْنَ الْمَقَلَّدِ وَالْمَرْجِعِ لَمْ تُبْتَلْ فِيهَا الْمَرْجِعِيَّةُ فِي غَيْرِ الْعِرَاقِ ، كِإِيرَانَ مِثْلاً ، فَلِأَنَّ ذَلِكَ يَعُودُ إِلَى طَبِيعَةِ أَفْرَادِ الْأُمَّةِ وَالْعِلَاقَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِي تَسُودُ بَيْنَ أَفْرَادِ مَجْتَمَعِهِمْ » (٤) . فِي بِلَدِ كِإِيرَانَ الَّتِي لَا يَسْبَبُ انْقِطَاعَ الْمَرْجِعِ وَعِزْلَتَهُ فَجُوءَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَقَلَّدِهِ .

- (١) الْخَاقَانِي : شِعْرَاءُ الْغُرِّي ، أَوْ النَّجْفِيَّاتِ ، ٤٧٦/١٢ .
(٢) فَحْصٌ : حَدِيثُ شَخْصِي فِي جَبْشِيَّةِ ، الثَّلَاثَاءِ ٥ شَعْبَانَ ١٤١١ هـ - ١٩٩١/٢/١٩ .
(٣) أَنْظَرُ : الْفَصْلُ الثَّانِي مِنْ هَذَا الْبَابِ .
(٤) فَحْصٌ : م . س .

ويرصد الشيخ حسن طراد^(١) مشكلة الفجوة بين المراجع والمقلد ، فيرى أنها « ناشئة عن قُصر المرجعية نشاطها العلمي في إطار الأحكام الشرعية ، واعطاء الدروس في الحوزات العلمية . من دون أن يكون لها افتتاح على القاعدة الشعبية . والاتصال بها مباشرة أو بالواسطة »^(٢) .

وإن كان الشيخ طراد يذهب بعد ذلك إلى : أن هذا « قد أوجد فجوة خارجية بين القاعدة والمرجعية ، على الصعيد العلمي الخارجي ، وإلا على الصعيد الذهني والنفسي ، فالإنسان الرسالي المسلم المقلد ، نفس تقليده لمرجعه وارتباطه به عملياً من خلال تقيده بفتواه في مجالاته العملية . هذا يحقق له ارتباطاً ذهنياً ونفسياً »^(٣) .

ولا بدّ هنا من الاعتراف بوجود بعض المواقف في تاريخ المرجعية لإصلاح مثل ذلك الخلل ، والاعتراف ببروز بوادر إصلاح في زمن مرجعية السيد الحكيم ، وعلى أيام السيد الصدر .

٢ - المرجعية الشخصية :

ونعني به هنا ، واقع المرجعية منذ عصر بعيد ، ويكاد يستمر الوضع على حاله حتى اليوم ، حيث لم نعهد في المرجعية كياناً أو مؤسسة لها أجهزتها . وقوانينها ، ونظمها . بل إن شكل المرجعية الذاتية الذي يمكن أن يُجَعَلَ المرجع من خلاله مركز الثقل في كل ما يمت إلى المرجعية من أفكار وقرارات ورؤية وتفاعل مع واقع الحياة والأمة . بكل ما في هذه العبارة من عمق وشمول .

(١) من مواليد جبل عامل عام (١٣٥٠هـ / ١٩٣١م) أحد تلامذة الإمام الخوئي في النجف ، هو الآن إمام جامع الإمام المهدي (عجل الله فرجه) في منطقة الغبيرة ببيروت وأحد كبار أساتذة حوزة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) في حارة حريك - بيروت .

(٢) حديث شخصي ، في بيروت : الأربعاء ٦ شعبان ١٤١١هـ / ٢٠ / ١٩٩١م .

(٣) نفسه .

ولعلّ المشكلة الأكثر تعقيداً في هذا المجال - كنتيجة طبيعية للمرجعية الذاتية - هي في تعدد المراجع، وبالتالي تعدد القرارات الفردية التي تؤثر فيها معظم الأحيان أهواء الحاشية، وهي (الجهاز الإداري للمرجع)، دون أن يفهم من كلامنا هذا تعميم الحكم.

ولنا في بعض ممارسات المرجعية ما يؤيد صحة نظرنا، فلم يكن موقف علماء النجف واحداً خلال الربع الأول من القرن العشرين، من حركة (المشروطة) في إيران. وإنما كان هناك تياران سُمي أحدهما (المشروطة)، وهو الجناح المؤيد للمبادئ الدستورية، الذي كان يتزعمه الشيخ مُلاً كاظم الخراساني، بينما أُطلق على الآخر اصطلاح (المُسْتَبَدَّة) الذي كان يتزعمه السيد محمد كاظم اليزدي. مع ما أفرزه ذلك من انقسام بين العلماء وطلبة العلوم الدينية في الحوزة، وصل إلى العداوة والاعتداء^(١). بل وعمّ ذلك الانقسام ليشمل حتى العوام ممن يعيشون قريباً من الحوزة العلمية في النجف^(٢).

ولعلنا نرصد ممارسة أخرى للعلماء المراجع من المجتهدين تتمثل فيها (الذاتية المرجعية)، وذلك من خلال ترشيح الملك فيصل^(٣)، (١) أنظر التفاصيل الدقيقة لأحد الذين كانوا في وسط هذا الصراع حيث يروي قصة المشروطة والمستبدة، وكل ما يتعلق بها. الخاقاني: شعراء الغرى أو النجفيات، ٨٨/١٠ وما بعدها.

(٢) روى الدكتور علي الوردى قائلاً: «حدثني النجفي عبد الحميد زاهد، أنه كان في تلك الأيام صبياً، يلعب مع أقرانه في الأزقة. فكان الصبيان عند اللعب يقسمون أنفسهم إلى فريقين: مستبدة ومشروطة ثم نشبت المعارك بينهم تقليداً لما يقع بين الكبار.

أنظر: الوردى: لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ١١٧/٣. (٣) فيصل بن الشريف حسين، وُلد في الطائف عام (١٣٠١هـ/١٨٨٣م) نودي به ملكاً على سورية عام (١٣٤١هـ/١٩٢٠م)، لكنه إنسحب بعد دخول الجيش الفرنسي إليه. جلس على عرش العراق عام ١٣٤٢هـ/١٩٢١م) وقّع مع إنكلترا وثيقة استقلال العراق عام (١٣٥١هـ/١٩٣٠م). توفي في سويسرا، ودُفن في بغداد عام (١٣٥٣هـ/١٩٣٣م).

وتنصيبه ملكاً ليحكم العراق وذلك عام (١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م). فقد عارض السيد أبو الحسن الأصفهاني ، والشيخ محمد حسين النائيني ، ذلك الترشيح ، وأي مرشح آخر في ظل الانتداب . بينما أيد اثنان من علماء الشيعة هما الشيخ مهدي الخالصي ، والسيد محمد الصدر ترشيح فيصل وتنصيبه ملكاً^(١) . ورغم أن الخالصي والصدر ، هما من علماء مدينة (الكاظمية) ببغداد ، إلا أن المُفْتَرَض أن يكون لهما ارتباط بالقيادة المرجعية في النجف الأشرف .

ماذا نتوقع من عامّة الناس وهم يشاهدون الاختلاف قائماً ما بين قيادتهم ؟

وإذا كان ما عرضناه يمثل جانباً من الجوانب السلبية للمرجعية الذاتية، فإن الجانب السلبي الآخر، يتمثل في «أن المرجع غالباً ما يتقلد الزعامة بعد أن نَفَى على السبعين ، وقد ضعفت قواه ، فأصبح يديرها على الطريقة التقليديّة ، من دون أن يقوى على الإبداع والتنظيم فيبقى ماشياً على الخطة التي كان يسير عليها سلفه»^(٢) . بل ربما دفعته ذاتيته إلى التفكير بإنشاء هذا المشروع أو ذاك ، بيد أن انشائه لا يبدأ من حيث انتهى إليه سلفه ، بل يبدأ ببناء مدرسة هنا ، أو إنشاء مكتبة هناك ، وما أن تشارف مثل تلك المشاريع على الانتهاء ، أو تكون قد استكملت بناءً ، وتجهيزاً ، فيموت المرجع . . ليأتي من بعده . . لا ليتبدى من حيث انتهى سلفه ، بل يبدأ مشاريعه المستقلة ، وينفذ أفكاره الذاتية ، بعيداً عن كل من سبقوه . . وإذا لا نود الابتعاد في اقتناص أمثلة بعيدة زمنياً ، فإننا قد عشنا فترة إنشاء (دار الحكمة)^(٣) كمعهد دراسي نموذجي ضمن الحوزة العلمية في النجف . بيد أن (دار الحكمة) ما

(١) للتوسع انظر : الحسني : العراق في دوريّ الإحتلال والانتداب ، ٢١٧/١ .
 البصير : تاريخ القضية العراقية ، ٣٤١/١ .

(٢) الخاقاني : شعراء الغري ، أو النجفيات ، ٤٦٤/١٢ (بتصرف) .

(٣) دار الحكمة . مدرسة دينية ضخمة جداً ، أنشأها في أواخر أيامه السيد محسن الحكيم في محلة (المشراق) بالنجف الأشرف .

أن اكتملت حتى توفي السيد الحكيم ، ليتولّى المرجعية من بعده السيد الخوئي ، الذي لم يتعهّد هذا المشروع ، ويسير به من حيث وصل إليه ، بل إنه عمّر مدرسة أخرى ، مشابهة في أهدافها ونظمها لدار الحكمة ، دون أن نعرف سبباً لعدم تبني السيد الخوئي مشروع من سبقه . سوى ما تفرضه طبيعة المرجعية الذاتية .

ثمّة أمر آخر من المظاهر السلبية للمرجعية الذاتية هو تعدّد وكلاء المرجع في منطقة ما . وما يفرضه هذا التعدد من تكريس انقسام الرأي المرجعي ، وانعكاس ذلك - دون أدنى شك - انقساماً ، وفرقة بين أفراد هذه الأمة .

وإزاء وضع كهذا ، من ذاتية المرجعية ، طرح السيد الصدر ، مشروعه الطّمُوح في (المرجعية الموضوعية) لمعالجة هذا الخلل وغيره .

٣ - النظام المالي للكيان المرجعي :

تعتمد الموارد الأساسية للمرجعية الدينية على ما يرد إليها من خُمس^(١) ، وزكاة^(٢) . وبعض الهدايا والتبرعات من هنا وهناك ، وإن

(١) الخمس : ولا يحضّره علماء الإمامية في غنائم الحرب ، إذ لا يجدون في آية الخمس ما يوجب حصرها في غنائم الحرب ، ويكاد يتفق علماء الإمامية في وجوبه بأمر سبعة : ١- غنائم القتال مع الكفّار . ٢- المعادن كالذهب والفضة ، والرصاص ، وغيرها . ٣- الكنز . ٤- ما أخرج من البحر بالفوص . ٥- الأرض التي اشتراها من المسلم . ٦- المال المخلوط بالحرام إذا لم يتميز ويُعرف . ٧- ما يفضل عن مؤونة سنته ، له ولعاليه من فوائد الصناعات والزراعات والتجارات والإجازات .

أنظر : الخوئي : منهاج الصالحين ، ٣٣٢/١ .

(٢) الزكاة : وهي كما يعبر السيد الخوئي : أحد الأركان التي بُني عليها الإسلام ، ووجوبها من ضروريات الدين ، ومنكرها مع العلم بها كافر . والزكاة تجب في الأنعام الثلاثة : الأبل ، والبقر ، والغنم . كما تجب في الغلات الأربع : الحنطة ، والشعير ، والتمر ، والزبيب . وتجب أيضاً في النقدين : الذهب

كان الاعتماد الأساسي يظل قائماً على الخمس والزكاة . حيث اعتاد المقلدون تسليم ما يُستحق عليهم من حقوق شرعية إلى المرجع الأعلى ، إن مباشرةً ، أو بواسطة الوكلاء ، الذين ينتشرون في كل بلد تقريباً . وقد شكّل مورد الخمس مورداً اعتمدت عليه المرجعية اعتماداً كبيراً عبر تاريخها الطويل ، بل ومكّنها من القيام بواجبها في الصرف على شؤون الحوزة العلمية ، طلبيةً ، ومحتاجين ، ومدارس . ومكّنها في الوقت نفسه من الإعتماد عليه ، والاستقلالية عن عطاء الحكومات المتعاقبة ، وما يحيط به من ذلك العطاء من تبعية في الفكر ، والفتوى ، وانقياد بشكل مباشر ، أو غير مباشر لسلطة الدولة .

على أن المرجعية - بعد تسلمها تلك الحقوق الشرعية - تقوم بإتفاق على تسيير شؤون الحوزة العلمية . إن كانت في النجف أو في غيرها . وذلك بدفع رواتب لطلاب العلم متعلمين ومعلمين . . . وللإنفاق على المدارس الدينية ، إن في إنشائها ، أو المساهمة في تعميمها ، أو صيانتها ، ودفع أجور المستخدمين فيها ، والقائمين على إدارتها .

وتقوم المرجعية أيضاً ، بتوزيع بعض المعونات الدورية على بعض الأسر ، والعوائل الفقيرة ، وإن كان ذلك في حدود ضيقة ، لا يمكن أن نعتبره قاعدة ، ومبدأ .

ولعلّ « سر بقاء الزعامة الروحية للمرجعية يعود الفضل فيه إلى الحقوق الشرعية »^(١) ، التي يدفعها المؤمنون من المقلدين عن رضى ، وطيب خاطر ، إلى مركز المرجعية بطوعية تامة ، مدفوعين بما يمليه عليهم وجدانهم ، ويفرضه إيمانهم ، لدفع ما يتعلق بدمهم كثيراً كان أم قليلاً ، ومن الأرقام الصغيرة حتى الأرقام الكبيرة ، لتشكل مجموع هذه

= والفضة . ولا تجب فيما عدا ذلك . أمّا مقدار ما تجب فيه كل تلك المواد لتتوسّع يُراجع : الخوئي : منهاج الصالحين ، ١/ ٢٨٤ - ٢٨٧ .
(١) الخاقاني : شعراء الغري ، أو النجفيات ، ١٢/ ٤٧٨ (بتصرف) .

الحقوق مورداً عالياً ، وكبيراً جداً^(١) ، يسهم مساهمة فاعلة وأساسية في تسيير شؤون المرجعية ، والحركة العلمية^(٢) .

وإذا كانت الدولة - أية دولة - تلحق المواطن لتجبي منه ما يتعلق بدمته من ضرائب وديون ، فإن الناس تؤدي للمرجعية بكل طواعية ، واختيار أموال الزكاة والخمس ، لتصرف فيه المرجعية باستقلالية تامة عن السلطة ، أية سلطة .

هذه بإيجاز شديد هي الصورة العامة للوضع المالي الحوزوي ، أو قل : الوضع المالي للمرجعية في موارده ومصارفه . أين الملاحظات على هذه النقطة إذن ؟ .

يقول الأستاذ علي الخاقاني :

« استمرت الزعامة الروحية في توزيع الأموال على قاعدة (اصرف ما في الجيب ، يأتيك ما في الغيب) ، وإذا صح ذلك للفرد الروحي الزاهد ، فلا يصح لمن هو مسؤول عن إدارة حوزة كبيرة يقصد من وراء تكوينها إرشاد جيل بكامله^(٣) .

وإذا كان قد مرّ على صرخة الأستاذ الخاقاني الجريئة هذه ، ما يقارب الأربعون سنة ، فإن الوضع لم يتغير كثيراً عما كان يعاني منه .

(١) للتدليل على حجم المورد المالي للمرجعية من الحقوق الشرعية نذكر : إن وارد السيد أبي الحسن الأصفهاني ، يبلغ في بعض السنوات ، ستمائة ألف دينار عراقي . وهو مبلغ ضخم إذا قيس إلى تكاليف المعيشة ، في ذلك الوقت . الأصفى : مدرسة النجف ، ١٦ .

كان ملك الأردن : عبد الله بن الحسين ، المتوفى عام (١٣٧١ / ١٩٥١ م) يقول : أن وارد السيد المذكور يزيد على وارد بعض الدول .

شمس الدين : حديث الجامعة النجفية ، ٥٥ .

(٢) أنظر : البهادلي : النجف جامعتها ودورها القيادي ، ١٠٣ .

(٣) شعراء الغري : أو النجفيات ، ٤٧٨ / ١٢ .

نقطة مهمة على هذا الصعيد هي مشكلة اقتصار توزيع الرواتب على طلبة الحوزة العلمية . مع أن المفترض أن يُنظر إلى (خزينة المرجعية) - إذا جاز التعبير - على أنها خزينة دولة ، فتشمل بتوزيعها طلبه الجاهات ، والمحتاجين من صغار الكسبة ، وغيرهم ممن لا تقوم سواردهم المالية بسد المتطلبات الضرورية الحياتية لهم ، ولأسرهم . وإهمال هؤلاء وغيرهم ، والإقتصار على طلبة العلوم الدينية في توزيع الأموال من المرجعية ، لهو أحد أهم عوامل الهوة والفجوة في علاقة المرجعية بقطاع كبير من الناس . وبالتالي فقد أسهم ذلك مساهمة كبيرة في أوائل ستينيات القرن الميلادي العشرين ، في نجاح وانتشار الفكر الشيوعي والماركسي الملحد ، قريباً من مركز المرجعية في النجف . . ، المالي استقطاب مجموعة من الطلاب الجامعيين ، وصغار الكسبة من المحتاجين ، كون الشيوعية نادت - ولو على مستوى نظري - بمحو الأنطيقية وإنصاف المحرومين . . في وقت ظلت المرجعية بنظامها المالي - كأحد مفردات العلاقة مع الناس - بعيدة بعداً نتج ما نتج عنه من سلبيات .

وإذا كنا ندون ملاحظتنا تلك ببالغ المرارة والأسى ، فإننا لا ننكر ما قامت به مرجعية السيد الحكيم ، لإصلاح هذا الخلل . يقول السيد محمد باقر الحكيم^(١) : « لقد انتهج الإمام الحكيم (رض) سياسة خاصة في توزيع الراتب في أوساط الحوزة واخضاعه لاعتبارات عديدة ، منها المستوى العلمي للطلاب ، ومقدار حاجته في العرف العام في وسط الحوزة . إضافة إلى سياسة خاصة من شأنها إظهار طالب الحوزة ومدرستها

(١) محمد باقر الحكيم : أحد أبناء المرجع المرحوم السيد محسن الحكيم ، وأحد أركان مرجعية السيد الصدر . وُلد في النجف الأشرف عام (١٣٥١هـ/١٩٣٢م) . من مؤلفاته :

- موجز علوم القرآن ، وهي مجموعة محاضراته على طلبة كلية أصول الدين ببغداد .

- المستشرقون وشبهاتهم حول القرآن .

بمظهر العِزَّة والكرامة ، من دون إسراف في الترف أو التقشف» (١) .

يضيف السيد محمد باقر ، متحدثاً عن شمول توزيع الرواتب من قبل مرجعية والده غير طلاب العلوم الدينية ، فيقول : « وفي الوقت نفسه كان بيته مرجعاً لذوي الحاجات من الفقراء والمعوزين ، كما كان ، قد خصَّص معونات شهرية سرّية لبعض العوائل المتدينة الشريفة» (٢) .
بالإضافة إلى « الاهتمام بقطاعات جديدة ناشئة في المجتمع كطبقة الموظفين ، والجامعيين والصناعيين الجدد ، والعَمال والجنود والفلاحين» (٣) .

رغم تقديرنا لما قدمته مرجعية السيد الحكيم ، إلا أن مثل تلك المحاولة إنما كانت تعالج المشكلة من السطح ، ولم تكن بقادرة على اجتثاثها من جذورها ، بمعنى أن المحاولة تلك إنما عالجت مشكلة قائمة واقتصرت على زمن المعالجة ، دون أن توضح الأسس المطلوبة للإصلاح .

ولعلّ خير دليل على صحة ما نذهب إليه هو في عدم اعتماد طريقة السيد الحكيم ممن جاء بعده .

ثمّة أمر آخر يضاف إلى تلك المعضلة ، هو في بقاء اعتماد المرجعية على الخمس والزكاة ، دون أن يكون لها « مورد آخر يضمن لها القدرة على التوسع والتخطيط للمستقبل» (٤) .

وقد التفت السيد محسن الأمين إلى هذا الخلل يوم كان عالمياً في دمشق في خمسينيات القرن الميلادي الحالي ، فعمل على « استثمار جزء

(١) جواب خطي : بتاريخ ٢٧ ذو الحجة ١٤١٠هـ/ ٢٠ تموز ١٩٩٠م من أربع صفحات .

(٢) نفسه ، ورقة رقم «١» .

(٣) نفسه ، ورقة ، رقم «٢» .

(٤) شمس الدين : مواقف وتأمّلات في قضايا الفكر والسياسة ، ٧٥ .

من الواردات الشرعية المالية ، لتكون أوقافاً شرعية»^(١) . تشكل مورداً مهماً من موارد الكيان المرجعي . بل عمل على التأكيد في أذهان مريديه من الأثرياء بتخصيص الثلث الخاص بالموصي - ضمن وصيته - ، ليكون وفقاً يُصرف ريعه الدائم والمستمر على مشاريع البرّ والصالح^(٢) . ولعلّ هذا هو سرّ بقاء (المدرسة المحسنية) ، إحدى مشاريع السيد محسن ، في منطقة الأمين بدمشق لليوم ، في وقت لم يُقدّر لمشاريع كبيرة البقاء ، رغم تبني المراجع الكبار للعديد منها !

وتتجدد الدعوة ، لاصلاح هذا الخلل في ما يتعلق بالنظام المالي للمرجعية ، فبعد دعوة السيد الأمين ، نطالع دعوة الشيخ شمس الدين ، إذ يرى ضرورة وجود مورد آخر غير الأحماس والزكوات ، فيقول بعد عرض المشكلة : « . . لذلك نرى استثمار جزء من الواردات على مدى سنين في شراء أوقاف عقارية ، تضمن للمرجعية دخلاً ثابتاً . ومن الدخل الثابت والمتغير (غير الثابت) تتكون مالية المرجعية»^(٣) .

٤ - وكلاء المرجعية :

حيث أن مركز المرجعية - موضوع دراستنا - هو النجف الأشرف ، فمن الطبيعي أن يكون للمرجعية من يمثلها هنا ، وهناك . حيث ينتشر المقلّدون ، إذ لا يُعقل أن يتوجه كل من يشاء الإستفتاء في مسألة معينة للمرجع الأعلى . وهكذا ، قل في من يشاء تسليم أو تسلّم الحقوق الشرعية ، وما شاكل من مسائل . إذن : ولكي تسهل عملية الاتصال بين المرجع والمقلّد لا بد أن يكون وكلاء يقومون بدور الوسيط بين المقلّد والمرجع ، في كل ما تحتاجه هذه العلاقة بين الطرفين . . وتشبه مهمة

(١) الأمين : حديث شخصي . في بيروت ، الثلاثاء ٢٧

شوال ١٤١٠هـ - ١٩٩٠/٥/٢٢ م .

(٢) نفسه .

(٣) م . س ، ٧٤ - ٧٥ .

الوكيل مهمّة السفير هذه الأيام ولسنا بصدد الوقوف عند بدايات العمل بنظام الوكلاء - كما هو عليه اليوم -، رغم وجود إشارات لا تتفق على تاريخ معين .

فمن قائل بأن الشهيد الأول^(١) هو أول من أوجد للمرجعية هيئة وكياناً مستقلاً ، مؤلفاً من وكلاء ، وعلماء الأطراف ، يرتبطون بالمرجع ، ويتصلون بالقواعد الشعبية^(٢) . إلى قائل بأن السيد محمد كاظم اليزدي المتوفى عام (١٣٣٧هـ / ١٩١٩م) هو أول من أوجد هذا النظام . ولعلّ الرأي الأول أقرب للصواب . إذ لا يعقل أن تمرّ المرجعية بهذه الفترة الطويلة دون وجود من يمثلها في المدن والأرياف .

.. وكيف كان أمر تاريخ وجود الوكلاء ، إذ لسنا بصدد الحديث عن هذا الأمر بقدر ما يهمننا التمهيد لما نريد الوصول إليه ، من تقويم المرجعية من خلال حركة الوكلاء :

فإن المرجعية متّهمة بالقصور ، بل وبالتقصير في موضوع أعداد الوكلاء ، وتغطية المناطق بهم ، وضمان حسن أدائهم . ويمكننا أن نشخص هذا التقصير في جانبين مهمّين هنا :

أ - الجانب الكيفي في الوكلاء ، أو قل : نوعية الوكيل .

ب - الجانب الكمي ، أي من حيث العدد .

وحتى يكو الأمر واضحاً ، ونضع يدنا على موطن القصور والتقصير فلا بد من توضيح الأمر .

أ - الجانب النوعي للوكلاء :

لقد تُرك أمر إعداد الوكلاء للزمن ، بمعنى أن تاريخ المرجعية لم

(١) أنظر ترجمته في الفصل الأول من هذا الباب (ص ١٣٧) .

(٢) أنظر : المصدر : المحنة ، ٤٢ .

يسجل لنا برنامجاً يتضمن إعداد مجموعة وكلاء ، وفق دراسة مستفيضة عن حاجات المناطق من الوكلاء كماً ، وكيفاً . بل لم يسجل لنا تاريخ المرجعية - إلا في استثناءات نادرة - مبادرة المرجعية بإرسال أحد وكلائها إلى هذه المنطقة ، أو ذلك البلد قبل أن يطلب وجهاؤها ذلك من المرجعية ، وإذا ما طُلب من المرجع ذلك . فكثيراً ما تتحكم عوامل قرابة الوكيل بأهل المنطقة أو رضى أحد وجهائها عن هذا ، أو ذلك ، دون أن يحسب في الغالب حساباً للذهنيات التي تعيش في البلد المنوي إيفاد هذا الوكيل إليه . بل يُرسل الوكيل دون إعداد فكري خاص ، ودون تجهيزه بفكرٍ إصلاحي يتصل بالمحيط الذي اختير له .

ولتقريب الفكرة : فإن قرى العراق - على سبيل المثال - لا زالت تعشعش في أذهان أبنائها مخلفات الجاهلية في نظرتها إلى عديد من الأمور ، والمرأة منها بشكل أبرز من حيث سلب حقوقها التي منحها إياها الإسلام .

وتقتضينا الموضوعية أن نشير إلى أن « السيد أبا الحسن الأصفهاني ، يمكن أن يُعتبر أول من فكّر من المراجع بتخريج الدعاة (الوكلاء) فوضع برنامجاً يُعدّ من خلاله طالب العلم في النجف إعداداً نوعياً يتمثل في أحد جوانبه بتعليم الطالب الحساب والجغرافيا واللغة »^(١) . بالإضافة إلى دروس الفقه وأصول الفقه . في وقت لم يكن مألوفاً ذلك في الحوزة . بيد أن الفكرة أُجهضت ، شأنها شأن الكثير من المشاريع والأفكار الإصلاحية التي شهدتها الحوزة العلمية عبر تاريخها الطويل . « وربما أدركت الزعامة الروحية خطر عدم الاهتمام بأمر إعداد الدعاة ، وعظيم ضرره عندما طُلب منها المسلمون في مختلف بلدان

(١) فحص : حديث شخصي ، في جيشيت الثلاثاء ٥ شعبان ١٤١١هـ - ١٩٩١/٢/١٩ م .

الغرب والشرق مرشدا فلم تجد الشحص اللائق لتمثيل الدين هناك»^(١) ،
ممن يجيد لغة البلد الذي سيحل فيه ! .

وجاء السيد الحكيم من بعد السيد أبي الحسن ، لكنه (رحمه الله)
« اختار الوكلاء من الموجودين ، ولم يعدّ مشروعاً لإعداد وتخريج الوكلاء
والدعاة»^(٢) . نعم يمكن أن نلاحظ أن السيد الحكيم لم يكن ينظر حين
اختيار الوكيل إلى المعايير العائلية ، وصلته بالمرجع الفلاني ، أو أمثال
ذلك مما كان سائداً ، وإنما كان يركز على نوعية الوكيل . وحتى لا
نجدد الرجل حقّه فلا بدّ من الإشارة إلى إنشائه لمدرسة العلوم الإسلامية
التي تهدف ضمن ماتهدف إلى إعداد الدعاة والوكلاء ، بالإضافة الى تنظيم
الدراسة في إطار الحوزة العلمية في النجف الأشرف^(٣) . وإن كان هذا
المشروع قد جاء متأخراً بعض الشيء فيما « أحيى السيد الصدر مشروع
السيد أبي الحسن الأصفهاني»^(٤) . في إعداد الوكلاء . إذ راح لا يختار
وكيلاً ، إلّا بموجب دراسة مستفيضة لحاجات البلد الذي يتم اختيار الوكيل
له وذهنيّات أبنائه . وبموازاة ذلك كان يركّز على إعداد مجموعة من
تلامذته إعداداً مركزاً ليكونوا وكلاء للمرجعية مستقبلاً .

وفي الوقت الذي نسجل فيه غياب الوكيل (النوعي) ، نشير إلى
أنّه . وفي الحقبة الزمنية التي نقوم بدراستها : شهدت بعض قرى
لعراق ، وتحتديداً الأهوار المسلمة ١٠٠٪ . شهدت إحدى البعثات
التنصيرية التي « جمعت عدداً من الفلاحين ، وأخذت تقصّ عليهم

(١) الخاقاني ، م . م . س ، ٤٨٣/١٢ (بتصرّف) .

(٢) فحص : م . م . س .

(٣) ستحدث بتفصيل عن مشروع (مدرسة العلوم الإسلامية) ، عند حديثنا عن
إصلاح النظام الدراسي في الحوزة العلمية بالنجف .

(٤) بناءً على صحة الاعتقاد بوجود مشروع من هذا القبيل ، كما حدّثنا بذلك السيد
هاني فحص ، أنظر الهامش رقم (٢) . إذ يعتقد آخرون أن السيد الصدر هو
الرائد في التفكير في مثل ذلك الموضوع .

قصص النبي عيسى ، وأمه العذراء (عليهما السلام) ، وتذكر معاجزهما ، وكيف أن المسيح يُحيي الموتى ، ويرى الأكمة ، والأبرص . . . فلما كانت تنتهي من ذكر معجزة . . . كان الناس يضحون بالصلوات على محمد وآل محمد»^(١) .

ب - الجانب الكمي للوكلاء :

بموازاة النقص الكبير في نوعية وكلاء المرجعية في المناطق ، فإن هناك نقصاً حاداً في عدد أفراد هؤلاء الوكلاء ، ولم تشبع المناطق حاجتها من الوكلاء أبداً . وإذا كان هذا هو شأن النجف نفسها ، وهي مقر المرجعية ، فإن شأن بقية المحافظات العراقية لم يكن بأحسن من ذلك . إذ لم تكن تلك المحافظات تعرف الوكيل ، إلا في أيام معدودات من شهري محرم الحرام ورمضان .

وللتدليل على هذا النقص « يكفي أن نعرف أن مدينة الثورة^(٢) - مثلاً - التي يبلغ عدد سكانها أكثر من مليون شخص ، وفيها أكثر من مائة مسجد ، لم يكن فيها من الوكلاء في الستينيات سوى خمسة فقط ، مع مجموعة أخرى من أشباه العلماء ، لا يتجاوز عددهم الخمسين ، وجُل هؤلاء من الجهلة والأميين الذين لا يقومون سوى بجمع الصدقات ، وتلاوة مقتل الحسين (عليه السلام) أو إمامة الصلاة فحسب»^(٣) .

وإذا كان هذا هو شأن مدينة الثورة ، فإن مدينة كالبصرة^(٤) التي

(١) الكاتب : تجربة الثورة الإسلامية في العراق ، ١٠٢ .

(٢) مدينة الثورة ، منطقة شعبية أنشئت بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ م . يقطنها المهاجرون لبغداد من أبناء قرى جنوبي العراق .

(٣) الكاتب : تجربة الثورة الإسلامية في العراق ، ١٩٢ .

(٤) البصرة مدينة جنوبي العراق . ثاني أكبر مدينة في العراق بعد العاصمة بغداد مشهورة بكثرة نخيلها ، وبساتينها . فيها يلتقي نهر الفرات ودجلة في ناحية القرنة .

تضم حوالي مائة مسجد وحسينية وتضم حوالي مليوني شخص « لم يكن فيها سوى خمسة عشر عالماً وهكذا سائر المدن العراقية ، حيث لم يكن فيها من العلماء ، ووكلاء المراجع سوى شخص واحد ، أو أشخاص معدودين ، أو لم يكن فيها أحد على الاطلاق »^(١) .

وقد التفت مؤسسو الحوزات العلمية إلى مثل ذلك الخلل فراحوا « لا يستقبلون أكثر من ثلاثة طلاب من البلدة نفسها ، حتى لا يتضخم عدد العلماء في منطقة ويغيب تماماً في منطقة أخرى »^(٢) .

٥ - أسلوب العمل المرجعي :

دون إنكار لكل عوامل الأصالة ، والقوة ، والنزاهة في أسلوب العمل المرجعي إلا أننا ، ومن باب حرصنا على سلامة المسيرة المرجعية ، وإصلاح ما يمكن إصلاحه . نقول : إن أسلوب العمل المرجعي يتسم بالتقوقع والإنكفاء على أكثر من صعيد . ولعلنا نرصد ذلك في ثلاث نقاط .

النقطة الأولى : التفكير الإقليمي .

فكثيراً ما كانت المرجعية تفكر ، بل وتصرف تصرفاً إقليمياً - إذا جاز لنا هذا التعبير - ، مع أن المطلوب من المرجعية ، أن تنطلق في كل تفكيرها ، وأسلوب عملها ، من خلال إيمانها بدورها الذي تمثله في قيادة الأمة كلها . بعيداً عن قيود الوطن ، والطائفة . دون أن ننكر الكثير من المواقف الرائعة التي وقفتها المرجعية بعقلية عالمية . وحتى لا يُفهم حديثي على غير معناه ، ويفسر بغير ما قُصد منه ،

(١) الكاتب : م . س ، ١٩٣٠ .

(٢) الحديث هنا عن حوزة (معهد الشهيد الأول للدراسات الإسلامية) في بيروت التي أُسست عام (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) للتفاصيل أنظر :

زيتون : الحوزات العلمية في الضاحية الجنوبية لمدينة بيروت ، ٣٣ .

أقول : إن هناك قصوراً في الجهاز المرجعي في معالجته للكثير من قضايا العالم . ويكفي أن نذكر - جازمين - بأن المرجعية في كل سنيها التي تتناولها هذه الدراسة ، لا تمتلك معلومات دقيقة عن مُسلمي هذا البلد أو ذاك ، فضلاً عن مشاكلهم ، وهمومهم ، واحتياجاتهم . مع أن المرجعية - كقيادة عالمية - يُفترض أن تكون على صلة بكل مقلد أينما كان .

ماذا يضير المرجعية ، لو غيرت من أسلوب عملها في هذا المجال واستعانت بالأجهزة الحديثة ، لتنظيم بيانات مسلمي العالم على سبيل المثال . . ؟

إننا لم نسمع - إلا في ما لا يشكل قاعدة - في يوم ما : أن المرجعية بادرت إلى إرسال وفد عالمي إلى بلد أفريقي - على سبيل المثال لا الحصر - لدراسة احتياجاته ، ودراسة أفضل سبل العمل التبليغي فيه . في وقت تتسابق فيه الحملات التنصيرية ، لا لتعليم مسيحي ذلك البلد ، أو هذا ، بل لتنصير المسلمين بأساليب ، ووسائل شتى . .

النقطة الثانية : الانفتاح على مشكلات العصر .

وهذه النقطة من نقاط الضعف في أسلوب العمل المرجعي ، فعصرنا الحاضر يضحج بمختلف المشكلات والتعقيدات ، التي لم تكن مطروحة على مفكري الأوس من المسلمين . « منها مشكلة تنظيم النسل ، ومشكلات التعليم ، ومشكلات التمييز العنصري ، ومشكلات الاستعمار ، ومشكلة اسرائيل ، ومشكلات الانحلال الجنسي والاخلاقي ، ومشكلات الحرب والسلام وغيرها »^(١) .

لقد وقفت المرجعية في العديد من أدوارها عاجزة عن تقديم شيء أمام مثل تلك المشكلات . فمشكلة كمشكلة تنظيم النسل . تناولتها المرجعية في إطارها الفقهي . فيأتي المرجع على الحالات التي يجوز

(١) شمس الدين : مواقف وتأملات في قضايا الفكر والسياسة ، ٧٨ .

فيها منع الحمل ، أو الاجهاض ، والحالات التي لا يجوز فيها ذلك دون من يتصدى لتوعية الأمة فكرياً ، لهذا الموضوع ، أو ذاك .

أما التعليم فقد غزت بلاد المسلمين موجات الفكر المتغربّ بجهازها الإداري ، ومناهجها التعليمية ، وأساليبها وطرائقها المختلفة وكان موقف المرجعية أمام ذلك موقفاً غريباً حقاً . . . إذا لا تجد سوى دعوة لمقاطعة تلك المدارس أو فتوى بحرمة الإنتماء إليها . دون أن تقدم المرجعية البديل المطلوب من إنشاء مدرسة ، ببرامجها ، ومناهجها وكادرها الوظيفي ، ولو لم تكن الساحة خالية ، لما تمكنت مدارس الغرب وجامعاته من غزو عقول المسلمين بعد غزو جيوشه أرضهم ، وبلادهم . .

ولعلّ الأنكى من ذلك في ما يذكره الأستاذ/علي الخاقاني من أن مجموعة من النجفيين الوجهاء ، حين استشعروا بضرورة وجود مدرسة للأطفال في النجف قاموا بإنشاء مدرسة الغري عام (١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م) . بيد أن مدرسة الغري « أنشئت بتكتم شديد خوفاً من رجال الدين ، والحكومة »^(١) . . لعلم أولئك المؤسسين موقف العلماء والمراجع من وجود مثل تلك المدرسة .

لا نريد الاستطراد في معالجة جملة النقاط التي أشرنا إليها ، في بداية الحديث عن النقطة الثانية ، كل ما نؤكد عليه هو وجود قصور واضح في انفتاح المرجعية على مشكلات العصر ، و« أن الصوت الوحيد الذي يسمع على نطاق عالمي هو صوت الفاتيكان ، وإلى حد ضئيل جداً صوت الجامع الأزهر . وأما مرجعية المسلمين الشيعة الإمامية ، فلم يُسمع لها صوت على الإطلاق »^(٢) لا لنقص في إمكانياتها المادية أو إمكانياتها

(١) شعراء الغري ، أو النجفيين ، ١٥٤/٤ . وأنظر محبوبة : ماضي النجف وحاضرها ، ١٤٧/١ حول المؤسسين ومصادر الإنفاق .

(٢) شمس الدين : مواقف وتأمّلات في قضايا الفكر والسياسة ، ٧٨ .

البشرية ، وإنما في نمط العمل المرجعي وأسلوبه .

النقطة الثالثة : طغيان النزعة الاستصحابية^(١)

وذلك أحد أمراض أسلوب العمل المرجعي ، فقد استصحت المرجعية أساليب عملها ونمط تفكيرها القديم ، وحاولت أن تطبِّقه اليوم . بتقيّد قد يكون حرفياً بما كان ، دون أيّ جهد ملحوظ للتفكير بإمكانية تقديم الأفضل من أساليب العمل تلك .

.. وبطبيعة الحال : إن وضعاً كهذا ، لا يرتفع بالمرجعية إلى مستوى الطموح بل يجعلها غير صالحة لمواصلة مسؤولياتها ، « لأن أساليب العمل ترتبط بالعالم .. ترتبط بمنطقة العمل .. ترتبط بالبستان الذي تريد أن تزرع فيه ، وهذا البستان وهي الأمة التي تريد أن تزرع فيها بذور الخير والورع والايمان .. ليست لها حالة واحدة .. الأمة تتغير .. نعم إسلامك لا يتغير ، لكن الأمة تتغيّر . الأمة اليوم غير الأمة بالأمس في مستواها الأخلاقي ، في علائقها الاجتماعية ، في أوضاعها الاقتصادية في كل ظروفها »^(٢) .

وحين تتعامل مرجعية اليوم بنزعة استصحابية ، فمعنى ذلك أنها تريد تطبيق ما كان صالحاً لأمة مضت ، على أمة تختلف تصوراتها وظروفها عن تلك . وفي مثل تلك الحالة فإن التوفيق لن يحالف المرجعية

(١) الاستصحابية ، إشتقاق من كلمة (الإستصحاب) ، وتعني لغة : المصاحبة ، يقال : إستصحت في سفري الكتاب أي جعلته مصاحباً لي . واستصحت ما كان في الماضي أي جعلته مصاحباً إلى الحال .

أنظر : ابن منظور : لسان العرب ١/ ٥٢٠ مادة (صحب) .

أما علماء أصول الفقه : فإن عباراتهم في تعريفه ، وإن كانت شتى ، إلا أنها تشير إلى مفهوم واحد وهو « الحكم ببقاء حكم أو موضوع ذي حكم شك ببقائه » .

أنظر : الحكيم : الأصول العامة للفقه المقارن ، ٤٤٧ .

(٢) الصدر : المحنة ، ٧٧ .

في عملها هذا . لأنها « تتعامل مع أمة ماتت ، والأمة الحيّة لا تتعامل معها »^(١) .

وإذا كان الشهيد الأول (رضوان الله عليه) ، قد فكر في أن يضع قواعد لهذه المرجعية ، لكن هذه القواعد هي هي ، لا بد أن تبقى بحدودها التي كانت في أيام المماليك ، مع أن عالم اليوم هو غير عالم عصر المماليك ، وإنسان اليوم هو غير إنسان عصر المماليك^(٢) ومهام المرجعية هي غير مهامها اليوم ، دون أدنى شك .

٦ - فوضى الإنتهاء للحوزة :

وهذه المشكلة لا تقل خطورةً عن غيرها ، والمرجعية هي المسؤولة عنها مسؤولية كاملة . أما مظاهر هذه المشكلة ، فتتمثل في الفوضى التي تسود عملية الإنضواء تحت لواء الحوزة ، إذ أن « الانتساب ليس له قيد ولا شرط ومثله الخروج منها »^(٣) ، ومثل هذا الوضع لا يرضي محباً للنجف أبداً ، إذ ينعكس هذا التسبب على نوعية من سيتكلمون باسم النجف بل من يدري : فقد يكون أحد المتممين للحوزة ممن يريد شراً بالنجف خاصة ، أو بالمسلمين عامة ، إذا ما استطاع أن يصل إلى مركز متقدم في حاشية المرجع . . أو في أي مركز قيادي وفكري آخر .

من غير المعقول أبداً أن يستمر الوضع سائباً هكذا ، ومن غير الصحيح أن يأتي طالب العلم للنجف ، فيدخل حوزتها ، دون نظر في أهليته لذلك ، ودراسة قابلياته ، والمجالات التي يمكن أن يفيد فيها ، ويستفيد منها ، نعم : الطالب في الحوزة ، يجب إعداده ليكون هذا وكيلاً ، وذاك ليصبح خطيباً ، وثالث يجب احتضانه ليُتمّ دراسته فيصبح مجتهداً ، ورابع يجب أن يُرفَض لهذا السبب أو لذلك .

(١) المصدر : المحنة ، ٧٩ .

(٢) عصر المماليك يمتد من عام (٦٤٨هـ / ١٢٥٠م) حتى عام (١٩٢٢هـ / ١٥١٦م) .

(٣) الفقيه : جامعة النجف في عصرها الحاضر ١٤١ .

أن فوضى الإنتماء للحوزة ، وفوضى المتحدثين باسمها من خلال اكتسابهم هذا الحق بالزّي الخاص ، وبقضاء بعض السنين فيها ، إن مثل تلك الفوضى هي ما يجب أن يوضع له حد وذلك عن طريق نظام للرعاية الدينية ، يجعل المرجعية الدينية العليا ، أو من تكلفه (لجان خاصة) ، مثلاً مطمئنة إلى أن كل داعية ديني [حامل] لحدٍ أدنى من الكفايات^(١) . مع ضوابط دقيقة في مسألة قبول هذا أو ذاك في الحوزة العلمية .

لسنا هنا ، نريد أن نحمل مسؤولية مثل تلك الأخطاء مرجعية اليوم ، بقدر ما نحملها مرجعية الأمس ، وإن كنا نطالب مراجع اليوم بأن يضعوا الحجر الأساس لاصلاح ما يمكن إصلاحه .

.. ويطول بنا حديث إصلاح الكيان المرجعي ، إذ إن استيفاء كافة ما لدينا من ملاحظات وماأخذ ، على ذلك الكيان ، لا يفي به فصل صغير محدود كهذا .

.. وبما أن السيد محمد باقر الصدر قد قدم أطروحته الشهيرة بـ « أطروحة المرجعية الموضوعية » التي تناولت مجمل الانتقادات على الكيان المرجعي ، ولأهمية ما قدمه ، فقد رأينا أن نقدم الهيكل العام لأطروحة سماحته^(١) ، مع الإشارة لأهم مصادر دراسة تلك الأطروحة^(٢) آمليين أن يتوفر على دراستها المهتمون بهذا الجانب من الباحثين .

* * *

(١) شمس الدين : مواقف وتأملات في قضايا الفكر والسياسة ، ٧٤ .

(٢) أنظر جدول رقم (٤) في الصفحة اللاحقة .

(٣) مصادر دراسة أطروحة (المرجعية الموضوعية) ، هي :

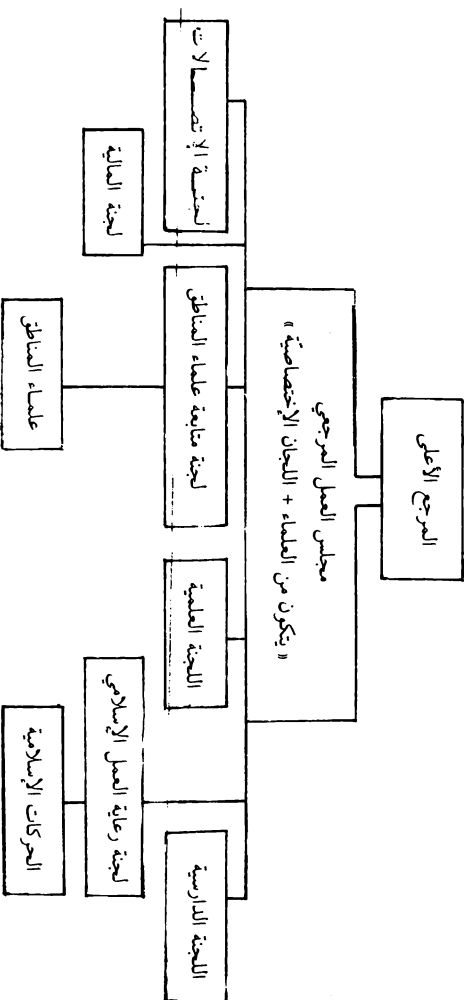
١- مباحث الأصول : كاظم الحائري ، .

٢- الشاهد الشهيد : علاء الدين نجف .

٣- الجهاد السياسي للسيد الصدر : صدر الدين القبانجي .

٤- المرجعية الشهيدة : حسين الصدر .

جدول رقم (4)
 الهيكل التنظيمي لأطروحة المرجعية الموضوعية
 حسب تفوُّر السيد المصدر



الباب الرابع

النظام التربوي التعليمي الحوزوي في النجف

الفصل الأول: لمحة عن النظام الدراسي العام في
الحوزة العلمية بالنجف.
الفصل الثاني: الحركة الإصلاحية للنظام الدراسي
الحوزوي
الفصل الثالث: كلية الفقه: نموذجاً للإصلاح
الدراسي «دراسة وتقييم»

الفصل الأول:

لمحة عن النظام الدراسي العام في الحوزة العلمية بالنجف

أن نتحدّث عن النظام الدراسي في الحوزة العلمية بالنجف في عصرنا الحاضر دون ربطه بالنظام الدراسي العام للمسلمين الشيعة الإمامية في ماضي عصورهم . فهو حديث ناقص ، لا يمكن من خلاله إعطاء الصورة الواضحة التي تبين معالم نظام التعليم في نطاق الحوزة العلمية .

والحديث عن الحاضر التعليمي في النجف يتطلب ربطاً بالماضي التعليمي الإسلامي إذ « أسهم في إرساء قواعد النظام التربوي وتطويره أعداد كبيرة من العلماء من مختلف الطوائف والمذاهب »^(١) . والإمامية من تلك المذاهب الإسلامية حيث « لا يختلف النظام التربوي عند هذه الفرقة من حيث الشكل ، عن النظام التربوي الإسلامي العام ، وإنما يتفرد عنه ببعض السمات الخصوصية في منهج البحث ، وفي بعض موضوعات الدرس »^(٢) .

(١) حسين : تصدير كتاب : تاريخ التربية عند الإمامية . للدكتور الفيّاض ، ٣٦ .

(٢) حسين : م . ن ، ٣٦ .

ولعلّ القول بالتفرد ببعض السمات يفرض سؤالاً يمسك بخناق الباحث عن تلك السمات أولاً ، وعن أسباب مثل ذلك التفرد . وذلك ما يدعو إلى الحديث عن مسألة الفكر العقدي الإمامي ، لِمَا له من تأثير ، وما له من دور في توجيه التعليم لدى الإمامية إن في الماضي أو في الحاضر . بحيث عاد التعليم لدى الإمامية يرتدي حلّة خاصة يمكن أن تضيء عليه بعض الملامح والخصائص .

لقد تصدى الدكتور عبد الله الفياض^(١) « لدراسة العوامل المؤثرة في توجيه التعليم عند الإمامية وأسلافهم من الشيعة ، فأجملها في نقاط ثلاث :

أولاً : إعتقاد الإمامية وأسلافهم في علم أئمتهم ورسالة الأئمة (عليهم السلام) في تبليغه لشيعتهم .

ثانياً : العامل السياسي ، إذ لجأ الأئمة (عليهم السلام) ، والإمامية ، وأسلافهم إلى التستر وعدم البوح بعلومهم أمام من يخالفهم في العقيدة ، وأمام من له صلة بالسلطان بسبب المطاردة والتكيل والمضايقة ، وهو ما يُعرّف في مفردات التعامل الشيعي بـ (التقية) .

ثالثاً : الموارد المالية لدى الأئمة ونوابهم ، إذ كان الأئمة (عليهم السلام) ونوابهم بعد غيبة المهدي (عليه السلام) يتسلّمون الحقوق الشرعية من الشيعة وأسلافهم وينفقون منها على التعليم ، وكان الخمس من أهم تلك الحقوق .

ومن المهم بعد بيان تلك العوامل أن نضع أيدنا على السبب الذي يقف وراء عدم إتخاذ التعليم لدى الإمامية الصفة الرسمية منذ العصر الأموي حتى اليوم ، وهو يتمثل في أن السلطات منذ ذلك الوقت لم تكن تعطي

(١) أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب - جامعة بغداد . في كتابه : تاريخ التربية عند الإمامية ، ٤٥ وما بعدها .

علوم آل البيت (عليهم السلام) الاهتمام الكافي ، وبمرور الزمن يتأكد ذلك حتى يعمل « السلاجقة ولأول مرة في تاريخ التعليم الإسلامي بتأسيس مدارس الدولة . فصار الناس يشعرون بصيغة حكومية يُراد بها السيطرة على العلماء»^(١) . بحيث عُدَّ مثل ذلك الإجراء بدايةً مرعبة لتحول العلماء والفقهاء إلى موظفين ومستخدمين في دوائر الأوقاف ، وإذا ما أضفنا لذلك كله حصر الاعتراف الرسمي لاحقاً بفقهاء الأئمة الأربعة ، أدركنا جيداً سبب اتخاذ الشيعة الإمامية معاهد للعلم خاصة بهم ، مثلت تلك المعاهد الوجه المشرق لعلوم الإسلام ، وفقه آل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) . ولعلَّ الحوزة العلمية في النجف تعبر اليوم عن الإمتداد الحقيقي لكل ذلك التراث التعليمي العريق ، وتحمل الكثير من خصائصه ومميزاته .

فهل يوجد نظام تعليمي معيّن في الحوزة العلمية في النجف أم لا ؟ . وإذا وُجد ، فما هي خصائصه ؟ وإذا لم يوجد فلماذا ؟ .

لقد كان المرحوم الشيخ محمد رضا شمس الدين مُجحّاً حين قال مجيباً عن مثل ذلك التساؤل : « .. يكون الجواب مرة بالنفي (لا) لأن نظامها لا يشبه نظام الجامع الأزهر ، أو المدارس الحديثة اليوم ، ويكون الجواب مرة أخرى بالإيجاب (نعم) . نظراً لما تضم حوزة النجف من نُظُم خاصة كنظام الزي ، والكتب ، واللغة ، والمال ، والامتحان ، والشهادات ، والعطل الدراسية ، إلى غير ذلك مما هو من صميم النظام وجوهره وحقيقته»^(٢) .

ولإيضاح كل ذلك ترسم أمامنا عدة عناوين لا بد من معالجتها بشيء من الشمول وهي :

(١) علي : بين الجامعات والحوزات ، ١٣ (مخطوط) . وقد ورد عنوان هذا المصدر في قائمة مطبوعات مؤسسة البلاغ في بيروت ، للعام (١٤١١هـ/١٩٩١م) .

(٢) شمس الدين : حديث الجامعة النجفية ، ٤٨ (بتصرّف محدود) .

- شروط الانتساب .
- نظام الزِّي .
- طريقة التدريس ومميزاته .
- المنهج الدراسي .

١ - شروط الانتساب للحوزة العلمية في النجف :

لعل أكثر الأسئلة إلحاحاً في ما يتعلق بالنظام التعليمي الحوزوي بالنجف هو السؤال عن الشروط المطلوبة للإنتساب لتلك الحوزة العلمية ، وإذا كان ذلك السؤال هو الأكثر إلحاحاً من بين عدة أسئلة ، فإن في الجواب يكمن الإستغراب حتماً ، حين نجيب بأن الإنتساب للحوزة العلمية في النجف ليس له من قيد أو شرط . . !

نعم : ليس من قيد وشرط ، فبإمكان أي إنسان كائناً من كان أن يقصد تلك المدينة ، ويتفق مع أي أستاذ حوزوي فيتلقّى على يديه العلم ، وبإمكانه كذلك أن يذهب إلى أي مدرسة من المدارس الكثيرة المنتشرة بالنجف ليحصل من أحداها على الرعاية السكنية المجانية التي تمنحها تلك المدارس عادة لطلاب العلم في الحوزة . وهكذا قل في الراتب الشهري ، إذ بإمكان مثل ذلك الطالب الذهاب إلى المسؤول المالي في الجهاز الإداري للمرجع الأعلى ، فيدُون اسمه ضم سجلات الطلاب الذي يشملهم المرجع بعطائه المالي .

ولتأكيد هذا الاتجاه في الإنتساب للحوزة نقرأ ما كتبه الشيخ محمد جواد مغنية إذ يقول : « يدخل الطالب إلى النجف فلا يُسجل اسمه ولا صفته في سجل ، بل لا يسأله أحد عن هويته واسمه إلا للتعرف فقط ، ويُترك له الخيار في تعيين الكتاب الذي يدرسه والرفيق والأستاذ»^(١) .

(١) مغنية : النجف والإمتحان ، مجلة العرفان (صيدا) مج / ٤٥ ، ج / ١ ربيع الأولي ١٣٧٧ هـ / تشرين أول ١٩٥٧ م .

وفي الاتجاه نفسه نقرأ عن السيدة وداد سكاكيني التي زارت النجف فسجّلت ضمن ما سجّلته أن « الدراسة في النجف الأشرف مفتحة الأبواب متعددة الحلقات (. . .) دون أن تلاحق الطالب فيها قيود أو حدود عُرفت بها الجامعات الدينية والمدنية في زماننا »^(١) .

وهذه الحرية في الانتساب للحوزة العلمية هي السمة البارزة في النظام التعليمي العام للحوزات العلمية لدى الإمامية ، عبر تاريخ ضاربٍ في القدم .

وإذ حافظت النجف على هذه السمة حتى هذا اليوم ، فإن بعض الحوزات العلمية الإمامية الأخرى قد خرجت بعض الشيء عن هذا التقليد المتوارث ، إذ راحت تضع بعض الشروط في قبول الطلاب فيها ، وانضمامهم إليها^(٢) .

نعم يمكن للقائمين على الحوزة العلمية إذا ما تبين لهم أن إنتساب فلان من الناس إلى الحوزة العلمية غير راجح أن يمنعوا عنه بعض ما يُعطى لغيره من الطلاب . « مثلاً يستطيع وليّ المدرسة أن لا يعطي غرفة للطلاب إذا كان يعتقد أن إنتسابه للحوزة غير راجح ، ويستطيع طرده (١) سكاكيني : إلى النجف الأشرف ، مجلة العرفان (صيدا) مج/٥٩ ج ١ - ٦ ، رجب ١٣٩١هـ/آب ١٩٧١م .

(٢) على سبيل المثال فإن (معهد الشهيد الأول للدراسات الإسلامية) في لبنان الذي أسس سنة (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) يشترط لقبول الطالب فيه :

- ١ - نجاحه في المقابلة الشفهية .

٢ - أن يكون حاملاً لشهادة البكالوريا قسم أوّل ، فما فوق .

٣ - أن يتراوح سنّه بين ١٨ - ٢٥ سنة ، وبالإضافة لذلك خضوع الطالب فترة إختبار لمدة ثلاثة أشهر يحدّد خلالها الأستاذ مدى قدرته على الدراسة ومراقبة حسن سلوكه ، من خلال تعاطيه مع الآخرين ومن ثم يُقَبَّل أو يُرْفَض .

أنظر : زيتون : الحوزات العلمية في الضاحية الجنوبية لمدينة بيروت ، ٣٦ وما بعدها .

منها ، وذلك عملاً بولايته وسلطته ، لأن الولي مسلط على النظر في مصلحة المدرسة ، ورعاية أهدافها ، ويستطيع المرجع الأعلى أن لا يُدخِله في الجرايات والمرتببات التي تُعطى للطلاب عملاً بولايته ورعاية للمصلحة»^(١) .

ولكن هل أن مثل تلك الإجراءات تحول دون دخول وانتساب أمثال ذلك الطالب إلى الحوزة العلمية ؟ كلا ، إذ قد يُمنع من السكن في المدارس الدينية ، وقد يُمنع عنه الراتب والحقوق الشرعية ، ويظل في المجتمع الحوزوي دون أن يتمكن أحد ، سواء من رجال الحوزة ، أو من رجال السلطة على إجباره على مغادرة المجتمع الحوزوي .

وإذا كنا نرى أن مثل ذلك الوضع هو نتيجة الفوضى وعدم تنظيم الحوزة ، إلا أن البعض ممن كتب عن الحوزة العلمية في النجف يرى أن « منع شخص من سكن النجف ومن شراء كتاب ليدرس به ، ومن الاتفاق مع شخص ليدرسه ، فذلك مما لا يبيحه الإسلام لأن الناس مسلطون على أنفسهم »^(٢) .

ثمّة أمر لا بد من الإشارة إليه ما دمننا بصدد الحديث عن شروط القبول في الحوزة العلمية في النجف ، وهو : أن الحوزة العلمية لا تشترط مستوى علمي محدد في من يرغب الالتحاق بها « فهي تستقبل أي طالب ، وبأي مستوى ، فقد ينتمي إليها من لا يُحسِن غير القراءة والكتابة ، وقد ينتمي إليها من يحمل أعلى المؤهلات الجامعية في علم من العلوم »^(٣) .

(١) الفقيه العاملي : جامعة النجف في عصرها الحاضر ، ١٤١ .

(٢) الفقيه العاملي : م . ن ، ١٤١-١٤٢ .

(٣) البستاني : مدرسة النجف ، أدوارها العلمية وأطوارها الفكرية ، ورقة رقم (٤٤٣) ، مخطوط .

على أنه من المفيد القول : إن هذا الوضع في القبول والانتساب للحوزة العلمية في النجف هو الداء الذي تعاني منه ، فمن غير المعقول والمقبول عدم وجود إدارة مركزية للحوزة تتولى رفض أو قبول هذا الطالب أو ذاك ، وبالتالي تحديد صلاحية هذا الطالب للإنتماء إلى الحوزة أو عدم صلاحيته .

وفي ظلّ تعدّد مراجع التقليد في الحوزة ، وبتعدّد المسؤولين عن المدارس الدينية ، وفقدان التنسيق بين كل أولئك يستطيع من يُرفض من هذا المرجع أن يجد له مرجعاً آخر يعتمد عليه في حاجاته المالية ، ويجاد بعد رفض متولّي هذه المدرسة إلحاقه بها مدرسة أخرى يوافق متولّيها على منحه الرعاية السكنية المجانية ، ومثل ذلك خلل تتمنى على المعنيين والمخلصين معالجته وإصلاحه .

٢ - نظام الزّي :

هناك عرف جرى عليه طلاب العلم في الحوزة العلمية في النجف منذ أن أنشئت حتى اليوم ، وهو أن الطالب ما أن يقرر التفرّغ لطلب العلم فيها ، فإن أول ما يقوم به هو إرتداء الزّي^(١) الحوزوي الخاص . وذلك الزّي هو « العمّة والجبة الإسلاميتين اللتين كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يرتديهما والأئمة المعصومون (عليهم السلام) ، والخلفاء الراشدون ، وقد أخذ الإسلام زيّه هذا عن العرب وأمرائهم . إذ لم يشرّع الإسلام زياً خاصاً ، غير ما كانت عليه العرب الذي نشأ بين ظهرانيهم ، وبدأ دعوته فيهم ، ولذلك قيل في الحديث النبوي الشريف :

(١) عُرّف الزّي لغةً بأنّه « هيئة الملابس ، يُقال : أقبل بزّي العرب ، وجاءنا بزّي غريب » .

أنظر : مادة (زيا) في معاجم اللغة العربية .

(العمامت تيجان العرب ، فإذا وضعوا العمامت وضع الله عزهم)^(١) .
 واستمر هذا الزي للتابعين وتابعي التابعين ، وأشرف المسلمين ،
 وعلمائهم ومحدثهم إلى عصر الخليفة الرشيد ، الذي أمر فيه
 سنة ١٨٣هـ / ٧٩٩م أبو يوسف قاضي قضاة الكوفة في عهده بتوحيد
 اللباس الديني وتخصيصه بعلماء الدين ونزعه عمّن سواهم »^(٢) .

إن ليس العمّة والجبّة الإسلاميتين شأن معظم من يفدون لطلب
 العلم في الحوزة العلمية في النجف في الغالب ، في ما يتحرّج البعض
 من لبسها ، ويؤجّل ذلك لحين إتمامه دراسة بعض الكتب النحوية
 والفقهية . وله في ذلك تعليل ، ووجهة نظر تستدعي الوقوف هنيهة . .
 فهو يرى : أن لبس العمّة وارتداء الجبّة يعني ضمناً - وفق الأعراف
 الحوزوية وتقاليدها - أن مرتديها يعلن للناس ، ويقول لهم : أسألوني في
 شؤون دينكم إسألوني في أمور الحلال والحرام ، لكأنّه يعلن للملأ : أنه
 نذر نفسه للعلم وللدين ، ولذا نجد أن البعض يتحرّج من أن يتقمّص
 شخصية العالم قبل أن يستكمل دراسة بعض الكتب التي تؤهله للإجابة
 عن بعض ما يردّه من الأسئلة ، وكأنني به يجلّ عمّة رسول الله (صلى الله
 عليه وآله وسلم) أن تُحرّج في سؤال . . أو تقف حائرة في شبهة .

ومن المفيد أن نشير إلى أن لبس العمّة والجبّة أعرافاً وتقاليدها
 حوزوية عريقة تتمثّل في أن إسناد أمر وضع العمّة على رأس الطالب يتم

(١) الطبرسي : مكارم الأخلاق ، ١١٩ .

(٢) شمس الدين : حديث الجامعة النجفية ، ٤٩ - ٥٠ (نقلاً عن) : كتاب تمّة
 المنتهى في وقائع أيام الخلفاء . للشيخ عباس القمي ، ص ٢٤٦ (فارسي) .
 وهنا أشير إلى ما وقع به الباحث/سلمان نزال عند استعانته بالنص أعلاه ضمن
 رسالته الجامعية « الدور التربوي الاجتماعي والسياسي للنجف في مطلع القرن
 العشرين » ، أن نسّب النص خطأً إلى الشيخ محمد تقي الفقيه العاملي ، صاحب
 كتاب جامعة النجف في عصرها الحاضر .

أنظر : نزال : م . س ، ١٤٠ .

فيه تحرّى أكثر العلماء ورعاً وتقوى . فيقوم ذلك العالم بوضع العمّة على رأس الطالب بكل إجلال وخشوع ، وبعد قراءة ما تيسّر من آيات القرآن الكريم وبعد الدعاء بالمأثور بالتوفيق والهداية والرشاد للطالب ، وقد يقترن ذلك بتقديم شيء من المساعدة المالية للطالب إن كان من المحتاجين ، وكان العالم من المقتدرين على المساعدة . وبعد وضع العمامة يتوافد زملاء الطالب عليه بتهنئته بارتداء تاج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والدعاء له . أما في ما يرتبط بمكان ارتداء العمامة ، فأغلب الطلاب يقصدون بيت المرجع الديني الأعلى ليضع لهم العمّة . إلا أن الميسورين مادياً من الطلاب يقيمون حفلة خاصة بهذه المناسبة ، إن في منازلهم الخاصة أو في غرفهم الخاصة ضمن المدارس الدينية ، مستثمرين بعض المناسبات أو الاعياد الإسلامية الكبرى ، كعيدنيّ الفطر^(١) ، والأضحى^(٢) ، أو الغدير^(٣) ، أو يوم المولد النبوي الشريف^(٤) .

ثمّة تساؤل عن لون العمّة النجفية ، وعلى أي أساس يتم اختيار ذلك اللون ؟ .

- (١) في الأول من شوال من كل عام هجري .
(٢) في العاشر من ذي الحجة من كل عام .
(٣) يوم الغدير هو المصادف للثامن عشر من ذي الحجة . حيث ألقى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في مثل ذلك اليوم خطبة الوداع في منطقة يُقال لها « غدير خم » وجاء ضمن ما جاء في خطبة الوداع :-
« ألا من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، فجاء الخليفة الثاني لعليّ قائلاً : بخ يا عليّ أصبحت مولاي ومولى كل مسلمٍ ومسلمة » إلى آخر القصة .
للاستزادة يراجع : الأمينى : موسوعة الغدير في الكتاب والسنة والأدب (١١) مجلد .

(٤) في الثاني عشر من ربيع الأول من كل عام ، أو في الثامن عشر منه . كما يرى ذلك الإمامية .

إن للعمائم في الحوزة العلمية في النجف لونين :

أولهما : اللون الأبيض .

ثانيهما : اللون الأسود .

« فالذي يُنسَب إلى أهل البيت (عليهم السلام) يكون شعارهم العمّة السوداء ، أمّا الذين لا ينتسبون إلى أهل البيت (عليهم السلام) فيكون شعارهم العمّة البيضاء^(١) ويسمى المُعمَّم بالعمّة السوداء من طلاب العلم في الحوزة (سَيِّد) ، أما من يلبس العمّة البيضاء فيطلق عليه (شيخ) .

جدير بالذكر أن لون العمّة من الأمور التي لا يُستهان بأمرها إطلاقاً ، ولا تسمح البيئة الحوزوية لأحد التلاعب فيها ، وتجاوز ما تمّ التعارف بشأنه حولها ، والأمر نفسه بالنسبة لللقبَي (شيخ وسَيِّد) ، إذ يجب أن يوضَّع كل لقب في محله ، ضمن حدود إستعماله الصحيح .

وقد خرج البعض من طلاب العلم في النجف عن المألوف من الزي الحوزوي ، وخاصة أولئك الذين تسلّموا وظائف في الدولة (مدرّسين أو قضاة) . فراحوا يلبسون (البنطلون) تحت الجبّة بدلاً من السروال الأبيض الفضفاض ، ويستغنون أحياناً عن لبس العباءة . وفي تقديري أن في مثل تلك الممارسات إساءة كبيرة للعلم وللعمّة وللرسالة التي كَلَّفوا بحملها . ولعلّ الأفضل لهؤلاء ترك الزي الحوزوي جانباً وارتداء ما يشاؤون بعد ذلك ، إذا لم يستطيعوا ارتدائه بالشكل المهيب الذي ارتداه عليه علماؤنا العظام^(٢) .

(١) القزويني : الفكر التربوي عند الشيعة الإمامية ، ٢٥٥ .

(٢) أُحيل من يريد التوسّع أو الكتابة عن العمّة إلى المصادر التالية :

١- فيّاض : تاريخ التربية عند الإمامية وأسلافهم من الشيعة ، ١٢٩ و ١٨٠ .

٢- الشرقي : النجف : عاداتها وتقاليدها ، ١٤٢ وما بعدها .

٣- القزويني : الفكر التربوي عند الشيعة الإمامية ، ٢٥٣ - ٢٥٥ .

٣ - طريقة التدريس ومميزاته في النجف :

لكي نتكلم عن خصائص شيء ومميزاته ، فإن الموضوعية تقتضيك دراسته ، ودراسة ما يماثله وما يسير موازياً له إن في الأهداف والمضمون ، أو في الشكل على أقل تقدير . من هنا فحتى تعرف خصائص نظام الحوزة العلمية في النجف في المجال التعليمي يتعين علينا الإطلاع على خصائص الحوزات العلمية الأخرى في غير بقعة من أراضى المسلمين ، إلا أن ذلك وإن كان أملاً نتمناه ، إلا أن المجال لا يتسع لمثله في معالجة سريعة كهذه . لذا نحاول هنا عرض طبيعة النظام الدراسي السائد في الحوزة العلمية في النجف . آملين أن نكون قد وضعنا بين يدي من يأتي بعدنا ممن يحب طرق موضوع كهذا، للتوسع والنظر والتدقيق ، أو مقارنته بالمؤسسات التعليمية المشيلة .

إن أبرز خصوصيات الحوزة العلمية في النجف ما تنطوي عليه طريقة التدريس فيها ، من جانب وفي أهدافها من جانب آخر . فطريقة التدريس في الحوزة لا تعتمد نظام السنوات الدراسية كما هو الحال في العديد من المعاهد العلمية الإسلامية أو المؤسسات الجامعية الحديثة ، إنما لا تزال تمارس كما بُدئت على عهد الشيخ أبي جعفر الطوسي (ت ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م) . معتمدة نظام الحلقات . وفي نظام الحلقات يُسند الشيخ (الأستاذ) ظهره إلى إحدى أعمدة المسجد أو إلى جداره ثم يأتي الطلاب لتحلقوا حوله « ويفتح الشيخُ الدرسُ بالبسملة وبالصلاة والتسليم على الرسول وعلى آله وصحبه ، وربما تلا بعض آيات من الذكر الحكيم أو بعض أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) التي تحث الطلاب فيها على طلب العلم للعلم ، وعلى التواضع في طلبه . . . »^(١) . الخ .

(١) شلبي : تاريخ التربية الإسلامية ، ٣٧٤ .

والفقيه العاملي : جامعة النجف في عصرنا الحاضر ، ١٠٦ ، ١٠٧ . (والنص للأول) .

وتتشكل مثل تلك الحلقات الدراسية باتفاق شخصي فردي بين الأستاذ وطلابه بعد أن يكونوا قد اتفقوا على إسم الكتاب الدراسي ووقت الدرس ومكانه ، ولعلّ في مسألة إختيار الطالب لأستاذه وحرثته في إختيار الكتاب الذي يدرسه خير فرصة لإثبات جدارته وفطنته ، فإذا كان نشيطاً فإنه « قد يختار له كتاباً أفضل وأستاذاً أفضل والفاضل قد يختار ما هو دون ذلك »^(١) .

فما أن يحين وقت الدرس المتفق عليه حتى يكون كل طالب قد أخذ مكانه فيشكّل مع بقية زملائه حلقة مستديرة « تحيط بالأستاذ الجليل ، مفترشة ما على الأرض في الجلوس بدل الكراسي والمنصّات ، ومع هذا التبسيط والجلوس المتواضع فإن لتلك الحلقات الجميلة من الهيبة والروعة مما لا نراه في غيرها من الحالات »^(٢) . وهكذا يفتح الأستاذ كتابه كما يفتح الطلاب كتبهم ليبدأ الأستاذ بالبسملة والصلاة على محمد وآله ، ومن ثم يشرح مفردات بحثه ، فيقرأ العبارة ثم يشرحها وهكذا بقية العبارات ، في درس يتراوح وقته بين (٤٥) دقيقة إلى الساعة .

وهناك خاصية في الدراسة ضمن الحلقات أحوزوية في النجف ، ألا وهي الجو المُشبع بالحرية الكاملة ، والذي يستشعره الطالب كما يستشعره الأستاذ سواء بسواء « وما أيسر أن يجد الإنسان في هذه الحلقات المناوذة التي تُعقد هنا أو هناك هذا الأستاذ الذي يتعرض بوقار لرأي العلامة الحلبي^(٣) مثلاً في الفقه ، أو لرأي الشيخ الأنصاري^(٤) في

(١) الفقيه العاملي ، م . ن ، ١١٠ .

(٢) شمس الدين : حديث الجامعة النجفية ، ٥٢ .

(٣) مؤلف الموسوعة الفقهية (شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام) ت : (٦٧٦هـ / ١٢٧٧م) . مرّت ترجمته ص (١٠٢) من هذا الكتاب .

(٤) الأنصاري : أحد كبار علماء الشيعة المتأخرين من كتبه المكاسب في الفقه ، والرسائل في الأصول مرّت ترجمته ص (٧١) من هذا الكتاب .

الأصول ، ويناقشه مناقشة موضوعية هادئة . وذلك الأستاذ الذي يتعرض لرأي الجرجاني^(١) في مسألة بيانية وينتقده بعنف أو برفق ، ثم يعرض لطلابه رأيه في المسألة . . . !

وما أكثر ما نجد الطلاب يتعرضون لشيوخهم في ما يبدو لهم من رأي عرضاً رقيقاً أو عنيفاً ، وما أكثر ما يخرج هذا النقاش عن شكله الهادئ الذي ابتدأ به إلى نقاش عنيف وحاد ، حتى يتفقوا أخيراً على وجه من الرأي أو يلتجئ أحدهم إلى أن ينزل عند رأي الآخر^(٢) .

ويشبه أحد الباحثين ما يسود من حرية فكرية ضمن حلقات الدراسة في الحوزة العلمية بالنجف يشبهها « بالطريقة الدراسية التي كان عليها الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) مع تلامذته »^(٣) ثم يقارن الباحث نفسه : مثل هذا الوضع بحالة الجامع الأزهر بمصر في هذا المجال إذ « مُنع السؤال بأكثر من ثلاث مرّات ، وأصدر قانوناً في ذلك سنة ١٣١٤هـ / ١٨٩٦م . لكن هذا التحديد لا يخلو من الاحتكار للعلم والضغط على الطالب ، كما يجعل الأستاذ فيه أن يهذي بما يشاء »^(٤) .

ومن الضروري أن نشير إلى أن حرية الرأي وحرية النقد في الحوزة العلمية مضمونة شريطة أن لا يتجاوز أحد في رأيه أو نقده الأدلة المقررة والقواعد الممهدة لاستخراج القواعد أو النظريات العلمية الدينية^(٥) .

(١) المقصود : عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة (٤٧١هـ / ١٠٧٨م) . من مؤلفاته في البلاغة كتاب (أسرار البلاغة) ، وفي علم المعاني : (دلائل الإعجاز) .

(٢) الأصفى : مدرسة النجف وتطور الحركة الإصلاحية فيها ، ٦-٧ .

(٣) شمس الدين : حديث الجامعة النجفية ، ٥٣ .

(٤) شرارة : بين الفوضى والتعليم الصحيح ، مجلة العرفان (صيدا) ، مج/١٦ ج/١ .

(٥) الهاشمي : رسالة النجف الأشرف ، مجلة الإيمان - النجف س ٣ ، عدد/٧ محرم ١٣٨٥هـ / آيار ١٩٦٥م .

على أن وضع (الإجتهد) كأحد أهم الأهداف التي تعدّ الحوزة طلابها للوصول إليه ما يتطلب حرية واسعة في النقاش والحوار ، سواء للتلميذ أو الأستاذ سواء بسواء ، حتى يكون البحث والنقاش في مستوى عميق يؤهل الطالب لبلوغ مرحلة (الإجتهد) ، ويفتح الطريق أمامه لإبداء وجهة نظره ، والخروج من الموضوع الدراسي بوجهة نظر قد يوافق وقد يخالف بهما من سبقه ، أو من عاصره من العلماء والمجتهدين .

إن « توافر الحرية في الجدل والنقاش والحوار ، والمستوى الدراسي الذي يرغب طالب العلم في ولوجه أو مغادرته إلى المستوى الأعلى ، وكذلك الحرية في إختيار الموضوعات والمصادر التي يعتمدها ، والمشايخ الذين يرغب في الإستماع اليهم والتلمذة على بعضهم »^(١) ، إن ذلك كله من أهم مزايا الحوزة العلمية في النجف وخصائصها .

٤ - المراحل الدراسية في الحوزة العلمية في النجف :

عندما تحدثنا عن طريقة التدريس ومميزاته ، ذكرنا أن طريقة التدريس في النجف لا تعتمد نظام السنوات ، إنما تعتمد نظام الحلقات وإن كان يرتكز في الأساس على اختيار كتاب ما ، ليدرّسه الأستاذ لمجموعة التلاميذ التي تضمّها حلّقة ، إلا أن ذلك لا يعني عدم خضوع مسألة إختيار الكتاب لضوابط علمية تحددها طبيعة المراحل الدراسية التي يتسم بها الوضع الدراسي في الحوزة العلمية ، إذ يظل لكل مرحلة مستواها العلمي ، ويظل كل كتاب من كتب المنهج الدراسي الحوزوي المتعارف عليه خاضعاً بل منضوياً تحت هذه المرحلة أو تلك ، وإذا قلنا أن ليس هناك إلزام بكتاب معين ، فإننا يجب أن نقول أيضاً ، أن هناك

(١) البستاني : مدرسة النجف أذوارها العلمية وأطوارها الفكرية ، ورقة رقم ٤٥٨ (مخطوط) .

مستوى علمي يشترط في المنهاج الدراسي ليوائم المرحلة الدراسية التي يعيشها الطالب ، وبالتالي ليتوافق ذلك مع مستواه الفكري . إذن لا بد والحالة هذه من معرفة المراحل الدراسية ، لننعرف بعد ذلك على كتب ومناهج كل مرحلة من تلك المراحل .

بإمكان الباحث رصد خمسة آراء في ما يخص تقسيم المراحل الدراسية للحوزة العلمية في النجف ، يمكن أن نوجزها في الآتي : -
الرأي الأول : - إن المراحل الدراسية في الحوزة العلمية مرحلتان :

أ - مرحلة السطوح .

ب - مرحلة الخارج .

وهو رأي الشيخ الفقيه العاملي^(١) ، وتبعه في ذلك الشيخ شمس الدين^(٢) .

الرأي الثاني : - إن المراحل الدراسية في الحوزة العلمية في النجف ثلاث ، هي على التوالي : -

أ - مرحلة السطوح .

ب - مرحلة الفضلاء .

ج - مرحلة الخارج .

وقد ذهب إلى هذا الرأي الدكتور النفيسي^(٣) ، وتابعه الأستاذ/نزّال^(٤) .

(١) جامعة النجف في عصرها الحاضر ، ١٨ و ١٠٦ .

(٢) حديث الجامعة النجفية ، ٥٢ .

(٣) دور الشيعة في تطوّر العراق السياسي الحديث ، ٥٠ - ٥١ .

(٤) الدور التربوي الاجتماعي والسياسي للنجف في مطلع القرن العشرين ،

١٤٠ - ١٤٥ .

الرأي الثالث : - إن مراحل الدراسة الحوزوية في النجف
مرحلتان : -

أ - مرحلة السطوح والمقدمات .

ب - مرحلة الاجتهاد (الخارج) .

وصاحب هذا الرأي هو الدكتور الفضلي^(١) ، وتابعه فيه الأستاذ
العبيدي^(٢) ، ثم الدكتور القزويني^(٣) .

الرأي الرابع : - إن الدراسة في الحوزة العلمية إنما تتم على
مراحل أربع ، هي : -

أ - مرحلة المقدمات .

ب - مرحلة السطوح الأولية .

ج - مرحلة السطوح العالية .

د - مرحلة الخارج^(٤) .

الرأي الخامس : إن مراحل الدراسة في الحوزة العلمية بالنجف
تنقسم إلى ثلاث مراحل ، وهي :

أ - مرحلة المقدمات ، وتقوم مقام الدور الابتدائي .

ب - مرحلة السطوح ، وتقوم مقام الدور المتوسط (الإعدادي) .

ج - مرحلة الخارج ، وتقوم مقام الدراسات العالية .

(١) دليل النجف الأشرف ، ٦٩ .

(٢) التعليم الأهلي في العراق ، ٤٠ .

(٣) الفكر التربوي عند الشيعة الإمامية ، ٣٠٣ - ٣٠٤ .

(٤) خليل : الإمام محسن الطباطبائي الحكيم ، ٥٤ - ٥٥ .

وهذا الرأي في تقسيم مراحل الدراسة هو للشيخ الاصفى^(١) ،
وتابعه فيه الباحث حين نشر كتاباً له عن النجف^(٢) واعتمده الدكتور
البيستاني^(٣) . والتقسيم نفسه هو الذي نعتمده في كتابنا هذا ، حيث إنه
أقرب إلى واقع الحال الدراسي من غيره ، رغم إعترافنا بعدم وجود فوارق
مهمة بين الآراء الخمسة . ويظل الاختلاف إلى اللفظ والشكل ، أقرب
منه إلى المعنى والمضمون .

وحيث اعتمدنا المراحل الثلاث أعلاه عناوين للمراحل الدراسية
الحوزوية في النجف فلا بدّ من إيضاح ما ينطوي عليه كل عنوان من تلك
العناوين :

أ- مرحلة المقدمات :

إن دراسة المقدمات أو مرحلة المقدمات مأخوذ من أهداف المنهج
الدراسي الحوزوي في تلك المرحلة ، والذي يعني في ما يعني الوقوف
على المعلومات الضرورية لإطلاع الطالب عليها ، فلكي يتفهم موضوعاً
في أصول الفقه كموضوع مباحث الألفاظ^(٤) ، لا بد له من مقدمات في
علم النحو وصرفه . ولكي يتفهم موضوعاً في تفسير القرآن كالتأويل ، لا
بدّ له من مقدمات في علم البلاغة . وهكذا .

(١) الأصفى : مدرسة النجف وتطور الحركة الإصلاحية فيها ، ٨ .

(٢) البهادلي : النجف ، جامعتها ودورها القيادي ، ٥٢ .

(٣) البيستاني : مدرسة النجف ، أدوارها العلمية وأطوارها الفكرية ، ورقة رقم
(٤٤٣) ، وما بعدها ، (مخطوط) .

(٤) المقصود من (مباحث الألفاظ) تشخيص ظهور الألفاظ من ناحية عامة إمّا بالوضع
أو بإطلاق الكلام ، لتكون نتيجتها قواعد كلية ، وتلك المباحث في هيئات الكلام
التي يقع فيها الشك والنزاع ، سواء كانت هيئات المفردات كهيئة المشتق والأمر
والنهي أم هيئات الجمل كالمفاهيم ونحوها .

أنظر : المظفر : أصول الفقه ، ٤٠/١ .

ب - مرحلة السطوح :

يبدو أن التسمية فيها مأخوذة من أن الطالب في تلك المرحلة إنما يُطلَب منه معرفة ما في سطح الكتاب ليس إلّا ، دون الغوص في مبانيه ومعانيه ، فهناك فرق بين فهم كتاب ما فهماً سطحياً ، وبين التعمق فيه ومناقشة مطالبه وموضوعاته . وإذا كان الأخير يمكن أن يُطلق عليه فاضلاً وذا رأي ، ف« الذي يفهم الكتاب ، ويحفظ مضامينه يُسمى مُحَصِّلاً ومشتغلاً ، ولا يُسمى فاضلاً ولا عالماً ولا متجزياً مجتهداً »^(١) . إذ تظل مرحلة الاجتهاد مؤجلة لحين بلوغ الطالب المرحلة الثالثة وهي : مرحلة الاجتهاد .

ج - مرحلة الاجتهاد أو الخارج :

وهو « اسم للدراسة بدون كتاب ، وهو عبارة عن محاضرات علمية عالية في الفقه والأصول ، أو غيره . يلقيها الأستاذ بدون كتاب ولا كتابة ، يشرع فيها من أول مسائل العلم وتنتهي الدورة بإنهاء تمام مسائل ذلك العلم ، ويسوّغ للتلاميذ فيها مطالبة الأستاذ بالبرهان الكامل على كل ما يقوله ، فالأستاذ لا بد أن يكون مستعداً ومتسلحاً بأعظم سلاح من قوة التفكير ، وسعة الإستقراء . ودقة الملاحظة ، والإستقصاء »^(٢) وكثيراً ما يختلف الأستاذ عن طلابه في صياغة الدليل وإعداد البحث ، ومناقشة الآراء ، والرأي الذي يتبنّاه في المسألة ، فيتعرض الطالب لمناقشة أستاذه في ما يختلفان فيه من وجوه الرأي والبحث ، بعد أن يكون قد كوّن لنفسه رأياً في المسألة . وقد يتفق أن يشتد الخلاف بين الشيخ وطلابه في حلقة البحث فيتبلور لدى الشيخ الوجه الآخر من الرأي ، فينزل عند آراء الطلاب^(٣) .

(١) الفقيه العاملي : جامعة النجف في عصرها الحاضر ، ١٨ .

(٢) نفسه ، ١٨ - ١٩ .

(٣) أنظر : الأصفي : مدرسة وتطوّر الحركة الإصلاحية فيها ، ١١ - ١٢ .

بقي أن نشير إلى أن سبب تسمية هذه المرحلة بمرحلة الخارج هو بسبب كون الدراسة فيها تتم خارج الكتب الدراسية المعتمّدة .

٥ - المنهج الدراسي في الحوزة العلمية في النجف :

يعدّ المنهج الدراسي من أهم الوسائل التي تساعد المرّبي في تحقيق الأهداف التربوية^(١) ، وحتى يتمكن من التحدث عن المنهج الدراسي في حوزة النجف ، لا بدّ أن نستعيد بعض أهداف الحوزة العلمية لئرى كيف وُضعت المناهج ، وهل أنها تحقّق الوصول للأهداف المرجّوة ، أم لا ؟ .

إن أحد أهداف الحوزة العلمية في النجف هو إعداد جيل من المجتهدين في كل وقت ليتمكن مثل هؤلاء المجتهدون من إستنباط الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية ، وتلك الأدلة هي بحسب المعتقد الإمامي الكتاب الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، والإجماع ، والعقل^(٢) . « وإن تحقيق هذا المستوى يتطلب إستيعاب الطالب علوم اللغة العربية من مفردات اللغة والنحو ، والصرف والبلاغة وعلوم القرآن والتفسير ، من أجل فهم الكتاب المقدّس فهماً يؤهله للاستنباط . كما أن فهم (الحديث) يتطلب العلم بعلوم العربية فضلاً عن علوم الحديث لا سيما تراجم رجال الحديث على أن لا يعتمد - كمجتهد - على تصحيح الآخرين للحديث ، بل يبحث بنفسه عن تراجمهم ليكون عن كل واحد منهم رأياً مستنداً على قناعاته الذاتية . . أما متطلبات حصول (الإجماع) أو عدمه على المسألة الشرعية ، فيتطلب مراجعة فتاوي جميع الفقهاء السابقين والمعاصرين وآرائهم . وأمر دليل (العقل) يتطلب دراسة علم المنطق لمعرفة الأقيسة الصحيحة من المغالطات والملازمات العقلية

(١) أنظر : القزويني : الفكر التربوي عند الشيعة الإمامية ، ٢٠٦ .

(٢) أنظر : المظفر : أصول الفقه ، ٤٧/٢ . وما بعدها .

الحكيم : الأصول العامة المقارن ، ٩٧ وما بعدها .

وغيره . وهناك علم آخر أساس لكل إستنباط فقهي ، وهو علم أصول الفقه ، المتكفّل دراسة كيفية إستنباط الحكم من مصادره ، ودراسة القواعد التي يعتمدها الفقيه لكل عملية إستنباط ^(١) .

وإذا ما أضفنا إلى موضوع إعداد الطالب لبلوغ مرحلة الاجتهاد كهدف من أهداف الحوزة العلميّة في النجف ، مسألة عدم إشتراط مستوى علمي في مَنْ يريد الإلتساب للحوزة ، إذ يمكن أن ينتمي للحوزة من لا يجيد إلا القراءة والكتابة . يتبيّن جلياً أن مفردات المنهج الدراسي الحوزوي في النجف إنما تبدأ بالطالب من نقطة الصفر حتى توصله - إذا كان مجدداً - إلى مرحلة الاجتهاد ، وفق المراحل الثلاث : المقدمات ، السطوح ، الخارج . ولكل مرحلة من تلك المراحل كتبها التي نعرض لها بشكل مفصّل ^(٢) ، وقف تسلسل المراحل :

- مناهج الدراسة لمرحلة المقدمات :

أ- علم النحو : وقد وضع منهجه على ثلاث مراتب :

١- إبتدائي : ويتمثل بكتاب (الأجروميّة) لمؤلفها أبي عبد الله الصّنهاجي المتوفّي في فاس سنة ٧٢٣هـ/١٣٢٣م .

(١) البستاني : مدرسة النجف أديارها العلميّة وأطوارها الفكرية ، ورقة رقم ٤٤٢- ٤٤٣ (مخطوط) .

(٢) إعتدنا في بيان مناهج الدراسة في الحوزة العلميّة بالنجف على المصادر التالية :

١- الفقيه العاملي : جامعة النجف في عصرها الحاضر ، ١٥٩ وما بعدها .

٢- شمس الدين : حديث الجامعة النجفية ، ٥٠ وما بعدها .

٣- الأصفي : مدرسة النجف وتطوّر الحركة الإصلاحية فيها ، ٧ وما بعدها .

٤- البستاني : م . س ، ٤٤٣ وما بعدها .

٥- الخليلي : موسوعة العتبات المقدّسة ٩٨/٧ .

٦- النهادلي : النجف جامعتها ودورها القيادي ، ٥٣ وما بعدها .

٧- الفضلي : دليل النجف الأشرف ٥٣ .

٢- متوسط : ويتمثل بكتاب (قطر الندى وبل الصدى) . لابن هشام عبد الله بن يوسف بن أحمد ، المتوفى سنة ٧٦١هـ / ١٣٥٩م .

٣- نهائي : ويتمثل بكتاب (ألفية ابن مالك) . وهي أرجوزة في النحو نظمها محمد بن عبد الله بن مالك الطائي ، المتوفى سنة ٦٧٢هـ / ١٢٧٣م . حيث قد شُرحت تلك الأرجوزة من أكثر من شارح ، فإن بعض الحوزويين أساتذة أو طلاباً قد يختارون شرح ابن الناظم ، في ما يختار آخرون شرح انتاضي بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المتوفى سنة ٧٦٩هـ / ١٣٦٧م .

وللتوسّع في دراسة المصطلحات النحوية يدرس بعض الطلاب كتاب : (مغني اللبيب) لأبن هشام .

ب - علم البلاغة والمعاني والبيان : على مرحلتين :

١- أولى : وتتمثل بكتاب : (مختصر المعاني) لمسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني المتوفى سنة (٧٩١هـ / ١٣٨٨م) .

٢- ثانية : وتتمثل بكتاب (المطوّل) للتفتازاني أيضاً .

وقد استعاض بعض طلاب الحوزة عن هذين الكتابين في السنين الأخيرة بكتاب : (جواهر البلاغة) لأحمد بن ابراهيم الهاشمي ، وهو من أدباء مصر ، توفي فيها سنة (١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م) .

ج - المنطق : على مرحلتين :

١- أولى : وتتمثل بكتاب : (الحاشية) لملاً عبد الله بن شهاب الدين حسين اليزدي المتوفى سنة (٩٨١هـ / ١٥٧٢م) . وقد استعاض بعض الطلاب عنه أخيراً بكتاب (خلاصة المنطق) للدكتور عبد الهادي

الفضلي ، أحد علماء النجف المعاصرين^(١) .

٢- نهائية: وتمثل بكتاب : (تحرير القواعد المنطقية في شرح الرسالة الشمسية) ، لقطب الدين محمد الرازي ، المتوفى سنة (٧٦٦هـ / ١٣٦٥م) . وقد استعاض البعض عن هذا الكتاب بكتاب (المنطق) للشيخ محمد رضا المظفر ، وهو أحد علماء النجف ، توفي عام (١٣٨٣هـ / ١٩٦١م) .

د - الفقه : على مرحلتين أيضاً :

١- أولى : تتمثل بدراسة (تيسرة المتعلمين) للمحقق أبي القاسم نجم الدين جعفر ابن الحسن الحلي المتوفى سنة (٦٨٦هـ / ١٢٧٧م) . أو كتاب (المختصر النافع في فقه الإمامية)^(٢) للمحقق الحلي أيضاً .

وفي السنين الأخيرة جرت العادة على الاستغناء عن دراسة هذين الكتابين في هذه المرحلة ، والاستعاضة عنهما بمجموعة فتاوى المجتهد الأعلى وزعيم الحوزة العلمية وقت الدراسة ، والتي يُعبر عنها في الوسط الحوزوي بـ (الرسالة العملية) .

(١) من مؤلفاته : من البعثة إلى الدولة . و : اللآمات : دراسة نحوية شاملة في ضوء انقراضات القرآنية .

والدكتور الفضلي حالياً هو عميد كلية الآداب بجامعة الملك فيصل بالحجاز . وعرفت لاحقاً أنه أحد القائمين الآن على شؤون (الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية) في بريطانيا .

(٢) ما يثلج الصدور حقاً ، ويبشّر بإمكانية وحدة قلوب أبناء المذاهب الإسلامية ، ما يُعرف عن خطوة الأزهر الشريف قبل حوالي الخمسين عاماً من طباعة هذا الكتاب وتدرسه في الجامع الأزهر ، وتوزيعه مجاناً على المكتبات العامة والمعاهد العلمية في العالم الإسلامي .

بيد أننا ننتظر خطوة جريئة مماثلة من علماء المسلمين الشيعة . . . !!!

٢- ثانية : تتمثل بدراسة كتاب (شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام) للمحقق الحلبي أيضاً .

هـ - الأدب والعروض :

لا يلتزم معظم طلاب الحوزة العلمية في النجف بالتزام منهج دراسي معين في ما يرتبط بالأدب والعروض ، وإنما يستحصل الطالب فيها معلوماته عن طريق المطالعة الشخصية .

ففي الأدب يحاول الطالب حفظ شيء من خطب الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة ، وحفظ بعض قصائد الشعراء الكبار .

أما في العروض فالمهتمّين من طلاب الحوزة في هذا العلم دأبوا مؤخراً على دراسته أو مطالعته في كتاب (الإيقاع في الشعر العربي من البيت إلى التفعيلة) للدكتور مصطفى جمال الدين ، أحد أساتذة كلية الفقه في النجف الأشرف^(٢) .

وإضافة إلى ذلك فإن الكثير من الطلاب هناك يمارسون التمرين العملي - بين زملائهم وأساتذتهم - على الخطابة لحاجتهم إليها في إلقاء المحاضرات العامة ، أو إرتقاء المنبر الحسيني .

٢- مرحلة السطوح : تتضمن هذه المرحلة دراسة المواد التالية :

أ - أصول الفقه .

ب - الفقه .

ج - علم الحديث .

(١) أنظر ترجمته في : الأميني : معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام ، ١٠٦ .

د - الفلسفة الإسلامية .

هـ - علم الكلام .

و - التفسير .

ز - الحساب .

ولتوضيح الكتب الدراسية لكل مادة نقول :

أ - أصول الفقه : على أربع مراحل ، وهي :

١- أولى : تتمثل بكتاب (معالم الدين في الأصول) للشيخ أبي منصور حسن بن زين الدين بن نور الدين علي بن أحمد الجبعي العاملي ، المتوفى سنة (١٠١١هـ / ١٦٠٢م) .

وقد تغير هذا العرف ، إذ ليس من الميسور على الطالب الإبتداء بمثل هذا الكتاب فظهر كتاب (أصول الفقه) للشيخ محمد رضا المظفر قبل حوالي ثلاثين عاماً ، ككتاب دراسي يمكن أن يُمهّد لفهم كتاب المعالم . ومن ثم ليظهر كتاب (المعالم الجديدة في الأصول) للسيد محمد باقر الصدر . لـ « تقديم علم الأصول بصورة بدائية ومبسّطة للمبتدئين في دراسة هذا العلم »^(١) فصار يُبتدأ به ، ومن ثم يُدرّس كتاب (معالم الدين في الأصول) .

٢- ثانية : وتتمثل بكتاب (قوانين الأصول) للشيخ عباس القمي .

٣- ثالثة : وتتمثل بكتاب (الرسائل) للشيخ مرتضى الأنصاري ، المتوفى سنة (١٢٨١هـ / ١٨٨٢م) .

٤- رابعة : وتتمثل بكتاب (كفاية الأصول) للشيخ محمد كاظم الخراساني ، المعروف بالأخوند ، المتوفى سنة (١٣٢٩هـ / ١٩١١م) .

(١) الصدر : المعالم الجديدة للأصول ، كلمة المؤلف (أ) .

د- الفقه : على مرحلتين وهي :

١- أولى : تتمثل بكتاب (اللمعة الدمشقية) للشيخ محمد بن جمال الدين مكي العاملي الجزيني (الشهيد الأول) استشهد سنة (٨٧٦هـ / ١٣٨٤م) . ومشروحاً من قبل الشهيد الثاني : الشيخ زين الدين الجبعي العاملي المتوفى سنة (٩٦٥هـ / ١٥٥٧م) ، ضمن كتابه المعنون (الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية)^(١) .

ج- علم الحديث : مرحلة واحدة

تتمثل بكتاب (دراية الحديث) للعلامة الحليّ : أبو منصور جمال الدين الحسن بن يوسف ، المتوفى سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م .

د- الفلسفة الإسلامية : وتُدرَسُ هذ المادة عادة ضمن كتابيّ :

١- المنظومة للسبزواري .

٢- الحكمة المتعالية في المسائل الربوبية المسمّى (الأسفار الأربعة) . لصدر الدين محمد الشيرازي ، المتوفى في البصرة سنة (١٠٥٠هـ / ١٦٤٠م) .

على أن بعض الطلاب في العقود الثلاثة الماضية دأب على دراسة الفلسفة ضمن كتاب (فلسفتنا) للسيد محمد باقر الصدر .

هـ- علم الكلام : ويدرس هذا العلم في كتابين :

١- شرح الباب الحادي عشر ، للعلامة الحلي المتوفى سنة (٧٢٦هـ / ١٣٢٥م) .

(١) أنظر الصفحة الأولى من كتاب (الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية) بطبعته الحجرية ، في الملحق رقم (٧) ، ص ٣٣٤ .

٢- تجريد الاعتقاد ، لتصير الدين الطوسي ، المتوفى سنة ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م) ، أو شرح تجريد الاعتقاد للعلامة الحلبي وفي السنين لأخيرة دأب البعض على دراسة هذه المادة في كتاب (محاضرات في العقيدة الإسلامية) للشيخ أحمد البهادلي .

و- تفسير القرآن : وتم دراسة تفسير القرآن على مرحلتين :

١- أولى : في علوم القرآن ، إذ لم يكن ثمة كتاب معين متداول في هذا المجال حتى ظهر كتاب (البيان في تفسير القرآن) للسيد أبي القاسم الموسوي الخوئي ، (طيب الله ثراه) ، قبل حوالي ٢٥ سنة .

٢- محاضرات تناول تفسير بعض السور القرآنية ، يعدّها الأستاذ المُكَلَّف بالدرس .

ز - الحساب :

وبعض المعلومات الهندسية ، وهي متفرقات تتعلق بحساب الموارث ، ومعرفة المقاييس ، وجرت العادة في الحوزة قديماً على دراسة ذلك في كتاب (خلاصة الحساب) للشيخ محمد بن الحسين بن عبد الصمد الجبعي العاملي المشهور بالبهبائي ، المتوفى سنة ١٠٣١هـ/ ١٦٢١م .

ومادة الحساب لم تُدرّس في الحوزة في زماننا ، ولعل السبب في ذلك يعود إلى كون الملتحق بالحوزة هذه الأيام ، إنّما يكون قد تلقى بعض علوم الحساب في المدارس الحديثة ، بخلاف الطالب القديم الذي كان يأتي للحوزة ، ولم يكن قد تعلّم على يد (الكتائب) سوى القراءة ، وقراءة القرآن .

بعد استيعابنا للمناهج التدريسية في مرحلتيّ المقدمات والسطوح ، لا بد أن نشير إلى خطة التدرّج في استيعاب هذه المواد : فإذا ورد الطالب للحوزة مبتدئاً فتكون بدايته بالمواد التالية ، ووفق التدرج التالي :-

النحو الإبتدائي + الفقه الإبتدائي . وبعد إجتيازهما يدرس :
النحو المتوسط + الفقه المتوسط بمستوى الشرائع + المنطق . وبعد
اجتياز ذلك يدرس :

النحو النهائي + الفقه بمستوى اللمعة + البلاغة الأولية + المنطق
النهائي . وبعد إجتيازه ذلك يدرس :

الفلسفة + الحديث + التفسير (علوم القرآن) + أصول الفقه
الأولي + الفقه على مستوى اللمعة + البلاغة النهائية .

وبعد ذلك يدرس الفقه على مستوى المكاسب + الأصول على
مستوى القوانين + الفلسفة النهائية + تفسير القرآن (محاضرات) .

ويستمر في الفقه + الأصول على مستوى (الكفاية) .

ويستمر في الفقه + الأصول على مستوى الرسائل .

من المهم أن نشير أن العلوم غير الأساسية التي عرضنا لبعضها في
المناهج ، يتمكن الطالب من تلقاها بما شاء من المراتب أعلاه ، بحسب
مستواه الذهني واستيعابه ومقدرته . ومما يلفت النظر في هذه الدراسة :
أن الطالب هو الذي يحكم على نفسه بالرسوب أو النجاح . فإذا ما أحس
أنه لم يستوعب مرحلة عادليدرسهأكلها أو بعض كتبها ، حيث يتعذر عليه
فهم المرحلة اللاحقة ، إذا لم يكن مستوعباً ما سبقها ، ومعنى ذلك بقاؤه
دون فهم وبذلك يحكم على نفسه بالفشل والجهل .

وحيث أشرنا إلى أن تلك المراحل إنما تنطبق على الطالب
المبتدئ . فماذا عن غيره ممن يلتحق بالدراسة الحوزوية ، وهو يحمل
شيئاً من معلومات سابقة ؟ .

إن مثل ذلك الطالب يلجأ إلى أحد أساتذة الحوزة العلمية فيطلب
إليه المشورة بنقطة البداية ، فيقوم هذا الأستاذ باختباره ، ومن خلال

مستواه الذهني العلمي يحدّد له نقطة البدء من بين المراحل التي ذكرناها ، أو يستثني له من المواد السالفة ما يجده غنياً عن دراستها ، ويركز على ما يحتاجه من مواد أخرى^(١) .

ومع أن مدة الدراسة يحددها جهد الطالب ونشاطه وتحصيله بالإضافة إلى جهد الأستاذ ، إلا أنها في المتوسط تتراوح بين : ثلاث إلى ست سنوات .

٣ - مرحلة الاجتهاد (بحث الخارج) :

في مرحلة (البحث الخارج) ينتقل الطالب في الحوزة العلمية بالنجف إلى الدور الأخير من رحلته الدراسية . وليس في هذه المرحلة منهج معين أو كتاب محدّد وإنما تقع مهمة التحضير والإعداد على الطالب نفسه ، دون أن يتقيّد بمصدر علمي خاص . إذ يقوم الطالب - عادة - بإعداد مادة المحاضرة من فقه وأصول أو تفسير ، ثم يراجع فيها أقوال العلماء في هذه المادة وما يمكن أن يصلح دليلاً لها ، وما يمكن أن يناقش به هذا الدليل ثم يحاول الطالب أن يستخلص لنفسه رأياً خاصاً في هذه المسألة . فيحضر الطالب محاضرة الأستاذ (الذي لا يكون في هذه المرحلة إلا مجتهداً) ، ويستمع للأستاذ وهو يعرض مادة البحث (الدرس) الذي لا يكتبه الأستاذ في ورقة وإنما يستحضره في ذاكرته فيعرضه عرضاً شاملاً مع آراء كافة علماء المذاهب الإسلامية ، ودليل كل صاحب رأي ، فيناقش كل واحد من تلكم الآراء ، ليصل إلى رأي خاص له في المسألة مع الدليل الذي اعتمده في تبني هذا الرأي ، وتظل مهمة

(١) نظير ما تقوم به كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية في بيروت في ما يخص قبول طلاب الدراسات العليا . ويظل الفرق أن الكلية تعتبر شهادة التخصص أساساً دون إختبار علمي ، بينما لا تعير الحوزة الشهادة آية أهمية ، إنما يظل الملحك هو معلومات الطالب فعلاً .

الطالب هنا - بعد تحضيره مادة الدرس - الإستماع إلى توجيهات الأستاذ وأطراف المسألة (مادة البحث) ، فقد يختلف الطالب والأستاذ في صياغة الدليل وإعداد البحث ، ومناقشة الآراء ، وقد يتفق أن يشتد الخلاف بين الشيخ وطلابه في حلقة الدرس ، وقد يتبلور لدى الشيخ الوجه الآخر من الرأي ، فينزل عند آراء الطالب .

ومع انتهاء (البحث الخارج) وشعور الطالب بالاكتفاء عن حضور الدورات القادمة واستشعاره أيضاً باكتساب^(١) ملكة الاجتهاد في استنباط المسألة الشرعية الفرعية من أدلتها يخرج عن مرحلة التقليد لغيره ، ويصبح في عداد المجتهدين . في الوقت الذي يقوم به أيضاً بإدارة حلقات دراسية من مرحلة السطوح ، فكل طالب يكون مدرساً لمن هو أدنى منه في سلم التحصيل في حين يستمر هو في طلب العلم .

أما في حال عدم حصول مثل تلك القناعة الذاتية لديه بتحقيق ملكة الإجتهد ، فعليه معاودة حضور (البحث الخارج) . و « إلى هذا النهج الدراسي - في البحث الخارج - يُعزى السّرّ في تطور الدراسات الفقهية والأصولية في الحوزة العلمية بالنجف على مرّ القرون ، ومن يقرأ كتاباً في الفقه وأصوله لأعلام القرنين الرابع والخامس الهجريين - مثلاً - ثم يقرأ كتاباً فيها لأحد أعلام هذا القرن ، يلمس مدى التطور الذي بلغته النجف في هذا الشأن »^(٢) .

* * *

(١) أو صقلها ، إذا ما اعتبرنا أن ملكة الإجتهد موروثة لا مكتسبة . كما هو رأي الدكتور المشرف على هذا البحث .

لقاء شخصي في بيروت ، السبت ١١ ذو القعدة ١٤١١ هـ / ٢٥ أيار ١٩٩١ م . . .
(٢) الخليلي : موسوعة العتبات المقدّسة ، ٩٨/٧ .

الفصل الثاني :

حركة الإصلاحية للنظام الدراسي الحوزوي

١ - معنى الإصلاح :

كنا قد بينا في ما سبق من صفحات وتحديداً في الفصل الثالث من الباب الثالث ما نقصده من (الإصلاح) ، وأثبتنا هناك ما ذكرته كتب اللغة من أن الإصلاح يعني ضمن ما يعني (النظام) و (الترتيب) .

في ضوء هذا التقريب ، ولما كانت المهمة المتوخاة من النظام الدراسي التعليمي الحوزوي في النجف ، هي في جانب منها : إعداد جيل من المجتهدين يتولون مهمة إستنباط الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية : (الكتاب والسنة) . وفي جانب آخر من تلك المهمة : إعداد نخبة من الدعاة يتولون إيصال كلمة الله إلى أفراد الأمة ، سواء بالوعظ والإرشاد بواسطة الخطابة المباشرة ، أو بواسطة تأليف الكتب وإصدار النشرات ، وما إلى ذلك من وسائل الاتصال والإعلام . والتي تتغير أساليبها بتغير الزمان ، واختلاف الاجتهادات .

لَمَّا كان ذلك كله : فإن من الطبيعي أن يتعرّض الهيكل التعليمي في الحوزة العلمية - موضوع بحثنا هذا - بل الكيان الحوزوي كله للنقد والتقويم في غير عصر ومصر ، على اختلاف إتجاهات الناقدين ، ودوافعهم ، وغاياتهم .

٢ - مقياس التطور والانحراف :

وحتى نقدّم لبحثنا هذا كافة المقدمات الضرورية لاستيعاب الموضوع وفهمه ومن ثمّ الحكم ، لا بد أن نضع ميزاناً نجعله مقياساً لكل ما سنعرّضه من آراء ، حتى لا نضيع في متاهات الأقوال والحجج ، فنكون بدلاً عن إيضاح الفكرة ، وتوخي الحقيقة في ما نُصدره من أحكام ، قد أحطنا الموضوع بغشاوة ، وأخذتنا فيه الأهواء ذات اليمين ، وذات الشمال .

إذن : فلا بد من مبدأ أساسي نعتمده ، حتى يمكن أن نعتبر هذا إصلاحاً ، وذاك إفساداً ، أو ننظر إلى تلك الخطوة على أنّها تحديث ، وتلك إصراراً على القديم . وما إلى ذلك مما يتصل بطبيعة الحديث عن (حركة إصلاحية) .

ما من شك في أن شخصية المُصلِح هي أول ما يمكن أن يُتخذ مقياساً في تقويم هذه الفكرة الإصلاحية ، أو تلك .

وفي هذا المجال يمكن إخضاع تلك الشخصية لنظرة فاحصة في محاولة للوقوف عند الدوافع التي تقف وراء طرح مشروعه الإصلاحي ، والغايات التي ينشدها من وراء ذلك مع الاعتراف هنا بإمكانية التجاء البعض ، فيظهر شيئاً ، ويبطن شيئاً آخر . بيد أن ذلك لا يمنع من جعل الشخصية المُصلِحة هي مفتاح الحكم لها ، أو عليها .

ولا بدّ بعد ذلك من التأكيد على أن عملية التقويم يجب أن لا تغفل

البيئة والمحيط للذين تتحرك فيهما تلك الشخصية ، إذ يسهم ذلك مساهمة جادة في كشف بعض ما يستعصي كشفه .

ومع دراسة شخصية المُصلِح ، لا بد من دراسة ما يمكن أن يؤدي إليه (المشروع الإصلاحي) وبمعنى آخر لا بد من دراسة نتائج المشروع وما يمكن أن يؤول إليه . فمشروع خيرى كفتح مدرسة ، لا بد أن يدرس - من يريد تقويمه - مناهجه ونوعية الطلاب الذين سيدخلون تلك المدرسة ، وماذا يراد للمتخرج من هذه المدرسة ، ولمن السلطة في تلك المدرسة ، ومصادر التمويل من أين تأتي . وما إلى ذلك من تساؤلات تنسجنا الإجابة عنها في صورة واضحة عما يمكن أن يؤول إليه مشروع كمشروع إنشاء مدرسة ، أو مستوصف ، أو ما شابه من المشاريع الخيرية الإصلاحية .

وهكذا نوجز مقياس التطور والإنحراف في نقطتين :

الأولى : شخصية المُصلِح .

الثانية : مآل المشروع الإصلاحي .

٣ - بين التقليد والتحديث :

إن شأن الحوزة العلمية في النجف في هذا المجال ، شأن كل كثر حي ، وكل بناء في هذه الحياة ، يظل مفتقراً لأن يتجدد ويتطور بما يوائم تطور الحياة وتجدها ، مع المحافظة على التواعد الأساسية والثوابت التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان .

ووجود من يتطلع من أبناء الأمة إلى حركة التطور والنمو من حوله أمر طبيعي ، وطبعي أيضاً وجود التقليدين بموازاة المتنورين ، أو قُل : دعاة الحدأة والتحديث . بل نود أن نؤكد على أن « وجود التقليديين في كل زمن ووسط مسألة لا جدال فيها ، لأنها ترتبط بالتطور التاريخي للنظم والأعراف والتقاليد ، وحوزة النجف ، وأغبرها من الحوزات ، تنظر عادة

إلى القديم نظرة التقديس والإحترام خصوصاً إذا كان هذا القديم مُحاطاً بالمثل والقيم»^(١) .

وحيث ما وجدتَ صراعاً بين القديم والحديث ، تأكّد من خصوبة أرض الصراع فـ« احتكاك الآراء في كل موضوع ، والتدليل على النظريات في كل شأن يدعو إلى التوصل والتمعّن في صحة النتائج المعقولة . وأن الإستمرار على التنازع والإنصراف إلى المحاجة الامتاهية إضاعة للوقت ، واستسلام للزمن»^(٢) .

٤ - الرأى النجفي العام :

إن مجتمع النجف - بشكل عام - لا يفارق القديم الذي أَلَفَه وعاشه ، وعاد متمسكاً به لا يريد مفارقتَه ، بل راح ينظر إلى كل جديد على أنه بدعة^(٣) ، « ونوعاً من اتباع الهوى . والرأى النجفي العام عنيف»^(٤) إن رفض شيئاً ، وعنيفٌ إن هو قبل شيئاً . . . ولذا فإن مهمة أمر الإصلاح في مجتمع يحمل هذه الخصائص لهو عسير ، وعسير جداً . وهذا ما يفسر المحافظة والحيطه التي كانت غالباً ما « تطبع أعمال القائمين بشؤون التوجيه والفكر بطابعها الخاص ، إذ كان الرأى العام يراقب سير الأعمال والحركات في النجف مما جعل القيام بأي نشاط إصلاحى على جانب كبير من الخطورة»^(٥) . مهما افترضنا من حسن نية

(١) الحكيم : جواب خطي عن سؤال للباحث ، مؤرّخ ٢٧ ذي الحجة ١٤١٠هـ / ٢٠ تموز ١٩٩٠ م .

(٢) البلاغي : كلية النجف ، مجلة الإعتدال (النجف) س/٣ ، ع/٢ ربيع الثاني ١٣٥٤هـ / تموز ١٩٣٥ م .

(٣) عرّفت البدعة لغةً بأنها : ما أحدث على غير مثال . ومن معانيها : أنها عقيدة أحدثت ، تخالف الإيمان .

(٤) الخاقاني : شعراء الغري ، أو النجفيات ، ٤٧٠/١٢ .

(٥) الأصفى : مدرسة النجف ، ١١١ .

القائمين بأمر الإصلاح . ولنا في ما يذكره الشيخ المطهري خير دليل على ما ذكرناه من قوة الرأي العام المحيط بالحوزة العلمية ، وفي قوة تأثيره على الحوزة أيضاً، يقول : -

« في عهد زعامة المرحوم السيد أبي الحسن الأصفهاني^(١) (أعلى الله مقامه) عَقَدَ عدد كبير من علماء النجف الأشرف وفضلائها المبرزين - وبعضهم اليوم من مراجع التقليد - إجتماعاً تبادلوا فيه وجهات النظر واتفقوا على النظر في برامج الدروس التي يدرسها الطلاب، آخذين حاجات المسلمين الآتية بنظر الإعتبار وعلى الأخص تلك المسائل التي هي جزء من أصول عقائد المسلمين فيدخلونها في البرنامج الدراسي للطلاب ، وكان الهدف هو إخراج الحوزة العلمية في النجف من نطاق الإقتصار على الفقه والأصول ، والرسائل العملية ، ورفعت هذه النتائج إلى المرحوم لاقرارها غير أن المرحوم - وقد سبق له أن تلقى درسه مما جرى مع المرحوم آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري^(٢) ، ومن أمثال

(١) المتوفى سنة (١٣٦٥هـ/١٩٤٥م).

(٢) وملخص ما جرى مع الشيخ الحائري مؤسس الحوزة العلمية في مدينة قم أنه - رحمه الله - إرتأى أن يطلب من عدد من طلبة العلوم الدينية في الحوزة بمدينة قم ، تعلم اللغات الأجنبية (الإنكليزية والفرنسية ، والإيطالية) وبعض العلوم الحديثة الأخرى ، كمقدمات لكي يستطيعون عرض الإسلام على الطبقات المثقفة الجديدة ، وفي البلدان الأجنبية . ولكن ما إن انتشر هذا الخبر حتى جاءت جماعات من عوام الناس من طهران إلى قم . وقالوا : إن الأموال التي يدفعها الناس باسم الخمس وباسم سهم الإمام ، لا يُقصد بها أن تصرف لتعلم الطلبة لغة الكفار . وأنهم - أي عامة الناس ممن وفدوا إلى قم - سوف يفعلون كذا . . وكذا ، إذا نُفِذَ الإقتراح . .

فلما رأى الشيخ الحائري أن ذلك سيكون سبباً لإنهيار الحوزة العلمية من أساسها ألغى فكرته مؤقتاً .

أنظر : مطهري : منظمة علماء الدين ، مجلة المنطلق (بيروت) ع/٣٨ ، ربيع الثاني ١٤٠٨هـ/كانون الأول ١٩٨٧ (بتصرف) .

ذلك - أرسل يقول :

ما دمتُ حيًّا لا يحق لأحد أن يغيّر من تركيب هذه الحوزة»^(١).
« كما يُنسب إليه أيضاً أن كل شيء إذا انتظم إحترم ، وإذا اخترم
إنتظم »^(٢) ، وإذا كنا نتقبل صدور قول عن السيد أبي الحسن بعدم تغيير
الحوزة ، فإن الكلمة الأخيرة لا ينبغي نسبتها إلى المرحوم الأصفهاني ،
لأنها تعارض نفسها بنفسها ، إذ الاخترام والانتظام جعل كل منهما علة
للأخرى^(٣) ولأنها تخالف طبيعة الإسلام القانونية ، ودستوره العالمي
العظيم^(٤) .

نعود إلى الرأي النجفي العام وعنفه إزاء كل قضية يعالجها ، وإذا
كان مألوفاً ما يحدث من صراع مسلح بني القبائل هنا وهناك للسيطرة على
مدينة أو لنيل منفعة ما ، فإن النجف قد « بُليت بثورات فكرية خلال
الحكم الوطني كادت أن تجر إلى إجراء الدماء »^(٥) . والذي يتبع مسببات
تلك الثورات يجد أنها لا تخرج عن تأسيس مدرسة على غير النمط
المألوف ، أو صدور مؤلف يتعرض لبعض المعتقدات الشَّعبية^(٦) ، وما
إلى ذلك . حيث يظل « للعادات المتوارثة والتقاليد المتبادلة أثر يكافح
كل من يخرج عليها دون هوادة ، أو تراث مهمما كان لونه وخطره »^(٧) .

٥ - شُعب الإصلاح :

يجد الباحث في فترة الدراسة أن هناك ثلاث شُعب للإصلاح ضمن

(١) مطهري : م . ن .

(٢) شمس الدين : حديث الجامعة النجفية ، ٥٩ (نقلاً عن) : الحوماني : وحي

الرافدين ٢٢ والخاقاني : شعراء الغري ، أو النجفيات ، ٤٥٩/١٢ .

(٣) شمس الدين : م . ن . ، ٦٠ .

(٤) الخاقاني : شعراء الغري ، أو النجفيات ، ٢٩٨/٤ .

(٥) و(٦) نفسه .

(٧) نفسه ، ١٤٦/٤ .

الحوزة العلمية في النجف :

الأولى : إتجاه لإصلاح النظام الدراسي الحوزوي . وإدخال بعض العلوم على مناهج الحوزة العلمية ، بالإضافة إلى تعلّم بعض اللغات غير العربية . وخاصة في مرحلتي المقدمات والسطوح . ومثل هذا التوجيه دعا إليه بعض رجال الحوزة أنفسهم . ومن أوائل من دعا إلى هذا اللون من الإصلاح الشيخ محمد جواد الجزائري ضمن أطروحة (نقابة الإصلاح العلمي)^(١) . ويمكن أن نعتبر الشيخ محسن شرارة^(٢) من الطليعة ممن دعا إلى اللون من الإصلاح الدراسي^(٣) . فقد انبرى هو وفريق معه لدراسة اللغة الإنكليزية بقصد أن يقف على ما يكتبه الأجانب عنّا من حق أو باطل فيكون بذلك على علم (. . .) وكان من جرّاء تعلمه أن ترجم كتاب (الشيعة) لأحد المستشرقين إلى العربية ونشر بعض فصوله في العرفان^(٤) .

وجاء بعد الشيخ شرارة نخبة من رجال العلم في الحوزة ممن آمنوا بضرورة إصلاح النظام الدراسي . مع حرصهم أن يكون الأمر في نطاق الحوزة العلمية ، من غير تدخّل جهة حكومية في مثل تلك الأمور .

الثانية : إتجاه لإنشاء مدارس ابتدائية وإعدادية وحتى جامعية . تتخذ من المناهج الإسلامية بالإضافة إلى المقررات الحديثة مادة من موادها الدراسية . وتكون تحت إشراف بعض رجال الحوزة العلمية وتوجيههم . وحقّة هؤلاء أن المدارس الحديثة التي أنشئت في العراق عامّة والنجف بوجه أخص في ظل الحكم العثماني ، أو الاستعمار البريطاني ،

(١) وإن كنا نلاحظ أن (نقابة الإصلاح العلمي) قد نحت منحى حزبياً من خلال مطالعة نظامها التأسيسي .

(٢) أنظر ترجمته في : الخاقاني : شعراء الغري ، أو النجفيات ، ٢٧٩/٧ .

(٣) أنظر : الخاقاني : شعراء الغري ، أو النجفيات ، ٢٧٩/٧ .

(٤) نفسه ، ٢٨١/٧ - ٢٨٢ .

إنما تُبعد الإنسان المسلم عن دينه وتسلخه عن مجمل معتقداته ، وإن مقاطعة تلك المدارس . وعدم إرسال الأطفال إليها . لا يساهم في حل المشكلة ، إذ يظل الجهل متفشياً في ظل نظام دراسي حوزوي قاصر . إذ لا يوجد في ظل الدراسة الحوزوية ما يمكن أن يشمل الطالب بالمرحلة الأولى من التعليم على مستوى القراءة والكتابة . بالإضافة إلى قصور المناهج الحوزوية عن مماشاة تطور العصر .

ويُعتبر العالم والسياسي والشاعر السيد عيسى كمال الدين^(١) ، وكذلك السيد سعيد كمال الدين^(٢) ومن بعدهما الشيخ علي الخالدي ، الشهير بزايردهام^(٣) ، من أوائل مَنْ دعا في النجف إلى هذا اللون من الإصلاح . وتبعهم في ذلك مصلحون حيث تمثل « متدى النشر » التي أسست سنة (١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م)^(٤) ، بجهد من الشيخ محمد رضا المظفر ، وتلك إحدى ثمرات الجهود الإسلامية للشيخ المظفر و « التي لا ينساها له تاريخ النجف العلمي ، فقد ضحى من أجل حياتها معظم وقته ، وسقى بذرها سقياً مقطراً من نفسه الصافية »^(٥) . وهنا لا بد من الاعتراف بالفضل الكبير للمُصلح السيد محسن الأمين الذي كان له اليد الطولى في تأسيس مثل تلك المدارس بالنجف الأشرف ، بل وأرسل شخصاً من الشام من آل (القربي) ليشترك في إدارة مدرسة الغري ، كما حدثني بذلك المؤرخ السيد حسن الأمين .

الثالثة : إتجاه لإصلاح وضع (الخطابة الحسينية) . وما يرتبط بأمر

-
- (١) أنظر ترجمته في : الخاقاني : شعراء الغري ، ٢٩٥/١ .
 - (٢) أنظر ترجمته في : الخاقاني : شعراء الغري ، ١٤٦/٤ .
 - (٣) أنظر ترجمته في : الخاقاني : شعراء الغري ، ٤٢٣/٦ .
 - (٤) أنظر : محبوبة : ماضي النجف وحاضرها ، ٣٩٨/١ .
 - و الخاقاني : شعراء الغري ، ٢٧٨/٧ ، و ٩٠/٨ و ٧/١١ و ٥٢٣ .
 - (٥) الخاقاني : م . س ، ٤٥٤/٨ .

الخطابة من تنظيم شؤونها سواء بإعداد الخطباء ، وتوزيعهم ، ومراعاة المستوى الثقافي للخطيب بلحاظ المنطقة التي يتولّى فيها خطابته ، وتنقية مادة المحاضرات من بعض الشوائب التي رافقت معتقدات العامة من الناس في ما يرتبط بقضية الإمام الحسين (عليه السلام) .

ويمكن أن نعتبر الخطيب الشيخ عبد الحسين الحَجَّار^(١) ، والخطيب السيد جواد شُبَّير^(٢) ، من أوائل الذين حاولوا - بالتعاون مع غيرهم - « أن يُصلحوا المنبر الحسيني إصلاحاً جذرياً غير مبالين بالحوارج والمحيط ، ولكنهما فشلا »^(٣) . كما فشل غيرهم ، إذ أن البعض من « السُدج والمفرضين أبوا أن يتكوّن جيل من الخطباء يوجّه الناس ، فقُبرَت الفكرة وهي في مهدها شأن الفكر الإصلاحية التي لم يُسمع عنها إلاّ الاسم »^(٤) .

مما تقدم يتضح : أن اتجاهات الإصلاح في بداية الفترة التي ندرسها تتمثل في :

- ١- إصلاح النظام الدراسي للحوزة .
- ٢- إصلاح النظام الدراسي في المدارس الحديثة .
- ٣- تنظيم موضوع الخطابة الحسينية وإصلاحها .

ثمّة ملاحظات أساسية على خطوات الإصلاح الأولى في ذلك الوقت :-

١- يخلو حديث الإصلاح في بداياته عن (المرجعية الدينية العليا)

(١) المتولّد في النجف سنة (١٣٣٠هـ/١٩١١م) .

(٢) المتولّد في النجف سنة (١٣٣٢هـ/١٩١٣م) من مؤلّفاته : أدب الطف

(١٢ جزء) .

(٣) الخاقاني : م . س ، ٤٧٢/٢ .

(٤) ن . ٣٣١/٥ .

في النجف ، بخلاف السنين اللاحقة . وهي ليست ناتجة عن رضى بسير شؤون المرجعية ، بل بقوة المرجعية من جهة ، وخشية الرأي العام الموالي للمرجعية ولاءً عاطفياً مطلقاً .

٢- لم نعثر على يدٍ للدولة ونظام الحكم أو قل توجيه مباشر أو غير مباشر في شؤون إصلاح الحوزة العلمية في النجف ، ولعلّ السبب يتمثل في ما كان يعانيه نظام الحكم من اضطراب ، سواء قبل الحكم الوطني سنة (١٣٤٠هـ / ١٩٢٠م) أو بعده .

وظلت الأفكار الإصلاحية يتداولها ويدعو لها رجال الحوزة ، خاصة أولئك القادمين إليها من خارج العراق كالسيد محسن الأمين ، وكالشيخ شرارة القادمين من جبل عامل ، أو الذين اتصلوا بالثقافات من خارج العراق ، سواء بالسفر ، أو بمطالعة الصحف القادمة من مصر ولبنان وسوريا . ويمكن أن يكون الشيخ محمد جواد الجزائري والسادة آل كمال الدين خير مثال على ذلك .

٦ - الخطوات الأولى للإصلاح :

(١٣٣٩ - ١٣٤٩) - (١٩٢٠ - ١٩٣٠م) .

بإمكاننا أن نؤرخ للصراع بين الدراستين القديمة والحديثة في النجف بفترة ما بعد الاحتلال البريطاني البغيض للعراق عام (١٣٣٣هـ / ١٩١٤م)^(١) ، فمع الغزو ، وقبله وبعده يأتي المستعمر (بكسر الميم) - عادة - بثقافة ليفرضها على المستعمر (بفتح الميم) .

(١) حيث نزلت القوات البريطانية ميناء الفاو ، في مدينة البصرة جنوبي العراق قادمة من البحرين وذلك في السادس من تشرين الثاني كما تذكر ذلك الأنسة بيل h13 (Bell) أو في السابع من الشهر نفسه . كما يذكر ذلك الأستاذ الحسنى . للاستزادة أنظر : بيل (Bell) : فصول من تاريخ العراق القريب ، ٣ . الحسنى : العراق في دورتي الاحتلال والانتداب ، ١١/١ .

ولنا في هذا التحديد التاريخي للصراع بين الدراستين القديمة والحديثة في النجف ما يدعمه مما جاء في موسوعة شعراء الغري . فبعد أن يترجم المؤلف لأحد أبناء الأسر النجفية ، يذكر أن المترجم تعلم في المدارس الأهلية الحديثة ، لكنه عاد للدراسة في الحوزة العلمية « وكان التنازع بين الدراستين القديمة والحديثة في دور إبتدائه »^(١) . ولما كان المترجم من مواليد سنة (١٣٢٨هـ / ١٩١٠م) ، أمكننا أن نجعل عام (١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م) هو العام الذي ابتداء فيه الصراع بين الأسلوب الدراسي القديم ، والحديث في نظام الدراسة النجفية ، إذ لا يُعقل - في الغالب - أن يتوجه للدراسة الحوزوية قبل سن العاشرة .

المهم : أن تلك الفترة شهدت الارهاصات الأولى للحركة الإصلاحية في النظام التعليمي الدراسي وشهدت في الوقت نفسه تياراً قوياً يدعو إلى إبقاء القديم على قدمه ، وكما في ذلك الوقت ، فإن من الممكن أن نشهد في كل عصر « تياراً يؤيد التجديد وتياراً يحاربه ، وربما تصل الحالة إلى التسقيط والتخطئة العلمية (. . . .) وربما تجد تياراً ساكناً ينتظر نتيجة الصراع »^(٢) . ويظل لكل واحد من أصحاب تلك التيارات الثلاثة^(٣) وجهة نظره ومسوغاته التي تدفعه لاتخاذ موقفه ذلك . فالمصلحون « حريصون على التطور في المناهج الدراسية والدراسة عموماً لمواكبة العصر الحديث ، بينما نرى المحافظين حريصين على إبقاء ما كان على ما كان خوفاً من ضياع التراث الديني الكبير ، في ما يخشى البعض الآخر أن يُعد خائناً بأمانات السلف الصالح حينما يناهز بالتجديد »^(٤) .

(١) علي : م . س ، ٧ .

(٢) الخاقاني : شعراء الغري ، ٣٢١/٩ .

(٣) علي : بين الجامعات والحوزات ، ٧ .

(٤) إنما اعتبرناها تيارات ثلاثة باحتساب أصحاب التيار الساكت ، الذي ينتظر نتيجة الصراع ، إذ يمكن أن نعتبر السكوت موقفاً .

أما ملاحظات المصلحين فيمكن أن نوزعها على فئتين :
الفئة الأولى : ملاحظات في الجانب الإداري والمالي للحوزة .
الفئة الثانية : ملاحظات على المنهج الدراسي الحوزوي .

ولذا نحاول هنا أن نعرض تلك الملاحظات ، ومن ثم نحاكم الخطوات الإصلاحية الأولى في ضوء المقاييس والموازين التي اعتمدها في هذه الدراسة .

أ - الفئة الأولى : ملاحظات في الجانب الإداري والمالي :-

من الممكن أن نوجز السلبيات التي سجّلها المصلحون على النظام التعليمي الدراسي الحوزوي في النجف في النقاط الآتية :-

١- غياب الضوابط الإدارية الحوزوية في مسألة النظر في مدى صلاحية هذا القادم الراغب في الانتماء للحوزة العلمية ، من عدمه ، وبالتالي النظر في قبوله أو رفضه . وبما يمكن أن نُطلق عليه (امتحان الدخول) الذي يجب أن يشمل لا على المستوى الذهني فقط ، بل على الجانب الأخلاقي السلوكي أيضاً .

٢- عدم خضوع الطالب في الحوزة العلمية في النجف لاختبارات الكفاءة والقدرة أثناء فترة تحصيله الدراسي لمتابعة سير دراسته ومدى كفاءته للاستمرار في الدراسة من عدمها ، وبمعنى آخر : عدم وجود نظام للإمتحانات في الحوزة العلمية بالنجف يرافق مراحل الدراسة .

٣- فقدان التوجّه لدى الحوزة ورجالها في ما يتعلق بتبادل الأفكار والخبرات بين الحوزة العلمية في النجف وغيرها من المدارس الإسلامية ، وفق برامج لتبادل الزيارات ضمن رحلات موسمية أو زيارات يخطط له مسبقاً . وتتأكد هذه الفجوة مع المدارس والمعاهد العلمية خارج العراق . فالأزهر والنجف مثلاً مع أن هدفهما واحد ، وهو إعلاء

شأن الإسلام ، بيد أن التساؤل يلح لفقدان الإتصال : الأزهر بالنجف ، والنجف بالأزهر ، وتبادل البعثات؟! لماذا لا يعقد النجفيون والأزهريون المؤتمرات ويتدارسون ما يتصل بمهمتهم (. . .) كما يفعل الأدباء والمحامون وخريجو الجامعات والأطباء؟^(١) .

٤- مع ضخامة الكيان الحوزوي بشرياً ومادياً ، فلا وجود لدار نشر أو مطبعة ، ضمن ذلك الكيان ، لتقوم تلك المطبعة بطباعة الكتب الدراسية ، أو تسهيل طباعة نتاجات أساتذة الحوزة العلمية في النجف ، وطلابها .

٥- عدم وجود نظام للتخصّص ، فليس كل من التحق بالحوزة يمكن أن يكون مجتهداً ، وليس هناك دراسة عن احتياجات المدن والأقطار الأخرى من المبلّغين بحيث يوجّه بعض الطلاب ، هذا للاجتهد ، وذاك للوعظ والإرشاد ، وذاك للخطابة وهكذا .

٦- الإرتباك الواضح في الوضع المادي للطلاب ، أو الأستاذ - بشكل عام - ، وما يعكس ذلك الإرتباك من ضعف الأداء الدراسي ، أو قد يجرّ إلى ترك الطالب الحوزة والتجائه للوظائف في الدولة ليحقق من خلال ما تؤمّنه له من مورد مالي تأمين حاجياته ومتطلباته ومتطلبات أسرته الضرورية .

٧- اقتصار الرعاية السكنية المجانية على الطالب الأعزب ، فيما يظل الطالب المتزوج وكذلك الأستاذ متنقلاً بين بيوت مستأجرة من بيت إلى آخر ، مع إقتران ذلك بضعف في المورد المالي ، مما يؤثر سلباً على نقاء ذهن الطالب وصفائه ، وبالتالي على إنتاجه الفكري ، وعطائه .

٨- فقدان ما يمكن أن نسّميه نظام الرعاية الصحية ، إن لطلاب العلم ، أو لأفراد أسرته ، ويظل الطالب نهياً للفقر ، والمرض ، والحرمان

(١) مغنيّة : مجلة العرفان ، مج/٤٥ ، ج/٤ ، ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م .

مع أفراد عائلته .

٩- عدم إعداد أماكن للدراسة ضمن الحوزة العلمية في النجف ،
توافر فيها المستلزمات الصحية اللازمة ، أو وسائل الراحة التي تساهم
- دون أدنى شك - في زيادة تقبّل الطالب لدروسه ، وتساهم كذلك في
زيادة إستيعابه .

١٠- الوضع القانوني لطالب الحوزة العلمية العراقي ، الذي يلتحق
بالحوزة في ظل نظام تجنيد إجباري يشترط على كل من يُكمل الـ (١٨)
سنة من عمره ، ولم يكن طالباً في مدارس الدولة ، أو مشمولاً بالعفو
الصحي ، الالتحاق بمؤسسة الدولة العسكرية ، وبطبيعة الحال ، فإن
الحوزة ليست في عداد مدارس الدولة . مع ما يترك مثل هذا الوضع من
أثر سلبي على الطالب ، إذ يظل ملاحقاً من قبل السلطة . ولا يتمكن من
إنجاز أية معاملة له بدوائر الدولة الرسمية .

ب - الوضع القانوني لطالب الحوزة العلمية غير العراقي ، حيث
يُطالب مثل ذلك الطالب ، سواء أكان عربياً أو غير عربي بضرورة
الحصول على تأشيرة الدخول أولاً ، ومن ثمّ الحصول على التصريح
بالإقامة ، وحيث يستحصل المُستخدّم لدى هذه الجهة أو تلك على
التصريح بالإقامة بواسطة مستخدمه ، يظلّ طالب الحوزة يعاني الأمرين
في ذلك ، دون أن تقوتنا الإشارة إلى إعفاءات من طلب الحصول على
الإقامة بالنسبة للعرب في بعض السنين ، دون تخصيص هذا الإعفاء
بطلبة العلوم الدينية في الحوزة .

١١- عدم وجود خطة لزيادة عدد الطلبة المنتميين للحوزة ، وترك
هذا الأمر للصدف والتوجهات الشخصية ، أضف إلى تلك الحقيقة النظرة
السائدة في البيئة المحيطة بالحوزة إلى طالب العلم بالنجف إذ « يُنظر إليه
في العراق على أنه إنسان يمثل الطبقة المستجديّة ، الطبقة التي تستجدي

وتعيش على أموال الغير»^(١) .

ب - الفئة الثانية : ملاحظات على المنهج الحوزوي :

١- إهمال تدريس اللغات غير العربية : الأوروبية : كالفرنسية ، والإنجليزية . والإسلامية : كالاردية والتركية ، والفارسية . ولئن كان بعض طلاب الحوزة العلمية في النجف ممن يتقنون بعض اللغات الإسلامية - بحكم إستيطانهم بمعية من يتقنها - فإن الأوروبية تظل مجهولة لدى غالبية الطلاب ، والأساتذة - على حد سواء - إن لم نقل كلهم .

ورغم أن اللغات الأجنبية « تعين الطالب وتؤهله لأن يمتد شخصه ، وتعمّ معلوماته ، فيفيد أكبر عدد ممكن من البشر ، بيد أن الحوزة لم تُعَنَ بها ، ولا يفسح المجال للطالب أن يتعلّمها »^(٢) .

٢- إقتصار مناهج التدريس في الحوزة العلمية على الفقه ، وأصول الفقه و« زهد رجال الحوزة بدراسة العلوم الحديثة العلمية »^(٣) بحيث « خرّجت الحوزة العلمية من شكل جامعة إسلامية إلى شكل كلية فقهية »^(٤) . ويمكن أن نجعل سنة (١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م) . كبداية في الحوزة العلمية نحو هذا الاتجاه . يقول الشيخ حرز الدين وهو بصدد الحديث عن الحوزة في النجف : « أتجه الطلاب إلى دراسة الفقه والأصول فحسب وعزفوا عن دراسة العلوم الفعلية والنظرية بصورة تدريجية »^(٥) .

(١) خليل : الإمام محسن الطباطبائي الحكيم ، ٥٦ .

(٢) الخاقاني : شعراء الغري ، أو النجفيات ، ٤٨٢/١٢ .

(٣) نفسه : ٢٢٩٩/٤ - ٣٠٠ .

(٤) مطهري : منظمة علماء الدين ، مجلة المنطلق (بيروت) ع/٣٨ ، ربيع الثاني ١٤٠٨هـ/كانون الأول ١٩٨٧م .

(٥) حرز الدين : معارف الرجال في تراجم الأدباء والعلماء ، ٢٠٧/١ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

على أن هناك بعض العلوم ممّا يحتاجها الفقيه ، وطالب العلم ، كالحساب والهندسة ، مثلاً ، لم تنل الاهتمام الكافي ، إذا لم نقل أهمل أمر تدريسها . ونحن نعرف أن مثل تلك العلوم « هي جزء متمم للفقيه في ما يرتبط بمعرفة الموارِيث وتشخيص القبلة »^(١) . وفي هذا المجال نستغرب من مُصلِح كَالشَّيْخ حبيب المهاجر العاملي ، أن يذهب عند حديثه عن النجف بعد وصفه للنجف بأنها مدرسة كبرى ، يذهب إلى أنها « يُبْحَثُ بها في علوم شتى ، وجلّها دينية لا يُجْهَلُ من سَبَرِ غور النجف ، ووقف على حقيقتها شيئاً من ذلك »^(٢) .

وبعد ذلك يفسّر الشيخ المهتاج سبب ذهاب البعض إلى إتهام النجف بالإقتصار في دراستها على الفقه والأصول فيقول :

« نعم لما كان الأهم بنظر الكل علم الفقه وأصوله ، كان له المظهر الكبير والبروز التام ، فيخيل لمن لا خبرة له أن ليس في تلك الجامعة سوى الفقه ، وما يتعلق به »^(٣) .

على أن الواقع العملي يخالف ما يذهب إليه الشيخ ، اللهم إلا أن يكون الشيخ يعني بقوله أولئك نفر من الطلاب ، الذين يدرسون غير الفقه والأصول بدوافع ذاتية محضة .

٣ - جفاف المادّة الدراسيّة وتعقيدها :

إن « معظم المناهج الدراسية في الحوزة تعتمد على كتب معقّدة في صياغة العبارة (. . .) ، وأن أسباب التعقيد في الكتب الدراسية مختلفة ، بعضها راجع إلى تخلف الأساليب بمرور الزمن على الكتب الأثرية ، ومعظم الكتب الدراسية هذه ترجع إلى عدة قرون خلت .

(١) الخاقاني : م . س ، ٤٨٢/١٢ .

(٢) العاملي : النجف الأشرف أو فية الإسلام ، مجلة الهدى (العمارة - العراق) س/١ ، مج ٥ / رجب ١٣٤٧هـ / كانون الأول ١٩٢٨م .

(٣) نفسه .

وبعضها الآخر يعود إلى انتخاب المؤلف أسلوب شرح نص كتاب آخر ،
مما يورطه في الإشكال على تعبيرات صاحب النص والإشكالات التي
وردت عليه عبر الزمن من قبل علماء آخرين^(١) . ويظل الطالب مشغولاً
بالحواشي رغم ما « اشتهر بين طلاب النجف : الحواشي غواشي »^(٢) .
أو ما اشتهر أيضاً بأن من قرأ الحواشي ما حوى شيئاً . . !

ونجد بعض مذكرات من ترك الحوزة لعقم المناهج فيها ، وتعقيد
عبارات كتبها ما يدعم ما نذهب إليه . يقول الأستاذ علي الخاقاني :

« وصلتُ في دراستي الحوزوية على الطريقة القديمة في الدراسة
إلى كتاب (كفاية الأصول)^(٣) الذي صدمني بتعقده ورموزه وسوء
تعبيره ، مما يولد في نفسي ردّ الفعل عن مواصلة دراسة هذا العلم »^(٤) .

٤ - تداخل المسائل وعدم التمايز في العلوم :

إذ يظل الكثير من المناهج الحوزوية ، يتداخل فيها العلوم بعضها
ببعض ، حتى إن المادة الفلانية تجدها تشتمل على مسائل أجنبية عن
مضمون تلك المادة . إن بمناسبة أو بلا مناسبة .

فكتاب (المَطْوَل) الذي يدرس في مرحلة السطوح ضمن مادة
البلاغة والمعاني والبيان ، هذا الكتاب يحوي كثيراً من المسائل التي
تتداخل دون إنسجام أو رابطة ، يلمس ذلك من يراجع تعريف الوهم
والخيال ، والحس المشترك ، وكيف يدرك العقل الجزئيات والشكل
والمقدار والحركة . . . وما إلى ذلك .

(١) كاظم : ملاحظات على المنهج الدراسي في الحوزات العلمية ، مجلة البصائر
(لندن) ، ع/٥ س/٣ خريف ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

(٢) شمس الدين : حديث الجامعة النجفية ، ٥٢ .

(٣) مؤلف كتاب (كفاية الأصول) هو الشيخ محمد كاظم الخراساني ، يُدرّس في
المراحل العليا من الدراسة الحوزوية ، قبيل مرحلة (الاجتهاد) .

(٤) الخاقاني : شعراء الغري ، ٣٥١/٧ .

وفي علم الأصول والفقه ، يجد المتتبع خلطاً كبيراً ، إذ تتداخل مسائل الحكمة (الفلسفة) . حتى كأنك تدرس (الفلسفة) لا مادة أصول الفقه .

وعلم الفقه (الأقل خلطاً) يلاحظ على كتاب (اللعة الدمشقية) مثلاً احتوائه كشكولاً من العلوم والأبحاث الملتصقة في مسائل الفقه قسراً .

يقول باحث شاء أن يرمز إلى اسمه ب : (النجف عراقي) ضمن حديثه عن مناهج الدراسة الحوزوية :

« المطول : عبارته أشكل من معناه ، وفيه من النحو وفلسفته ، والمنطق وأدلته وغيرهما من العلوم أكثر مما فيه من علمي المعاني والبيان ، وكتاب كفاية الأصول : عبارته مغلقة للغاية »^(١) .

٥ - عدم وجود نظام للتخصّص :

وهي ملاحظة تشمل المنهج كما تشمل الجانب الإداري . إذ يظل المنهج قاصراً في توجيه الطلاب ، إن بحسب حاجة الأمة ، أو بحسب ميول الطالب ، ومواطن القوة فيه والتي يمكن أن يُبدع فيها ، إذا ما وُجّهت منهجياً . فالأمة بحاجة إلى مؤلفين وخطباء ، كما هي بحاجة إلى مجتهدين ، بينما يسير المنهج الحوزوي باتجاه إعداد المجتهدين ليس غير .

٦ - أحادية المذهب في المناهج الحوزوية^(٢) :

إذ يظل الطالب في الحوزة العلمية بالنجف يتلقّى علومه وفق

(١) عراقي : كتب القراءة وطريقة التدريس عند الشيعة في العراق . مجلة لغة العرب (بغداد) س/٢ ، ج/١٠ ، ربيع الأول ١٣٣١هـ/شباط ١٩١٣م .

(٢) أشار إلى هذه النقطة الدكتور القزويني في كتابه : الفكر التربوي عند الشيعة الإمامية ، ٣٠٤ ، واعتبرها إحدى خصائص الحوزة العلمية في النجف ، إ!

المذهب الجعفري دون أن يطّلع على آراء الفقهاء من المذاهب الإسلامية الأخرى . ورغم وقوف طالب العلم على كافة الآراء عند بحث كل مسألة في مرحلة الإجتهد ، إلاّ إننا نطمح بإدخال الدراسات الفقهية المقارنة ، ونطمح لأن يُترك للطالب اختيار الرأي الذي يجد ما يسنده ويدعمه في الأدلة الشرعية من كتاب ، وسنة ، وغيرهما .

٧ - لا هدفية المنهج الدراسي :

« إن كل منهج من مناهج الدراسة المنظّمة يهدف بالتعليم أن يصل بالطالب إلى (هدف معين) . ويختلف ذلك من منهج إلى آخر ، ومن معهد إلى معهد . فما هو هدف التعليم في كتب الحوزة ؟ . إذا قيل الهدف هو : أن يصل بالطالب إلى مستوى التخصص في جميع العلوم المُدرّسة فهذا أمر شبه مستحيل ، لأنه لا يمكن لطالب علم واحد أن يتخصص إلى درجة الفقه والإحاطة بما لا يقل عن خمسة علوم واسعة ، ورغم ذلك - فلو فرضنا إمكانه - إلاّ أن هذا المقدار من التعليم غير كاف على الإطلاق . وإن كان الهدف هو مجرد الإطّلاع على العلم من باب فهم (الأسس الأولية) ، فإن هذا المقدار من الكتب الدراسية غير ضروري أولاً ، ثم إنها لم تُنظّم من أجل تعليم الأسس ، وذلك لأنها تستعرض وبأسهاب نقاط الخلاف والرد والنقض والاجتهادات المختلفة مما لا ينفع الطالب المبتدئ . ولا يكفي الطالب المتخصص . وكمثال على ذلك : يتساءل الطالب الحوزوي وهو يدرس (شرح ابن عقيل) على (ألفية ابن مالك) ، يتساءل : ما هي الحاجة إلى معرفة الخلاف في أسباب بناء المبنيات ؟ وما هي الحاجة إلى معرفة الخلاف في باب التنازع والإشتغال ؟ . الخ

= قال : « من خصائص مدرسة النجف العلمية إنها احادية المذهب ، تقوم بتدريس علوم آل البيت (عليهم السلام) ، ولم يكن من يناقش المذهب الجعفري من المذاهب الإسلامية الأخرى » .

والشيء نفسه ينطبق علي كتاب (المطوّل) في علم البلاغة ، حيث لا يستطيع الطالب بعد الإنتهاء منه أن يحصل على فهم قواعد منظمة قابلة للتطبيق ، ولا هو حاصل على خبرة المتخصصين «^(١) .

٨ - لغة الرسالة العملية :

الرسالة العملية هي مجموعة فتاوى المرحع الديني ، يصدرها عادة في كتاب ليسهل على مقلّديه الإطّلاع عليها ، والعمل بموجبها . وبعد ذلك فالرسالة العملية منهج دراسي في الفقه ، يدرّسه الطلاب في مرحلة المقدمات . لكن تلك الرسالة لا تخلو من ملاحظات تستدعي التغيير والتطوير .

الملاحظة الأولى : إن هذه الرسائل تخلو غالباً من المنهجية الفنية في تقسيم الأحكام وعرضها وتصنيف المسائل الفقهية على الأبواب المختلفة ^(٢) .

الملاحظة الثانية : « إن الرسائل العملية لم تعد تدريجياً بوضعها التاريخي المؤلف كافية لأداء مهمتها بسبب تطور اللغة والحياة (. . .) وعرض الأحكام من خلال صور عاشها فقهاؤنا في الماضي كان أمراً معقولاً ، فمن الطبيعي أن تعرض أحكام الإجارة مثلاً من خلال افتراض دأبة للسفر ولكن إذا تغيرت تلك الصور فينبغي أن يكون العرض لتلك الأحكام نفسها من خلال الصور الجديدة ، ويكون ذلك أكثر صلاحية لتوضيح المقصود للمقلّد المعاصر »^(٣) .

ونضيف إلى هاتين الملاحظتين صعوبة فهم تعبير الرسالة العملية

(١) كاظم : ملاحظات على المنهج الدراسي في الحوزات العلمية ، مجلة البصائر (لندن) ، ٣/س ، ٥/ع ، خريف ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

(٢) الصدر : الفتاوى الواضحة ، ٩٥ .

(٣) ن ، ٩٦ .

على غير المتخصصين بينما يُفترَض أن تكون بمستوى فهم المقلِّد متوسط الثقافة ، الذي يستطيع فهم موقفه الشرعي إزاء ما يواجهه ، من خلال قراءة سريعة لنصوص الرسالة العملية .

ومعالجة هذا الخلل من الأهمية بمكان ، حيث لا تختص المشكلة بطلبة العلوم الدينية ، بل بالملايين من المقلِّدين المنتشرين في أطراف أرض الله الواسعة .

هذه بعض الملاحظات على النظام المالي والإداري في الحوزة العلمية بالنجف وكذلك بعض الملاحظات على المنهاج الدراسي في الحوزة نفسها ، وهناك ملاحظات أخرى متفرعة منها ، وقد تكون ناتجة عنها ، وإن إجتباب المشكلة من جذورها يعني ، إماتة ما تغذيه الجذور . أما علاج المشكلة من أعلى ، وترك الجذر المريض ينهش ويفتك فذلك ما لا طائل وراءه . مع الاعتراف بأن المهمة عسيرة ، والإصلاح ليس بهيِّن . .

٩ - رأي التقليديين :

إن الحكم على أي أمر متنازع فيه لا يكون عادلاً ما لم يستمع الحاكم دعوى الفريقين المتنازعين . ولَمَّا كُنَّا قد عرضنا في ماسبق من صفحات دعوى الفريق الذي يدعو إلى تحديث المناهج الدراسية للتماشي - حسب دعواه - وحاجات العصر ، نحاول هنا الاصغاء إلى أولئك نفر الذين يدعون إلى إبقاء قديم الحوزة العلمية في النجف على قدمه ، لأن الدعوات إلى تغيير المناهج ونظم الدراسة في الحوزة وإصلاحها لم يكن لها من هدف - كما يقولون - إلا « إبادة هذه الطبقة^(١) التي حملت مشعل الدين قروناً متطاولة وأزماناً مختلفة . وهو في نظرهم دليل كاف على صحة النهج الذي سارت عليه الأجيال الماضية والسلف

(١) ويُقصد بها طبقة علماء الدين .

الصالح ، وإن القديم - كما هو - يجب أن يبقى على قدمه محافظا على طابعه كي لا يتعرض إلى تجربة قد يكون الموت المحقق أحد طرفيها»^(١) .

كتب السيد محمد تقي الحكيم - وهو أحد رجال الإصلاح - بصور بدقة وبوضوح رأى القائلين بضرورة الإبقاء على أسلوب وكتب ومناهج الدراسة في النجف :-

« كانوا يرون في طابع الحرية الذي يسود في أنظمتها ، سواء في اختيار الطالب لأستاذه أو الكتاب الذي يدرسه ما ينمي ملكته ، ويقوّي من شخصيته العلمية وكانوا يعزّون إلى هذا النظام ما عُرف به طلابها من حرية فكرية في ميادين المناقشة والجدال مع قدرة على التحرّر من جميع مسبقاتهم الفكرية إذا اتضح من خلال المناقشة مجافاتها للحق الذي يهدفون إليه . وكانت أبلغ حججهم على سلامة هذه الأساليب الدراسية : أن عطاء هذا النوع من الدراسة في هذه البلدة المقدّسة لا يعدله عطاء في أية جامعة منظّمة ، وحسبه أن يكون من عطاء ما تخرّج عنها من مئات المجتهدين أمثال الشيخ الأنصاري ، والإمام الشيرازي الكبير وغيرهم ، ممن وصلوا بعمق تجاربهم وصلابة إيمانهم إلى أرفع المراكز القيادية في الأمة الإسلامية»^(٢) .

٨ - تقويم الخطوة الإصلاحية الأولى :

لم يكن يطمح المصلحون في بداية تحركهم لإصلاح كل الملاحظات التي أوردناها على الحوزة العلمية في النجف ، وإنما تركزت

(١) البلاغي : كلية النجف ، مجلة الاعتدال (النجف) ، س/٣ ، ع/٢ ربيع

الثاني ١٣٥٤هـ/ تموز ١٩٣٥ م .

(٢) الحكيم : المتلدى : تاريخ وتطوّر النجف (النجف) س/٣ع/٢ ذي الحجة

١٣٨٧هـ/ آذار ١٩٦٨ م .

جهودهم - عصرئذ - على إصلاح النظام الدراسي كخطوة تعقبها خطوات .

وفي ظل ميزان التطور والانحراف ومقايسه إن من جهة شخصية (المُصلِح) ، أو من جهة دراسة ما يمكن أن يؤول إليه مشروعه الإصلاحية ، خاصة مع وضع القضية كلها في ظروفها البيئية والزمانية ، يمكن أن نخرج بالآتي :

أ - نزاهة القائمين على أمر الإصلاح والداعين إليه ، ولعل في استعراض للكثير من الأسماء يتجلى ذلك بوضوح ، فالغالبية منهم من أبناء النجف المعروفين بإخلاصهم لمدينتهم ولدينهم ، وقد اطلعوا على ثقافات الآخرين ، وتابعوا تطوّر أساليبهم في طلب العلم ونشره ، « وكلما أحس هؤلاء المصلحون بالخطر يقترب ومعين الثقافة ينضب صار الكل منهم يستشيط نائراً ، غَضِباً من جراء هذا الفتور المتماذي في مثل تلك القضية »^(١) .

ب - الدعوة الإصلاحية في مراحلها الأولى . وقد انطلقت من عقول بعض الشباب المجدّد ، كان في أساليبها « الكثير من العنف والإنفعالية واللامبالاة مما ولّد في نفوس الآخرين من ردود الفعل بحيث تحوّل الصراع حولها من مجاله الفكري إلى مجالات العاطفة والإنفعال »^(٢) . وفي الوقت نفسه كانت مجموعة أخرى تعمل بصمت وسرية مكونة محالّس تمهيدية للتفكير في طريق الإصلاح واكتساب الشعور العام^(٣) ، وكان لمثل هذا التعقّل ثماره التي سنلاحظها في

(١) البلاغي : كلية النجف ، مجلة الاعتدال (النجف) ، س/٣ ، ع/٢ ، ربيع الثاني ١٣٥٤هـ / تموز ١٩٣٥م .

(٢) الحكيم : المنتدى : تاريخ وتطور ، مجلة النجف (النجف) ، س/٣ ، ع/٢ ، ذي الحجة ١٣٨٧هـ / آذار ١٩٦٨م .

(٣) الأصفي : مدرسة النجف ، ١١٣ ، (نقلا عن) : مخطوطات الشيخ المظفر .

المرحلة الثانية .

ج - عدم تهيئة جوّ إصلاحٍ عام ، إنّ لدى الحوزويّين أنفسهم ، أو لدى غالبية المثقّفين من البيئة المحيطة بالحوزة . واعتماد أي نهجٍ إصلاحٍ على فردٍ أو مجموعةٍ صغيرةٍ من الأفراد ، إنّما يحكم على الفكرة بالفشل وهي في مهدها .

د - عدم استثمار ثقل المرجعية الدينية العليا في النجف ، وكلمتها المسموعة في نطاق الحوزة وعموم النجف ، في دعم الخطوات الإصلاحية الأولى ، أو تحييد المرجعية إن لم يكن ممكناً استقطابها ، مع ما نعرف من صعوبةٍ مثل ذلك الأمر ، إلّا أن من يعرف طبيعة العلاقة بين المقلّد والمرجع الديني لدى الشيعة يدرك أنّ كل خطوةٍ إصلاحيةٍ لا تدعمها المرجعية يظلّ محكوماً عليها بالموت مسبقاً .

هـ - عدم وجود أثر ، أو يد للدولة في أمر إصلاح النظام الدراسي الحوزوي ، ولعلّ من بعض أسباب ذلك كون الدولة فتيّة لا زالت في سنينها الأولى من الحكم الوطني ، ومن أسباب ذلك إصرار مجتهدِي النجف على استقلالها عن السلطة في مناهجها وشؤونها المالية ، وبالتالي فأَي كلامٍ للسلطة في تنظيم أو (إصلاح) الشأن الدراسي الحوزوي هو كهواء في شبك . . .

نعم استطاعت الدولة أن تشخّص بعض نقاط الضعف في الحوزة ، فاستثمرتها لتغازل بواسطتها طلبة العلم ، والوضع المالي السيء لطالب الحوزة نموذجاً لنقاط الضعف تلك ، حيث فتحت الدولة المجال لقبول من يتقدم من طلاب الحوزة العلمية ليكون مدرّساً بلّغة العربية والعلوم الإسلامية في ثانويات الدولة ، وبضغط الواقع المادي المر للطلاب الحوزوي «أجاب صالح الجعفري داعي الوظيفة وقبول التعليم في ثانوية

النجف»^(١) . وأفلت محمد مهدي الجواهري « كما يفلت الطائر من صائده هائناً بكل الإعتبارات ، لذا تراه راضح لأمر واقع كان يعرف أنه يندم عليه ، وربما يجزع عند تصويره له ، كونه يرضى بوظيفة مدرّس وبدنانير معدودة»^(٢) ، بديلاً عن التفكير بزعامة دينية وعلمية كبرى للمسلمين الشيعة « ظلّت تتراوح بين أفراد أسرته طيلة قرن كامل من الزمن»^(٣) .

وهكذا تسرّبت عناصر كفاءة وقديرة إلى وظائف الدولة ، فخرست بذلك الحوزة رجالاً كان بالإمكان أن يكون لهم دور قيادي بارز فيها ، وفي المقابل كان في نقاط الضعف التي استثمرتها الدولة ونجحت باستثمارها الحلم الذي داعب خيالها زمناً طويلاً . . . !

(١) الخاقاني : شعراء الغري ، أو النجفيات ، ٣٠٣/٤ . وهو أول من انتمى لمدارس الدولة من معلمي الحوزة العلمية في النجف .

(٢) ن ، ١٥٧/١٠ .

(٣) ن .

الحركة الإصلاحية في مرحلتها الثانية :

١٣٤٩هـ - ١٣٦٥هـ
١٩٣٠م - ١٩٤٥م .

يمكن أن نعتبر الصراع بين التقليديين ، ودعاة التحديث في هذه المرحلة قد بلغ مبلغه . . حيث يجد متبّع هذه الفترة ظهور الكثير من الدعوات لتطوير الدراسة الحوزوية ونظمها وأساليبها ، إضافة إلى الإشارة والتلميح إلى ضرورة شمول المرجعية الدينية العليا في النجف بالتنظيم والإصلاح ، وخاصة في ما يرتبط بالجانب المالي منها . وهو ما لم يجرؤ أحد على القول به ، أو التلميح إليه قبل ذلك .

ولئن كانت فكرة الإصلاح والدعوة إليه ، ضعيفة في مرحلتها الأولى ، ولم تُعطِ النتائج التي كان يتوخّاها القائمون بأمر الإصلاح ، فإنها في الفترة الثانية قد بلغت « دور الشباب اليافع المتحفّز »^(١) ، خاصة تلك التي إتخذت من الكتمان والسرية أسلوباً في العمل بمراحله الأولى .

ولعلنا نرصد أهم جهات الإصلاح في المرحلة الثانية في : -

(١) الأصفى : مدرسة النجف ، ١١٣ (نقلاً عن) : مخطوطات الشيخ المظفر .

١ - جمعية منتدى النشر^(١) :

- نهضة الشيخ كاشف الغطاء .

دون أن ندعي عدم وجود أفكار إصلاحية أخرى ، بيد أن الأبرز فيها ، والذي أثمر في ما بعد هو هذه الأفكار ، لذا نحاول عرض تلك المحاولات الإصلاحية عرضاً سريعاً ، ثم نحاول رصد صلته بالدولة أو صلة الدولة به ، وصولاً إلى تقويم كل تجربة من تلك التجارب في ضوء المقاييس والمعايير التي اعتمدها ميزاناً للحكم .

جمعية منتدى النشر :

تعود بذور فكرة إنشاء (جمعية منتدى النشر) إلى (١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م) ، حين عقدت الاجتماعات « السرية » للتفكير في طريق الإصلاح واكتساب الشعور العام ، وكان محور الحركة التي أثمرت في ما بعد هذه الجمعية « الثلاثة المعروفون بالصفوة ، أو أضلاع المثلث المتساوي الأضلاع : الشيخ جواد الحجاجي ، والشيخ محمد حسين المظفر ، والسيد علي بحر العلوم »^(٢) ، وكان كاتب الجلسات هو الشيخ محمد رضا المظفر^(٣) ، والذي دوّن بعض مذكراته عن تلك الاجتماعات وهدفها ، فقال : -

« . . . وهي على بساطتها تمثل لي مقدار التكمّم والخوف ، الذي كان يساورنا . وكان عملنا وتفكيرنا مقتصرًا على تفقد المفكرين من

(١) نحيل المهتمين إلى مصادر دراسة المنتدى :

- محبوبة : ماضي النجف وحاضرها ، ٣/٣٩٨ .

- خليلي : موسوعة العتبات المقدسة ، ٧/١٨٢ - ١٨٣ .

- الخاقاني : شعراء الغري أو النجفيات ، ٨/٩٠ و ٤٥٤ .

(٢) الأصفى : مدرسة النجف ، ١١٣ ، (نقلاً عن) : مخطوطات المظفر .

(٣) نفسه .

أصحابنا الذين يحسون بالداء مثلنا»^(١) . إلا أن تلك الإجتماعات لم تستطع أن تحقّق شيئاً ، بسبب القوّة التي يتمتع بها التقليديون في النجف ، ولكن الذي أعطى القوّة والزخم وفرصة الظهور لجماعة (متندى النشر) بالإعلان عن نفسها هو ظهور بعض المؤلفات ، والكتب التي (هاجمت النجف) ، حسب تعبير الشيخ المظفر^(٢) ، وذلك في سنة (١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م) . ممّا جعل من ظهور جمعية باسم (متندى النشر) ، أمراً مقبولاً لدى الرأي العام ، ولدى رجال الحوزة التقليديين بوجه أخص .

ومع أن هدف الجمعية الأساسي هو إصلاح النظام الدراسي الحوزوي ، إلا أن اسم (متندى النشر) اختير غطاءً ، حيث لم يكن طرح موضوع الإصلاح مقبولاً . وذلك ما يؤكده الشيخ محمد رضا المظفر في رسالته إلى صاحب مجلة (العرفان) الصيداوية : أحمد عارف الزين ، حيث جاء فيها :- « كنت أتحين الفرصة لأبسط لكم مشروع (متندى النشر) ومدرسته الدينية ، بعد أن لفت نظري أنه لم يثر اهتمامكم ، مع أنني أعهد بكم أول من فكّر ودعا لإصلاح دراسة النجف .

ونحن جماعة فكرنا في هذا الإصلاح من قبل (١٥) عاماً تقريباً ، والأبواب كانت موصدة في وجوهنا . حتى رأينا أن نؤسس (متندى النشر) لتحقيق هذه الغاية ، وأسميناه بهذا الإسم حتى لا يلفت الأنظار إلى هدفنا ، فيقاوم قبل أن يخطو بعض الخطوات « . الخ^(٣) .

(١) نفسه .

(٢) ن . ١١٤ . ولم يذكر المصدر أسماء تلك الكتب . .

(٣) المظفر : رسالة لأحمد عارف الزين ، مجلة العرفان (صيدا) ، مج/ ٢٩ ، ج ١٠ ، ٩ و٨ ، رجب ١٣٤٩هـ/أيلول ١٩٣٠ .

وكانت الاجتماعات التمهيديّة تُعقد في دار الشيخ علي ثامر ،
والسيد محمد سعيد الحكيم^(١) ، وليس في منزل السيد/موسى بحر
العلوم ، كما يعتقد ذلك الأستاذ علي الخاقاني^(٢) . ويبدو أن إعلان
المنتدى كجمعية معترف بها قد تأخر حتى عام (١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م)
حيث اختير الشيخ محمد جواد الحجّامي ، رئيساً لها ، والشيخ المظفر
أميناً للسر ، أما بقية الأعضاء فهم :

- السيد يوسف السيد محسن الحكيم .

- الشيخ عبد الهادي حموزي .

- السيد موسى بحر العلوم .

- الشيخ علي ثامر^(٣) .

وقد أُرخ عام التأسيس شعراً الشاعر الشيخ/محمد حسين المظفر ،
حيث قال :

يا بنفسي عصابة أخذتُهُم غيرهُ الدين مُذْ رأوه تَفَرَّجْ
فَأَقَامُوا لِوَاءَهُ لِبَنِيهِ فَهُوَ مِنْ طَيْبِ نَشْرِهِمْ يَتَأَرَّجْ
بَلَّغُوا دِينَنَا الْحَنِيفِيَّ أُرْخْ : (منتدى النُّشْرِ جَاءَ لِلْحَقِّ مَنْهَجٌ)^(٤)
(١٣٥٤)

وبمساعدة ما يوحيه إسم الجمعية كمؤسسة للنشر ، وباستثمار

(١) الأصفى : مدرسة النجف وتطوّر الحركة الإصلاحية فيها ، ١١٤ - ١١٥ .

(٢) الخاقاني : شعراء الغري ، أو النجفيات ، ٥٢٣/١١ .

(٣) نفسه ، ٤٥٤/٨ .

(٤) وردت هذه الأبيات في : -

الخاقاني : م . س ، ٩٠/٨ .

و محبوبة : ماضي النجف وحاضرها ، ٣٩٨/٣ .

صدور الكتب المعادية للنجف « تمكن القائمون بالنهضة أن يُشركوا معهم أشهر رجالات النجف وعلمائها ومفكرها ، حتى انتخبوا هيئة عاملة تتألف من سبعة أشخاص ، وهيئة عليا من ثلاثة مجتهدين . وباقتراح هذه الهيئة العليا ، نهض العلامة الأكبر المرحوم الشيخ محمد جواد البلاغي لتأليف تفسير مختصر للقرآن العظيم ليكون باكورة الأعمال أسماه (آلاء الرحمن) وعاجلته المنية قبل إكماله ، وخرج منه جزءان . وطبعاً ، فكان هذا كل نتيجة هذه الحركة »^(١) .

ويبدو أن القائمين بشؤون الجمعية ، قد استشعروا بقوة ما ، خاصة بعد تأييد مجموعة من رجال العلم في النجف لحركتهم فقاموا « بحركة الكلية » كما تسمى - عصرئذ - ، وحركة الكلية هذه تدعو إلى تنظيم الدراسة الحوزوية بمراحلها الأولى وصولاً إلى تهيئة الطالب لمرحلة الإجتهد ، حيث لا يطال الإصلاح شأن الدراسة في هذه المرحلة . مع إدخال بعض العلوم العصرية ، وإدخال تعلّم بعض اللغات الأجنبية إلى المنهاج الدراسي ، وحقبة الداعين لهذه الكلية : « إن المرحلة التي تحتاج إلى التعليم المنظم هي المرحلة الأولى فحسب ، لاحتياج الطالب فيها إلى تضخيم الشعور بالمسؤولية ، وتوفير الوقت له بتقصير المسافة الدراسية عليه بالأخذ بقسم من المناهج الحديثة في تيسير الكتاب وتبسيط مفاهيمه وتصويره ، ثم إضافة علوم أخرى إلى العلوم السائدة في هذه المرحلة اقتضتها طبيعة ما جدّ من تطورات في هذه العصور وبالأخص ما يتصل بالجوانب (العقديّة)^(٢) . ليكون الطالب الذي يجتاز مرحلته الأولى بمستوى رسالته الخالدة التي يراد له تأديتها كاملة سواء انتقل إلى

(١) الأصفى : مدرسة النجف ، ١١٥ ، (نقلاً عن) : مخطوطات المظفر .
(٢) في الأصل (العقائدية) .

المرحلة الثانية أو وقف عند حدود المرحلة الأولى» (١) .

ونتساءل بعد هذا : كيف واجه النجفيون مشروع (الكلية) والدعوة إلى تنظيم الدراسة بصفوف ، وامتحانات ، وشهادات تخرج ؟ وما هو مآل الفكرة يا ترى ؟ يجيب الشيخ المظفر فيقول :

إن فكرة (الكلية) « هزت النوادي النجفية هزة عنيفة اشترك فيها الكبير والصغير والعالم والجاهل ، وقد بلغ الموقعون على ورقة شروط العمل المائتين ، وهم رجال العلم بالنجف وأهل الكلمة فيه ، ولكن يظهر أن في هذه الكثرة في ابتداء العمل وقبل انتظامه ما ساعد على توقف الحركة ، فلم تصمد أمام العاصفة الهوجاء» (٢) .

ولكن بماذا يخرج الشيخ المظفر من ملاحظات نضعها أمام هذا الجيل ، والجيل القادم ليطلع أولاً على تجارب الماضيين ، وليستفد منها ، ويعتبر في ما يقوم من أعمال البرّ والإحسان . يقول الشيخ المظفر :-

« . . . وقد أعطتنا التجارب أن الأعمال الكبيرة يجب لإنجاحها أن تقوم بها جماعة محدودة تدير دفة العمل بتعاقد وتكاتف وتضحية على عكس ما هو مشهور لأن الشعور بالمسؤولية . وهذه نظرية اجتماعية نستطيع أن نلخصها بقولنا : إن عدد الجماعة يتناسب تناسباً عكسياً مع الشعور بالمسؤولية في الفرد» (٣) .

يضيف الشيخ المظفر ، وهو بصدد وضع اليد على أسباب فشل (حركة الكلية) . فيرى إضافة لما سبق « أن الدعوة كانت لعمل كبير جداً ليس من السهل تحقيقه مرة واحدة ، مهما كان القائمون به ، والتدرج سنة

(١) الحكيم : المنتدى : تاريخ وتطور ، س/٣ ، ع/٢ ، ذي الحجة ١٣٨٧هـ/ آذار ١٩٦٨ م .

(٢) و(٣) الأصفى : م . س ، ١١٥ .

لله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً» (١) .

ملكه ينجح مثل هذا العمل ويؤتي ثماره ، يرى الشيخ المظفر :
« من الضروري أن بدأ صغيراً ، وينمو سرور الزمن إذا تعهد من
رجال مخلصين ، من الأحماد المتواصل ، ولو تحققت يومئذ هذه
الفكرة لتغير مجرى تاريخ النجف إلى غير ما نشاهد اليوم ، ولكانت
علاني العام سابقة دون ما طرحت لسحب» (٢) .

وفي ما يرى الشيخ المظفر ذلك ، فإن مؤرخاً نجفياً عاصم الشيخ
المظفر ، وشارك في المؤتمر من العلماء الإصلاحية يرى : أن الشيخ
المظفر الذي أصبح في مدينته نجفياً تجمعية ، وتحديداً في
(١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م) . لم تحقق صدوره لإصلاحي لسببين :

- ١- وجود المنافقين والبلدء من الرجعيين ، الذين يشق عليهم ظهور
فئة تحتل مكانة مرموقة في المجتمع .
- ٢- عدم وجود النفر الحريء الذي سانه مساندة حقة .

ورغم ما واجهه مشروع منتدى النشر لفتح (كلية دينية) ، ورغم قوة
الرأي العام النجفي الرافض لمشروع كهذا ، فإن الشيخ المظفر استمر
يرسم البناء الذي أشاده والذي حاول الهذامون غير مرة القضاء عليه بصبر
وجلد ، مع ضيق في العيش ، وفقدان للضمان» (٣) . ففي الرابع من
شوال عام ١٣٥٣هـ / المصادف ١٠ / كانون الثاني ١٩٣٥م ، استجابت
وزارة الداخلية العراقية لطلب من بعض طلبة العلوم الدينية لتأسيس
جمعية دينية بالنجف الأشرف باسم منتدى النشر (٤) .

(١) - (٣) : الاصفى : مدرسة النجف ، ١١٥ - ١١٦ ، نقلاً عن مخطوطات منتدى

(٣) : الخاقاني : شعراء الغري ، أو النجفيات ، ٤٥٤ / ٨ .

(٥) : انظر : الاصفى : مدرسة النجف ، ١٢٦ . (نقلاً عن) : نظام منتدى النشر .

ويبدو أن (جمعية منتدى النشر) بعد حصولها على الترخيص الرسمي ، قد أجلت مشروع الكلية ، لتتجه وجهة أخرى ، ولمعالجة قضية أخرى هي غير قضية إصلاح النظام الدراسي ، وإن كانت ترتبط به بنحو من الأنحاء . تلك القضية هي المدارس الحديثة التي يدخلها الطالب وهو ابن خمس ويخرج منها بعد أن يكون قد بلغ من العمر م يقارب العشرين . وطوال تلك المدة يتلقى علومه وفق مناهج أملتها يد الغرب ، مناهج مصاغة بروح العداة للدين ، والخروج على القيم الأخلاقية ، والمثل الإنسانية التي فرضتها التعاليم الدينية . ولم يكن لدينا سرى الدراسة التي امتهنتها بعض الكتابيب بأساليب بالية لكأننا في القرون الوسطى .

وأمام هذا الواقع اختار البعض خطأً إصلاحياً سلبياً ، يتمثل في مقاطعة تلك المدارس أو تحريم الإنتماء إليها . وإعلان الرفض أمامها دون تقديم البديل الذي يمكن أن يلبي بخطه المستقيم ما تلبّيه تلك المدارس من طموحات ، أو قل : حاجات أساسية كالتعليم .

بيد أن خيار الإصلاح السلبي يشبه إلى حد ما الوقوف بوجه تيار الماء الجارف عندما ينحرف عن خطه الصحيح ، فمع الافتراض بقدرة من يعاكس التيار على الصمود في وجهه من خلال الرفض ، فإن غير المتوقع أن يقوى على موقفه الراض فترة غير قصيرة ، إذ لا يمر وقت طويل حتى تتداعى قواه ويضعف ثم ينهار بعد نفاذ ما يخترنه من طاقة في مواجهة تيار جارف . . !

وفي موازاة أصحاب الخط الإصلاحى السلبى ، برز علماء دين في النجف الأشرف وفي البلاد التي تتصل بالنجف فكراً ، « يدعون إلى تهية الأجواء لمواكبة الأوضاع الإجتماعية وتخطيط الحياة الإجتماعية بالشكل الذي يملأ على المستعمر أي فراغ من الفراغات الهائلة التي

نعانيها في حياتنا الحاضرة»^(١) .

من هنا فقد شَهِدْنَا في تلك الفترة عدة تجارب في مجال تأسيس مدارس ابتدائية ومتوسطة وثانوية تلتزم بمناهج التربية . وتجاري مدارس الدولة إنْ بالشكل أو المضمون ، في ذات الوقت الذي يضاف إلى مناهج التربية مناهج إسلامية ومحافظة على قدر من التوجيه الإسلامي . وقد شهدت مثل تلك التجربة - بتأثير النجف - بلاد كلبان وسوريا ، وإيران .

ففي لبنان قام السيد/عبد الحسين شرف الدين^(٢) ، بإنشاء (المدرسة الجعفرية) في مدينة صور ، وفتحت أبواب المدرسة للتعليم المجاني سنة ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م^(٣) . ومن ثم تطوّر المشروع برعاية السيد/شرف الدين ، وبمساندة مالية من رجال الأعمال حتى أثمر :

أ - الإعدادية الجعفرية للبنين :

إبتدائية ، خارجية ، مجانية .

ب - الإعدادية الجعفرية للبنات :

إبتدائية ، خارجية ، مجانية .

ج - الكلية الجعفرية :

إبتدائية : خارجية ، داخلية .

(١) الأصفى : مدرسة النجف ، ١٠٣ .

(٢) العلامة المصلح السيد عبد الحسين شرف الدين ، وُلِدَ في مدينة (الكاظمية) ، ببغداد سنة ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م . تلقى علومه الدينية في النجف ، من مؤلفاته : المراجعات ، مسائل فقهية ، أبو هريرة شيخ المضيرة ، النص والإجتهد . توفي في بيروت ودُفِنَ في النجف سنة ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م . نعته جمعية منتدى النشر ، ومما جاء في النعي :

- تنعى (.....) الذي كان وحده جيشاً مرابطاً في ثغور الإسلام .

(٣) قبسي : حياة الإمام شرف الدين في سطور ، ٨٨ .

ثانوية : خارجية ، داخلية .

د - روضة الأطفال :

تربوية : للبنين والبنات^(١) .

ولولا خشية الاستطراد لتحديثنا عن مشروع (الكلية الشرعية) ليكون شبيهاً بكلية الفقه في النجف ، لكنه أوقف العمل به ليقوم بدلاً عنه معهد (الكلية الجعفرية) . وتلك من التجارب الإصلاحية الإسلامية الرائدة في لبنان والتي نتمنى أن يُعهد إلى أصحاب التخصص دراستها ، حتى تتمكن من تصحيح خطواتنا في يومنا الحاضر والمستقبل على ضوء من تجارب الماضي .

وفي سوريا تعهد الدعوة الإصلاحية السيد محسن الأمين^(٢) الذي ما إن غادر النجف إلى دمشق حتى كان مما رآه من أمور بحاجة إلى إصلاح - كما يعبر هو نفسه - « الأمية والجهل المطبق ، فقد وجدنا معظم الأطفال يتقون أميين بدون تعليم وبعضهم يتعلمون القراءة والكتابة في بعض الكتابيب على الطراز القديم »^(٣) فبدأ هو شخصياً بتعليم الأطفال ومن ثم أنشأ (المدرسة العلوية) بعد أخذ أراء عارياً أقم فيها تلك المدرسة^(٤) . واستمرت تلك المدارس وتطوّرت بفضل ما أوقف لها من محلات ودكاكين ، وهي اليوم تعرف باسم (المدرسة المحسنيّة) وهي مخصّصة

(١) قيسي : حياة الإمام شرف الدين في سطور ، ٨٨ . (نقلاً عن) : البيان السنوي للكلية الجعفرية سنة (١٣٧٨هـ/١٩٥٨م) . ص ٢٧ .

(٢) السيد محسن الأمين : وُلِد في قرية شقراء بجبل عامل سنة (١٢٨٤هـ/١٨٦٧م) ، وتوفي سنة (١٣٧١هـ/١٩٥٢م) ، ودُفِن بجوار مرقد زينب بنت علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، من مؤلفاته : موسوعة أعيان الشيعة ، (١٢ مجلّد) .

(٣) الإمام السيد محسن الأمين ، سيرته بقلمه وأقلام آخرين ، ١٠٧ .

(٤) نفسه .

للبنين و(المدرسة العلوية) للبنات ، واعترافاً بفضل مدارس السيد محسن الأمين ، يقول أحد أدياء سوريا (عباس حامض الطحّان) : « لو لم تكن المدرسة المحسنية لكنت طحّاناً رذيلاً »^(١) .

« وفي إيران تبنيّ الفكرة الشيخ عباس عليّ الإسلامي^(٢) ، ففتح المدارس الإسلامية وقد لاقت هذه المدارس إقبالاً منقطع النظير من قبل الناس ، وانتشرت في المدن والقرى بصورة واسعة »^(٣) .

أما في النجف (مصدر الفكرة) ، فقد تمثل جهد (جمعية متدى النشر) في موضوع الإصلاح الإيجابي ، بمحاولة تأسيس المدارس على اختلاف مراحلها ، وكان في المادة الرابعة من نظام (الجمعية) ما يسمح بذلك ، إذ تنص على أن « مقاصد المتدى تعميم الثقافة الإسلامية والعلمية والإصلاح الإجتماعي بواسطة النشر والتأليف والتعليم وغير ذلك من الطرق المشروعة »^(٤) .

يتابع الشيخ الأصفي مرحلة التأسيس وتطورها معتمداً في بعض معلوماته على مخطوطات الشيخ المظفر (عميد الجمعية) ، فيقول :^(٥)

« وفي سنة (١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م) . تأسس صف لدراسة العلوم العربية والمنطق والفقه والأدب العربي وبعض الفروع الأخرى ، واستمر إلى آخر السنة وكان نجاحه مشجعاً لأن يفتح في السنة الدراسية (١٣٥٧هـ - ١٣٥٨هـ / ١٩٣٨ - ١٩٣٩م) . ثلاثة صفوف وقد نجح هذا المشروع في تلك السنة وبلغ طلابه (١٥٠) طالباً ، وحصل في خلال

(١) الأمين ، حسن : حديث شخصي ، في بيروت : ٢٧ شوال

(٢) ١٤١٠هـ / ١٢ / ٥ / ١٩٩٠م .

(٣) لم أفلح في العثور على ترجمته ..

(٤) الأصفي : مدرسة النجف ، ١٠٤ .

(٥) نفسه ، نقلاً عن : نظام جمعية متدى النشر ، ١٣٧٠هـ ، ص ٢٣ .

الأصفي : م . س ، ١٠٦ - ١٠٨ .

السنة اعتراف من زارة المعارف العراقية وهو أول اعتراف تعطيه الوزارة لمدرسة دينية ، واعتبر هذا من بشائر النجاح للمشروع ، غير أن وزارة المعارف بعد خمسة أشهر من الاعتراف عدلت فألغت اعترافها (فأحدث هذا الإلغاء رجّة عنيفة في الأوساط الدينية في النجف ، وكاد أن يقضي هذا الإلغاء على مشروع الدراسة لولا أنهم حصلوا على الاعتراف ثانياً بعد سنة .

وقد تمّ له - للشيخ المظفر - في سنة (١٣٦٤هـ / ١٩٤٤م) بقوة الاستمرار أن يفتح أربعة صفوف باعتبارها قسماً متوسطاً للعلوم الدينية مع صف تحضيري قبلها. وفي سنة ١٣٥٧ / ١٩٣٨ م . حاول برغبة جماعة من أعيان مدينة البصرة ، أن يفتح فرعاً له هناك وفشلت المحاولة لأسباب محلية .

وفي سنة (١٣٦١ / ١٩٤٢م) . قدّم جماعة من وجوه مدينة الكاظمية ببغداد طلباً بفتح مدرسة ابتدائية دينية باسم مدرسة (متدى النشر) ، واستصدرت من وزارة المعارف إجازة فتح مدرسة ، وقد نجح هذا الفرع نجاحاً باهراً ، ولهذا الفرع قسمان : نهاري ومسائي ، وكل منهما في ستة صفوف .

وفي سنة (١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م) . قدّم جماعة من وجوه مدينة الحلة ، وبعض علماء الدين فيها طلباً بتأسيس فرع لمدرسة عالية للعلوم الدينية في بلدة الحلة ، فسعت الجمعية في تحقيق هذه الفكرة ، غير أن معارضة محلية غير منتظرة شوشت على القائمين بالعمل .

وفي سنة (١٣٦٣هـ / ١٩٤٤م) . نشأت فكرة تأسيس مدرسة ابتدائية دينية بالنجف لتزود المدرسة المتوسطة بمتخرجيها ، وأنشئت فعلاً ، ولا تزال هذه المدرسة حتى اليوم . بيد أن الدولة وضعت اليد عليها عند تأميم التعليم الأهلي عام (١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م) .

وقد أُلغيت المتوسطة فترة من الزمن ثم تجدد فتحها .

وقد عملت منتدى النشر على تقديم اقتراح لوزارة المعارف لفتح إعدادية إسلامية تعدّ الطالب للدراسات الإسلامية ، والعلوم العربية ، وقامت بتأسيس هذا الفرع في بنائها الخاصة واعترفت بها وزارة التربية والتعليم،، وبأشرت مهمة التعليم في الفرع ابتداءً من سنة (١٣٨٣هـ/١٩٦٣م) .

وهكذا يصبح لمنتدى النشر مدارس أربع : ابتدائية ، ومتوسطة ، وثانوية ، وكلية يهيء السابق منها الطالب للمدرسة التي تليها .

وقد تخرّج من مدارس منتدى النشر نخبة من رجال الفكر ، كان للمنتدى الأثر الواضح في صقل شخصياتهم وبناء معلوماتهم وأفكارهم ، ومن هؤلاء السيد/محمد حسين فضل الله والسيد حسن شبر ، والدكتور محمد كاظم مكي .

بقي أن نلفت النظر إلى تحقّق طموح (جمعية منتدى النشر) بإنشاء كلية للشريعة ، سُميت (كلية الفقه) ، وذلك سنة ٧٧ - ١٣٧٨هـ / ٥٧ - ١٩٥٨م . لأهمية خطوة (كلية الفقه) في مجال الإصلاح داخل الحوزة العلمية في النجف ، فقد عقدنا لدراستها الفصل اللاحق .

* * *

٢ - نهضة الشيخ كاشف الغطاء (١) :

لعلّ ما يميز النهضة الإصلاحية التي قام بها الإمام المصلح الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ، عن بقية الدعوات الإصلاحية- خاصة تلك التي سبقتها- أنها صادرة من مجتهدٍ مقلّد . يعرف الجميع نزاهته من جهة ، وحرصه على استمرار الحوزة العلمية في النجف وتطويرها من جهة أخرى .

من هنا فإن ما يمكن أن نطلق عليه « نهضة الشيخ كاشف الغطاء »

التي تمثلت في مدرسة أقيمت سنة (١٣٤٩هـ/١٩٣١م) حتى من التقليديين أنفسهم ، بملاحظة ما تقدم من وصف يرتبط بشخصية الشيخ (رحمه الله) . ولندون البنود الإصلاحية كما أوردها الشيخ/علي الزين (٢) :-

١- وضع منهاج عام للدروس والكتب التي يفترض درسها وتعلّمها في المدرسة .

٢- تقسيم التعليم بها إلى أولي : يلقن به علوم المقدمات والمبادئ .

وثانوي : يكمل به اللازم من علوم المقدمات مع قسم من دروس العلوم التي يراد التخصص بها . وإلى عالي : للإختصاص بالمطلوب .

مع تحديد الوقت لكل قسم ، ولكل علم ، ولكل مدرس بتحديد ما لكل قسم وعلم من السنين ، وما درس من الساعات في اليوم ، والأسبوع والشهر .

(١) أنظر ترجمته ص (١٣٠) من هذه الرسالة .

(٢) الزين : بواذر الإصلاح في جامعة النجف ، أو نهضة كاشف الغطاء ، مجلة العرفان (صيدا) ، مج/٢٩ ، ج/٢ . ١٣٤٨هـ/١٩٣٩م .

٣- اختيار الأساتذة الأكفاء ، وتعيين كل منهم لتدريس العلم الذي يمتاز به ، والكتاب - من الكتب المقررة للدرس - الذي يقوى على شرح غوامضة ، ويحسن تقريب مسائله إلى ذهن الطالب .

٤- إعداد لجان فاحصة لامتحان الطالب عند كل مناسبة ، وفي رأس كل سنة .

٥- تبديل الكتب الدراسية أو تعديلها بتصحيح الأخطاء أو حذف الزوائد - وإتمام النواقص - وتوضيح المغلق ، وتقويم المعوج ، وترتيب المشوش ، ثم تقسيمها على حسب عقلية التلامذة ، وعلى حسب مراتبهم العلمية ، لتتضح بذلك السبل أمام الطالب ، وتقرب النتائج ويتوفر عليه من الوقت والنفقة ما يزيد في نشاطه وطموحه إلى أن يتثقف ثقافة عالية تيسر له بعد الإختصاص بما يختص به من علوم الدين إن يتذوق الحياة ، ويتذوق الدين بدون مشقة .

٦- وضع بيان ضافٍ في رأس كل سنة مدرسية للداخل على صندوق المدرسة من الواردات والأموال مع تفصيل مصادرها وطرق استيرادها بوضوح يليه بيان للخارج من النفقات وطرق إنفاقها والتصرف بها .

٧- إنشاء إدارة خاصة للأوقاف الخيرية العامة في العراق وغيرها من الأمصار الشيعية^(١) واحتكار ريعها للجامعة وفروعها .

٨- الاقتصاد على الطلاب الممتازين بحسن سلوكهم ، وسمو فطرتهم ، واحترامهم بواجبهم^(٢) العلمي والثقافي من بحث ودرس

(١) إنما حَصَرَ الشيخ كاشف الغطاء الأوقاف في حدود الأمصار الشيعية ، لا من باب النظرة الطائفية الضيقة وإنما لأن الأوقاف لدى غير الشيعة هي بيد الدولة . بينما لا شأن للدولة ولا سلطة لها على كافة الأوقاف الشيعية في كل بلد ! .

(٢) لا أدري لماذا دخلت الباء هنا على كلمة (واجبهم) ، مع أن السليقة ترى اللام بدلاً عنها .

وتمحيص وتدوين ليكونوا نموذجاً يُحتذىً وعنواناً صالحاً للتطور في التدريس، يجعل للمدرسة سيرتها الحسنة بين الناس ، وأثرها الطيب في الأوساط العلمية والإسلامية .

٩- فتح ناد للمطالعة واختيار كتب خاصة من كل علم ، وكل فن ، ثم افرازها للدرس والمطالعة على حسب درجات الطالب .

١٠- تأسيس ندوة للخطابات والمحاضرات العلمية والأدبية في كل أسبوع ، أو في كل شهر ، يتبارى بها الأساتذة والطلاب (اللامعون)^(١) في المدرسة ويُدعى لها قادة الفكر من العلماء والأدباء (والفلاسفة) الذين يؤمنون العراق والنجف ، لما في ذلك من التنوير للأفكار ، والإشراف بها على مختلف المناحي العلمية والأدبية ، ومن شحذ الهمم لممارسة كل طريف في العلوم والآداب .

١١- إنشاء مجلة لتحرير الأفكار العلمية والدينية وتعميم ما يقره منطق العلم والدين والحياة الحرّة ، ويفرض الإخلاص والتجرّد لمحض الحق والخير والمثل الإسلامية .

١٢- أن تُتبادل الزيارات والبعثات العلمية بين مدرستي النجف والأزهر تمهيداً لتوحيد مناهج التعليم وأساليب التدريس في كلا المدرستين ، وتأليفاً بين الأذواق والأفكار والإتجاهات من كلتا الطائفتين .

١٣- تعديل مناهج التعليم القديم بادخال بعض الدروس والعلوم التي يضطر الطالب إلى الإلمام بمسائلها وقواعدها العامة ، لتحرير جانب من فروع الفقه ، وقضايا الدين ، والتي هي ضرورية لكل من يريد أن يتثقف بثقافة عالية : كعلم النفس ، والاجتماع ، والأخلاق بأصوله ، والحساب وعلم الجغرافيا والتاريخ ، بما فيه الأديان والمذاهب ، وتاريخ

(١) في الأصل وردت (اللامعين) ، ويبدو أن الأقرب للصواب هو حالة الرفع ، لأن اللامعين صفة للطلاب ، التي جاءت مرفوعة ، والصفة تتبع المصوف إعراباً .

الإسلام ، وتاريخ أدب اللغة العربية .

ولقد عمل الشيخ كاشف الغطاء على تنفيذ تلك البنود من خلال مدرسة حملت اسمه ، إذ تمَّ « تأهيلها بكل ما تسمح به ظروف النجف ، وظروفه الخاصة ، وتبرع لها بمكتبته الكبرى والتي تشتمل على أندر المخطوطات ، وأنفس الكتب العلمية والأدبية^(١) .

ولم تستعفني المصادر التي أمكنني الوصول إليها بمآل تلك المدرسة ، كل ما أتذكره أحاديث شفوية كنا نسمعها في النجف قبل (٢٠) سنة عن وجود مدرسة مهملة باسم كاشف الغطاء ، لا تزال الدولة تعترف بطلّابها ، وتشمل المسجّلين فيها بالإعفاء من التجنيد الإجباري ، ويبدو أن للمدرسة من الطّلاب عدداً كبيراً على السجلات فقط^(٢) .

* * *

(١) الزين : بوادر الإصلاح في جامعة النجف ، أو نهضة كاشف الغطاء ، مجلة العرفان (صيدا) ، مج ٢٩ / ج ٢ / ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩ م .
(٢) حتى أستوضح أمر المدرسة ، كاتبّت سماحة العلامة الشيخ علي كاشف الغطاء في النجف ، فلم يجبني بشيء عن المدرسة ، بل لم يصل إلي شيء عن المدرسة رغم أنه أجنبي - متفضلاً - وأرسل بالبريد مجموعة من كتبه منها :
١- بين جامعة الإمام كاشف الغطاء في النجف ومجمع البحوث الإسلامية في القاهرة .

٢- أدوار علم الفقه وأطواره .

٣- باب مدينة علم الفقه .

وحين نما إلى علمي وجود طالب بكلية الآداب بالجامعة اللبنانية ، بصدد مناقشة رسالة (دبلوم) عن الشيخ كاشف الغطاء قصدتُ منزله ، لسوء الحظ فقد هاجر إلى السويد ، ولم يوافق من بعهدته الرسالة على إطلاعي عليها بحجّة أنه لم يُحوّل بذلك !.. !

الحركة الإصلاحية في مرحلتها الثالثة

١٢٦٥ - ١٣٨٨ هـ

١٩٤٥ - ١٩٦٨ م .

هناك عاملان فرضا تحديد المرحلة الثالثة من الحركة الإصلاحية بالتواريخ أعلاه :

العامل الأول : هو وفاة المرجع الديني السيد أبي الحسن الأصفهاني سنة (١٣٦٥ هـ / ١٩٤٥ م) ، وتولّى الإمام السيد محسن الحكيم الزعامة الدينية للمسلمين الشيعة في العالم . وما يعنيه ذلك من حدوث تغيير وتأثير على الحركة الإصلاحية في الجف - إيجاباً ، إذ يمكن أن نتخذ من وجود السيد يوسف نجل السيد الحكيم ، ضمن مؤسسي (جمعية منتدى النشر) دليلاً على مباركة السيد الحكيم (المرجع) لما يدعو إليه رجال الإصلاح ، بخلاف نظرة السيد أبي الحسن الذي يُنسب إليه - وقد طُلب إليه تنظيم منهج الدراسة الدينية في النجف - « العلم إذا تبعثر إنتظم ، وإذا إنتظم تبعثر »^(١) . وبذلك حددنا ابتداء المرحلة الثالثة لحركة الإصلاح .

(١) الخاقاني : شعراء الغري ، ٤٥٩/١٢ .

العامل الثاني : قيام ثورة (١٩٦٨م / ١٣٨٨هـ)، في العراق ضد حكومة عبد الرحمن عارف ، حيث كان للدولة في ما سبق هذا التاريخ عدة محاولات للسيطرة ، أو النفاذ للحوزة ، إلا أنها لم تكن من الحدة والإصرار بالدرجة التي شهدناها بعد قيام تلك الثورة . مما يمكن أن يكون حداً فاصلاً بين مرحلتين مختلفتين في التعامل الرسمي مع الحوزة العلمية في النجف .

وبذلك أمكننا وضع سنة (١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م) كنهاية لمرحلة ، وبداية مرحلة أخرى .

سمات هذه المرحلة :

لعل الحركة الإصلاحية في مرحلتها هذه بلغت درجة من النضج لم تكن لتبلغها من قبل . بل وشهدنا في سنوات هذه الفترة قيام أحزاب إسلامية في العراق : سنّة كحزب الإخوان المسلمون ، وحزب التحرير . أو شيعية كحركة الشباب المسلم ، وحزب الدعوة الإسلامية^(١) ، وما لقيام

(١) حتى تكون الصورة واضحة في أذهاننا فإننا ندوّن هنا لمحة سريعة عن الأحزاب الإسلامية التي ظهرت في العراق خلال فترة هذه المرحلة : -
أ- الإخوان المسلمون :

بدأت الحركة نشاطها في العراق سنة (١٣٨٦هـ / ١٩٤٨م) . وقد تألفت الهيئة التأسيسية من كل من : ١- تحسين عبد القادر الفخري ٢- الشيخ محمد محمود الصوّاف . ٣- علي فاطن ٤- عبد الرحمن الشخلي ٥- منيب السدروي ٦- عبد الغني شندالة ٧- محمد فرج السامرائي ، في ما كان الشيخ أمجد الزهاوي يمثل الظل العالمي للحركة .

أصدر الإخوان المسلمون جريدة (الحساب) عام (١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م) . وكانت الصحيفة الإسلامية الوحيدة الواسعة الانتشار في تلك الفترة ، بالإضافة للكلمات الحماسية والقصائد ، تمثيلية إسلامية هادفة .

ب- حركة الشباب المسلم :

أسست الحركة سنة (١٣٨٠هـ / ١٩٥٠م) . في النجف الأشرف ، وامتد تحركها إلى مدينة كربلاء (وهي أول تظاهرة إسلامية في تلك الفترة) إذ اعتاد الناس =

.....
= على تظاهرات وتحركات الشيوعيين فحسب .
وقد تعرضت حركة الشباب المسلم لمضايقات القوميين سنة (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م) . الذين شنوا هجومهم على مؤسس الحركة « الذي طلب إليّ عدم ذكر اسمه في هذا البحث » ومنعوه من المجيء إلى كربلاء . ولهذا السبب وأسباب أخرى إنحصر نشاط الحركة وانفرط عقدها ، حيث شهد عام (١٣٧٤هـ/١٩٥٤م) إنحلالها بعد أن ترك أكثر أعضائها العمل السياسي الإسلامي .

ج- حزب التحرير :

أسس هذا الحزب في العراق ، إمتداداً للحزب الذي تأسس في القدس الشريف عام (١٣٧٢هـ/١٩٥٢م) . برئاسة تقي الدين النبهان ، وكان الطلبة الأردنيون والفلسطينيون هم الذين شكّلوا فرع الحزب في العراق . من أوائل عناصره البارزة في العراق : الشهيد الشيخ عبد العزيز البدري ، صالح سرية ، عبد الغني الملاح ، أبو علي حسين الدبوني . إبراهيم مكي إبراهيم ، محمد الكوّاز ، طالب السامرائي ، عبد الغني الشمري ، نزار النائب .

د- الحزب الجعفري :

تشكل هذا الحزب عام (١٣٧٢هـ/١٩٥٢م) . في النجف الأشرف ، وكانت هيأته التأسيسية مؤلفة من الشهيد عبد الصاحب دخيل ، وصادق القاموسي ، وحسن شبر . ولم توضع تسميته بالجعفري ، إلا بعد مضايقات كثيرة وإتهامات مختلفة واجهها المؤسسون . ورغم ذلك فلم ينجوا الحزب من ضغوط شديدة في النجف الأشرف ، حيث اضطر المؤسسون لإيقاف نشاطه وتجميده ، إذ انعكس ذلك على تحرك الحزب ، فأخذ في الضعف حتى أصبح بحكم المنحل .

هـ- حزب الدعوة الإسلامية :

أسس هذا الحزب عام (١٣٧٧هـ/١٩٥٧م) . وقد ضمت الهيئة المؤسّسة عدداً من علماء الدين البارزين والشخصيات الحركية في النجف ، منهم السيد/محمد باقر الصدر ، الذي وضع الأسس الفكرية للحزب .
تميزت إنطلاقة هذا الحزب بالقوة والفاعلية ، وخاض ميدان التغيير ضد الأفكار الشيوعية والعمانية بشكل عام .

أنظر : شبر : العمل الحزبي في العراق (١٩٠٨ - ١٩٥٨م) ، ٢٥٢ - ٢٥٦ .

مثل تلك الأحزاب من صلة بالحوزة العلمية في النجف ورجالها إضاهه إلى قيام تجمعات عالمية من رجال العلم في النجف كرد على تنامي وامتداد الأحزاب العلمانية في العراق ، وما يرافق مثل هذا الإمتداد من فكر إلحاديّ ، وتيارات منحرفة عن الحكم الإسلامي ، تفرض وجودها في ذهن الفرد ، وفي فراغات جسم الأمة .

وكان من نتيجة ذلك صدور مجلات نجفية ، إسلامية ، كمجلة (الأضواء)^(١) التي قدّمت الإسلام كبديل لكل الطروحات القومية والشيعوية والإقليمية والرأسمالية ، «وأن الطروحات الجديدة التي تقدمها هذه الفئات لحل مشكلة الحياة والإنسان ليست علاجاً سحرياً يمكن أن يدخل الناس إلى الجنة الموعودة في الدنيا ، بل هناك المفهوم الإسلامي الذي يحقق للإنسان التوازن في الحلول الواقعية للمشاكل المطروحة في الساحة»^(٢) .

وبعد هذا فإن هذه المرحلة من عمر الحوزة العلمية بالنجف تمتاز بأمر مهم ، وهو قيام الحكم الجمهوري في العراق عام (١٣٧٨هـ/١٩٥٨) . ومحاولة هذا الحكم إستقطاب بعض رجال الحوزة عن طريق ما سمّي بـ(دورة رجال الدين) ومن ثم إصدار قانون الأحوال الشخصية رقم (١٨٨) لسنة (١٣٧٩هـ/١٩٥٩م) . الذي أورد المشرعون له - حينذاك - أسباباً موجبة لتشريعه ومنها أنه :

« قد وُجد أن في تعدّد مصادر القضاء ، واختلاف الأحكام ما يجعل حياة العائلة غير مستقرة وحقوق الفرد غير مضمونة فكان هذا دافعاً للتفكير

(١) في مراسلة بين السيد/محمد باقر الصدر والسيد محمد باقر الحكيم . جاء في بعض فقراتها « أن نور الأضواء نفذ حتى إلى القرى التي استطاعت أن تصل إليها في لبنان » .

أنظر : القبانجي : الجهاد السياسي للإمام الصدر ، ١٨ .

(٢) فضل الله : تقديم لكراس بعنوان (رسالتنا) ،

بوضع قانون يجمع فيه أهم الأحكام الشرعية المتفق عليها^(١) .
وهكذا ومما تقدم يمكن أن نلخص سمات هذه المرحلة بالنقاط التالية :

١- ظهور أحزاب إسلامية بموازاة إمتداد وتنامي الأفكار والأحزاب العلمانية والقومية والإلحادية .

٢- ظهور بعض التجمعات العالمية ، وإصدار بعضها مجلات تطرح الإسلامي الحركي - إذا جاز التعبير - .

٣- القضاء على الحكم الملكي في العراق ، وقيام حكم جمهوري ، وذلك سنة (١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م) .

٤- صدور قانون الأحوال الشخصية المجاني لما ينص عليه القانون الأساسي للعراق من أن دين الدولة هو الإسلام .

٥- إنشاء العديد من الصروح العلمية في النجف ككلية الفقه ، وجامعة النجف الدينية ، ومدرسة النجف الدينية وغيرها .

ولمّا كان خطّ هذا البحث هو تربوي تعليمي ، فسنحاول الوقوف عند المحاولات الإصلاحية المرتبطة بذلك الجانب ، حيث يمكن أن نُخضع للعرض والدراسة المحاولات الإصلاحية التالية : -

أ - مدرسة الجزائري (مدرسة النجف الدينية) .

ب - جامعة النجف الدينية .

ج - مدرسة العلوم الإسلامية .

ولا يعني الإقتصار على عرض هذه المؤسسات ودراساتها أنها الوحيدة التي ظهرت في تلك الفترة ، إذ ظهرت - آنذاك - كلية الفقه ،

(١) قانون الأحوال الشخصية ، ٢ .

التي وعدنا بتخصيص الفصل اللاحق لدراستها ، كونها تميزت عن تلك المحاولات الإصلاحية بأنها ارتبطت بالدولة بعد إعتراف الدولة بها ، ومعادلة شهادة خريجيها ، بشهادة خريجي كليات العلوم الإنسانية في العراق .

أما بقية المدارس الدينية الإصلاحية التي ظهرت في هذه الفترة ، فإنها ظلّت محصورة في نطاق الحوزة تأسيساً ، ومناهج ، وإدارة . . .

أ - مدرسة الجزائري^(١) (مدرسة النجف الدينية)

يبدو أن الإحتكاك بالرأي الآخر وبالثقافة المتجدّدة المتنوعة ، من أهمّ العوامل المساعدة على تولد الفكر الإصلاحي ، إضافة إلى المعاناة التي يستشعرها المصلح بنفسه ، أو من خلال إحساسه بمعاناة غيره .

(١) المقصود بالجزائري هنا ، هو سماحة الشيخ عز الدين نجل المجاهد الشيخ محمد جواد الجزائري ، وُلِدَ في النجف سنة (١٣٤٢هـ/١٩٢٤م) . وتلقّى علومه فيها حتى حصل على إجازة عالم من عمّه الشيخ عبد الكريم الجزائري ، وحصل على إجازة رواية من السيد/عبد الحسين شرف الدين ، بالإضافة لذلك فهو حاصل على (دبلوم) في الهندسة المدنية ، ودبلوم هندسة التجميل (الديكور) ودبلوم في العلوم التجارية ، مارس لوقت طويل تدريس مادتيّ الفقه وأصول الفقه في حوزة النجف .

من مؤلفاته : ١- التعاريف النحوية .

٢- أصول الفقه .

٣- شرح الصحيفة السجادية .

٤- شرح دعاء كميل .

أنظر ترجمته في : الأميني : معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام ، ١٠٣ .

العنيسي : تاريخ بني أسد من الجاهلية حتى الحاضر ، ١٩ وما بعدها .
البهادلي : الإمام المجاهد الشيخ الجزائري ، مجلة الموسم (الهند ع/٨ ، مجلد/٢ ، ١٤١١هـ/١٩٩٠م) .

وفي ضوء هاتين النقطتين يمكن أن ندرس كيفية نشوء فكرة مدرسة الجزائري . فالشيخ الجزائري هو أحد طلاب الحوزة العلمية في النجف ، وقد عانى ما عاناه أيام دراسته في الحلقات الدراسية في النجف الأشرف ، من انعدام التخطيط ، ومن عقم بعض مناهج الدراسة ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى : فهو من المتابعين للنشاطات الثقافية المتجددة خارج العراق ، حيث يظل محسوباً في عداد النجفيين الذين يتابعون كتابات أعلام رجال الفكر والحركات في العالم . ويتبادل معهم الأفكار أثناء لقاءه بهم خلال رحلاته المتكررة إلى لبنان ، وسوريا ، وبعض البلدان الإسلامية .

وإذا ما أضفنا لذلك كله ملازمته لنادي والده الشيخ محمد جواد الجزائري المتوفى (١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م) وعمّه الشيخ عبد الكريم الجزائري المتوفى (١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م) ، حيث ساهم هذان العُلمان في الصراع الفكري والحوار العلمي والثقافي الذي كان حاداً في تلك الفترة بحيث عاد ناديما ملتقى لبعض أطراف الصراع ، لبعض توجهاتهم وأفكارهم .

بدأ الشيخ عز الدين الجزائري بطرح فكرة تنظيم وتحديث الوضع الدراسي والإقتصادي والإعلامي للحوزة العلمية في النجف وللحواسر العلمية المسائرة لها . وشكّل نواة من تلامذته وبعض أصدقائه للقيام بالتبشير للفكرة وتحقيقها على مراحل . وذلك في حدود سنة (١٣٦٥هـ / ١٩٤٥م) . ووالى عقد اجتماع النواة وتبرعاتها في جلسات أسبوعية دورية ، وتنشيطها الفكري في محاضرات ومقالات خاصة لدفع أعضاء النواة نحو الدور القيادي للتحرّك ، وكانت كلمة المؤسس في الجلسة الأولى (النواة) بعنوان :

«وثبة الشباب الروحي لإعادة كيانه من جديد» .

وفي العام نفسه توقّف نشاط المؤسس بسبب مرضه واضطراره

لمغادرة النجف للعلاج وعاد إليها في حدود سنة (١٣٦٧هـ / ١٩٤٧م) ، حيث عاد إلى ما بدأه قبل سنتين ، فعارض الخط اللامنهجي الذي كانت تسير عليه الدراسة والإدارة في الحوزة النجفية وواصل المعارضة بصلافة ، ولكن بطريقة إيجابية - بمعنى أنه لم يحاول قطع ما بينه وبين مَنْ نسميهم خصومه تجاوزاً كما لم يلجأ للنيل أو التشهير بخصومه - ، فطرح فكرته من جديد ، وهي الفكرة القائمة على تنظيم وتحديث الوضع الإداري والدراسي والاقتصادي والإعلامي للمرجعية العامة ، وللهيئة العلمية في النجف والحواسر المسائرة لها . وشملت الفكرة الخطوط التالية :

١- توحيد الإدارة العامة (المرجعية) مع عدم المسّ بمبدأ فتح باب الإجتهااد .

٢- ضبط الإقتصاد الشرعي لجهاز المرجعية الأولى العليا ، والأمة ، ايراداً و صرفاً .

٣- تنظيم الدراسة .

٤- التوعية والإعلام والتبليغ العام .

وأسس (مدرسة الجزائري - مدرسة النجف الدينية) ، بتاريخ ١٤/٥/١٣٧٧هـ / ٨/١٢/١٩٥٧م لتدريس علوم الشريعة ، والعلوم العربية دراسة منهجية ، وهي محاولة لتجربة مرحلة من نظريته الإصلاحية . ضمّت طلاباً غالبيتهم من العرب ، فقد كانوا في كثرتهم من لعراقيين واللبنانيين ومن بعض دول الخليج .

وكانت المدرسة قد خصّصت :

١- يوماً في الأسبوع لتدريب الطلاب على الخطابة .

٢- جوائز للفائزين الأول من الطلاب في الإمتحانات .

٣- نشرات طالبية جدارية أسبوعية لتنمية مواهب الطلاب الأدبية .

ولم تكتفِ المدرسة بذلك بل أصدرت مجلة (الذكرى)^(١) ،
وصدر منها قبل أن تتوقف عشرة أعداد .

وبعد توقّف (الذكرى) أصدرت المدرسة مجلة (رسالة النجف) ،
التي صدر العدد الأول منها سنة (١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م) . وتوقفت بعد
صدور العدد الثالث^(٢) .

هذا موجز ، سريع عن (مدرسة الجزائري - مدرسة النجف
الدينية) ، يحق لنا بعده أن نتساءل عن موقف التقليديين في الحوزة من
هذه المدرسة ، ومن ثمّ موقف السلطة منها أيضاً ؟

فأما ما يتعلق بالشق الأول من السؤال عن موقف التقليديين من هذه
المدرسة فإنها حوربت شأنها شأن الطروحات الإصلاحية المماثلة ،
وانتصفت بمؤسستها بعض الإتهامات . إلا أن المؤسس اختار الإصلاح
الإيجابي . ولم يرد على كل إتهام ، بل ظلّ يعمل بإصرار ، دون أن
يلفت إلى ما يقال ويحكى عنه ، وعن مشروعه ، كما أن التيار التقليدي
استطاع أن يُقنع بعض أساتذة تلك المدرسة بترك التدريس فيها بالترغيب
مرةً ، وبالترهيب مرة أخرى . لا نقول أن التيار التقليدي لم ينجح في
القضاء على المدرسة ، فالمؤكّد أن ذلك التيار - وإن كان لم يحقق
ذلك - استطاع تحجيم دورها ، ووقف إنتشار أفكارها .

أما السلطة ، فالمدرسة تأسست في الأشهر الأخيرة من الحكم
الملكي في العراق ، ولذا فليس هناك ما يُذكر من احتكاك بين المدرسة

(١) أنظر الملحق رقم (١٠) ص ٣٣٨ صورة غلاف مجلة الذكرى السنة الأولى ،
العدد الأول .

(٢) كافة ما دوناه عن مدرسة الجزائري إعتدنا فيه على معلومات شفوية من
مؤسسها) الشيخ عز الدين الجزائري (الذي يُدلي لأول مرة عن مدرسته بهذه
المعلومات .

لقاءات شخصية متعددة في بيروت خلال عام (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) .

والسلطة - عصرئذ - وما إن جاء الحكم الجمهوري وراح يغازل المدارس الدينية في النجف ، حتى وُضعت تلك المدرسة في عداد من يتبغي الحكم مدّ الجسور بينه وبينها . « بيد أن المؤسس كان يصبر على ضرورة إبعاد المدرسة عن السلطة ما أستطاع ، حتى أنه رفض عرضاً بزيارة رئيس الجمهورية - عصرئذ - من قبل مؤسسي المدارس الدينية في النجف ، حيث سيقدم الرئيس منحة مالية في حدود ثلاثة آلاف دينار عراقي لكل مدرسة ممن تشارك في الزيارة ، فرفض رفضاً قاطعاً ، رغم حاجة المدرسة الماسّة للمال ، وفضل يُنَّع قطعتي أرض في أرقى أحياء النجف (حيّ السعد) للصرف على المدرسة ، على أن يكون في عداد زوّار رئيس الجمهورية »^(١) .

ب - جامعة النجف الدينية :

على الطريق العام بين مدينتيّ النجف والكوفة وتحديدأ في ضاحية (حيّ السعد) ، يطل مبنى كبير ، أقيم على الطراز الإسلامي في البناء والعمارة . حتى لكأنك - وأنت إزاءه - أمام مدارس العباسيين ، وحيث يمتزج الماضي والحاضر في هذا البناء الشامخ ، تقترب منه . . تتمعن بالكلمات الثلاث ، التي نُقِشت (بخط الثلث) فتعرف أنها :

هذه الجامعة هي - منذ أن أُسِّست وحتى اليوم^(٢) - أفخم مدرسة دينية بُنيت في تاريخ النجف . . رَصَد لها رجل الأعمال الإيراني الحاج محمد تقي إتفاق ، مبلغاً ضخماً عام (١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م) . من ماله

(١) الجزائري : حديث شخصي في بيروت خلال عام (١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م) . ويذكر الشيخ الجزائري أن وفد مؤسسي المدارس قد زار الرئيس فعلاً ، وحصل على المكافأة المطلوبة ، لكنّ (تلفزيون) العاصمة عرض صورة الرئيس مجتمعاً إلى الوفد ، دون صوتٍ للمجتمعين ، بينما كان المذيع يصوّر وكأنّ الوفد جاء لمباركة خطوات الرئيس وثورته . . !

(٢) ٢٩ ذو القعدة ١٤١١ هـ / ١٢ حزيران ١٩٩١ م .

الخاص - لا من الخمس والحقوق الشرعية - واشتريت لها أرض في منطقة (حيّ السعد)، إحدى أرقى ضواحي مدينة النجف، وتولّى أمر عمادتها منذ أن أسست حتى اليوم^(١) السيد محمد كلانتر^(٢)، الذي يقول « أن تأسيس (جامعة النجف الدينية) لم يكن بالأمر الهين لمن أراد إتقانه، ووُضِعَ مناهجها الدراسية الملائمة للوقت لم يكن بأسهل من تأسيسها لمن أراد أحكامها، لذا فقد استوعب هذا جلّ أوقاتي واستهلك أكثر طاقتي^(٣) .

تؤمن هذه المؤسسة التعليمية للطالب الملتحق بها السكن المجاني، وتمنحه راتباً شهرياً يسير طرداً مع تطوره الدراسي، والمرحلة التي وصل إليه. أما مناهجها الدراسي فلم يكن مختلفاً عن المنهاج الدراسي للحوزة العلمية في النجف، مع فرق في ضبط الحضور والغياب، ونظام للإمتحانات، وتدريب على الخطابة. ومع ذلك كلّه فقد ظلت هذه الجامعة نائية عن السلطة، والسلطة نائية عنها، بفضل إيمان عميدها بضرورة إبتعاد مثل تلك المؤسسات عن السلطة حتى لا يكون لها السبيل عليها، إن بالتوجيه، أو بإدخال بعض المناهج، أو بالتأميم والهيمنة الكاملة كما حصل لغيرها من المؤسسات التعليمية. ومن هنا فقد كان هذا المشروع مباركاً من مراجع الدين في النجف.

ولمّا كان ظهور هذه الجامعة في الوسط الحوزوي في وقت انتشار الأفكار الإصلاحية ونضوج الدعوات إليها، ولمّا كانت الجامعة قد نالت موافقة مراجع الدين الكبار في النجف؛ فقد شهدنا إقبالاً جيداً

(١) التاريخ نفسه .

(٢) للاستزادة أنظر: محبوبة: ماضي النجف وحاضرها، ١٤٦/١ .

الخليلي: موسوعة العتبات المقدسة، ١٦٢/٧ وما بعدها .

(٣) كلانتر: مقدمة (الروضة البهية في شرح للمعة الدمشقية) للشهيد الأول

والثاني، ١٧ .

على الإنتساب إليها . وتوزعت جنسيات الطلاب المنتمين إليها ، كما توزعت وتعددت جنسيات طلاب الحوزة^(١) ، إذ نشهد في الحوزة العلمية الطالب الهندي ، والباكستاني والأفغاني ، والإيراني ، كما نشهد الطالب العربي ، لكن غالبية الطلاب في هذه الجامعة كانت تحمل الجنسية الإيرانية واللبنانية^(٢) .

ولم يكن شرط القبول فيها ليختلف كثيراً عما هو متبع في الحوزة العلمية سوى تزكية يتحتم على الطالب إحضارها من أحد علماء النجف ، إضافة إلى أوراقه الثبوتية ، ومستوى معيناً من الثقافة العامة ، والتي يقتدر من خلالها تقبل الدراسات في هذه الجامعة .

وعلى الرغم من النهج التقليدي الذي إنتهجه (جامعة النجف الدينية) ، فإنها أولت موضوع تجديد الكتب الدراسية الحوزوية إهتماماً ملحوظاً ، يقول عميد هذه الجامعة :

« . . . قد كان يراودني منذ أمد طويل : أن الكتب الدراسية في أوساطنا العلمية بحاجة ملحة إلى تجديد في التنسيق ، وعناية في الطباعة ، واهتمام في الإخراج (. . .) مع أننا نرى في الآونة الأخيرة كثيراً من الجامعات العلمية ، قامت بتجديد طبعات الكتب الدراسية التي يتناولها طلابها بالدرس ، فأعانهم على الإقبال على حطالعتها بلاملل ، ولا سأم ، فكان يحز في نفسي أكثر من ذي قبل - غبطة لا حسداً - إن كتبنا الدراسية لم يُقدّر لها مثل هذا الإهتمام ، ومثل تلك العناية من قِبَل ذوي

(١) من المفيد أن أشير هنا ، إلى أن فارق الجنسية يكاد يكون معدوماً في كل مفردات التعامل في الحوزة العلمية في النجف ، ويبقى المعيار الأساس هو اجتهاد الطالب ونبوغه ومعارفه .

(٢) ممن كان المؤلف يشاهدهم في باحة جامعة النجف الدينية طلاباً من الأخوة اللبنانيين :

- الشيخ صبحي الطفيلي ، السيد إبراهيم أمين ، الشيخ حسن المصري ،
الشيخ حسن عبد الساتر ، الشيخ علي العقي ، الشيخ يوسف عبد الساتر .

الإختصاص في هذا المضمار»^(١) .

وقد قامت الجامعة بمهمة إعادة النظر في بعض الكتب التراثية التي تُدرّس في الحوزة العلمية بالنجف ، وقد تمّ بالفعل تحقيق كتاب « الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية »^(٢) ، إذ يلتقي الباحث في هذا الكتاب « بمصدر خصب من مصادر الفقه الإسلامي ، بتعبير وافٍ ، وأدب رفيع »^(٣) . وصدرت طبعته المحقّقة الأولى سنة (١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م) . في عشرة مجلدات ، صدرت تباعاً ، ووزعت الجامعة قسطاً وافراً من نسخ هذا الكتاب - مجاناً - على كثير من أصحاب المذاهب الأخرى خدمة للدين ، وإعلاء لكلمة الحق حيث تعتقد عمادة (جامعة النجف الدينية) أن (الروضة البهية) « خير كتاب يمثل الفقه الجعفري »^(٤) .

وبعد إصدار (الروضة البهية) ، أصدرت الجامعة الكتاب الفقهي الموسوم بـ (المكاسب) ، للشيخ مرتضى الأنصاري ، في أربعة أجزاء محقّقة .

وبالإضافة لذلك كلّه فقد أصدرت مجلة إسلامية شهرية ، غنية بما تحتوي عليه من موضوعات ودراسات حملت إسم (دراسات إسلامية)^(٥) . وما أن صدرت منها عدة أعداد حتى توقفت عن الصدور لأسباب لم نستطع الوقوف عليها . .

وقبل أن نقول شيئاً في هذه التجربة الإصلاحية نشير إلى أسماء

(١) كلانتر : مقدمة كتاب الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية ، ٩ - ١٥ .

(٢) أنظر الملحق رقم (٧) : صورة عن الصفحة الأولى من هذا الكتاب بطبعته الحجرية وأخرى بطبعته المحقّقة . ص ٤٣٣ .

(٣) كلانتر : مقدمة كتاب الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية ، ١ - ١٥ .

(٥) أنظر الملحق رقم (٨) صورة غلاف أحد أعداد مجلة (دراسات إسلامية) ، مع صفحة محتويات العدد . ص ٤٣٥ .

بعض أساتذة هذه الجامعة وهم :

- الشيخ محمد تقي الجواهري « فرج الله عنه »
- الشيخ محمد هادي معرفة .
- السيد محمد كلانتر .
- الشيخ مسلم السرايي .
- الشيخ محمد إسحاق فيّاض .
- الشيخ إبراهيم الجنّاتي .
- الشيخ أحمد البهادلي .

إن تجربة (جامعة النجف الدينية)، تجربة ناضجة إذا ما قيسَت بمقاييس التطوير في نطاق الحوزة العلمية فقط ، حيث استطاعت هذه الجامعة تخريج مجموعة طلاب بمستوى علمي جيّد ، ومع عناصر التجديد في مناهجها وطرائق التدريس فيها ؛ إلا أن معظم متخرجيها حافظوا على رسالتهم الحوزوية ، فواصل بعضهم دراسته على مستوى (بحوث الاجتهاد)، في ما توجّه آخرون لتولّي مهمة الإرشاد والتبليغ والوعظ ، في القرى والمدن المختلفة ، لا في العراق وحده ، بل وفي أفغانستان . وباكستان وإيران وسوريا ولبنان .

وكما قلنا سابقاً : فإن عدم مساس هذه الجامعة مقام المرجعية نقداً وملاحظات ، وعدم إقامة أي علاقة لها مع السلطة ، مكّناها من أن تؤدي مهمتها ، وتسير في طريقها دون ما عقبات وصعوبات تذكر ، خاصة وأن لها مورداً مالياً ضخماً . تركه متبرعها بعد وفاته يتمثل في مجموعة عقارات ومشاريع تجارية ، وقفا على (جامعة النجف الدينية)، يتصرّف فيه عميدها (السيد الكلانتر)، ومن بعده «المعّم من أولاده» ، والأكبر سناً .

ج - مدرسة العلوم الإسلامية^(١) :

إن مدرسة العلوم الإسلامية - تأسست في النجف سنة (١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م) ، برعاية مرجع المسلمين الشيعة عصر ذلك : السيد محسن الحكيم - كانت تعبيراً عن نزعة إصلاحية في الحوزة العلمية في النجف ، وكان الهدف من تأسيسها تحقيق أمرين على غاية كبيرة من الأهمية هما :

- تجديد في مناهج التدريس في الحوزة ، وتطويرها بما ينسجم مع متطلبات الأوضاع الفكرية والبيئية الجديدة في العراق بشكل خاص ، والعالم بشكل عام .

- خلق جيل من العلماء الشباب الواعين ، الذين يتحملون مسؤولية التبليغ للإسلام في العراق وخارجه ، ويساهمون في التحرك السياسي الذي تقوده المرجعية .

وتحقيقاً لهذين الهدفين فقد أدخلت بعض المواد الجديدة للتدريس في هذه المدرسة كعلم الإقتصاد (اقتصادنا) ، والفلسفة (فلسفتنا) ، وعلوم القرآن (البيان في تفسير القرآن للإمام الخوئي) ، بالإضافة للعلوم التقليدية : كالفقه ، والمنطق ، واللغة العربية والأصول .

ولعلّ ضرورة تسلسل الأفكار تدعونا إلى الحديث عن كيفية تبلور فكرة هذه المدرسة في ذهن المرجع الديني الإمام الحكيم ؟ .

يكاد يجمع أكثر من كتبوا عن هذه المدرسة على أنها « من مقترحات السيد محمد باقر الصدر ، فهو الذي أقنع الإمام الحكيم

(١) إعتدنا في دراستنا عن هذه المدرسة على إجابتين للسيد محمد باقر الحكيم - نجل مؤسسها المرحوم السيد محسن الحكيم - ، المقيم حالياً بطهران ، الذي أجاب عن أسئلة المؤلف برسالة مؤرخة : ١٧ شعبان ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م . وأخرى مؤرخة ٢٧ ذو الحجة ١٤١٠هـ/ ٢٠ تموز ١٩٩٠م .

بضرورة تنظيم الدراسة بهذا الشكل ، وكان له الدور الكبير في إدارتها وتوجيهها ، فمعظم أساتذتها هم من تلامذة السيد الصدر ، وأغلب مناهجها الفكرية والثقافية من كتبه كـ (المدرسة الإسلامية) و(فلسفتنا) ، و(اقتصادنا)»^(١) .

ولعلّ سائلاً يطلب تفسيراً للإلتجاء السيد الصدر للإمام الحكيم ، لكي يحقق له مشروعه الإصلاحي هذا ؟ . دون أن يُقدّم هو نفسه لتنفيذ هذا المشروع مباشرة ؟ .

إن السيد الصدر وقت التفكير بالمشروع هذا ، لم يكن قد تقلّد زمام المرجعية الدينية ، ولذا كان مضطراً أن يتحرك من خلال غيره من المراجع الكبار ، حتى يضمن الدعم المرجعي للمشروع ، بما يشمل من دعم مادي أيضاً يتطلبه كل مشروع - كهذا - ليُضمن له البقاء والإستمرار والعطاء .

على أن هناك من يقول أن السيد الصدر لم يفتح الإمام الحكيم بموضوع هذه المدرسة ، بل أن السيد الصدر طرح الفكرة على نجلّي الإمام الحكيم : السيد محمد مهدي^(٢) ، والسيد محمد باقر ، وهما أقنعا والدهما بالفكرة ، إذ لو كان السيد الصدر هو المتصدّي للفكرة علناً ، لماتت الفكرة ولم يُقدّر لها أن ترى النور^(٣) .

-
- (١) القبانجي : الجهاد السياسي للإمام الصدر ، ٢٤ .
وقد أكد المعنى نفسه (الموظف الإداري) للمدرسة منذ تأسيسها حتى إغلاقها الشيخ حسن ملك ، وذلك في حوارٍ معه عن (مدرسة العلوم الإسلامية) في بيروت يوم السبت ١٨ صفر ١٤١١هـ/ ٨/ أيلول ١٩٩١ م .
(٢) اغتيل في فندق (هيلتون) بالسودان عام (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٩م) أثناء تلبيته دعوى حسن الترابي بحضور مؤتمر ...
(٣) مضمون حوار مع الشيخ حسن ملك (إداريّ المدرسة) في بيروت ، السبت ١٨ صفر ١٤١١هـ/ ٨/ أيلول ١٩٩٠ م .

وسواء أكان السيد الصدر هو مَنْ فاتح الحكيم مباشرة ، أو بواسطة نجليه ؛ فإن من المؤكد أن للسيد الصدر أباديه البيضاء في مشروع هذه المدرسة « سواء في وقوفه داعماً المدرسة ، أو إيعازه إلى أفاضل تلامذته للتدريس فيها إدراكاً منه بأهمية مشروع كهذا »^(١) .

أما نظامها الدراسي ومناهجها ، فقد جُعِلت (مدرسة العلوم الإسلامية) الدّراسة. فيها على سنوات خمس ، يدرس الطالب في كل سنة من هذه السنين الكتب الدراسية الحوزوية التقليدية في الفقه والأصول واللغة العربية ، مضافاً إليها بعض الدروس التي ارتأت المدرسة ضرورة المبلّغ بها في مهمة الوعظ والإرشاد .

ففي السنة الأولى : أضيفت إلى العلوم التقليديّة مادة (المدرسة الإسلامية) من تأليف السيد الصدر^(٢) ، حيث تحتوي المادة على دراسة (الإنسان المعاصر والمشكلة الإجتماعية) . وفي السنة الأولى أيضاً تُدرس بعض خطب الإمام علي (عليه السلام) من (نهج البلاغة) ، ويُترك للأستاذ اختيار الخطب التي يراها ، خاصة تلك التي تحتوي على بيان بعض العقائد الإسلامية ، وما تحقّقه دراسة خطب (النهج) من جهة أخرى في تقويم سليقة الطالب الخطابية والبلاغية .

وفي السنة الثانية أضيفت مادة (الأخلاق) ، حيث يُترك أمر دراستها ، كما في الحوزة على جهد الطالب نفسه . إضافة إلى الجزء الثاني من (المدرسة الإسلامية) . وهو بعنوان (ماذا تعرف عن الاقتصاد الإسلامي) ؟ ، وهذه المادة تهَيء الطالب لدراسة كتاب (اقتصادنا) في السنة اللاحقة .

(١) الحكيم : جواب خطي ، مؤرخ ١٧/شعبان ١٤٠٩ هـ .
(٢) طُبِع هذا الكتاب عدّة طبعات ، وفي أكثر من بلد . ففي لبنان طبعته دار الزهراء خمس مرّات ، كان آخرها سنة (١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) .

أما السنة الثالثة ، فمن المواد التي تدرس بمدرسة العلوم الإسلامية ، ولم تكن مألوفة للدراسة في الحوزة ، فهي (اقتصادنا) ، كما سبقت الإشارة لذلك ، وكذلك مادة (علوم القرآن) من خلال كتاب الإمام أبي القاسم الموسوي الخوئي : (البيان في تفسير القرآن) .

وفي السنة الرابعة ، وإلى جنب المواد الحوزوية التقليدية يدرس كتاب فلسفتنا ضمن مادة (الفلسفة الإسلامية)^(١) .

ولمّا كان من أهم أهداف مشروع (مدرسة العلوم الإسلامية) هو تخريج مجموعة من الطلبة القادرين على ممارسة التبليغ والإرشاد في صفوف الأمة ، وهم يحملون الزاد الثقافي والعقدي والروحي الذي يرشّحهم بجدارة لأداء هذه المهمة ، فقد ارتأى القائمون على أمر المدرسة إقامة ندوة أسبوعية - اختير لها صباح يوم الإثنين من كل أسبوع موعداً - يساهم فيها طلاب وأساتذة المدرسة بكلمات وأبحاث وقصائد شعرية ، ويلزم كل طالب بالمساهمة في مثل هذه الندوات سواء بكلمة أو بقصيدة ، أو بإدارة الندوة ، وقد أوكل أمر الإشراف على هذه الندوات بشكل دائم للسيد كاظم الحائري ، أحد أساتذة المدرسة .

(١) يقول الإمام المراغي : « منذ أربعين سنة إشتدّ الجدل حول جواز تعلّم الحساب والهندسة والتاريخ في الأزهر ، وحول تعليمها لعلماء الدين ، ومنذ أربعين سنة قرأ لنا أحدُ شيوخنا كتاب الهداية في الفلسفة ، على أن نكتم الأمر لألا يتهمه الناس بالزنيغ والزندقة .

يعلّق الشيخ محمد رضا شمس الشدين على هذا الكلام فيقول : « ولهذا وذاك يُرَجَّحُ : أن دخول جمال الدين الأفغاني إلى مصر سنة (١٢٨٨هـ / ١٨٧١م) بعد تخرّجه من النجف ، وتلمذته على فلاسفتها ، لأنه أول من بذر (الفلسفة) في مصر ، وأخذ عنه تلميذه الشيخ محمد عبده .»

أنظر : شمس الدين : حديث الجامعة النجفية ، ٦٨ - ٦٩ . معتمداً على كتابي : أنور الجندي : الإمام المراغي (٧٦) . والدكتور الوافي : لمحة عن الأزهر (٢٦) .

ومثل تلك الندوات تُسهم - دون شكٍ - في رفع قدرة الطالب على الخطابة ، وتنمي المواهب الأدبية والعلمية في الطالب ، وهو أسلوب علمي درجت على ممارستها أغلب الجامعات والمنتديات والمؤسسات العلمية والثقافية^(١) .

ومن حيث وضع الطالب الوظيفي والمادي في أثناء دراسته أو بعد تخرجه منها ؛ فإن هذه المدرسة تمنح طلابها راتباً بسيطاً في بداية دراسته ، ومن ثم يتطور كلما تقدم الطالب في مراحل الدراسة . ولكن يظل المتزوج متفوقاً في راتبه في كل الأحوال على راتب الأعراب أو (المُجَرَّد) ، كما يُطلق عليه حوزوياً . . .

أما وضعه الوظيفي بعد التخرّج ، فليس هناك من شهادة مادية تمنحها هذه المدرسة لمن يُنتهي دراسته فيها ، نعم تُوجّه المدرسة خريجها - بل وحتى أثناء العطل الصيفيّة- إلى بعض القرى والأرياف في العراق أو في خارج العراق للقيام بمهمة التبليغ والوعظ بمثل تلك المهام إنّما يفرضه عليه واجبه الشرعي ما دام قد نذّر نفسه لخدمة الدين .

إذن : كيف يؤمّن مثل ذلك الطالب معيشته ؟ .

إن شأنه في ذلك شأن كل طلبة الحوزة وعلمائها في إعتمادهم على

(١) فكلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية في بيروت - مثلاً - طلبت من أساتذتها القدامى والجُدد المشاركة بانتظام في جلسات المناقشة الحرّة لطلاب الدراسات العليا . هذه الجلسات تقوم على إختيار موضوع معيّن يُكلّف بتقديمه أستاذ أو طالب مميّز ، وتدور مناقشات شاملة حول الموضوع بعد عرضه على مسامعهم . ويختار المشرف على هذه الندوات موضوعات للمناقشة تكون من القضايا الحيّة المثيرة للجدل .

أنظر :

كلية الإمام الأوزاعي : من مشكلات بحوث الدراسات العليا الجامعية في الدراسات الإسلامية ، ١٠ .

ما يصلهم من مخصصات شهرية من مراجع الدين في النجف ، لا بعنوان الأجر على التعلّم والتعليم ؛ بل بعنوان انطباق المفهوم الشرعي للفقير عليهم ، وهو « من لا يملك مؤنة سنته اللائقة بحاله . له ولعياله »^(١) .

وتبقى قائمة مشكلة العلاقة القانونية بين الطالب - في هذه المدرسة والدولة ، والدولة لا تعترف بالمدرسة هذه لا على مستوى التأسيس ، ولا على مستوى قبول متخرجيها في وظائف الدولة . والمدرسة لم تكن لتسعى في هذا الإتجاه ، بل على العكس : حرصت المدرسة أن تكون بعيدة كل البعد عن الدولة وعيونها .

وفي ضوء هذه البيئونة بين المدرسة والدولة ، يظل الطالب الملتحق بها في وضع غير قانوني سواء أكان عراقياً ، أمن من خارج العراق . فالعراقي مطالب بالالتحاق بالتجنيد الإجباري إذا كان قد أكمل الثامنة عشرة من عمره ، ولم يكن مؤجلاً لسبب ، أو معفى لمرض ، وغير العراقي - خاصة من غير العرب - يبقى ملاحقاً بقوانين الإقامة الصارمة ، التي كثيراً ما أُستُخدمت لمحاربة الحوزة ، وتشتيت طلابها . ويبقى الطالب العربي غير العراقي ، متمتعاً في بعض السنين بالإعفاء من ملاحقة قوانين الإقامة ، وهو إعفاء ليس مقتصرأً على طلبة العلوم الدينية من العرب ، بل يشمل كل العرب المقيمين بالقطر .

أما أسماء المدرّسين في مدرسة العلوم الإسلامية ، وجنسياتهم ، والمواد التي درّسوها فهي كالتالي :

(١) الخوئي : منهاج الصالحين ، پ/ ٢٩٨ .

جدول رقم (٥)
أسماء أساتذة مدرسة العلوم الإسلامية في النجف وجنسياتهم

ملاحظات	المادة الدراسية	جنسيته	إسم الأستاذ
توفي سنة ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م . مؤلف موسوعة الإمام المهدي .	فقه / ستة أولى فقه / ستة ثانية واقصاد / ستة ثالثة فقه / ستة ثالثة أصول فقه / ستة ثالثة	عراقي عراقي	١- السيد محمد كاظم الحكيم ٢- السيد محمد الصدر
استشهد مع (١٦) عالم من آل الحكيم سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م . مؤلف كتاب (محاضرات في العقيدة الإسلامية) ، وأستاذ في جامعة النجف ، والجامعة المستنصرية (كلية الفقه) .	أصول فقه / ستة رابعة المنطق / ستة ثالثة البلاغة / ستة ثانية النحو العربي النحو العربي النحو العربي الأخلاق / ستة ثانية المدرسة الإسلامية ستة ثانية فلسفة / ستة رابعة علوم القرآن / ستة ثالثة	عراقي	٣- السيد عبد المجيد الحكيم ٤- الشيخ أحمد البهادلي
يشرف على الندوة الأسبوعية بشكل دائم . مؤلف كتاب الحكومة الإسلامية مؤلف (تناقض الأدلة الشرعية) . إمام مسجد الإمام المهدي في الغيرة ببيروت . مؤلف كتاب : فلسفة الصلاة .	أصول فقه / ستة رابعة المنطق / ستة ثالثة البلاغة / ستة ثانية النحو العربي النحو العربي النحو العربي الأخلاق / ستة ثانية المدرسة الإسلامية ستة ثانية فلسفة / ستة رابعة علوم القرآن / ستة ثالثة	إيراني إيراني لبناني لبناني لبناني إيراني لبناني لبناني لبناني عراقي	٥- السيد محمد كاظم الحائري ٦- السيد محمود الهاشمي ٧- الشيخ حسن طراد ٨- الشيخ علي الكوراني ٩- الشيخ -أبيل شقير ١٠- السيد نوري الأشكوري ١١- السيد علي مكّي ١٢- الشيخ نجيب سويدان ١٣- السيد محمد باقر الحكيم

أما المدير الإداري (لمدرسة العلوم الإسلامية) فهو السيد/محمد علي الباقري ، وهو من أوائل خريجي كلية الفقه من طلاب الحوزة . وهو الآن إمام جامع (البلوش) بمنطقة (السرة) بالكويت منذ ما يقارب الـ (١٥) سنة .

لقد واجهت هذه المدرسة نوعين من المشاكل منذ تأسيسها سنة (١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م) النوع الأول كان من أصحاب الإتجاه القديم في الحوزة ممن لا يؤيدون فكرة التجديد والإصلاح^(١) . لا سيما بعد وفاة الإمام الحكيم سنة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م إذ لم يكن ليجرؤ أحد على خلق الصعوبات للمدرسة في حياته . أما وقد توفي وبرزت للسطح أيادي السيد الصدر الذي لم يكن ليحظى برضا التقليديين من رجال الحوزة ؛ فقد نجح التقليديون في محاربة المدرسة .

أما النوع الثاني من المشاكل التي واجهتها هذه المدرسة « فقد كان من نظام الحكم ، حيث وجد فيها بدايات نهضة حديثة في الحوزة العلمية ، وقد أثرت هذه المشاكل بنوعها في وضع العراقيل أمام حركة المدرسة التجديدية ، (. . .) فأقدم النظام هناك على إغلاقها ، كما أغلق غيرها من المدارس العلمية في النجف^(٢) ، وذلك في حدود سنة (١٣٩٨هـ / ١٩٧٧م) »^(٣) .

* * *

(١) الحكيم : جواب خطي عن سؤال للباحث ، مؤرخ ١٧ شعبان ١٤٠٩هـ .
(٢ و٣) المصدر نفسه .

الحركة الإصلاحية في مرحلتها الرابعة

١٣٨٨ - ١٤٠١ هـ

١٩٦٨ - ١٩٨٠ م

إنما جعلنا عام (١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م)، بداية للحركة الإصلاحية في مرحلتها الرابعة فلأن هذا العام قد شهد ثورة في الحكم على نظام الرئيس عبد الرحمن عارف، ليأتي أحد جناحي حزب البعث فيتولّى السلطة في العراق، وكان من قراراته المبكّرة، وتحديدًا في ٤ نيسان ١٩٦٩ م، « ضرورة القضاء على (الرجعية الدينية)، باعتبارها العقبة الكبرى في مسيرة الحزب»^(١)، ومن يعرف شيئاً محدوداً عن أوضاع العراق السياسية، يدرك بيسر أن علماء الشيعة هم الذين يعينهم مثل ذلك القرار، إذ بقي غيرهم - مع إستثناءات محدودة - موالياً للسلطات التي تعاقبت على حكم البلاد، منذ عهد الاستقلال، وحتى قيام هذه الثورة... ونتمنى أن لا يظّلون كذلك.

(١) التكريتي: من مذكرات جردان عبد الغفار التكريتي، ٤٧. ويؤكد صاحب المذكرات أن هذا القرار نُشِرَ في مجلة (العمل الشعبي) التي تصدر ببغداد، بتاريخ ٧ نيسان ١٩٦٩ م.

وما دامت الحوزة العلمية في النجف هي (مصنع) علماء الدين ، فقد وُضعت كمرمى ، على الدولة التعامل معه وفق تجارب الماضي وطموحات المستقبل .

هذا إذن ما حدد المرحلة الرابعة من الحركة الإصلاحية في بدايتها . أما إنتهاء تلك الفترة عام (١٤٠١هـ / ١٩٨٠م) . فيخضع لعاملين حين حُدّد بذلك :-

أحدهما : قيام الثورة الإسلامية في إيران سنة (١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م) . وتأثير ذلك على الشيعة وعلمائهم بشكل عام ، وعلى حوزة النجف وعلمائها بشكل أخص . حيث برزت حوزة قم بوجود الإمام الخميني فيها وهجرة طلاب حوزة النجف إليها .

ثانيها : استشهاد السيد محمد باقر الصدر ، سنة (١٤٠١هـ / ١٩٨٠م) ، وما صاحب ذلك من تهجير الآلاف من الطلاب ، أو مغادرتهم من تلقاء أنفسهم ، خاصة منهم أولئك النفر من الطلاب الذين كانوا يتلقون العلم في حلقات السيد الصدر . ويهيئون الحوزة لأطروحة المرجعية الموضوعية في قبال المرجعية الفردية - التي دعا إليها السيد الصدر .

في هذه المرحلة من حياة الحوزة العلمية في النجف لم نشهد ظهور أية دعوة إصلاحية من داخل الحوزة ، نعم هناك صوت مسموع واحدهو صوت الدولة في مجموعة دعوات وقرارات إدعت فيها تنظيم أمر التعليم في القطر كله . فيما ظلّ رجال الحوزة ، التقليدون منهم ، أو المجدّدون ، يعضون بالنواجذ على ما حققوه ، ووصلوا إليه في الدراسة الحوزوية ، وتحول الهمّ لدى الجميع إلى الحفاظ على ما بأيديهم ، وسط شعور بقوة الهجمة ، واقتراب الخطر .

من هنا يمكن أن نلمح أبرز الأحداث المتصلة بموضوعنا خلال

هذه المرحلة في :

- ١- إلغاء جامعة الكوفة .
 - ٢- تأميم التعليم الأهلي .
 - ٣- إغلاق مدرسة الجزائري .
 - ٤- إغلاق مدرسة العلوم الإسلامية .
 - ٥- هجرة طلاب الحوزة من النجف .
- نحاول هنا توضيح كل نقطة من النقاط الخمس وفق تسلسلها هذا :-

١ - إلغاء جامعة الكوفة :

ليس هناك كيان جامعي قائم بهذا الإسم في مدينة الكوفة ، كما يوحيه عنوان الموضوع ، بل أن بعض أعيان الشيعة من الممولين ، وطلاب العلم في الحوزة العلمية في النجف ، فكروا في تأسيس جامعة كبيرة باسم (جامعة الكوفة) ، لتدريس العلوم النظرية والعلوم التطبيقية ، فباركت المرجعية مثل هذا العمل ، وتعهّدت بدعمه ومساندته ، وتمّ الحصول على الإجازة الرسمية المطلوبة لمثل هذا المشروع ، وذلك في عهد حكومة عبد الرحمن عارف ، وجمعوا لها التبرّعات وحددوا الأرض لبناء الجامعة ، واختاروا مكاناً بين الكوفة والنجف . وشكّلت هيئة للإشراف عليها من قبل :-

- ١- الدكتور/ كاظم شُبّر .
- ٢- الوجيه محمد صالح كُبة .
- ٣- السيد مهدي الحكيم .
- ٤- الدكتور محمد مكّيّة (رئيس اللجنة المشرفة) .

عقدت الجمعية التأسيسية أول إجتماعاتها في بغداد^(١) في بداية السيتينيات ، لكن السلطة التي تسلمت الحكم في عام (١٣٨٨هـ / ١٩٦٨ م) . قامت بإصدار قرار بتأميم جامعة الكوفة ، وذلك عام (١٣٨٩هـ / ١٩٦٩ م) . يقول أحد رجال تلك السلطة عن هذا القرار :

« . . . وقمنا بمصادرة أموال كبار الملاك ، بما في ذلك أموال جامعة الكوفة التي كانت تقدر بأكثر من (٤ / ٥٣٠ / ٠٠٠) أربعة ملايين وخمسمائة وثلاثين ديناراً عراقياً ، والتي كان مقرراً أن تُقام في مدينة الكوفة شرق النجف ، واعتقلنا بعض المسؤولين عنها »^(٢) .

وبهذا القرار سُلبت الفرصة من الحوزة العلمية بالنجف للإشراف على مشروع جامعي حديث ضخم ، وحُرمت من مناسبة ثمينة لمدّ جسور التفاهم والإنسجام ، بل والتوجيه لشريحة كبيرة ومهمة من مثقفي الأمة من خريجي ثانويات الدولة ، والجامعيين من الطلبة والأساتذة ، وما يمكن أن يلعبه كل ذلك من دور في إصلاح الأمة ، وتوجيه التعليم الجامعي لخدمة الدين ونشره ، ورفع لوائه . وفي جانب آخر من هذا التفاعل والأحتكاك المباشر بين الطلاب الجامعيين ، وبعض علماء الحوزة ممن يُفترض مساهمتهم في جامعة الكوفة ، هو ما يمكن أن يؤديه من رُفد الحوزة العلمية في النجف بعناصر جامعية على درجة من الوعي والأفق الثقافي الجيد ، بحيث ينعكس ذلك - إيجابياً - على تطوير العلوم وينعكس في الوقت ذاته على نظم الدراسة في الحوزة ، في أحد جوانب هذا الإنعكاس .

(١) أبو إبراهيم : جامعة الكوفة ، مجلة الإيمان (النجف) س/٣ ، ع/١ - ٢ ، محرّم ١٣٨٦هـ / نيسان ١٩٦٦ م .

خليل : الإمام محسن الطباطبائي الحكيم ، ١٧٦ .

(٢) التكريتي : مذكرات حردان عبد الغفار التكريتي ، ٤١ - ٤٢ .

٢ - تأميم التعليم الأهلي :

نعني بالتعليم الأهلي هنا تلك المؤسسات التي أنشئت لتكون بديلاً عن المدارس الحكومية في المراحل الثلاث :

الابتدائية، المتوسطة، الثانوية (ويطلق على الثانوية في العراق : الإعدادية).

ويتضمن منهاج الدراسة فيها - بالإضافة للبرنامج المقرر من وزارة المعارف - بعض المعارف الإسلامية ، ويتولّى الإشراف عليها ، وإدارة شؤونها رهطاً من علماء الحوزة ، أو من مريدهم . والذي يميز هذه المدارس عن مدارس الحوزة - بالإضافة لمستوى الدراسة فيها - هو أن الدولة تعترف بالمتخرجين من طلابها ، سواء إذا ما أرادوا الالتحاق بوظائف الدولة ، أو بمواصلة الدراسات الجامعية . بخلاف خريجي الحوزة الذين لا تعترف الدولة بشهادتهم الحوزوية ، ولا تمنحهم أية مميزات في الدولة ، وظيفياً ، أو دراسياً .

من هنا ، ولما كانت قد ظهرت - بتأثير أفكار المصلحين من رجال الحوزة - بعض المدارس في فترة الإصلاح الثالثة ، فإن تلك المدارس لم تُترك وشأنها بعد عام (١٣٨٨هـ / ١٩٦٨ م) . إذ أصدرت الدولة فيما أصدرت من قرارات قراراً يقضي « بتأميم جميع المدارس الأهلية في العراق »^(١) ، وقد شمل هذا القرار جميع المدارس الأهلية دون استثناء ، وعادت جميع مباني تلك المدارس ، وممتلكاتها وأوقافها ملكاً للدولة . . وإذا كانت بعض فئات المجتمع قد واجهت مثل هذا القرار بالإرتياح ، كونه يخفّف عنها الأقساط المالية التي كانوا يدفعونها للمدارس ؛ فإنه قد شكّل ضربة موجعة لرجال الإصلاح التربوي ، وعاد التعليم الابتدائي ، والمتوسط والثانوي في القطر كلّه جكراً على الدولة تسيّره وتوجهه ، نحو

(١) الكاتب : تجربة الثورة الإسلامية في العراق منذ (١٩٢٠ - ١٩٨٠ م) ، ٢٠٦ .

أهدافها وخطها الفكري والعقدي ، وعاد رجال الإصلاح الحوزويين - وقد سُلِّبَتْ منهم أعزّ تجربة - لا يلوون على فعل شيء ، فيما اعتبر البعض أن الغنيمة هي سلامتهم من السجن والملاحقة ، لا سيما وأن أخبار اعتقال بعض المسؤولين من أعضاء الهيئة التأسيسية لجامعة الكوفة ، لا زالت حديثاً ساخناً في مجالس النجفيين ، وعلى موائدهم .

أما أشهر المدارس الأهلية الدينية التي شملها قرار تأميم التعليم ، فهي :

- ١- مدارس منتدى النشر (النجف) بمراحلها الثلاث : ابتدائي ، متوسط ، ثانوي .
- ٢- مدارس جمعية التحرير الثقافي (النجف) ، متوسط ، ثانوي .
- ٣- مدرسة الغري (النجف) إبتدائية فقط .
- ٤- مدارس الإمام الجواد (عليه السلام) ، (بغداد - الكاظمية) ابتدائي ، متوسط ، ثانوي .
- ٥- مدارس الإمام الجواد (عليه السلام) ، (البصرة) ، ابتدائي ، متوسط ، ثانوي .

وغيرها من المدارس الدينية الأهلية التي كانت تساهم - ولو في حدود ضيقة - في الحفاظ على الطلبة من الناشئة ، من أن ينحرف ويضل بهم الطريق ، بسبب المناهج الدراسية في المدارس الحكومية التي لا تعتمد على الدين ، ولا تستند إلى الإسلام .

٣ - إغلاق مدارس الإصلاح الحوزوية :

وحين نعبّر في العنوان بـ (مدارس الإصلاح) ، فليس معنى ذلك أن هناك مدارس في الحوزة بهذا الاسم ، وإنما أعني بها هنا : تلك المدارس التي قام بتأسيسها بعض المصلحين في مرحلة الإصلاح

الثالثة ، والتي ظلّت بعيدة عن الدولة إن في مناهجها ، أو في طلب الإعراف بها . وقد قدمنا في ما سبق ثلاث مدارس كنموذج للإصلاح ، وهي :

- مدرسة الجزائري (مدرسة النجف الدينية) .

- جامعة النجف الدينية .

- مدرسة العلوم الإسلامية .

بيد أن (جامعة النجف الدينية) ، هي المؤسسة الإصلاحية الوحيدة التي لا زالت حتى اليوم (١٤١١هـ / ١٩٩١م) قائمة تمارس مهمتها في إدارة الحلقات الدراسية ، وتحقيق بعض الكتب الفقهية والأصولية التراثية . وإن كان كل ذلك النشاط محدوداً جداً ، بحكم محدودية طلاب الحوزة - بعد سني محنتها القاسية الأليمة - كماً وكيفاً .

وقد يثور السؤال عن سبب عدم إغلاق (جامعة النجف الدينية) حتى الآن ، رغم إغلاق المدارس المثلثة .. ؟ وهو سؤال وجيه ...

يبدو لي : أن إصرار (الجامعة) بشخص عميدها السيد محمد كلانتر على عدم الذهاب بعيداً في أمر التطوير والتحديث ، وهو ما تعكسه مقدمته للطبعة المحققة من كتاب (الروضة البهية في شرح اللمعة دمشقية)^(١) ، قد حقق له ضماناً مهمّة ، لإتقاء معاداة التقليديين من رجال الحوزة ، من طلاب ، وعلماء ، ومجتهدين ، ومجتهدين كبار .

يضاف إلى ذلك حرصه على عدم إلحاق أي من المتأثرين بالحركات الإسلامية التي كانت في ذروة نشاطها تلك الفترة ، وتشديده في قبول أمثال هؤلاء طلاباً . ولقد شمل ذلك التشديد الأساتذة أيضاً . والذي يعيد قراءة أسماء أساتذة الجامعة جيداً ، يتأكد من صحة ذلك .

(١) صدرت طبعته الأولى سنة (١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م) بالنجف الأشرف (مطبعة الآداب) .

ومثل هذا التوجّه قد حصّن (جامعة النجف الدينية) ضد عداء السلطة وجنّبها تقلبات مناخ المواجهة بين (رجال الحركات والأحزاب الإسلامية) في النجف وبين السلطة .

وفيما حافظت الجامعة (على وجودها واستمراريتها - وإن بشكل ضعيف - ؛ كان مصير (مدرسة الجزائري - مدرسة النجف الدينية) ، الإغلاق سنة (١٣٨٩هـ / ١٩٧٠م)^(١) وليت الأمر توقف عند هذا الحد ، إذ هُدمت بناية المدرسة ، بعدما ما تبين للدولة أن بعض الحركات الإسلامية في النجف كان يتخذ تلك المدرسة مقراً لاجتماعاته ، ومنها يُصدر منشوراته السرية^(٢) .

أما مصير (مدرسة العلوم الإسلامية) ، فلم يكن بأحسن حظاً ، من مدرسة الجزائري فمع تنامي وجود وفاعلية أعضاء الحركات والأحزاب الإسلامية في العراق ، ولما كان الكثير من أساتذة وطلاب تلك المدرسة من ضمن هؤلاء ، وحيث أشتدت المواجهة بينهم وبين السلطة بعد عام (١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م) ، الذي تم فيه اعتقال بعض طلاب الحوزة العلمية بتهمة إنخراطهم في ما تُحظره الدولة من أحزاب ، فقد أثر ذلك لاحقاً على حرية حركة المدرسة ، بل وأعاقها وأصابها بالشلل ، خاصة وإن المدرسة إتخذت طابعاً عنيفاً في مناهجها الإصلاحية ، وهو ما أثار حفيظة التقليديين من رجال الحوزة ، حيث لم يكن يرضيهم إدخال بعض المواد الدراسية ، ولم يكن يرضيهم تحديد القبول في توجّه فكري معين من الطلاب ، ولم يُعديريهم - بعد ذلك كله - جموع من طلاب (مدرسة العلوم الإسلامية) ، وهي تنتقد نقداً عنيفاً مقام المرجعية الدينية ، المقترن ذهنياً بمقام (الإمامة) ، لكأن تلك النقود تهىء الجو الحوزوي العام قبول فكرة - بل ضرورة - قيام المرجعية الموضوعية ، والتي كانت تعرف بالمرجعية الرشيدة ، والتي كان المؤمل أن يصل إليها - بعد تهئية

(١) الجزائري : حديث شخصي في بيروت سنة (١٤١٠هـ / ١٩٩٠م) .

(٢) أنظر : شبر : العمل الحزبي في العراق (١٩٠٨ - ١٩٥٨م) ، ٢٥٤ .

الجو العام - المجتهد المتحفّز السيد محمد باقر الصدر .

وهكذا أغلقت (مدرسة العلوم الإسلامية) سنة (١٣٩٨هـ/١٩٧٧م). بضغط حكومي تمثّل بملاحقة بعض أساتذتها والنابعين من طلابها ، وبضغط حوزوي تقليدي أحسّ وكأن هذه المدرسة قد جاءت ببدعة في الدين .. وآية بدعة !!! .

٤ - هجرة طلاب الحوزة من النجف :

لا أريد هنا تاريخ قضية « هجرة طلاب الحوزة من النجف » ، لذلك مجال آخر ، وإنما أحاول هنا أن أتناول موضوع الهجرة من زاوية تأثيره على الوضع الدراسي الحوزوي وتلمّس زاوية الخلل التي ساعدت في قيام مشكلة كهذه .

إن النسبة الكبيرة من طلاب الحوزة العلمية في النجف ، وأساتذتها هم من غير العراقيين ، وحتى الطلاب العرب من (لبنان ، والخليج ، والحجاز) فهم لا يشكّلون رقماً كبيراً إذا ما قيسوا إلى النسب الكبيرة من الطلاب والأساتذة : الإيرانيين ، والأفغانيين ، والباكستانيين ، والهنود .

إذن : فكيان الحوزة البشري في الغالب يقوم على غير العراقيين ، بل وغير العرب .

وإذا ما أضفنا إلى هذه المقدمة ، مقدمة أخرى وهي : وجود ما يقارب مليون شخص مقيم في العراق ممن لهم أصول إيرانية ، لكن أجدادهم كانوا قد استوطنوا العراق منذ قرون عديدة ، ولم يتقدموا بطلب التجنّس بالجنسية العراقية ، هرباً من قانون التجنيد العراقي^(١) . وليس كل هذا المليون طلاباً في الحوزة بطبيعة الحال .

(١) يُنظر : الجواهري : ذكرياتي ، ٢/١ . فقد أشبع الموضوع بحثاً في ذكرياته هذه .

في ضوء هاتين المقدمتين ، وفي ظل تدهور العلاقات بين الحكومتين العراقية والإيرانية ، وتآزمها عام (١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م) . بسبب مشكلة الملاحة في شط العرب^(١) . وبسبب دخول القوات الإيرانية جزراً في الخليج هي : طناب الصغرى ، وطناب الكبرى ، وجزيرة أبي موسى ، بعد جلاء القوات البريطانية الغازية عنها عام (١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م) .

وعلى هذا الأساس فقد قامت الحكومة في العراق باعتقال وتسفير أعداد كبيرة من أولئك أصحاب الأصول الإيرانية ، مع مجموعة كبيرة من الإيرانيين ، وبعض الباكستانيين والأفغان والهنود^(٢) ، ويبدو أن الحوزة العلمية كانت هي الهدف الأكبر لمثل هذه التسفيرات ، رغم شمول التسفيرات غير الحوزيين ، في مناطق عديدة كالنجف ، وكربلاء والكاظمية ، والبصرة .

كيف بدت حالة الحوزة في مواجهة ذلك ؟ . وما كان موقف علمائها ؟ وبالتالي ما هو تأثير التسفيرات على سير انتظام الدراسة الحوزوية ؟ .

« كانت أوضاع [طلاب وأساتذة] الحوزة العلمية في النجف ،

(١) شط العرب : نهر في جنوبي العراق ، يبدأ من مدينة القرنة البصريّة ، ويتكون من التقاء نهرَي دجلة والفرات ، طوله حوالي (١٨٥) كلم ، وعرضه بين (٤٠٠ و ١٢٠٠) متر ، يكوّن الحدود المشتركة بين العراق وإيران ، وهو صالح للملاحة ، وتحيط به غابات النخيل ، ويصب في الخليج العربي .
(٢) للاستزادة أنظر : التكريتي : من مذكرات حردان عبد الغفار التكريتي ، ٤٢ - ٤٧ .

القبايجي : الجهاد للسياسي للإمام الصدر ، ٤٧ - ٤٨ .
الكاتب : تجربة الثورة الإسلامية في العراق ، ٢٠٦ - ٢٠٧ .
خليل : الإمام محسن الطباطبائي الحكيم ، ١٧٧ - ١٨٠ .
روحاني : نهضة الإمام الخميني ، ٤٠٩ .

وهم يواجهون حملة التفسير (٠٠٠)، من الفوضى والإضطراب والحيرة إلى حد كبير . لا يملك أحد أكثر من تحديد موقفه شخصياً ، بل هو لا يدري كيف يحدد موقفه الشخصي ؟ وما هي المصلحة الدينية ؟ والسلطة تطاردهم في الشوارع ، والمساجد ، والمنازل»^(١) .

نعم ، كان نصيب الحوزة العلمية في النجف من هذه التفسيرات شيئاً كبيراً وبشعاً فقد أقدمت السلطات هناك في ١٨ صفر ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م « على الهجوم على المدارس الدينية بالنجف ، وألقوا القبض على قسم من طلابها ، وسفروا بعضهم ، وأوقفوا البعض الآخر»^(٢) .

وعادت حملات التفسير في سنة ١٣٩١هـ / ١٩٧١م تنهش الجسم البشري للحوزة العلمية في النجف ، وبلغت الهجمة في عنفها وشراستها أن كثيراً ممن لا يطالهم سيف التفسير فضلوا مغادرة الحوزة إلى حوزة أخرى ، يتمكنون فيها من مواصلة دروسهم بهدوء بال ، وارتياح أعصاب . فتحرّك السيد محمد باقر الصدر لمعالجة هذه المشكلة ، إذ قام بزيارة المرجع الديني الأعلى الإمام الخوئي (طيّب الله ثراه)، وشرح له الحال بالتفصيل ، كما شرح له مخاطر هذا الأمر على الحوزة العلمية في النجف ، وعلى الوضع الإسلامي في العراق عموماً ، واستطاع أن يُقنع الإمام الخوئي - بعد أن هاجرت أعداد كبيرة - بأن يحكم^(٣) بعدم السفر

(١) القبانجي : م . س ، ٤٧ .

(٢) خليل : الإمام محسن الطباطبائي الحكيم ، ١٧٨ ، (نقلاً عن) : كراس بعنوان : « محنة الدين في العراق » ، ٦ - ٧ ، إصدار المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان ، سنة ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .

(٣) هناك فرق عند الإمامية بين الفتوى والحكم ، من جهة عمل المكلف ، فالمكلف يلتزم بفتوى مقلّده الحي ، ويمكن له في حالات معينة العدول عنه إلى غيره ، أما إزاء مسألة الحكم فلا محيص لكل مكلف من الإذعان للحكم حتى لو لم يكن من مقلّديه - إذا ما صدر عن مجتهد جامع للشرائط - وحكم الحاكم الجامع للشرائط

خارج العراق لطلاب وأساتذة الحوزة ، وفورا تناقل تلامذة السيد الصدر هذا الحكم ، وبدأوا ينقله إلى مختلف رجال الحوزة العلمية ، إلى حدِّ قصدوا فيه منازل الطلبة أنفسهم ، وبلَّغوهم بحكم الإمام الخوئي ، ففسخ المئات عزمهم على السفر بعد أن سمعوا هذا الحديث ، وأصبح الموقف معلوماً ، ومقتضى المصلحة الإسلامية محددًا»^(١) .

ورغم كل الإحتجاجات المحدودة على إقدام السلطة على أعمال التهجير ، خاصة تهجير طلبة الحوزة الدينية في النجف ، فإن من الطبيعي أن ينعكس ذلك سلباً على الوضع الدراسي في نطاق الحوزة ، ومن ثم يساهم في إنخفاض مستوى التعليم ، بسبب الوضع النفسي القلق الذي يعيشه الطالب ، أو بسبب هجرة بعض الكفاءات من الأساتذة الذين كانوا يديرون - بجدارة - بعض حلقات الدرس والتدريس .

بيد أن السلطة - وقد قررت تحجيم دور الحوزة - لم يكن ليعجبها وجود كيان له في نفوس أبناء البلد ، وفي نفوس غير أبناء البلد أيضاً مكانة تُذكر تنافس المكانة التي تحتلها الدولة في نفوس الناس ، لذا فقد عادت إلى القيام بعمليات تسفير وتهجير طلبة العلوم الدينية من غير العراقيين خارج العراق ، وذلك سنة (١٣٩٥هـ / ١٩٧٥ م)^(٢) ومن ثم لتلحقها بحملة واسعة أخرى سنة (١٤٠١هـ / ١٩٨٠ م)^(٣) وإذا ما ضمنا لذلك موضوع إعتقال الإمام الصدر في السنة نفسها ، ومن ثم

= لا يجوز نقضه حتى لمجتهد آخر . إلا إذا علم مخالفته للواقع ، أو كان صادراً عن تقصير في مقدماته .

- أنظر : الخوئي : منهاج الصالحين ، بحث التقليد من ٧ إلى ١٤ .
وشمس الدين : حوار له مع جريدة السفير (لبنان) ع/٥٦٤٧ ،
١٣ محرم ١٤١١هـ / ٤ آب ١٩٩٠ م ، عمود رقم ٤ .
(١) القبانجي : الجهاد السياسي للإمام الصدر ، ٤٧ .
(٢) نفسه ، ٤٨ .
(٣) الكاتب : تجربة الثورة الإسلامية في العراق (١٩٢٠ - ١٩٨٠ م) ، ٢٠٨ .

إعدامه ؛ نعرف جيداً أن كل ذلك - بالإضافة إلى قيام الثورة الإسلامية في إيران عام (١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م) وهجرة الطلاب إلى مدينة قم - أدى إلى إنهيار الحوزة في النجف ، ولم يعد فيها من الطلاب إلا ما يقارب الـ (٥٠٠) طالب من أصل عشرة آلاف طالب، كما أوضحنا ذلك من قبل . ولولا وجود الإمام الخوئي في النجف ، ورغبة السلطة في الإحتفاظ بالكيان المرجعي الديني في العراق ، بدلاً عن انتقاله إلى قم ، لما كان هناك من أثر ، حتى لهذا العدد القليل من الطلاب ، دون أن يفهم من هذا قبول الدولة وارتياحها لمثل ذلك الكيان المرجعي ، حيث تظل الدولة حريصة على إبقائه كيانياً تقليدياً ، لا يهتم إلا بأمور الطهارة والنجاسة ، والحيز والنفاس !..

ملاحظات في ضوء ما تقدم :

ومما تقدم من عرض لمختلف أطوار الحركة الإصلاحية في الحوزة العلمية في النجف وبعد قراءة لأهم طروحات المصلحين ، يمكن أن نخرج بالملاحظات التالية :

١- إن السلطة السياسية في العراق ، سواء تلك التي حكمت البلاد بعد قيام الحكم الوطني سنة (١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م) . أو التي تسلّمت سدة الحكم بعد إعلان الجمهورية سنة (١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م) ، وإلى عام (١٤٠١هـ - ١٩٨٠م) ، لم تكن تؤيد أو تشجع قيام مؤسسات تعليمية مستقلة في مناهجها وإدارتها عن الدولة . ولنا في إنشاء مدرسة الغري في النجف ما يشجع على هذا الإستنتاج ، حيث « أنشئت بتكتم خوفاً من الحكومة »^(١) ، ومن ثمّ معاناة القائمين على منتدى النشر في حصولهم على الترخيص فـ « بعد اللتيا والتي ؛ أجازت الوزارة فتح المنتدى »^(٢) . وأخيراً تأميم التعليم ، وإغلاق المدارس الأهلية

(١) الخاقاني : شعراء الغري ، أو النجفيات ، ١٥٤/٤ .

(٢) الأصفى : مدرسة النجف ، ١٢٦ (نقلاً عن) : نظام منتدى النشر ، أ- ب .

الإسلامية^(١) .

٢- إن حصول إعراف من قبل السلطة السياسية ، ببعض المؤسسات التعليمية الإسلامية المستقلة ، إنما كان بفضل جهود بعض رجال السلطة ، ممن ساهم في التفكير بشؤون الإصلاح ، فمتدى النشر مثلاً ، وبعد منحها الترخيص بخمسة أشهر « عدلت الوزارة فألغت اعترافها »^(٢) . ولولا وجود أحد رجال الإصلاح من النجفيين في منصب (وزير تربية)^(٣) ، لم يكن ثمة أمل في الحصول على الترخيص من جديد .

نعم : قد توافق الدولة - إذا ما واجهت ضغطاً مرجعياً - على بعض الأفكار الإصلاحية ، دون قيام مؤسسة تعليمية ، كموافقتها على مجموعة أفكار إصلاحية قدمها الإمام الحكيم للسلطة سنة (١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م) ومنها « تشكيل لجنة لدراسة الكتب الدراسية في المدارس الابتدائية والثانوية »^(٤) .

٣- خلو كل الدعوات الإصلاحية - فترة الدراسة - من إشارة إلى تعليم المرأة ، وفي وضع كهذا كان على المرأة - إذ ذاك - إما أن تظل جاهلة ، أو تلتجئ إلى مدارس الدولة وجامعاتها ، مع ما يصاحب ذلك

(١) الكاتب : م س .

(٢) الأصفى : مدرسة النجف ، ١٠٦ ، (نقلاً عن) : مخطوطات المُظفر .

(٣) المقصود هنا هو : الشيخ محمد رضا الشبيبي (١٣٠٦ - ١٣٨٥هـ / ١٨٨٨ - ١٩٦٥م) شغل في العراق منصب رئيس الأعيان ، ورئيس مجلس النواب ، ورئيس المجمع العلمي العراقي ، ووزير للتربية (المعارف سابقاً) ، له ديوان شعر ، ودراسة عن (ابن الغوطي في تاريخ الدولة العباسية) .

(٤) خليل : الإمام محسن الطباطبائي الحكيم ، ١٦٣ ، وأعضاء هذه اللجنة هم : السيد مرتضى العسكري ، والشيخ علي الصغير ، ووزير التربية آنذاك وهو الدكتور/أحمد مطلوب .

من تأثر بدعوات السفور ، والإختلاط ، وكل تلك مفاهيم غريبة على بيئة محافظة كالنجف . دون أن تفوتنا الإشارة إلى تلك المدارس التي كانت تُشرف عليها السيدة آمنة الصدر (شقيقة السيد محمد باقر) ، في النجف والتي تحمل عنوان (مركز التعليم الديني) ، والكاظمية ، تحت إسم (مدارس الزهراء عليها السلام) والتي لم تستمر طويلاً . .

٤- إن السلطة السياسية في العراق تحرص على إبقاء الحوزة العلمية في النجف على حالها من الفوضى التي تعيشها وتحرص في الوقت نفسه ، على إبقاء طالب الحوزة تقليدياً في دراسته وفي أفكاره ، بل وفي تعامله مع السلطة ، ونلمس ذلك من خلال محاربتها بشراسة لا مسوّغ لها ، كل الدعوات الإصلاحية التي تدعو إلى الخروج على التقليد والتقليديين ، كمدرسة الجزائري ، ومدرسة العلوم الإسلامية ، في حين لم تشمل تلك المحاربة مدرسة كاشف الغطاء ، وجامعة النجف الدينية .

٥- صعوبة نجاح أية حركة أو دعوة إصلاحية في نطاق الحوزة العلمية في النجف ، بمعزل عن مباركة المرجعية ، بل إن حيادها إزاء الدعوة الإصلاحية غير كاف في هذا المجال فجامعة النجف الدينية ظلّت مستمرة لأنها تمكّنت من الحصول على التأييد المرجعي بينما لم يقوَ مشروع الجزائري على الإستمرار ، لمطالبته إصلاح الكيان المرجعي مالياً وإدارياً ، بل بدعوته لإنشاء قيادة مرجعية واحدة . ولم يقوَ مشروع (مدرسة العلوم الإسلامية) على الاستمرار أيضاً لأنه يريد الخروج على الوضع التقليدي للمرجعية ، فراح يدعو لتهيئة الأجواء للمرجعية الرشيدة . .

٦- تعدد الكيانات المرجعية من أهم أسباب إخفاق الدعوات الإصلاحية في وصولها لهدفها ، حيث يظل أمر إرضاء أكثر من كيان موضوعاً عسيراً للإصلاحيين ، إضافة لعدم قدرة هؤلاء المُصلحين على فرض نمط دراسي - تعليمي معيّن ، حتى وإن أيدته المرجعية في أحد

رؤوسها ، إذ يمكن أن يلجأ المعارض لرأس آخر من رؤوس المرجعية فيرفض ويعترض ، وقد يُحارب . وقد انتقلت هذه العدوى من النجف إلى غير بلد ، ولنا في لبنان خير مثل ، حيث تتعدد المؤسسات التعليمية الحوزوية وكل يريد له كياناً مستقلاً عن الآخر ، ونتيجة ذلك ظلت كل المؤسسات ضعيفة ، وخاصة في مستواها العلمي .

٧- ضرورة دراسة المصلحين لنوع السلطة السياسية الحاكمة ، والطبيعة الفكرية للنظام المنوي إقامة المؤسسة التعليمية في ظلالة ، إذ من غير المعقول والمنطقي تجميع الأموال الطائلة وشراء الأراضي ، وإقامة المنشآت ، وبالتالي لتقدم لقمة سائفة للدولة بمجرد « جرة قلم » يؤمم فيها الوزير هذه المؤسسة ، أو تلك ، كما حصل في جامعة الكوفة ، وكما حصل في تأميم كافة المدارس الإسلامية في العراق وعودة ممتلكاتها وأوقافها للدولة . . .

* * *

الفصل الثالث:

كلمة لفقہ: نموذج الإصلاح الدراسي "دراسة وتقييم"

... إن دعوات تطوير الأساليب الدراسية ومناهجها في الحوزة العلمية في النجف قد تعالت منذ سنة (١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م). فدعت من ضمن ما دعت إليه إنشاء كلية دينية إذ إستمر السيد عيسى كمال الدين^(١) « يناضل ربع قرن لتوجيه إخوانه وتبنيهم لإيجاد كلية دينية تحفظ لهم أتعابهم ، وقد تجرد من كل تفكير إلاها »^(٢) . ولجأ إلى الدولة محاولاً الحصول على تأييد لمشروعه هذا ، فاقترح على سعد صالح^(٣) أن يقوم بدوره ، فيوقف الجهات الحكومية المسؤولة على وضع الطالب الحوزوي

(١) وُلِدَ فِي النَّجْفِ سَنَةَ (١٢٨٨هـ / ١٨٧١م) ، وَتَوَفَّى سَنَةَ (١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م) .

(٢) الخاقاني : شعراء الغري ، أو النجفيات ، ٢٩٥/١ .

(٣) سعد صالح ، المتوفى في النَّجْفِ سَنَةَ (١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م) ، تَلَقَّى عُلُومَهُ فِي الْحُوزَةِ الْعِلْمِيَّةِ فِي النَّجْفِ ثُمَّ دَخَلَ دَارَ الْمُعَلِّمِينَ وَتَسَلَّمَ بَعْدَهَا وَظِيْفَةً إِدَارِيَّةً فِي الدَّوْلَةِ لِيَتَدَرَّجَ فِيهَا مِنْ كَاتِبٍ فِي الْحِكْمَةِ الشَّرْعِيَّةِ الْجَعْفَرِيَّةِ حَتَّى مَنَصَّبَ وَزِيرَ الدَّاخِلِيَّةِ سَنَةَ (١٣٦٦هـ / ١٩٤٦م) .

أَنْظَرَ تَرْجُمَتَهُ فِي : الخاقاني : شعراء الغري ١٢٧/٤ .

إن في مورده المالي أو وضعه الدراسي المضطربين. كان يأمل من طرح الفكرة على الحكومة احتمال أن « تلهمهم في المستقبل بتكوين جامعة للدين في النجف تُنظَّم على طراز الجامعات في العالم ، ليكون الطالب على بصيرة من أمره ومعرفة مستقبله »^(١) . وفي رأي السيد كمال الدين : « أن الحكومة لا يهملها - إذا أحببت الإصلاح - أن تساهم في المشروع الإصلاحي »^(٢) .

ولكن أين أصبحت جهود السيد كمال الدين في إنشاء تلك الكلية الدينية ؟ يجيب عن هذا السؤال أحد المؤرخين الذين عاشوا الفكرة فيقول :

« .. وكاد أن ينجح هو وفريقه الذي آزره ، غير أن المغرضين - وما أكثرهم - شاءت أغراضهم أن تميت هذه الفكرة وتقبورها وهي في مهدها (...) وبموتهما فقدت النجف جيلاً كان يصلح لحراسة المذهب والدين على الأسلوب الذي يتمشى وعقلية الزمن الآتي »^(٣) .

ولعلَّ أسلوب الدعوة لمثل تلك الكلية - الذي إنتهج آنذاك - هو السبب الأبرز في موت الفكرة إذ « إنطلقت الفكرة من عقول بعض الشباب المجدِّد إذ ذاك بأساليب فيها الشيء الكثير من العنف والإنفعالية واللامبالاة ، مما وُلد في نفوس الآخرين من ردود الفعل ما حوّل الصراع حولها من مجاله الفكري إلى مجالات العاطفة والإنفعال »^(٤) .

وفي ضوء تجربة هذه الثورة الإصلاحية خطا الشيخ محمد رضا المظفر خطوة إتسمت بالهدوء والحذر ، خاصة وأنه يدرك جيداً قوَّة الخط التقليدي في داخل الحوزة فبعد سنتين من تأسيس (جمعية منتدى النشر)

(١) الخاقاني : م . س ، ١٢٨/٤ .

(٢) نفسه .

(٣) الخاقاني : شعراء الغري ، أو النجفيات ١/١٥٤ .

(٤) الحكيم : المنتدى تاريخ وتطور ، مجلَّة النُجف (النجف) س/٣/٢ ذي الحجة

١٣٨٧هـ/١٩٦٨م .

وتحديداً في سنة (١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م). وضع الخطة لتأسيس مدرسة عالية للعلوم الدينية وكلية للإجتهد بفتح الصف الأول الذي كان يدرس فيه أربعة علوم :

١- الفقه الإستدلالي .

٢- تفسير القرآن .

٣- الفلسفة .

٤- علوم أصول الفقه .

على شكل محاضرات توَضَّع بلغة سهلة واضحة^(١) سميت وقتها (منتدى النشر العالية)^(٢) .

يتحدث الشيخ المظفر عن هذه المؤسسة فيقول : « فتبرَّع بتدريس الأول والثاني الشيخ عبد الحسين الحلي ، وتبرَّع بتدريس الثالث والرابع الشيخ عبد الحسين الرشدي . وكان تبرُّع هذين العَلَمين بالتدريس دراسة منظَّمة من أهم الأحداث في تاريخ النجف الأشرف ويعدّ تضحية نادرة منهما تذكر مدى الدهر بالتقدير والإعجاب بروحهما الإصلاحية . ولم تأتِ العطللة الصيفية إلّا وتعطل هذا الصف ليعود بعدها ، ولكنه أبى . ولا يدري غير بعض أعضاء مجلس الإدارة أكان إباؤه عن دلال أم مُلال ؟ أم عن شيء آخر غير منتظر حتى من مثل هذين العَلَمين نفسيهما . قاتل الله الشجاعة الأدبية كيف تعرَّز في أشد ظروف الحاجة إليها^(٣) .

ولم يتوقف الشيخ المظفر مع توقف (منتدى النشر العالية) بل راح يحاول إعادة التجربة مرة بعد مرة أخرى ، حيث قامت على يديه وضمن إطار (جمعية منتدى النشر) (كلية منتدى النشر) ، وذلك سنة (١) الأصفى : مدرسة النجف ١٢٧ .

(٢) المظفر : تقديم كتاب « الإقتصاد فيما يتعلق بالأعتقاد » للشيخ الطوسي .

(٣) الأصفى : م . س ، (نقلاً عن) : المظفر : منتدى النشر : أعماله وآماله ،

(١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م).^(١) وبعد كل تلك المحاولات التي لم تكن بسيرها ، وما أدت إليه من نتائج بمستوى طموح الشيخ المؤسس . « فقد أسس في سنة (١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م) . بعد محاولات عديدة وتجارب طويلة (كلية الفقه) في النجف الأشرف »^(٢) . كإحدى المؤسسات التعليمية المنبثقة عن جمعية منتدى النشر نفسها^(٣) .

الوضع القانوني والمستوى الجامعي لكلية الفقه :

بعد سنة واحدة على تأسيس (كلية الفقه) في النجف « إعترفت بها وزارة المعارف العراقية سنة (١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م) ، واعتبرت شهادتها عالية يُطبَّق على حاملها ما تنص عليه القوانين والأنظمة في ما يتعلق بخريجي المعاهد العالية »^(٤) . ودرجتها العلمية درجة (الليسانس)^(٥) ، أو (البكالوريوس) كما هو مثبت في شهادات خريجي كلية الفقه ، ودرجة الإجازة إنما تكون في اللغة العربية والعلوم الإسلامية^(٦) . وقد « تلقت عمادة (كلية الفقه) من قبل جامعة بغداد بكتابها المرقم (٢٠٣٨٣) بتاريخ ٢٩/١٢/١٩٦٢ الإعراف بمستوى (كلية الفقه) ومعادلتها بالكليات الشبيهة بها في الجامعة مثل كلية الشريعة وكلية

(١) المظفر: تقديم كتاب (الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد ، للشيخ الطوسي) صفحة/ح .

(٢) الأصفى: مدرسة النجف ، ١٢٩ .

(٣) للإستزادة أنظر: الأصفى: م . س . والمظفر: تقديم كتاب (الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد)

والخليلي: موسوعة العتبات المقدسة ، ١٨٤/٧ .

والفضلي: دليل النجف الأشرف ، ٧٦ .

(٤) الأصفى: م . س . ١٢٩ .

(٥) المظفر: جامعة النجف وجامعة القرويين ، مجلّة النجف س/٤ ، ع/٥-٦ .

جمادى الأولى ١٣٨٠هـ/ ١٠ تشرين الثاني ١٩٦٠م .

(٦) الفضلي: دليل النجف الأشرف ، ٧٧ .

التربية ، وكلية الآداب»^(١) . وفي سنة (١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م) رُسمت الكلية^(٢) حيث أصبحت تابعة لجامعة بغداد مباشرة ، وأحد أقسام كلية الآداب تحديداً . وفي سنة (١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م) ألحقت الكلية بالجامعة المستنصرية ، ومن ثم لتكون إحدى كليات جامعة الكوفة التي أنشئت قريباً من النجف عام (١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م) . وقد عرفت لاحقاً أنها إلغيت عام (١٤١١هـ / ١٩٩١م) وألحقَ طلابها وبعض أساتذتها بكلية الحقوق ببغداد .

أما مدّة الدراسة في (كلية الفقه) فهي « أربع سنوات ، تبدأ في اليوم الأول من الأسبوع الثاني من تشرين الأول ، وتنتهي في آخر الأسبوع الثالث من شهر أيار»^(٣) . ويقبل في الكلية « خريجو الدراسات الثانوية ، أو ما يعادلها ، وذوو الدراسات الخصوصية ممن يجتاز إمتحاناً ، خاصة في علوم اللغة العربية ، وعلم المنطق ، وعلمي الفقه وأصوله بمستويات معينة»^(٤) .

أهداف كلية الفقه :

لا تختلف أهداف كلية الفقه كثيراً عن أهداف الحوزة العلمية في النجف ، خاصة وأن فكرة الكلية إنطلقت من قلب الحوزة وقام بتنفيذها بعض رجال الحوزة ، الذين لم يروُ بُدأً من إصلاح نظام الدراسة في الحوزة نفسها .

يتحدّث الشيخ المظفر عن أهداف (كلية الفقه) في محاضراته التي ألقاها في المهرجان الذي أقامته الحكومة المغربية (بفاس) سنة (١) المنتدى في شهر ، سجلة النجف س/٥ ، ع/٤ شعبان ١٣٨٢هـ/كانون الثاني ١٩٦٣م .

(٢) المظفر: مقدمة كتاب (الاقتصاد فيما يتعلق بالإعتقاد) للشيخ الطوسي ، صفحة ، ح .

(٣) الفضلي: دليل النجف الأشرف ، ٧٦ .

(٤) ن .

(١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م) بمناسبة مرور أحد عشر قرناً على تأسيس جامعة القرويين الإسلامية ، فيقول : - « وقد لمس كثير من المفكرين صعوبة هذه المرحلة^(١) ، فوجدنا أن من الجدير بنا أن نسعى إلى فتح كلية منمّمة لتتلافى بها كثيراً من النواقص التي يشتكي منها الطالب وذلك بتبسيط بعض الكتب ، وتنظيم المناهج والدروس والامتحانات ، وهكذا تم لجمعية منتدى النشر أن تفتح (كلية الفقه) لتخريج طلاب لهم الإستعداد الكافي لحضور مجالس دروس كبار المجتهدين بالإضافة إلى القيام بواجب الدعوة إلى الدين الإسلامي وتبليغ مبادئه بمنابرهم وأقلامهم^(٢) تحقيقاً لهذه الأهداف وُضِعَ منهاج (كلية الفقه) لسنواتها الأربع .

وحتى بعد إعتراف الدولة بخريجي هذه الكلية ، ولجوء الكثيرين منهم إلى وظائف الدولة ؛ فإن هدف الكلية نلمسه واضحاً حتى لدى خريجي الدورات البعيدة زمنياً عن الدورة الأولى ، وفي هذا الإتجاه نقرأ في مجلة كلية الفقه (النجف) بقلم أحد طلابها تحت عنوان : (رسالة الطالب في كلية الفقه) : -

« لا شك أن الدراسة والثقافة وحدها لم تكن الباعث لنا - نحن طلاب كلية الفقه - في الدراسة في هذه الكلية ، وإن كانت هي جزء من العلة ، فقد كان بإمكاننا أن نطرق أبواب سائر الكليات والمعاهد العلمية في هذا البلد وغير هذا البلد حيث نتلقى فيها العلم والثقافة التي تؤهلنا للحياة . ولكن ما كنّا نتوخّاه في (كلية الفقه) بالإضافة إلى الثقافة هي أن نتزوّد فيها طيلة سنوات الدراسة بروح الرسالة الإسلامية وبالذهنية الإسلامية المشبعة بمفاهيم هذه الرسالة . وهذا ما يندر أن تجده في كثير من الكليات والمعاهد الدراسية ، والرسالة في حياتنا وحضارتنا ، ليست

(١) إشارة منه إلى مرحلة السطوح في الدراسات الحوزوية ، والتي تحدثنا عنها مفصلاً في الفصل الأول من الباب الرابع .

(٢) المظفّر : جامعة النجف الأشرف وجامعة القرويين ، مجلة النجف س/٤

شيئاً فوقياً ، وإنما هي في الصميم من حياتنا وكياننا » .

يضيف :

« إن ملء الفراغات الهائلة في حياة الشباب طلاباً كانوا أو غيرهم على صعيد واحد وإشباع ذهنيهم بالرسالة الإسلامية هي المهمة التي نسلح أنفسنا لها ، ونجند جميع طاقتنا ونبذل أقصى جهودنا في هذه المؤسسة لها ، وهي التي دفعتنا أكثر من أي عامل آخر على الدخول في هذه الكلية »^(١) .

مما تقدم يمكن أن نوجز الأهـاف التي من أجلها أسست كلية الفقه ، بالآتي :

١- تنظيم الدراسة الحوزوية في مرحلتَي المقدمات والسطوح ، وفق نظام السنوات ، وإدخال الإمتحانات ، والأخذ بقسم من المناهج الحديثة في تيسير الكتاب الدراسي الحوزوي ، وتبسيط مفاهيمه ، وتطويرها .

٢- إعداد نخبة واعية من الدعاة مسلحين بالثقافة الإسلامية ، وبعض العلوم الحديثة التي اشتمل عليها منهاج (كلية الفقه) ، ليكون الطالب - الذي يجتاز مرحلته الأولى - بمستوى رسالته التي يُراد له تأديتها ، وبمستوى التحديات المعاصرة التي تواجهه ، سواء إنتقل إلى مراحل الدراسة الحوزوية العليا (الإجتهاد) ، أو وقف عند حدود المرحلة الأولى .

المناهج الدراسية في كلية الفقه :

لكي يسهل علينا معرفة المواد الدراسية في كلية انفقنا لسنينها الدراسية الأربع ، فقد قمنا بإعداد الجدول التالي - الذي وزعنا فيه المواد الدراسية وفق سنوات الدراسة في الكلية ؛ -

(١) معلّه : رسالة الطالب في كلية الفقه ، مجلة النجف (النجف) س/١ ع/٥

جمادى الأولى ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م .

جدول رقم (٦)
المواد الدراسية في كلية الفقه لسنة الدراسة الأربع

السنة الأولى	السنة الثانية	السنة الثالثة	السنة الرابعة
<p>١- الفقه ٢- أصول الفقه ٣- الحديث ٤- النحو ٥- البلاغة ٦- تاريخ الأدب العربي ٧- أصول البحث والكتابة ٨- النطق ٩- علم الإجماع ١٠- اللغة الإنكليزية</p>	<p>١- الفقه ٢- أصول الفقه ٣- التاريخ الإسلامي ٤- الفلسفة الإسلامية ٥- الفلسفة الإسلامية ٦- الإلتزام (قانون) ٧- النحو ٨- المروض ٩- تاريخ الأدب العربي ١٠- النقد الأدبي ١١- التزييه</p>	<p>١- الفقه ٢- أصول الفقه ٣- التاريخ الإسلامي ٤- الفلسفة الإسلامية ٥- النحو ٦- البلاغة ٧- تاريخ الأدب العربي ٨- النقد الأدبي ٩- علم النفس ١٠- اللغة الإنكليزية</p>	<p>١- الفقه ٢- أصول الفقه ٣- أصول الفقه المقارن ٤- التفسير/علوم القرآن ٥- الفلسفة الحديثة ٦- النحو ٧- تاريخ الأدب العربي ٨- فقه اللغة ٩- طرق التدريس ١٠- أصول البحث والكتابة ١١- الصرف</p>

إن نظرة سريعة في المواد الدراسية لكلية الفقه ، تكشف أن هناك تركيزاً على المواد الأربع التالية :

١- الفقه . ٢- أصول الفقه . - النحو . ٤- تاريخ الأدب العربي .

حيث تظل هذه المواد ملازمة الطالب من السنة الأولى حتى السنة الرابعة، وهو ما يكشف عن هدف الكلية في أن لا تخرج عن إطارها الحوزوي ، وإن أُضيفت إلى المنهج الدراسي بعض العلوم التي لم تكن مألوفة الدراسة في الحوزة : كعلم التربية ، وعلم النفس ، وعلم الاجتماع ، والفقه المقارن ، وما إليها .

وهناك ما لا يحسن التغافل عنه في ما يرتبط بمنهاج الدراسة في الكلية ، إذ يُشترط على كل طالب في الكلية أن يقدم بحثاً في السنة الرابعة ضمن مادة (المكتبة وأصول البحث). ومن غير الممكن حصول الطالب على شهادة التخرج بدون إقرار البحث من أستاذ المادة ، حتى ولو كان الطالب قد نجح في كل المواد الدراسية الأخرى^(١) .

إن المنهج الدراسي في (كلية الفقه) قد أُعدَّ إعداداً مباشراً من قبل مؤسسي الكلية ، وخلال سني كلية الفقه كان مجلس الكلية يؤلف اللجان للنظر في الوضع القائم للكلية ودراسة دراسة مفصلة ، بخاصة ما يتعلق في المناهج ومفرداتها . وقد عثرنا في بعض أعداد مجلة النجف^(٢) ، على أسماء الأعضاء لإحدى تلك اللجان ، وهم :

١- السيد هادي فياض ، رئيس جمعية منتدى النشر .

٢- السيد محمد تقي الحكيم ، عميد كلية الفقه .

٣- الشيخ أحمد البهادلي ، عضو مجلس الكلية .

(١) أنظر الملحق (٩) أسماء بعض البحوث التي قدّمها طلبة الكلية ، مع التقدير الحاصلين عليه . ص ٣٣٧ .

(٢) س/٢ ، ع/٥ ، ربيع الأول ١٣٨٨هـ/حزيران ١٩٦٨م .

٤- الشيخ محمد كاظم شمشاد ، عضو مجلس الكلية .

٥- الشيخ عبد الهادي الفضلي ، عضو مجلس الكلية .

وقد تُلب إلى هذه اللجنة -بالإضافة إلى النظر في المناهج الدراسية في الكلية - دراسة موضوع « تفرّيع الكلية إلى قسمين ، وفتح معهد عال لدراسة (الماجستير) ، ورفع نتائج الدراسة والمقترحات التي تراها بعد الإستئناس بأراء المعنيين من الخبراء والتربويين ، رفعها إلى مجلس الكلية للقيام بما يلزم »^(١) .

ويبدو أن هذه اللجنة قد عملت بمثابة إذ حدثنا مجلة (النجف) ، وهي تتابع أخبار (متدى النشر في شهر) عن « إنتهاء لجنة تطوير الكلية من دراسة الموضوع ورفع الصيغة الجديدة المقترحة إلى مجلس الكلية للنظر فيها »^(٢) . ووعدت المجلة بموافاة القراء الكرام بتفاصيل المشروع وما يجد فيه في العدد القادم^(٣) ويبدو أن قيام ثورة ربيع الثاني ١٣٨٨هـ/ تموز ١٩٦٨ م . حال دون مواصلة صدورها ، إذ توقفت بعد شهر واحد تقريباً من قيام تلك الثورة .

وكيف كان أمر لجنة تطوير المناهج في كلية الفقه ؛ فإن مجلس الكلية إستمر مشرفاً على المناهج الدراسية في الكلية ، رغم إعتراف الدولة بشهادة متخرجي هذه الكلية ، بل حتى بعد ترسيمها عام (١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م) حيث « ظلت قائمة بالمنهج ذاته إلى الوقت الحاضر »^(٤) . مع ما تخلل ذلك من محاولة بعض القائمين على أمر كلية الفقه تبسيط الكتب الدراسية الحوزوية وإزالة التعقيد والغموض عنها

(١) مجلة النجف م . س .

(٢) مجلة النجف ، س/٢ ، ع/٧ جمادى الأولى ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨ م .

(٣) ن .

(٤) المظفر : تقديم كتاب (الاقتصاد فيما يتعلق بالإعتقاد للشيخ الطوسي) وتاريخ

كتابة المقدمة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٨ م .

لتسهّل للطالب المادة الدراسية في الدرس من غير جهد ومشقة ، وليوفر على الطالب كثيراً من الجهود التي يبذلها في هذا السبيل ، ليصرفها في مجالات الفكر الرحبة .

ومن هنا تأتي خطوة الشيخ محمد رضا المظفر الرائدة في هذا المجال فقد « حرر كتابيّه (المنطق) و(أصول الفقه) . فحرر بهما هذين العِلْمَيْن من غموض وتعقيد الكتب القديمة »^(١) . وقد طبع هذان الكتابان ووجد فيهما طلاب الكلية وأساتذتها ، وطلاب الحوزة العلمية وأساتذتها ، خير مادة دراسية إستغنوا بها عن الكتب القديمة التي توارث الحوزويون أمر دراستها دون جرأة من أي منهم على إبدالها أو تجديدها . على أن الشيخ المظفر في كتابي المنطق وأصول الفقه « حاول أن يجاري أحدث المناهج التأليفية في كتب الدراسة الجامعية من العرض والتبسيط والتمرين والتنسيق والتعليق »^(٢) وبهذه الخطوة كسر الشيخ المظفر حاجز التقديس للكتب الحوزوية التقليدية ، وكان من نتاج ذلك أن ألف الشيخ الفضلي كتاباً في (مختصر النحو) ، وكتاباً في (مختصر البلاغة) ، وألف الشيخ البهادلي كتاباً في العقيدة الإسلامية سَمَاه (محاضرات في العقيدة الإسلامية) ، حيث إعتمدت هذه الكتب منهاجاً دراسياً لا في كلية الفقه ، أو الحوزة النجفية فقط : بل وفي الحوزات العلمية في الخليج وإيران ولبنان .

التمويل المالي لكلية الفقه :

لكي يستمر كل مشروع ، تجارياً كان أم ثقافياً ، فلا بدّ له من دعم مالي وتمويل ومساندة وكلما كان التمويل قوياً ومستمراً كلما كانت أمام المشروع فرصة أكبر للتقدم والنجاح والإستمرار .

.. ولم يغب عن بال القائمين على مشروع (كلية الفقه) هذا

(١) الأصفى : مدرسة النجف ، ١٣١ .

(٢) الأصفى : مدرسة النجف ، ١٣١ .

الأمر ، فالدولة لا تتبنى - مالياً - مشروعاً كهذا كونه مشروعاً غير حكومي من جهة ، وهو يخالف توجهاتها الفكرية من جهة ثانية . نعم : قد تقدم الدولة للجمعية المشرفة عليه بعض المِنح المالية والتي تقدم عادة من قبل وزارتي المعارف والمالية .

لذا فقد كانت الأقساط البسيطة التي تؤخذ من الطلاب ، تشكل بعض الروافد المالية الصغيرة لمشروع كلية الفقه . أما الدعم الأساسي والرافد الكبير فقد « كان يأتي للكليّة من تبرعات المؤمنين الذي يؤمنون بضرورة وجود مثل هذا المشروع »^(١) .

ومن الملفت للنظر ، وما يبعث على الإعجاب حقاً : هو رفض أساتذة كلية الفقه قبض شيء من المال نظير قيامهم بالتدريس ، وليس هذا هو مشار الإعجاب ، وإنما : تقديم أولئك الأساتذة بعض الأموال كتبرعات (لجمعية منتدى النشر) ، المشرفة على مشروع كلية الفقه^(٢) . فقد وجدنا ضمن ميزانية الجمعية بين حزيران ١٩٦٢ وشباط ١٩٦٣ م وضمن الواردات المالية للجمعية مبلغاً وقدره (١٠٧٣) د . ع : ألف وثلاثة وسبعون ديناراً عراقياً ، تبرعاً من أساتذة كلية الفقه للجمعية ، وهو رقم كبير إذا ما قورن بالإيرادات المالية الأخرى للجمعية والتي نوضحها في هذا الجدول عن ميزانية جمعية منتدى النشر بين حزيران ١٩٦٢ وكانون الثاني ١٩٦٣ «^(٣) .

(١) الكوثراني : حديث شخصي في الغسانية بجبل عامل ، في ١٧ ذو القعدة ١٤١٠ هـ / ١٠ حزيران ١٩٩٠ م .

(٢) قد يتساءل البعض عن مصادر عيش هؤلاء الأساتذة ؟ والجواب أن حالهم في مجال العيش كحال طلاب وأساتذة الحوزة العلمية في النجف يتعهدهم المرجع الأعلى برواتب شهرية لا لأنهم طلاباً وأساتذة في الحوزة ؛ بل لأنهم مستحقون مما لدى المرجع الأعلى من الحقوق الشرعية ، فيعطون ما يكفي حاجاتهم المعيشية ، كما يعطى غيرهم من المحتاجين .

(٣) نقلاً عن : مجلة النجف (النجف) س / ٥ ، ع / ٢ .

شروط القبول :

فتحت كلية الفقه - منذ إنشائها - أبوابها لقبول الطلاب الحوزويين ، لا بموجب وثيقة تخرّج ، أو شهادة دراسية معينة ، بل بموجب إمتحان قبول في بعض المواد الدراسية في الحوزة ، وبعض المواد الدراسية في الكلية . هذه المواد هي :

الفقه ، أصول الفقه ، النحو ، المنطق ، البلاغة .

فإذا ما اجتاز الطالب الإمتحان التحريري في هذه المواد قُبِلَ طالباً في الكلية ، وقد توجهنا بالسؤال إلى من فاز بالمرتبة الأولى على خريجي الكلية من الدورة الأولى ، عن أسماء الكتب التي أمتحن فيها هو وزملاؤه طلاب الدورة الأولى ، فأجاب :

١- في أصول الفقه كتاب (كفاية الأصول للملا كاظم الخراساني) .

٢- في النحو ألفية ابن مالك (شرح ابن عقيل) جزءان .

٣- في الفقه (الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية للشهيد الأول والثاني) .

٤- البلاغة كتاب (المختصر) للتفتازاني^(١) .

وهكذا ففي بداية الأمر كان كل طلاب كلية الفقه هم من رجال الحوزة العلمية في النجف . وبعد إعراف الدولة بكيان الكلية ، ومن ثم الإعراف بمستوى (كلية الفقه) ، ومعادلتها بالكليات الشبيهة بها في جامعة بغداد ؛ وضعت الكلية مجموعة شروط للتقديم للكلية ، تلك الشروط هي :

(١) الكوثراني : حديث شخصي في جبل عامل بتاريخ ١٧ ذو القعدة ١٤١٠هـ/ ١٠

حزيران ١٩٩٠م .

- ١- ملء استمارة القبول .
- ٢- دفتر النفوس لعام ١٩٥٧ ، أو دفتر الإقامة لغير العراقي .
- ٣- شهادة عدم المحكومة^(١) .
- ٤- شهادة الإلتزام بالأحكام الإسلامية من قبل العالم الديني للمنطقة التي يقطنها الطالب .
- ٥- شهادة السلامة من الأمراض السارية .
- ٦- وثيقة التخرّج من الثانوية مصدقة من مديرية التربية للمنطقة .
- ٧- أربع صور شمسية^(٢) .

أما الزي فلم تشترط الكلية - في من ينتسب إليها - الزي الخاص برجال الحوزة العلمية وهو (العَمّة) و(الجبة) . نعم حبّذت (كلية الفقه) للطالب فيها إرتداء هذا الزي المبارك ، وتمثل ذلك في بعض جوانبه بإعفاء كل طالب في الكلية يتزي بزّي أهل الدين من الأجور الدراسية^(٣) المطلوبة من كل طالب ، وقد كان لمثل ذلك القرار « صدى استحسان كبير وسمعة طيبة في الأوساط الدينية في النجف الأشرف ، وحافزاً قوياً لعدد محترم من الطلاب إلى لبس هذا الزي الشريف »^(٤) .

طلاب كلية الفقه :

بإمكاننا تقسيم الطلاب المنتمين لكلية الفقه بلحاظ ماضيهم الدراسي - قبل الكلية - إلى ثلاث فئات :

(١) وهي المُسمّاة في لبنان : السجل العذلي ، وفي الخليج العربي صحيفة الحالة الجنائية .

(٢) المنتدى في شهر (مجلة النجف) س/٢ ع/٢ ، ذي الحجة ١٣٨٧هـ/آذار ١٩٦٨ م .

(٣) ن .

(٤) ن .

الفئة الأولى : طلاب حوزويون ، رغب البعض منهم في مواصلة دراسة منهجية مبرمجة ، ورغب آخرون في الإضطلاع بمهمة التبليغ والإرشاد من خلال توجيهات الكلية . فيما وجد قسم ثالث في الكلية منفذه للوصول إلى الوظيفة ، لتأمين مستوى معيشي أفضل مما هو عليه في الحوزة العلمية .

الفئة الثانية : خريجو الثانويات ، أو ما يعادلها - وخاصة من النجفيين - الذين يجدون مشقة في الإلتحاق بجامعة بغداد^(١) . أو بجامعة البصرة^(٢) ، أو أوثق الذين يرغبون بالتسلح بثقافة إسلامية هادفة ، تفتقدها كل جامعات القطر عصرئذ .

الفئة الثالثة : معلمو المدارس الابتدائية ، الذين وجدوا فرصتهم الذهبية في تحسين أوضاعهم وظيفياً ومادياً ، إذ أنهم بواسطة شهادة التخرج من كلية الفقه ، يمكنهم أن يكونوا مدرسين في مدارس الدولة الثانوية ، كما يمكن لهم مواصلة دراساتهم العليا .

وتَجَمَّع الفئات الثلاث أعلاه الرغبة في الحصول على الشهادات الجامعية العليا ، وهذا ما يلاحظه من يتتبع أعداد الطلاب المسجلين بمعاهد الدراسات العليا ، « فخلال الفترة من (١٩٦٤ - ١٩٦٨ م) ، بلغ عدد خريجي كلية الفقه الذين تم قبولهم في قسم (الماجستير) بجامعة بغداد (١٨) طالباً في فرع الشريعة ، وأربعة طلاب في اللغة العربية »^(٣) . وهو رقم كبير إذا ما وضعنا الظروف المادية الصعبة والعوائق البيئية الكبيرة التي تقف بوجه خريجي كلية الفقه .

أما جنسيات طلاب (كلية الفقه) ، فليس للكلية ، توجه معين في

(١) تبعد عن النجف حوالي (١٦٥) لكم تقريباً .

(٢) تبعد عن النجف حوالي (٦٠٠) كلم تقريباً .

(٣) المستدى في شهر (مجلة النجف) (النجف) س/ ٢/ ع ١/ شوال ١٣٨٧ هـ/ كانون أول ١٩٦٨ م .

ما يرتبط بهذا الجانب شأنها في ذلك شأن الحوزة العلمية في المنهج . على أن المستعرض لأسماء الطلاب المنتمين للكلية في السنة الأولى من تأسيسها سنة (١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م) يجد الطالب اللبناني ، والإيراني والخليجي ، كما يجد الطالب العراقي . نعم بعد إعراف الدولة بشهادة خريجي كلية الفقه ومعادلتها « تهافت على الكلية الطلاب وخاصة من العراقيين »^(١) ، الذين يحاولون - في ما يبدو - التخلص مما هم فيه من ضائقة مالية مقترنة بإباء وعزة نفس لا تسمح لهم بالجلوس على موائد العطاء الحوزوية . . دون أن يفهم من هذا القول أن طلاب الحوزة من غير العراقيين يرتضون وضعا كهذا ، لا ، ذلك ما لا يمكن لأحد قوله ، إذ يظل الطالب الحوزوي - في الغالب دون حديث عن استثناءات - أباي^٢ نفس ، عزيز الجانب ، عفيف اليد . بيد أن الطالب الحوزوي غير العراقي - في الأعم الأغلب - يظل مشمولاً بعطاءات أهله وذويه وأبناء قرينته الذين يأملون كفايته معيشياً ، فيساعده ذلك على التحصيل الدراسي وبعدها يعود لأهله ومدينته عالماً يتولى شؤون التبليغ والدعوة للإسلام فيها .

ومن المهم أن نشير - ما دما بصدد الحديث عن نوعية طلاب كلية الفقه - إلى أن الدولة قد إشتطرت لكي تعترف بشهادة خريج كلية الفقه في سنة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م « أن يكون المنتسب لكلية الفقه من خريجي الثانوية العامة أو ما يعادلها . شأنه في ذلك شأن المنتسب إلى كافة الجامعات والكليات العراقية »^(٢) وبعد هذا لوحظ أن الرقم الأغلب من الطلاب هم من خريجي الثانويات ، وحتى أصبح من النادر أن نرى من بين الطلاب واحداً من الحوزويين ، مع استثناءات لا تكاد تشكل رقماً يُذكر . . .

(١) الكوثراني م . س .

(٢) المظفر : جامعة النجف الأشرف وجامعة القرويين ، مجلة النجف (النجف)

س/٤ ، ع/٥-٦ ٢٢ جمادى الأولى ١٣٨٠هـ / ١٠ تشرين الثاني ١٩٦٠م .

أساتذة كلية الفقه :

في محاضراته سنة (١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م) بمدينة فاس بالمغرب تحدث الشيخ المظفر عن النجف ، وكان من جملة ما تحدّث عن تجربة كلية الفقه ، وجاء على ذكر أساتذتها ، حيث قال « لا يدرّس في الكلية إلا حملة إجازات الإجتهد من كبار المجتهدين ، أو حملة شهادات الجامعات المعترف بها »^(١) .

إذن : فأساتذة كلية الفقه - من حيث درجاتهم العلمية - هم : أما حوزويون لا يحملون أية شهادة جامعية حكومية ، إنما يحملون تقدير المجتهدين الكبار لهم بمستواهم العلمي ، واعتراهم باجتهدهم ونبوغهم وإما أن يكونوا جامعيين ، يحملون شهادة (الدكتوراه) من هذه الجامعة أو تلك .

إن أغلب الأساتذة الحوزويين في كلية الفقه قد تفرغوا تفرغاً شبه كامل لكلية الفقه تديراً وإدارة وإشرافاً ، دون أن يقطعوا صلّتهم بالحوزة العلمية إذ ظلّوا يواصلون حضور دروس البحث الخارج (الإجتهد) التي يديرها المرجع الأعلى ، ويواصلون كذلك نشاطاتهم في التدريس الحوزوي (ولكن في نطاق ضيق) مع بعض الأعمال الوعظية والإرشادية ، بحكم ما تفرضه عليهم طبيعة المهمة التي نذروا أنفسهم لها حين قدومهم للحوزة العلمية في النجف .

وغير الحوزويين من (حملة شهادة الدكتوراه) فهم محاضرون في كلية الفقه ، ويتركز عملهم الأساسي في جامعة بغداد ولكي يتمكنوا من إلقاء المحاضرات في كلية الفقه دون أن يؤثر على عطائهم في جامعة بغداد فقد التجأت الكلية إلى جعل عطلتها الأسبوعية يوم الثلاثاء من كل أسبوع ، بدلاً من يوم الجمعة ، وبهذا تتيح للمحاضرين الوصول إلى النجف في وقت تعطيل الجامعة ببغداد (يوم الجمعة) كما تتيح للأساتذة

(١) ن .

الحوزويين في الكلية التفرغ يوم الثلاثاء من كل أسبوع لمواصلة التدريس في نطاق الحوزة العلمية بالنجف .

إن إستعراضاً لأسماء الأساتذة والمحاضرين في كلية الفقه عبر سنواتها الطويلة ، لا ينطوي على فائدة كبيرة ، إذ لم يطرأ تغيير كبير على أسماء أوئلك ، لذا فسكتفي هنا ببيان ملاك الكلية لسنتها الدراسية ٨٦- ١٣٨٧هـ / ٦٦- ١٩٦٧م كما نشرته مجلة النجف^(١) .
أ- الأساتذة :

١- السيد محمد تقي الحكيم : عميد الكلية : للفقه المقارن ،
: أصول الفقه .

٢- الشيخ محمد تقي الإيرواني : للفقه والتفسير .

٣- الشيخ عبدالمهدي مطر : للفقه والحديث والنحو والصرف .

٤- الشيخ علي سماكه : للفقه .

٥- محمد كاظم شمشاد : للفلسفة الإسلامية وأصول الفقه .

٦- الشيخ محمد مهدي شمس الدين : للتاريخ الإسلامي .

٧- السيد مصطفى جمال الدين : للبلاغة والمنطق .

٨- الشيخ محمد رضا الجعفري : لأصول الفقه والفلسفة
الإسلامية .

ب- المحاضرون :

١- د . عبد الرزاق محي الدين : لتاريخ الأدب العربي .

٢- د . عناد غزوان إسماعيل : لتاريخ الأدب العربي .

٣- د . عبد المجيد الحكيم : للإلتزام : مصادره وأحكامه .

(١) منتدى النشر في شهر ، مجلة النجف (النجف) س/١ . ع/٦ شعبان
١٣٨٦هـ / تشرين الثاني ١٩٦٦م .

- ٤- د . أحمد حسن الرَّحيم : لعلم النفس والتربية .
 ٥- د . عبد الله درويش : للنحو والصرف .
 ٦- د . حسين نصّار : للنحو .
 ٧- د . حامد شاكر حلمي : للتربية .
 ٨- د . قيس النوري : لعلم الاجتماع .
 ٩- د . مدني صالح : للفلسفة الحديثة .
 ١٠- د . محمد باقر تويج : للغة الإنكليزية .

وقد التحق بالكلية في ما بعد للتدريس فيها من الحوزيين كل من :-

- الشيخ أحمد البهادلي لمادة العقيدة الإسلامية .
 - الشيخ عبد الهادي حموزي لمادة الحديث .
 ومن الجامعيين :
 - الدكتور : محمود البستاني لمادة النقد الأدبي .

وإنما أثبتنا بعض أسماء أساتذة كليّة الفقه لتشير إلى المستوى العلمي الذي عاشته كلية الفقه في ظل أساتذة كبار .

موقف الحوزة العلمية في النجف :

ليس للحوزة العلمية في النجف وسيلة إعلامية من صحف ومجالات ، أو إذاعة أو ما شابه ذلك ، فنعود إليها نستقريء من خلالها موقفها من هذه المسألة أو تلك . وتظل آراء العلماء الأعلام في الحوزة - باستثناء الفتاوي الشرعية- محفوظة في الغالب ضمن أوراق خاصة بزيّد أو بعمّر ، أو محفوظة في الصدور .

نعم يمكن أن نتلمس رأي الحوزويين في صحف الدولة في عصر

من العصور ، إذا ما كان ذلك الرأي يتناول قضية دولية حساسة ، ويكون رأي الحوزة والحدويين موافقاً لهوى السلطة السياسية . وتوجّهاتها وفي مساعد ذلك كله يظل رأي الحوزة العلمية مجهولاً للكثيرين اللهم إلا أولئك الذين إحتفظوا به ، إن في ملفاتهم المخطوطة الخاصة ، أو في صدورهم . وكثيراً ما يضمنون بها على من يريد الإطلاع عليها أو الإستفادة منها ، مع إستثناءات محدودة جداً .

أسوق هذه المقدمة - وأنا بصدد الحديث عن موقف الحوزة العلمية في النجف من مشروع كلية الفقه - لألتمس العذر لدى الأعراف الجامعية لإضطرابي في هذه النقطة بالذات على مقابلات شخصية لرجال حدويين رافقوا تجربة كلية الفقه عن قرب ووقفوا على رأي معارضها ومؤيديها .

ولعلّ أول ما يستوقفنا في هذا المجال هو موقف المرجعية الدينية العليا المتمثلة بالسيد أبي الحسن الأصفهاني من جمعية منتدى النشر . ونلمس ذلك من خلال مطالعة رسالة الأستاذ محمد علي الحوماني الموجهة إلى منتدى النشر ، إذ يقول :

« تمتّع منتداكم بثقة المرجع الأكبر في عملكم هو عربون قيم على النجاح الذي يستقبلكم في الزمن القريب إذا أحسستم إستغلال هذه الثقة في نفوس الشيوخ والشباب من رجال الأمة »^(١) .

وتسلّم السيد محسن الحكيم شؤون المرجعية الدينية العليا بعد وفاة السيد أبي الحسن الأصفهاني سنة (١٣٦٥هـ / ١٩٤٥م) . وقد قام مشروع (كلية الفقه) في عهد مرجعيته فماذا كان موقفه من كلية الفقه يا ترى . . ؟

يقول السيد هاني فحص :-

(١) الحوماني : من وحي الرافدين ، ٣٨٩/١ .

« لديّ معلومات خاصة عن موقف السيد الحكيم من كلية الفقه يتلخص في قوله : إن المشروع خير ، لكنه محفوف بالسلبات »^(١) .

أما السيد محمد باقر الحكيم ، نجل المغفور له السيد محسن الحكيم فيفصل رأي والده في مشروع (جمعية منتدى النشر) ، وبالتالي (كلية الفقه) مع تعليل لسبب الموقف الذي إتخذه والده فيقول : -

« إن من مجالات تنظيم الحوزة : الإهتمام بالنشر ، ومن هنا جاء تأسيس (جمعية منتدى النشر) ، وكان لمشاركة السيد يوسف الحكيم (أكبر أبنائه) ، والسيد محمد علي الحكيم ، والسيد محمد سعيد الحكيم ، وغيرهم من المقربين للإمام الحكيم أمثال المرحوم الشيخ عبد الهادي حموزي والشيخ محمد جواد الشيخ راضي ، دور في تأسيس هذا المشروع ، إلا أنّ بعض الأطروحات الحادّة في الجمعية أدت إلى إنسحاب هؤلاء ، منها المحاولات لربط الجمعية في الأنظمة المرتبطة بالدولة ، لأن الإمام الحكيم كان يؤمن باستقلال الحوزة العلمية والمرجعية الدينية ويحس بخطورة كبيرة من وراء هذا الربط »^(٢) .

يقوم السيد محمد باقر بعد ذلك موقف والده الإمام الحكيم فيقول :

« وكانت النتائج الأخيرة لمصير هذه الجمعية أفضل دليل على صحة نظر الإمام الحكيم علماً أن ما قدمته الجمعية من خدمة إنما قام على أساس العنصر الحوزوي فيها ، لا العناصر التي صنعتها الجمعية »^(٣) .

وبين هذين الرأيين، هناك رأي للطالب الأول على الدورة الأولى

(١) فحص : حديث شخصي في (جيشيت بجبل عامل) ، بتايخ ٥ شعبان

١٤١١هـ / ٢ / ١٩ / ١٩٩١ م .

(٢) (٣) الحكيم : جواب خطي عن سؤال للمؤلف مؤرخ ٢٧ ذي الحجة ١٤١٠هـ / ٢٠

تموز ١٩٩٠ م .

الشيخ محمود الكوثراني ، إذ يقول عن موقف السيد الحكيم من مشروع كلية الفقه : -

« إن السيد الحكيم لم يكن من الداعين للمشروع في بدايته ، إذ قطع الرواتب عن الطلبة الملتحقين بالكلية ، وأن أحد وكلائه وهو الشيخ (.)^(١) كان يحارب الكلية وطلابها بشدة بسبب معارضة السيد الحكيم لها ، وحصل أن حاصره^(٢) بعض طلاب كلية الفقه من اللبنانيين في مبنى المدرسة اللبنانية^(٣) وطرحوه أرضاً وانهالوا عليه ركلاً وضرباً مبرحاً^(٤) .

بعد هذا يقول الشيخ الكوثراني :

« . . . وبعد سنتين من هذا-إنتسب للكلية نجعل الإمام الحكيم ، السيد عبد الهادي ، مما يدل على تغيير رأي السيد الحكيم »^(٥) .

ويبدو أن رأي السيد محمد باقر الحكيم أقرب للموضوعية ، والواقع . فمن جهة فإنه أقرب لمعرفة رأي أبيه ، ومن جهة ثانية يمكن أن نستنتج بأن الإمام الحكيم إنما بارك المشروع في بدايته لكونه مشروعاً إصلاحياً . ومعارضته بالتالي ، حيث يشكل المشروع خطورة على أمر استقلالية الحوزة لارتباطها بالدولة .

(١) أثراً عدم ذكر اسم ذلك الشيخ ، نظراً لما سيأتي من حديث حوله ، قد يُعتبر إساءة له .

(٢) الضمير يعود على ذلك الشيخ الوكيل الذي ارتأينا عدم ذكر اسمه .

(٣) المدرسة اللبنانية بالنجف ، تقع في منطقة (خان المخضّر) البعيدة عن مركز النجف حوالي (٢) كلم . أسست سنة (١٣٧٢هـ/ ١٩٧٠م) من قبل متمولين لبنانيين وخصّصت كسكن داخلي لطلبة الحوزة العلمية في النجف من اللبنانيين .

(٤) الكوثراني : حديث شخصي م . س .

(٥) ن .

أما السيد أبو القاسم الخوئي ، وهو أحد مراجع الدين الكبار في الحوزة العلمية بالنجف ، فقد « كان من المؤيدين لمشروع كلية الفقه »^(١) . حتى انعكس ذلك بوضوح على علاقة طلاب كلية الفقه ، والقائمين عليها ، بالسيد أبي القاسم الخوئي ، إذ كانوا من مريديه ومن حضور البحث الخارج (درس الاجتهاد) تحت منبره ، حتى في حياة الإمام الحكيم .

وقريباً من أجواء مراجع الدين نحاول أن نستوضح رأي الشيخ حسن طراد فنطرح عليه السؤال التالي : « إن فكرة كلية إنطلقت من الحوزة . فلماذا عارضت الحوزة قيام هذه الكلية »^(٢) .

يجيب سماحته قائلاً :

« كل مشروع جديد يصطدم بهواة ودعاة المشروع التقليدي القديم ، فهم يرون (أي التقليديون) أن هذا المشروع الجديد يستهوي الكثير من الطلاب فيصرفون طاقاتهم الفكرية والجسمية لدراسة العلوم العصرية في الدراسة الدينية ، فيأخذ من الدراسات التقليدية أهمها ، وما يحتاج إليه فهمها في قيامه بالمهمة الإرشادية ، وهم يقولون : نحن نريد الحوزة من الأساس حتى تنتهي بالطلاب إلى مرتبة (الاجتهاد) ، ولا يكون طموحه مقصوراً على خصوص الوعظ والإرشاد ، فإذا بقي مقصوراً على دراسته الحوزوية التقليدية فسيؤدي به غالباً إلى (الاجتهاد) ، أما إذا فتح باب آخر ومهد سبيل آخر ، وهو لا يؤدي بطبيعته إلى (الاجتهاد) ، فهذا يؤدي إلى تحلل كثيرين من الطلاب وابتعادهم عن سلوك درب (الاجتهاد) الذي يؤدي إلى إنقراض المجتهدين في زمن من الأزمنة »^(٣) .

(١) الكوثراني : م . س .

(٢) طراد : مقابلة شخصية في بيروت ١٣ شعبان ١٤١١ هـ ٢٨/٢/١٩٩١ م .

(٣) م . س .

ومن هنا فالشيخ حسن طراد يفسر ثورة التقليديين في الحوزة على مشروع (كلية الفقه) إنما هي بسبب الإخلاص للدراسة الحوزوية ، والحرص على ضرورة وجود مجتهدين وسعة لمرحلة الإجتهد في كل عصر من عصور الحوزة العلمية . مع أن كلية الفقه كما عرفنا من أهدافها إنما قامت على أساس تنظيم الدراسة في مرحلتي السطوح والمقدمات الحوزويتين ، بحيث يكون الطالب بعدهما متهيئاً لحضور حلقات البحث الدرس الخارج الحوزوي التي تعد الطالب (للإجتهد) ، ومن لم يشأ (الإجتهد) فإن الأمة الإسلامية بحاجة مستمرة إلى مبلغين ومرشدين بمستوى ثقافي مقبول يمكنهم عرض مبادئ دينهم بلغة العصر وأسلوبه .

أما السيد محمد حسين فضل الله ، فحين سألناه تعليلاً لموقف المرجعية الدينية من مشروع كلية الفقه ، أجاب قائلاً : « . . لم يكن الموقف سلبياً في المطلق ، ولكن كانت المسألة غير واردة في الحسابات العامة للمرجعية . أستطيع أن أقول : أنها كانت تمثل مجرد موقع من مواقع التطور الذي لا يملك قاعدة قوية يرتكز عليها ، تماماً كما هي القفزة بالفراغ »^(١) .

في ضوء مجموعة الآراء التي قدمناها بخصوص موقف المرجعية الدينية في النجف من مشروع كلية الفقه ، يمكن أن نستنتج : أن المرجعية الدينية لم تكن مرتاحة كل الإرتياح لقيام مشروع تعليمي في قلب الحوزة يرتبط بالدولة ، ويفسح المجال أمام الطلاب من خلال ما يمنح من شهادة تخرّج ، للدخول في وظائف الدولة .

أما وقد قام المشروع ، واستقطب مجموعة كبيرة من بعض نوابغ طلاب الحوزة العلمية ؛ فقد كانت المرجعية إزاء أمر واقع ، فعمّلت في غير

(١) فضل الله : حديث شخصي ، في بيروت بتاريخ ١٣ رمضان ١٤١١هـ / ٢٩ آذار ١٩٩١ م .

إتجاه - وبشكل غير مباشر - على توجيه المشروع والحفاظ على طابعه الحوزوي ، وإحاطته خشية وقوعه بيد الدولة . . . !

موقف الحركة الإسلامية من كلية الفقه :

في السنين الأولى لقيام مشروع (كلية الفقه) لم يكن للحركة الإسلامية في النجف - وهي في بداية تحركها ونشاطها - ثقل إجتماعي ، أو حوزوي ، حتى أولئك العلماء الذي عملوا في صفوف الحركة الإسلامية في سنيها الأولى ، إنما كان لهم ثقلهم الإجتماعي الحوزوي لا بلحاظ موقفهم الحزبي الحركي ، وإنما بحجم إمتدادهم العلمي والفكري في الحوزة العلمية .

نعم : يمكن أن نستنتج من إلتناء مجموعة كبيرة من أعضاء الحركة الإسلامية في النجف لكلية الفقه ، نستنتج تأييداً منها لمشروع كذاك ، فالشيخ محمد مهدي الآصفي^(١) ، والسيد عدنان البكاء^(٢) ، والشيخ عبد الهادي الفضلي^(٣) ، هم من رجال الحركة الإسلامية البارزين - عصر ذاك - وقد ضمتهم جميعاً الدورة الأولى لطلاب كلية الفقه ، وفيما بعد صاروا جميعاً ضمن ملاك أساتذة كلية الفقه .

ومع ذلك ، يبقى السؤال : هل كان إلتماؤهم لكلية الفقه عن تأييد من قبل الحركة الإسلامية في النجف لمشروع إصلاح في نطاق الحوزة العلمية ؟ أم أن إلتماؤهم كان بهدف إستثمار فرصة الإلتصال بطلاب الكلية لبث الأفكار الحركية التي كانت تسري في صفوف طلبة الحوزة العلمية عهدئذ ، كسريان الدم في العروق ؟!

-
- (١) حالياً هو الناطق الرسمي بأسم حزب الدعوة الإسلامية .
(٢) ترك العمل الحزبي ، و حالياً يشغل منصب عميد لكلية الفقه . وعلمت مؤخراً أنه أحيل على التقاعد عام ١٤١١هـ / ١٩٩١ م .
(٣) ترك العمل الحزبي ، و حالياً هو أستاذ في الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية في بريطانيا (لندن) .

ولكي لا نجافي الموضوعية التي إرتضيها رقيقاً لنا في رحلة هذا البحث الممتعة ، فإننا نمتنع عن الإجابة عن سؤال كهذا ، إذ لا يعلم النوايا إلا أصحابها والله . ونتمنى على أصحاب الشأن أن يكشفوا غوامض هذا الموضوع خدمة للعلم والتاريخ . .

موقف الدولة من كلية الفقه :

لَعَلَّ المتتبع لحالات المخاض التي عاشتها المؤسسات التعليمية التي ظهرت في العراق إن في فترة الحكم الملكي (١٣٣٩ - ١٣٧٨هـ / ١٩٢٠ - ١٩٥٨م) . أو في العهد الجمهوري الذي تلاه يستدل بسهولة ويسر على أن الدولة في عهدها المتعاقبة تلك ، لم تكن تشجع على قيام مؤسسات تعليمية أهلية تنافس مدارس الدولة . وأن الدولة هناك تحاول جهدها إحتكار أمر التعليم في العراق كلّ ، وبمستويات التعليم المختلفة .

لا نريد هنا أن نخوض في أسباب مثل هذا التوجه ، فلذلك مجال آخر يحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث والتتبع ، بيد أن الذي يعيننا هنا هو أن نضع أيدينا على موقف الدولة من قيام كلية في النجف باسم (كلية الفقه) يقوم على إدارتها ، ووضع مناهجها والتدريس فيها رجال من الحوزة العلمية في النجف ، والذين لا تربطهم بالسلطة السياسية روابط مادية أو فكرية .

وفي هذا المجال فإن محطاتنا في ذلك ستكون عند الحكم الملكي أولاً ، ومن ثم الحكومات الأربع التي تعاقبت على الحكم في العراق بعد الحكم الجمهوري .

أ- الحكم الملكي : ١٣٣٩هـ - ١٣٧٨هـ

١٩٢٠م - ١٩٥٨م .

ما دمنا قد أشرنا إلى أن توجه الدولة لم يكن نحو قيام مؤسسات تعليمية مستقلة فلا نستغرب إذا ما قرأنا عن عقبات كبيرة تربط بالدولة

وقفت في طريق قيام (كلية الفقه) . ويحدثنا السيد محمد تقي الحكيم في ذكرى وفاة الشيخ محمد رضا الشبيبي (وزير المعارف العراقية) فيشير إلى تلك العقبات ، وكيفية تجاوزها والتغلب عليها ، يقول :

« . . ومن الحق أن أقولها بصراحة وللتاريخ فقط : أن هذه الكلية ، ما كان من الممكن أن تُؤسس بهذه السرعة ، ويعترف رسمياً بنظامها ومناهجها المنتزعة من صميم واقعنا العلمي والعقدي لولا أن يتبنى « الشيخ الشبيبي » أمام المسؤولين تزكية القائمين عليها ، وببذل الجهود الجبارة في تذليل قسم من العقبات »^(١) .

إذن فهناك عقبات من الدولة وضعتها أمام مشروع كلية الفقه ، إستطاع الشيخ المظفر أن يتخطاها بمساعدة « خاله الشيخ الشبيبي »^(٢) ، الذي كان من ضمن رجال الحوزويين المصلحين . حيث إستطاع الأخير تقديم تلك المساعدة بحكم وجوده في منصب وزير المعارف العراقية في ذلك الوقت .

ب - حكومة عبد الكريم قاسم : ١٣٧٨ - ١٣٨٣ هـ
١٩٥٨ - ١٩٦٣ م

وما إن قام الحكم الجمهوري في العراق ، إلّا وكانت (جمعية متدى النشر) و(كلية الفقه) من المهتمين والمباركين ، بحيث يجد المتتبع لأعداد مجلة (النجف) اللسان الناطق باسم الجمعية تأييداً واسعاً « للزعيم الأوحده » الذي أطاح بالنظام الملكي ، وكثيراً ما تجد صورة (الزعيم الأوحده) نفسه ، وقد تصدرت الصفحة الأولى من تلك المجلة^(٣) .

(١) الحكيم : العلامة الشبيبي ومجالاته الفكرية الهادفة - مجلة النجف - س/١ .

ع/٧ رمضان ١٣٨٦ هـ/١٩٦٦ م .

(٢) الكوثراني : م . س .

(٣) أنظر : مجلة النجف : الأعداد الأخيرة من السنة الثانية وأعداد السنة الثالثة .

ولعلّ من علامات التفاهم والإنسجام بين القائمين على أمر (كلية الفقه) وحكومة (عبد الكريم قاسم) تلك الزيارة التي قام بها وفد من مؤسسي الجمعيات والمدارس الإسلامية في النجف لرئيس الجمهورية « إذ كان الشيخ المظفر ممثلاً لجمعية منتدى النشر إلى جنب وفد مدرسة كاشف الغطاء، وجمعية التّحرير وغيرها» ولم يتخلف عن ذلك الوفد إلاّ الشيخ الجزائري (مدرسة النجف الدينية)، وبسبب ذلك التخلّف فقد جُمّدت إجازة مدرسته «^(١) . أما كلية الفقه فقد جنت ثمار هذا الوفاق بين الدولة والقائمين على إدارتها إعتراضاً رسمياً بها كياناً جامعياً ، وذلك سنة (١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م) ، « واعتبرت شهادتها عالية يطبق على حاملها ما تنص عليه القوانين والأنظمة في ما يتعلق بخريجي المعاهد العالية »^(٢) في العراق .

هل أرادت الدولة باعترافها بالكلية أن تسحب البساط من تحت أقدام مؤسسي الكلية ؟ فتخرج المشروع من دائرته الحوزوية ، لتضعه تحت الوصاية الحكومية ، أم أرادت غير ذلك ؟ .

يبدو أن الأمر ليس كذلك . ويخيل إليّ وكأن الذي دفع الحكومة في ذلك الوقت لمعادلة شهادة خريجي كلية الفقه بشهادة خريجي جامعات الدولة ، أمران :

الأول : العلاقة الطيبة بين رجال السلطة وبين القائمين بأمر الكلية ، مما يجعل أمر طلب معادلة شهادة خريجي كلية الفقه بأمثالهم في جامعات الدولة ، أمراً ليس بالعسير .

الثاني : رغبة الحكومة في تحسين الوضع المعيشي لعموم أبناء

(١) أنظر : مجلّة النّجف ، ١٢٩ . والفضلي : دليل النجف الأشرف ، ٧٧ والنص للأوّل .

(٢) معلّه : رسالة الطالب في كلية الفقه ، مجلّة النجف (النجف) س / ١ / ع / ٥ جماد الأولى ١٣٨٦هـ / أيلول ١٩٦٦م .

الشعب العراقي ، وقد شهد ذلك الوقت خطوات هامة على هذا الصعيد . وطلاب كلية الفقه من أبناء هذا الشعب ، ولا بأس بشمولهم بشيء من بركات الثورة المجيدة .

ومن هنا فإن خطوة حكومة ثورة (١٣٧٨هـ / ١٩٥٨ م) بالإعتراف بشهادة خريج كلية الفقه لا يمكن أن تُحسب وكأنها خطوة لمحاربة المشروع عن طريق سحب الخريجين لوظائف الدولة وبالتالي قطع الحبل السري الذي يربطهم بالحوزة ، لا سيما وأن الإعتراف جاء « بعد طلب وإلحاح من قبل مؤسسي الكلية »^(١) .

وإذا كنا نرى ذلك الرأي فإن للسيد فضل الله في تفسير إعتراف الدولة بخريجي كلية الفقه مذهباً آخر . إذ يرى أن « الدولة لم تكن معارضة لذلك ، ولكنها إستطاعت أن تجتذب بعض المواقع لتحوّل كلية الفقه إلى كلية تأخذ من الحوزة للوظائف التعليمية والتربوية بحيث أنها خَسرت الحوزة طاقات فاعلة كان يمكن أن تنمو بشكل جيد ودفعت بهم إلى الوظائف التقليدية ، إنطلاقاً من الحاجة المالية ، أو ما إلى ذلك »^(٢) .

جـ - حكومة عبد السلام عارف : ١٣٨٣ - ١٣٨٦ هـ
١٩٦٣ م - ١٩٦٦ م .

لم تكن حكومة عبد السلام عارف التي جاءت إثر إنقلاب عسكري دموي ، راضية عن الحوزة العلمية في النجف ، أو راضية عن مرجعيتها والمؤسسات التي تدور في تلك الحوزة والمرجعية . ولذلك أسباب وعوامل يمكن أن يكون من أهمها : موقف الحوزة العلمية في النجف ممثلة بمرجعيتها الدينية العليا ، حيث رفضت محاولات الإنقلابيين

(١) فحص : حديث شخصي في جيشيت بجبل عامل ٥ شعبان ١٤١١هـ / ٢ / ١٩٩١ م .

(٢) فضل الله : حديث شخصي في بيروت ١٣ رمضان ١٤١١هـ / ٢٩ آذار ١٩٩١ م .

بالحصول على تأييد المرجعية مع وعود منهم بإلغاء بعض ما سُرع في عهد من سبقهم . خاصة في ما يرتبط بقانون الأحوال الشخصية وإعلان محاربة الإلحاد والشيوعية . إلا أن المرجعية الدينية العليا في النجف ممثلة بشخص الإمام محسن الحكيم الذي «رفض إعطاء التأييد مطالباً بإطلاق يد التيار الإسلامي في العراق . فهو الكفيل بالقضاء على كل الأفكار الكافرة والملحدة»^(١) ولعل المرجعية اعتمدت في رفضها دعم الإنقلابيين لما كانت تلمسه في الحركة الانقلابية من إتجاهات سياسية غير إسلامية .

ويبدو أن السلطة - وقد تأكدت من عدم إمكانية كسب ود المرجعية لجانبها - رأت في أسلوب الضغط والإستفزاز أسلوباً آخر لعلّه يؤدي إلى ما لم تحقّقه الأساليب السابقة الأخرى .

ودون الخوض في ما اتبع لتحقيق ذلك ، نعود لمحور حديثنا وهو (كلية الفقه) ، التي لم يخرج مؤسسوها عمّا هو عليه خطّ المرجعية الدينية في النجف في طريقة تعاملهم مع السلطة . ومن هنا فقد شمل الكلية أسلوب الضغط والإستفزاز نفسه الذي اتبع مع المرجعية الدينية والحوزة . وعلى ذلك : جاء قرار حكومة (عارف) بـ «إشترط أن يكون المنتسب للكلية من خريجي الثانوية العامة أو ما يعادلها رسمياً شأنها في ذلك شأن كافة الجامعات والكليات العراقية . ومن يلتحق بالكلية بعد هذا القرار ولم يكن حاملاً شهادة الثانوية العامة ، فليس هناك إعتراف بشهادته»^(٢) .

ومن الجلي أن اشتراط شهادة الثانوية العامة في الطالب المنتمي لكلية الفقه يهدف التضييق على الكلية ، وقطع أهم روابطها بالحوزة العلمية ، ومحاولة الوقوف بوجه هذه الأعداد الواعية من الطلاب الرساليين

(١) خليل : الإمام محسن الطباطبائي الحكيم ، ١٦٢ .

(٢) الكوثراني : م . س .

التي راحت تضحّ بهم الحوزة العلمية من خلال (كلية الفقه) في جسم الأمة ، مدرسين في ثانويات الدولة ، أو موظفين في المحاكم الشرعية ، أو مبلّغين ودعاة يحملون إلى جنب درو الفقه وأصوله ، ثقافة عالية في العلوم العصرية ، ويتكلمون بلغة أوروبية أو أكثر ، وهذا ما يشكّل الشبح المرعب لرجال السلطة الذين يحملون أفكاراً غير إسلامية ، وفي الوقت نفسه سيكون مثل هؤلاء الطلاب إن في عددهم أو نوعيتهم حائلاً دون نفاذ أفكار السلطة في عقول الناشئة .

ولمّا كان خريجو الثانويات - في الغالب - ليست لديهم أية ثقافة فقهية ، فإن كلية الفقه بعد اقتصار الملتحقين بها على أولئك إرتأت « تأكيداً على مادة الإختصاص بالكلية ومحاولة للتركيز على مستوى الطلاب العلمي ، زيادة عدد حصص التخصص وهي (الشريعة والعربية) عما كان في السنوات الماضية»^(١) . فقد كان في الماضي يأتي الطالب للكلية وهو على إطلاع تام ومعرفة أكيدة بعلوم الشريعة واللغة العربية ، ومثله يحتاج إلى العلوم العصرية أكثر من حاجته للعلوم الشرعية ، بخلاف طالب الثانوية ، ومن هنا كان تركيز المنهج في السنوات اللاحقة على العلوم الشرعية واللغة العربية .

د حكومة عبد الرحمن عارف : ١٣٨٦ - ١٣٨٨ هـ
١٩٦٦ - ١٩٦٨ م .

تسلّم عبد الرحمن عارف رئاسة الحكم في العراق إثر مقتل أخيه عبد السلام عارف محترقاً بطائرته الخاصة ، وهو في طريقه من البصرة لبغداد إذ « طار لهماً ونزّل فحماً » كما هي فحوى بعض أهازيج الفرح الشعبية العراقية بمقتله . . .

ولكي نعرف موقف حكومة عبد الرحمن عارف من المرجعية

(١) المنتدى في شهر، مجلة النجف (النجف) س/٢ ، ع/١ شوال ١٣٨٧هـ/كانون الثاني ١٩٦٨ م .

الدينية في النجف ، وبالتالي من كلية الفقه ، لا بد من وضع النقاط المهمة المرتبطة بالموضوع نصب أعيننا ، وأهم تلك النقاط هي :

أولاً : إن عبد الرحمن عارف لم يكن سياسياً معروفاً ، إضافة إلى شخصيته الضعيفة وليس له أي تجربة في أي منصب حكومي (١) .

ثانياً : إن القوى السياسية - غير الإسلامية - في العراق قد واجهت انتكاسة حقيقة بعد مواجهات الشيوعيين وخصومهم ، ومن بعدها مصادمات القوميين بخصومهم الشيوعيين واقتران ذلك كله بتصفيات جسدية واعتقالات لم تسلم منها حتى النساء ، ولم يسلم منها الكثيرون ممن لم تكن لهم منها لا ناقة ولا جمل ، ومثل تلك التجاوزات في مجتمع قبلي كالعراق يُسقط أوراق التوت التي يغطي بها المتحزبون سوءاتهم ، مهما نزعوا بشعارات براءة كالقومية ، والإشتراكية ، والوحدة .

ثالثاً : في ضوء فشل الطروحات غير الإسلامية ، منذ قيام الحكم الجمهوري وحتى مقتل عارف ، بل في ضوء ما بدت عليه التحزبات غير الإسلامية من عنف ودموية وسلوك شائن بحق أبناء الأمة ، كانت الحركة الإسلامية - وهي تعيش شبابها النضر - تجد الفرصة مؤاتية للنفوذ في جسم الأمة . فقد تعاضم شأن تحركها على أكثر من صعيد .

إن إستيعاب النقاط الثلاث - أنفة الذكر - ضروري جداً لتقبل الفكرة القائلة « بأن العلاقة بين عارف والمرجعية كانت جيدة ، وأنه كان متسانلاً معها ، وفسح المجال لها بالتحرك، والتحدّث مع الجماهير ، ولم تحدث مصادمات معينة معها » (٢) ، وما يزيد في تقبل هذه الفكرة هو تتبع أحد الباحثين الجامعيين لأغلب المصادر التي تحدّثت عن ذلك. فوجد أنها قد إتفقت على إعتقاد الفكرة ذاتها (٣) حتى أن مجلة (العدل) النجفية نشرت إذ ذاك : أن المرجعية الدينية العليا في النجف تظهر

(١) أنظر : خليل : الإمام محسن الطباطبائي الحكيم ، ١٧٢ .

(٢) خليل : الإمام محسن الطباطبائي الحكيم ، ١٧٣ .

(٣) ن .

« شكرها وتحياتها لعارف على رعايته لعلماء الدين ، وإهتمامه بشؤون المسلمين »^(١) .

ومن هنا فإن شهر العسل العارفي - المرجعي قد إنعكس على علاقة كلية الفقه بالدولة ، إذ سلّمت الكلية طيلة فترة ذلك الحكم من أي تضيق ، كالذي عانت منه في حكم من سبقه . وليس ذلك فقط ، بل يمكن ملاحظة دلالات العافية على كلية الفقه في عهد عبد الرحمن عارف من خلال عدة أمور :

١- معاودة إصدار مجلة كلية الفقه ، المسماة (النجف) ، والذي يشرف على تحريرها وإصدارها مجموعة من طلاب الكلية ، حيث عادت لتصدر بعددها الأول في ذي الحجة ١٣٨٥هـ/ نيسان ١٩٦٦م . بعد أن كانت قد توقفت لستين^(٢) .

٢- طلب جامعة الأزهر في مصر إلى كلية الفقه « إنتداب أستاذين منها لتدريس الفقه الإمامي في الجامعة الأزهرية »^(٣) . وقد جاء ذلك كثمرة من ثمرات زيارة الدكتور عبد الرزاق محي الدين الوزير في حكومة عارف ، والأستاذ المحاضر في كلية الفقه . ومحادثاته مع الشيخ أحمد حسن الباقوري مدير جامعة الأزهر في ١٢/٧/١٩٦٦م وبحثهما لأوجه التعاون بين الهيئات والمؤسسات الإسلامية في مصر والعراق^(٤) . ولم تتمخض محادثتهما عن ذلك فحسب ، بل « إن جامعة الأزهر قد خصصت ثلاثة مقاعد دراسية فيها للمتخرجين من كلية الفقه للحصول على شهادات (الماجستير) و(الدكتوراه) من جامعة الأزهر . وخصصت ثلاثة مقاعد أخرى لمتخرجي كلية الشريعة (ببغداد) للحصول على الشهادات العليا^(٥) .

(١) مجلة العدل (النجف) س/٢ ، ع/١-٢ .

(٢) للاستزادة إقرأ : مقدمة العدد الأول . من مجلة النجف .

(٣ و٤ و٥) : منتدى النشر في شهر مجلة النجف ، س/١ ع/٤ ربيع الأول ١٣٨٦هـ/ تموز ١٩٦٦م .

٣- ازدياد أعداد الطلاب المنتسبين لكلية الفقه ، فقد ، « بلغ عدد الطلاب المقبولين بالكلية للعام الدراسي ١٣٨٨ - ١٣٨٩ هـ / ٦٧ - ١٩٦٨ م (١٣٧) طالباً »^(١) ، مما اضطر الكلية إلى تقسيم الطلاب إلى شعبتين^(٢) .

وبموازاة ازدياد أعداد المنتسبين الجدد لكلية الفقه ، فإن جامعة بغداد قد شهدت مرونة ملحوظة في قبول طلبات إلتحاق متخرجي كلية الفقه بالدراسات العليا لديها إذ « بلغ عدد خريجي كلية الفقه الذين تم قبولهم في قسم (الماجستير) بجامعة بغداد (١٨) طالباً في فرع الشريعة ، وأربعة طلاب في فرع اللغة العربية »^(٣) .

٤- إعتزام (جمعية منتدى النشر) افتتاح كلية ثانية إلى جانب كلية الفقه لتنتقل منهما (جامعة منتدى النشر) ، وكان إتجاه التفكير لدى المسؤولين بأن « تكون هذه الكلية مهنية ، وأن تكون للدروس الدينية مكانة مرموقة في مناهجها »^(٤) .

٥- قيام (جمعية منتدى النشر) بإعداد العدة « لفتح معهد الدراسات الإسلامية العليا ، يمنح خريجه شهادة (الماجستير) . مدة الدراسة فيه ثلاث سنوات ، وسنة رابعة للرسالة التي بعد مناقشتها يُقدَّر نجاحه أو عدمه من المعهد ، وذلك لإعداد أساتذة في هذه الدراسات قد تحتاجهم النجف أو كلية الفقه لسد حاجتها في مضماري العلم والدين ، وينحصر القبول في هذا المعهد بخريجي كلية الفقه التي تشرف كلياً على هذا المعهد »^(٥) .

(١) المنتدى في شهر مجلة النجف ، س/ ٢/ ع/ ١/ شوال ١٣٨٧ كانون الثاني ١٩٦٨ م .

(٢) منتدى النشر في شهر (مجلة النجف) العدد السابق نفسه .

(٣) منتدى النشر في شهر ، مجلة النجف العدد السابق نفسه .

(٤) منتدى النشر في شهر مجلة النجف (النجف) س/ ١/ ، ع/ ١/ ذي الحجة

١٣٨٥ هـ / نيسان ١٩٦٦ م .

(٥) منتدى النشر في شهر ، مجلة (النجف) س/ ٢/ ، ع/ ١/ ، شوال ١٣٨٧ هـ - كانون

وقد وُضِعَ النظام الخاص بذلك المعهد ، في ما حُدِّدَت « المواد التي تدرس فيه بالفقه وأصول الفقه ، وتفسير القرآن ، والفلسفة ، واللغة العربية »^(١) .

٦- موافقة وزارة المالية العراقية بكتابها المرقم (١١٣٢٨) المؤرخ ١٣/٩/١٩٦٥م/١٣٨٦هـ على منح جمعية (منتدى النشر) قطعة أرض مساحتها خمسون ألف متراً مربعاً في المنطقة الواقعة بين الكوفة والنجف ، وعلى الطريق بينهما ، لتُشاد عليها جامعة أهلية باسم (جامعة منتدى النشر) ، المنوي تأسيسها من قبل الجمعية .

من مجموعة هذه النقاط وغيرها ندرك أن (كلية الفقه) قد شهدت في حكومة عبد الرحمن عارف ما يمكن أن نصفه بالعصر الذهبي هـ- حكومة البكر : ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .

« أسقط العسكريون في العراق نظام الحكم للمرة الرابعة بعد مرور عشر سنوات تقريباً على ثورة تموز ١٩٥٨م وذلك في ١٧ تموز سنة ١٩٦٨م »^(٢) /١٣٨٨هـ . ويبدو أن هذه الثورة قد وضعت تجارب الحكومات السابقة في العراق نصب عينها ، فراحَت تستفيد من إيجابياتها وتحاول تجنّب سلبياتها في حدود ما يمكنها ذلك . إن هناك أمرين بارزين تفيدنا معرفتهما في الوقوف عند موقف الدولة من المرجعية الدينية في النجف ، وكلية الفقه . هذان الأمران هما :

أولاً : أنّ هذه الحكومة تريد لنفسها أن تكون حكومة قوية تتمركز قوتها في العاصمة بغداد ، ويكون لها وحدها الزعامة والقوة والسلطان في العراق .

= الثاني ١٩٦٨م .

(١) مجلّة النجف ، المصدر السابق نفسه .

(٢) خدّوري : العراق الاشتراكي ، ٣٨ .

ثانياً : إن هذ الحكومة بدأت تتخذ خطوات علمية باتجاه علمنة الدولة^(١) .

* * *

ولما كانت المرجعية الدينية في النجف تمثل السلطة القوية التي لا تقل شأنًا عن سلطة الدولة إذا لم نقل تتفوق عليها^(٢) وذلك يتطلب من الدولة - وهي بصدد فرض سلطان لا ينازع ، وملك لا يقاوم - أن تتصدى للمرجعية الدينية وللمؤسسات التابعة لها . وبذلك تتمركز السلطة في بغداد أولاً . وتسير إجراءات السلطة باتجاه علمنة الدولة دون ما معارضة ثانياً .

من هنا جاء « القرار الذي إتخذته القيادتان القومية والقطرية في ٢ نيسان ١٩٦٩م/١٣٨٩هـ . والذي ينص على ضرورة القضاء على الرجعية الدينية باعتبارها العقبة الكبرى في طريق مسيرة الحزب »^(٣) . وبالفعل فقد « كُلفت لجنة مؤلفة من بعض وزراء الحكومة وشخصيات سياسية وحزبية أخرى صُمّت :

طه الجزراوي ، ناظم كزار ، عبد الوهاب كريم ، شبلي العيسمي ، صالح مهدي عمّاش . بوضع خطة لذلك »^(٤) .

وقد حدثني الشيخ حسن ملك : بأن اللجنة حين إجتمعت لاتخاذ أولى الخطوات في عملية محاربة (الرجعية الدينية) والقضاء عليها ،

(١) خليل : الإمام محسن الطباطبائي الحكيم ١٧٥ .

(٢) خاصة إذا ما عرفنا أن نسبة المسلمين الشيعة في العراق قد تربو عن ٦٥٪ من مجموع سكان العراق ، وللمرجع الأعلى سلطته القوية المعروفة على مقلديه بحكم طبيعة العلاقة بين المقلد والمقلد .

(٣) التكريتي : من مذكرات حردان عبد الغفار التكريتي ، ٤٨ . وقد نشرت مجلة (العمل الشعبي) العراقية هذا القرار في عددها الصادر يوم ٧ نيسان ١٩٦٩م .

(٤) ن ، ٥٣ .

قسّمت علماء النجف إلى ثلاثة أقسام :

١- العلماء النفعيون .

٢- العلماء الجامدون .

٣- العلماء الواعون .

فالعلماء النفعيون : - بحسب رأي اللجنة - يمكن شراؤهم بالأموال .

والعلماء الجامدون : لا شأن للثورة بهم .

أما العلماء الواعون : فيجب القضاء عليهم^(١) .

ورغم أن قرارات هذه اللجنة سرية إلا أن الشيخ (.)^(٢) كان قد تسلّم صورة من هذه القرارات والتوصيات من أحد أقاربه الضبّاط ، وسلّمها ذلك الشيخ إلى السيد/محمد باقر الصدر ، الذي ورّعها على مراجع الدين في النجف الأشرف .

ماذا يهمنا من كل هذا العرض المطوّل لنظرة الحكومة الجديدة للحوزة وللعلماء وللمرجعية الدينية في النجف ؟ إن هذا العرض المطوّل لتوجهات الحكومة الجديدة ، وخاصة في ما يرتبط بالحوزة العلمية في النجف يفيدنا كثيراً في الوقوف على وضع (كلية الفقه) في ظل تلك الحكومة .

فما دام العلماء الواعون هدفاً تريد الحكومة الجديدة القضاء عليه ، فإن كلية الفقه وهي التي أنشئت أساساً للخروج على الجو التقليدي في

(١) ملك : حديث شخصي ١٨ صفر ١٤١١هـ/٨ أيلول ١٩٩٠ م .

(٢) آثرنا عدم ذكر اسمه

الحوزة ، وأنشئت لإعداد جيل من الدعاة يقوم بتبليغ الرسالة الإسلامية بأساليب معاصرة ، وبلغت جديدة ، فلا بدّ والحالة هذه من القضاء على تلك المؤسسة ، أو تحويلها عن هدفها الأساسي، ويمكننا رصد الخطوات الحكومية الهادفة للهيمنة على كلية الفقه في النقاط التالية : -

الأولى : إفتتاح فرع (للإتحاد الوطني لطلبة العراق)^(١) في قلب كلية الفقه ، وراح يشرف على شؤون طباعة المذكرات الدراسية الجامعية المخصصة ، وبيعها . ويقوم بنشاطات أخرى كإقامة الإحتفالات بالمناسبات الوطنية كميلاد الحزب وميلاد الرئيس ، وأمثالهما ، مما لم يكن مألوفاً في كلية دينية إسلامية ككلية الفقه .

الثانية : منع قبول غير الحاصلين على شهادة الثانوية العامة في كلية الفقه ، ففي السابق يُقبَل ولا يُعترف بشهادته ، أما الآن فقد مُنِع قبوله نهائياً ، مما يعني تفرغ الكلية من العنصر الحوزوي ، وهو عنصر فاعل في داخل الكلية أو خارجها .

الثالثة : إخضاع تعيين الأساتذة لضوابط جامعية جديدة . فإذا كان في الماضي بإمكان عميد كلية الفقه - بحكم الصلاحيات المخولة له من (جمعية منتدى النشر) - ، إختيار أحد رجال الحوزة ممن يرى فيه الكفاءة للتدريس في الكلية ، أصبح ذلك العميد محاطاً بمجموعة ضوابط جديدة . ومنها أن يكون المرشّح حاصلاً على شهادة (الدكتوراه) في وقت لم يكن في الحوزة العلمية في النجف كلها من يحمل تلك الشهادة . مما يعني إفراغ كلية الفقه من العنصر الحوزوي في هيئتها التدريسية والإدارية في زمن غير بعيد .

(١) الإتحاد الوطني لطلبة العراق ، منظمّة حزبية طلابية ترتبط إدارياً وتنظيمياً بمنظمة حزب البعث . أنشئت في القطر العراقي بعد عام (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) . ولها في كل مدرسة فرع ، يقوم عليه طالب حزبي بصفة (مسؤول) . والإتحاد حلقة الوصل بين المدرسة والمنظمة الحزبية .

الرابعة : إلحاق كلية الفقه (بالجامعة المستنصرية) ببغداد لتفقد بذلك استقلاليتها وتعود كأي كلية من كليات الجامعة المستنصرية ، سوى أن مبنى المستنصرية الجميل يبعد عن إحدى الكليات التابعة له (كلية الفقه) حوالي (١٦٥ كلم) .
تقويم تجربة كلية الفقه :

إن تقويمنا هنا لكلية الفقه إنما ينطلق من كون هذه الكلية حركة إصلاح للنظام الدراسي الحوزوي . هذا ما يحدد إطار مهمة التقويم هذه . وعلى هذا الأساس فقد توجهننا بالسؤال لمجموعة من العلماء الأعلام الذين كانوا قريبين لتلك التجربة ، نحاول هنا عرض تلك الإجابات رغم اختلاف وجهات النظر فيها .
يقول السيد محمد حسين فضل الله :-

« إن كلية الفقه كانت تمثل حركة في الدراسة متقدمة ، ولكنها لم تكن في حجم الحوزة ، بل كانت في حجم تجربة تكفل للطالب الحوزوي أن يملك ثقافة فقهية - أصولية بحجم معين بالمستوى الذي يستطيع أن يكون فيه مبلغاً ناجحاً ، لكنها لم تهيب له الجول للوصول إلى مرحلة الإجتهد ، ولذا لم تستطع أن تكون هي الحوزة بحيث تكون بديلاً عن الحوزة ، ولم تستطع أن تترك تأثيراتها على الحوزة ، بحيث تدفع إلى إحتذاء هذا الأسلوب »^(١) .

وبعبارة أخرى فإن كلية الفقه « كانت تمثل مجرد موقع من مواقع التطور الذي لا يملك قاعدة قوية يرتكز عليها »^(٢) .

أما الشيخ حسن طراد فيجيب بقوله : « إنَّ معطيات مشروع كلية الفقه الإيجابية كثيرة ، أبرزها أنه استطاع أن يخرج مجموعة من علماء

(١) فضل الله ، لقاء شخصي في بيروت ١٣ رمضان ١٤١١هـ / ٢٩ آذار ١٩٩١م .
(٢) ن .

الدين الفضلاء الذين يستطيعون أن يقوموا بدور التبليغ والإرشاد باللغة العصرية ، وبالأسلوب الناجح الراجح في داخل البلاد الإسلامية ، وفي خارجها»^(١) .

ويعود الشيخ طراد ليلخص حديثاً طويلاً عن تجربة كلية الفقه ، فيقول :

« إن الدراسة في كلية الفقه فترة من الزمن تساعد الطالب الذي يريد أن يبلغ مرحلة الإجتهد للوصول إلى الهدف المقصود ، ومن معطياتها أن يتمكن من الجمع ، فالجمع أكمل . ومن لا تساعده ظروفه الصحية والاقتصادية، أو عوامله الموضوعية والذاتية لكي يصبح مجتهداً ، فهذا المشروع خير وسيلة لتربية جيل موجّه ، ومُرشد»^(٢) .

ويقوم السيد هاني فحوص تجربة كلية الفقه فيقول :

« لم تكن كلية الفقه مطروحة كمفتاح ، بل كتأهيل ، ولم تمتاز إيجابياً عن الجامعة الحديثة ، بل لقد اكتسبت كلية الفقه سلبات الجامعة الحديثة ، وفقدت إيجابيات الحوزة»^(٣) ! .

أما كيف يرى فبعد أن يشير إلى أن كلية الفقه إنما جاءت بتطور جامعي وفق نظام الجامعات الغربي في مجتمع تقليدي^(٤) ؛ يعود ليقول بضرورة « أن تصنع حدائقك لا حدائق الآخرين ، وفي لحظة الغلبة السياسية يجب أن تعتصم بنفسك ، وتتطور بشروطك أنت ، لا بشروط الآخرين»^(٥) .

(١) طراد : لقاء شخصي في بيروت ١٣ شعبان ١٤١١هـ - ٢٨/٢/١٩٩١م .

(٢) طراد : م . ن .

(٣) فحوص : لقاء شخصي في (جشيت بجبل عامل) في ٥ شعبان

١٤١١هـ - ١٩/٢/١٩٩١ .

(٤) و(٥) ن .

وبعد هذا العرض السريع لبعض الآراء في تجربة كلية الفقه لا بد من قول شيء في هذه التجربة : -

لا ينكر أن كلية الفقه قد « أسهمت بنظامها الجديد في تطوير الدراسة الدينية في النجف بما يلي :

١- بإدخال العلوم الحديثة التي تتطلبها رسالة المُرشِد الديني ووظيفته في التبليغ إلى الدراسة الدينية .

٢- بإدخال العلوم الإسلامية - وبمناهجها القديمة التي تتميز بأصالتها وعمقها - إلى الدراسات الجامعية الحديثة .

٣- بإدخال نظام الدراسة الصيفية .

٤- بإدخال نظام الإمتحانات الدورية .

٥- بإدخال نظام منح الشهادة الرسمية التي تؤهل الطالب الديني لدراسة قسم (الماجستير) ، والتدريس في المدارس الثانوية والمعاهد العالية^(١) .

ومع ما حَقَّقَتْهُ في هذا المجال ، بيد أن ذلك لا يعد شيئاً كبيراً في الحسابات الحوزوية ، لأن الدراسة في كلية الفقه إفتقدت العمق الحوزوي ، الذي ذهب ضحية بعض العلوم الدراسية المعاصرة . على الرغم من حرص الكلية في التركيز على مواد الإختصاص : (لغة عربية - شريعة) .

أما ما يراه البعض من تسرب بعض العناصر الحوزوية الكفوءة إلى وظائف الدولة من خلال شهادة كلية الفقه ، فإن ذلك ليس عيباً في الكلية وأنظمتها بل هو عيب في الطالب نفسه الذي ارتضى بالوظيفة بدلاً عن مواصلة دراسته الحوزوية ، وهو عيب بالإضافة إلى ذلك في لا نظام

(١) أنظر : الفضلي : دليل النجف الأشرف ، ٧٨ .

الحوزة العلمية التي لم تُعدّ مثل هذا الطالب فتجعله في مستوى أكبر طموحاً من الوظيفة . وإن كنا نلتمس بعض العذر لفئة غير قليلة من الطلاب لمعرفةنا الأكيدة بوضعهم المادي المعيشي الصعب ، والذي لم تستطع الحوزة بسبب إرتباك أنظمتها المالية أن تجد له حلاً مقبولاً . حتى راح الطالب في الحوزة نهياً للفقر والحاجة فراح يبحث عن منفذ ينقذه من وضع كهذا . ولا أظن أن الطالب السوي حين يضمن له مستوى معيشي يليق بحاله لا يعتقد أن مثل ذلك الطالب سيلجأ إلى وظيفة مدرّس في ثانويات الدولة ، أو كاتب في المحاكم الشرعية ، ويجعلها البديل الأفضل للدراسة الحوزوية .

وبعد ذلك كله نطرح السؤال الآتي وهو : هل أن تجربة كلية الفقه إنحرافاً عن خط الحوزة ، أو إصلاحاً له وتقويماً ؟ يمكننا أن نجيب عن السؤال بثقة وبدون تردد في أن تجربة كلية الفقه ليست إنحرافاً عن خط الحوزة العلمية في النجف ، بل هي تجربة ناضجة لمزج العلوم الشرعية بالعلوم العصرية ، وإن وصلت إلى ما وصلت إليه اليوم فذلك - في تقديري - لا يتحمل وزره القائمون على تلك التجربة ، بل هو يعود إلى عوامل عديدة منها :

١- طبيعة نظام الحكم القائم في البلد الذي تحركت في إطاره تجربة كلية الفقه ، والذي يرى تأمين جميع مؤسسات البلد الإقتصادية والتربوية ، وغيرها وهو ما شمل كلية الفقه .

٢- عدم تبنّي المرجعية الدينية العليا هذه التجربة بشكل صريح ، مما ولد هوة بين القائمين على تجربة (كلية الفقه) وبين المرجعية الدينية العليا ، وبالتالي بين خريجي الكلية وبين المرجعية أيضاً . مع ملاحظة أن معارضة المرجعية لمثل تلك المشاريع هي معارضة سلبية ، دون تقديم البدائل المناسبة .

٣- الوضع الحوزوي المضطرب للطالب . في جانبه المالي .

خاصة ، وهو كما يدفع الطالب للحصول على شهادة تجلب له وظيفة تدر عليه مورداً يكفل له معيشة ؛ فإنه في الوقت ذاته لا يشجع الطالب في كلية الفقه للعودة إلى الحوزة العلمية ، ومواصلة دراسة مرحلة الاجتهاد .

ملاحظات واستنتاجات
الملاحق والوثائق
مصادر البحث ومراجعته
المحتوى

ملاحظات واستنتاجات .

بادئ ذي بدء : أود أن أؤكد على أنني لم أكن أستهدف في هذه الدراسة الحديث عن الماضي مجرداً عن محاولة ربطه بحاضر الأمة الإسلامية ومستقبلها ، بل حاولت في كل قراءتي للماضي أن أضع نصب عيني تصحيح خطواتنا اليوم وغداً ، في ضوء تجارب الماضي ودروسه وعبره .

ومن خلال ما قدّم على صفحات هذا الكتاب ، لاحظنا قوّة الصلة بين دعوة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وبين العلم . وذلك من خلال إهتمامه (صلى الله عليه وآله وسلم) بأمر التعليم . الأمر الذي جعل الصحابة (رضوان الله عليهم) ، ومن بعدهم التابعين يولون أمر العلم الأهمية الكبرى . وهكذا في القرون اللاحقة لعهد الصحابة والتابعين (رضوان الله عليهم) ؛ حتى وصل إلى ما وصل إليه اليوم إذ شكّلت الحوزات العلمية ومنها (الحوزة العلمية في النجف) واحداً من مظاهر إهتمام المسلمين بالعلم ، ورعايتهم لطلّابه .

وإذا تجاوزنا الحديث عن تلك القرون - التزاماً بموضوع البحث - ، فإن الحوزة العلمية في النجف التي نشأت بعد هجرة الشيخ الطوسي إليها سنة (١٠٥٦هـ / ١٠٥٦م) ، أخذت على عاتقها إعداد المجتهدين وتأهيلهم

لممارسة استنباط الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية ، وقد بقيت هكذا منذ ذلك التاريخ ، وحتى اليوم ، وتعرضت خلالها لحالات من المدّ والحزر في عمرها المديد .

.. ومن بين عشرات التعاريف للحوزة العلمية خرج الباحث بتعريف يتلخص في أن الحوزة العلمية (كيان علمي وبشري يؤهّل للإجتهد في علوم الشريعة الإسلامية ، ويتحمل مسؤولية تبليغ الأمة وقيادتها) . وهذا التعريف يعني ضمناً : أن مكونات الحوزة العلمية أنما تقوم على عنصر بشري يتمثل في :

١- ألقية : المرجع المجتهد .

٢- الأساتذة العلماء .

٣- الطلاب .

ويتمثل - أيضاً - في وسائل إتصال منها : -

١- المناهج الدراسية .

٢- المنبر الخطابي الإسلامي .

إن عناصر الحوزة العلمية في النجف : البشرية منها ، أو تلك التي عبّرنا عنها ب : (وسائل الإتصال) ، لهي مستقلة استقلالاً تاماً عن السلطات السياسية الحاكمة في كل عهدها وفي ضوء تلك الإستقلالية يمكن أن نستنتج : أن أهم أسباب قوة الحوزة العلمية في النجف ، ونفوذ سلطة علمائها ؛ إنما يعود إلى تلك الإستقلالية ، فطالما كانت الحوزة مستغنية عن الحاكم ، كانت أكثر قدرة على مواجهته إذا ما انحرف عن طريق الحق ، في حين لا يمكن للتابع أن يقف بوجه القوة التي يتبع لها ، أو يُحسب عليها .

ومن هنا فإن المُتَّبِع للتاريخ الجهادي للحوزة العلمية بالنجف

يلاحظ : أنها استطاعت أن تؤدّي مهمتها الجهادية في غير حقبة من حقب تاريخ المسلمين ، وإستطاعت أن تحفظ للأمة الكثير من أحكام دينها ، وأسدتّ للغة قرآنها (اللغة العربية) خدمات جُلّي في وقت تعرضت فيه بلاد المسلمين لحملات التنصير والتهويد .

وبما أن (الإجتهد) هو أبرز معالم الحوزة العلمية في النجف ؛ فقد كان له في هذا الكتاب فصلاً مستقلاً ، يمكن أن يستنتج الباحث من خلاله : إن باب الإجتهد لا زال مفتوحاً بحكم الشريعة الإسلامية ، ولم تنطلق تلك الدعوات لإغلاقه إلا بسبب تخوّف الحاكم الظالم من سلطة المجتهد ، ومن قوّة كلمته .

ولمّا كان الإجتهد يمارس في الحوزة العلمية في النجف منذ بزوغ فجر الحوزة حتى اليوم ، بل إن مهمة الحوزة العلمية الأساسية هي إعداد المجتهدين ، فإن ذلك ينعكس - بطبيعة الحال - على الحركة العلمية في الحوزة إزدهاراً ، وتقدماً ، ونضجاً .

أما مقام المرجعية الدينية العليا المقترن دائماً بالحوزة العلمية ، فلا يعقل وجود مرجعية إسلامية عليا بدون حوزة علمية . ولا يعقل في الوقت نفسه الحديث عن المرجعية اليوم دون تلمّس جذورها التي وجدناها ممتدّة إلى عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث كان الصحابة والتابعون (رضوان الله عليهم) مرجع الأمة في الفتوى الشرعية . وهكذا قل : في عهود الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام) ، وصولاً إلى زمن الغيبة الصغرى للإمام الثاني عشر : المهدي بن الحسن (عجل الله فرجه) الذي غاب عن أنظار الأمة ، وعيّن أربعة من العلماء الفقهاء وهم :

١- عثمان بن سعيد العمري ، أو العميري .

٢- محمد بن عثمان بن سعيد .

٣- أبو القاسم حسين بن روح النوبختي .

٤- أبو الحسن علي بن محمد السمري ، أو السميري .

ليكون سفراء بينه (عجل الله فرجه) ، وبين أفراد الأمة ، ويموت (أبي الحسن علي بن محمد السمري) آخر السفراء ، وبداية ما يُعرف عند الإمامية الاثني عشرية ، بالغيبة الكبرى ، صار الفقهاء المجتهدون هم مرجع الأمة لمعرفة حكم ما يستجد عليها من أمور دينها ضمن شروط فيمن يتصدى لمثل تلك المهمة .

وعلى الرغم مما لمنصب المرجعية الإسلامية العليا من قدسية في اعتقاد الإنسان المسلم ، والإمامي الاثني عشري خاصة ، فإن الباحث - ويدافع الإصلاح والتقويم - قد خرج بمجموعة ملاحظات سجّلها على الكيان المرجعي . ولعل هذه الدراسة هي أول محاولة أبصرت النور وهي تتحدث بشكل مفصّل عن سلبيات الكيان المرجعي ، والتي يمكن تلخيصها في الآتي : -

١- فقدان فاعلية المرجعية الإسلامية العليا في ما يتصل بعلاقتها بالمقلّد ، وبالتالي وجود فجوة واضحة بين المقلّد والمقلد .

٢- طبيعة التفكير الذاتي للمرجعية ، بمعنى عدم وجود مؤسسة مرجعية . وقد نتج عن ذلك إنقطاع إتصال مرجع اليوم بمن سبقه من المراجع ، وبمن لحقه أيضاً . وبالتالي فردية المشاريع الإصلاحية ، والعلمية التي يتبناها هذا المرجع أو ذاك ، وما يعكسه ذلك سلباً على الفرد أولاً ، وعلى البيئة التي يتحرك فيها المرجع ، والمرجعية الإسلامية العليا ثانياً .

٣- الخلل في النظام المالي للمرجعية الإسلامية العليا ، فعلى الرغم من أن الحقوق الشرعية من خمس وزكاة . وغيرها تأتي لصندوق المرجعية ، إلا أن معالجة المرجعية لشؤونها المالية من موارد ومصارف

تسمم بالكثير من جوانب النظرة القصيرة . غير القائمة على الدراسة والتخطيط وبعُد النظر . ولعل هذا الخلل هو السبب الذي يكمن وراء الكثير من جوانب التردّي في مسيرة طلاب الحوزة العلمية .

٤- وكلاء المرجعية ، فهؤلاء يمثلون المرجعية في أرجاء أرض الله الواسعة . ويفترض أن يكونوا بمستوى المسؤولية المنوطة بهم . بيد أن الواقع شيء آخر . إذ يشكل الكثير من هؤلاء نماذج هي دون المستوى المطلوب ، بالإضافة إلى وجود نقص واضح في أعداد الوكلاء . فالخلل إذن : هو في النوع ، كما هو في الكم . والمرجعية هي المسؤولة عن ذلك مباشرة .

وبذلك يستنتج الباحث : أن الخلل في جانبه الكمي والكيفي إنما يعود إلى غياب المؤسسة المسؤولة عن إعداد جيل من الدعاة على مستوى من الوعي ، ووفق تقدير لحاجات المنطقة المرسل إليها الوكيل ، مع تقدير للمستوى الذهني والثقافي لأبنائها .

٥- أسلوب العمل المرجعي الذي لا زال يعتمد الأساليب ، والوسائل ، والأدوات القديمة ، ولم يستفد من الثورة الثقافية ، والعلمية والتقنية الحديثه . ولم يستطع الإنفتاح على مشكلات العصر لكي يتمكن من معالجتها ، ووضع الحلول المناسبة لها .

ومن مجموع تلك الملاحظات ، يلوح للباحث : أن الحل الأمثل في معالجة كل سلبيات (المرجعية) هو في تهيئة الأجواء لقيام (المرجعية المؤسسة) كما يسميها السيد محمد حسين فضل الله ، أو (المرجعية الموضوعية) ، كما يسميها السيد محمد باقر الصدر .

إن معالجة السلبيات - آفة الذكر - سواء عن طريق قيام (المرجعية الموضوعية) ، أو عن طريق آخر ؛ هو مسؤولية الجميع طلاباً في الحوزة كانوا أم أساتذة ، أم مقلّدين ، وهي مسؤولية مراجع الإفتاء قبل ذلك وبعده .

وفي الباب الأخير من أبواب هذا الكتاب ، كان الحديث عن النظام التربوي التعليمي الحوزوي ، حيث تمّ إيضاح العوامل المؤثرة في توجيه التعليم عند الإمامية وأسلافهم ، والتي تتلخّص في الآتي : -

١- إعتقاد المسلمين من الإمامية الاثني عشرية بعلم أئمتهم ، وعصمتهم .

٢- إتجاه المسلمين من الإمامية الاثني عشرية لمبدأ (التقية) تخلّصاً من تضيق السلطان عليهم ، أو مطاردته لهم ، أو تنكيله بهم .

٣- استقلالية الموارد المالية للمسلمين الإمامية الاثني عشرية ، واستغناؤهم عن عطاء السلطات السياسية الحاكمة .

إن هذه العوامل الثلاثة : جعلت للمسلمين الشيعة الإمامية الاثني عشرية مؤسساتهم التعليمية المستقلة . ومن تلك المؤسسات التعليمية المستقلة (الحوزة العلمية في النجف) .

لقد أظهر الباحث هنا ما عرف بالحرية في الإنتساب للحوزة العلمية في النجف دون أن يقرّ بأن مثل تلك الحرية هي ميزة يمكن أن تكون مدعاة فخر واعتزاز بل هي على العكس من ذلك : شكل من أشكال الفوضى والاضطراب التي تعاني منها الحوزة العلمية في النجف ، كما تعاني منها الحوزات الأخرى .

أما المنهج الدراسي ، في الحوزة العلمية بالنجف ، فقد كان موضوعاً لملاحظات كثيرة للباحث استنتج من خلالها ضرورة القيام بحملة (إصلاحات) جادة لتلك المناهج ، وإعادة النظر في الكتب والمقرّرات بما يوائم مستوى التحدي الذي يواجهه الإسلام ، ويسهّل - في الوقت نفسه - على الطالب مهمة الوصول إلى مبتغاه بوقت أقل ، وبطريق أقصر .

إنّ عرضاً للكثير من الحركات الإصلاحية لنظام التعليم في الحوزة

العلمية - فترة البحث - يخرج الباحث بمجموعة ملاحظات واستنتاجات ،
يمكن إيجازها في الآتي :-

١- إن السلطة السياسية في العراق لم تكن تشجع قيام مؤسسات
تعليمية إسلامية مستقلة ، وهذا الإستنتاج يشمل عهد الحكم الملكي ،
وعهود الحكومات التي تعاقبت على الحكم بعد إعلان الجمهورية العراقية
سنة (١٣٧٨هـ/١٩٥٨م) .

٢- إقتصار التعليم في الحوزة العلمية في النجف منذ إنشائها حتى
اليوم على تعليم الذكور دون الإناث ، وخلق الدعوات الإصلاحية من أية
إشارة إلى موضوع تعليم المرأة ، وهو أمر يتنافى مع فرض الإسلام
التعليم على المرأة كفرضه على الرجل ، ويبدو أن النظرة للمرأة لا زالت
بحاجة إلى رؤية جديدة تعتمد الإسلام أساساً .

٣- إن السلطة السياسية - في العراق خاصة - تحرص على إبقاء
الحوزة العلمية بالنجف على حالها في بعض مفردات الفوضى والتفوق ،
لأسباب قد يكون منها : إبعاد الحوزة عن التأثير ، في أفراد الأمة ، تأثيراً
واعياً يُعرض من خلاله الإسلام كنظام يصلح للتطبيق اليوم ، بحيث يكون
بديلاً للطروحات غير الإسلامية التي تحاول الحكومات المتعاقبة في
العراق تسويقها في الشارع العراقي .

٤- إن (كلية الفقه) كمؤسسة تعليمية لإصلاح النظام الدراسي
الحوزوي ، هي تجربة كان يمكن أن تنجح على صعيد الحوزة أولاً ،
وعلى صعيد البيئة التي أينعت فيها ثانياً ، لو أنها إستطاعت أن تضمن تأييد
المرجعية الإسلامية العليا في النجف ، وكان يمكن أن تستمر رغم تأميم
التعليم في العراق كلّهُ ، لو أنها أوجدت لها بعض الفروع خارج العراق
كـلبنان مثلاً ، أو إيران ، أو أي بلد يمكن أن تجد فيه الكلية من يؤيدها
فيه ويدعمها ، ويدير شؤونها ، بحيث إن مثل تلك الفروع تنمو وتزدهر إذا
ما صُيِّق على المركز الرئيسي للكلية .

ومع هذا فإن الإنصاف يدعو الباحث للإشارة إلى أن (كلية الفقه) استطاعت أن تتجاوز عقدة كانت تصيب أكثر المشاريع المشابهة ، تلك هي : عقدة تسلط العنصر الوراثي للمؤسسين . بيد أن القائمين على تأسيس (كلية الفقه) كان في مقدمة ما يهمهم أن يؤمن جميع أبناء النجف ، وحوزتها العلمية : إن فكرة الكلية إنما انتزعت من واقع النجف ، ومن واقع الحوزة العلمية فيها . وهي أي : (كلية الفقه) لهم لا للقائمين عليها ما دام هدف الجميع خدمة الأمة ، وخدمة عقيدتها الإسلامية .

وآخر دعوانا :

(أن الحمد لله رب العالمين)



الملاحق والوثائق

ملحق رقم (١)

صورة المنظر الخارجي لمقعد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في النجف



ملحق رقم (۲)

صورة عن تقرير جهاز الشرطة السري الإيراني (السافاك)، حول تأثير العطاء المادي لأحد مراجع النجف في ازدياد أعداد طلاب الحوزة العلمية في مدينة قم بـ إيران^(۱).

ردیف	تاریخ	موضوع
۱	۲۱/۱/۳۱	تعداد طلاب حوزة قم
۲	۲۱/۱/۳۱	تعداد طلاب حوزة قم
۳	۲۱/۱/۳۱	تعداد طلاب حوزة قم
۴	۲۱/۱/۳۱	تعداد طلاب حوزة قم
۵	۲۱/۱/۳۱	تعداد طلاب حوزة قم
۶	۲۱/۱/۳۱	تعداد طلاب حوزة قم

موضوع: افزایش طلاب حوزة قم

بمراکز شروع برداشته شهریه آنها که حکم بطلاب تعداد محصلین حوزة قم نسبت به قبل $\frac{1}{4}$ افزایش یافته است تا جائیکه دیگر در هیچیک از مدارس حوزة قم جای خالی وجود ندارد و بعضی از محصلین مجرد در خارج از مدرسه منزل گرفته و به صورت عمده از آل افرادیکه با مدرک حوزة قم به قم از قبل تعدد مدرس در دست داشته اند دور سالهای گذشته دوره ساهی دانشترا میگذاشته اند بر آنجا یا به دست مجددی نامحرومانی بنشین کرده و مشغول تحصیل در حوزة میباشند.

لشخصی که اگر برای این موضوع تصمیم گرفته شود باز هم طلاب حوزة قم نتواند کرده و بر تعداد افراد ناراحت و صریح اما نه بیخود لذا باید با ایجاد نفاذ و اختلاف بین شریعتی و کجایک با این امر حاشیه داد.

نشریه رهبر مطبوعات — خادگزارترین محنت و در غضا "نشریه شیخ محمد باقر" بدست آمد

نشریه انجمنه اولی — خادگزارترین محنت و در غضا "نشریه شیخ محمد باقر" بدست آمد

۶۲۰۹

شماره پنجم

(۱) روحانی: نهضة الإمام الخميني، ۸۸۳/۲.

ترجمة ملحق رقم (٢)

ترجمة مضمون تقرير جهاز الشرطة السرية الإيراني (السافاك) من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية .

- صفحة رقم (١) من صفحة واحدة . ٧ - المصدر : ١٢٢٩
صفحة رقم (١) من خمس نسخ . ٨ - مكان المصدر :
١ - إلى : ٣١٦ . ٩ - تاريخ الحدوث : ٤٧/٦/٢٦ .
٢ - من : ٢١ . ١٠ - تاريخ وصول الخبر إلى المصدر :
٣ - رقم التقرير : ٢١/٢٦٣٣ . ٤٧/٦/٢٦ .
٤ - تاريخ التقرير : ٤٧/٦/٣١ . ١١ - تاريخ وصول الخبر إلى قائد عمليات
٥ - لاحق : المنطقة ٤٧/٦/٢٧ .
٦ - مستلم الخبر : ١٢ - ملاحظات الحماية :

الموضوع : ازدياد عدد طلاب الحوزة العلمية في قم .

بعد مشروع آية الله الحكيم بدفع رواتب للطلاب ، ازداد عدد طلاب الحوزة نسبةً إلى السابق بنسبة الربع . إلى حدّ انه لم يبقَ مكان خالٍ في أي مدرسة من مدارس الحوزة . وبعض الطلاب العزّاب اتّخذوا منازل لهم خارج المدارس . وان بعض الأفراد ممن كانوا يدرسون في الحوزة العلمية في قم ، وحصلوا على تصديق التربية ، وكانوا في السنوات الماضية قد قضاوا دورة تدريب الجنديّة قد رجعوا للحوزة - بعد انتهاء مدة الخدمة - وارتدوا لباس الروحانيين ، وانشغلوا ثانياً بالتحصيل العلمي .

رأي مصدر الخبر : ان عدد طلاب الحوزة سيزداد أيضاً ، وسينمو عدد الأفراد غير المرحبين ، والمشكّك بهم . فإذا أُريد اتّخاذ موقف من هذا الموضوع فليكن من خلال بث الاختلاف والشقاق بين شريعة مداري ، والكلبانيكاني . وبذلك ينتهي الأمر .

ملحوظة. رئيس العمليات : أؤيد صحة هذا التقرير ، كما أؤيد رأي المنبع .


رأي جهاز أمن (رالي) : أؤيد صحة التقرير ، وقد ساعدت رواتب السيد الحكيم على زيادة عدد الطلاب ، (عبارة غير واضحة) ، أما ما يرتبط بمن يعودون من الخدمة العسكريّة ، فالأفضل توفير فرص العلم لهم بعد انتهاء خدمتهم حتى لا يحاولون العودة مجدداً للحوزة العلمية .

ملحق رقم (٤)

صورة عن إجازة الإجتهد المطلق التي منحها أحد علماء النجف للسيد/حسين مكّي . بتاريخ ٣ رجب ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٣ م (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله جميع محامد كلها على ما جمع نعمها ، والصلاة والسلام من خير خلقكم وفضل مرتبة
 سيد والراثة النبوية من أهل بيته انعام الهدى وصياح الدعوى وعلى العلماء اسكنهم كلهم
 انما حظيت لانا رجم الباطل من جهنم في تشييد معالم الدين واعادته ، نرضونكم ولدي العالم انما
 المهذب الكامل الركن الثاني في تحقيق الاسلام السيد حسين يوسف العاظمي ، رعاكم فان يزيد
 الله وسدوره قد بذل جهده في تحصيل العلوم الدينية ففتح على امره من ايمان الفضلاء المحققين
 واستنسا من نواتهم ولم يزل كيباً على الدرس والتدريس ، والنايف والتصنيف والتبصير
 والاستغناء مؤظفياً على الطاعات مجداً في تحصيل الكليات العلمية حرمها من ملكي الدنيا والآخرة
 وقوة استنباط الامكانات الشرعية والتمصيلية وصار مجده تعالى معنياً بقولهم
 فيظن ان كان منكم من يدرى حديثاً ونظراً في هذا لنا وعرفنا منكم اننا في بعضنا
 به حكماً فان قد جنته عليكم احكاماً فان احكامكم شيكناً نعلم يقبل منها انما استخف بكم كما سمعتم
 وعيناً رد والاراد علينا الازاد على الله وهو على هذا الشك باسم تعالى : **يا ايها النبي قل**
صدقق وبجهنم مطلق برجع اليه في الامور المحسنة وفصل للضوابط واصل المشكلات وقد عرفنا
 ذلك كله بالاعاشرة في مجلس الدرس والندوة لكونه تعالى يعمل هذه الصفة وليشكركم علمها
 وليتمت نظماً بما اداها السامى فانها فخر قدسية وشرعية من شجاعت النبوة والامانة قدسية
 القونين على تشريفها وقد اجرت لراى بروى مني جميع ما صحت له وراى مني مشايخي
 العظام قدس برتالار اراهم ورض مقامهم وعلى المؤمنين ان ينزعوا اليه في رهاقهم القدسية
 ويدفون قدره ويحفظون مقامه ويرجعوا اجانبه وقد اوصيته ونفسى بزيد لودع والستون
 والاه حيتاً على في جميع الامور فانظر مني البهاة وما توفيتي الاله عليه توكلت واليه ارجع

حسبنا ومنه الوكيل
 ١٣٧٣
 ٢ رجب
 والطباطبائي
 فلكم


(١) عن : مكّي العاملي ، السيد حسين مكّي سيرته وحياته ، ٢٢ .

ملحق رقم (٥)

مراجع التقليد لدى الإمامية منذ الغيبة الكبرى للإمام المهدي (عج)
(١٩٣٢٨هـ/٩٣٩م) حتى (١٤١٢هـ/١٩٩١م)

(أ) النَّوَابُ الْخَاصُّونَ الَّذِينَ عَنِهمُ الْإِمَامُ الثَّانِي عَشَرَ مُحَمَّدُ الْمَهْدِي (عج) وَهم :

- ١ - عثمان بن سعيد .
- ٢- محمد بن عثمان (ولده) .
- ٣- أبو القاسم حسين بن روح .
- ٤- علي بن محمد السيمري .

(ب) مراجع التقليد « نَوَابُ الْإِمَامِ » ، أو العلماء المجتهدون :

- ١- الْكَلْبَائِي : أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ الرَّازِي ، المتوفى سنة ٣٢٨هـ/٩٤٩م .
- ٢- الصَّدُوق : أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ بَابُويهِ الْقَمِّي ، المتوفى سنة ٣٨١هـ/٩٩١م .
- ٣- المفيد : أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ النُّعْمَانَ ، المتوفى سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٤م .
- ٤- المرتضى : بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ ، المتوفى سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٤م .
- ٥- الكراجكي : أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عُثْمَانَ ، المتوفى سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م .
- ٦- الطُّوسِي : أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ، المتوفى سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٧م .
- ٧- الطُّوسِي : مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي جَعْفَرِ الطُّوسِي ، المتوفى سنة ٤٩٤هـ/١١٠٠م .
- ٨- الطَّبْرِي الْعَامِلِي : أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ ، المتوفى سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م .
- ٩- الطبرسي : أَبُو عَلِيٍّ الْفَضْلُ . المتوفى سنة ٥٥٨هـ/١١٦٣م .
- ١٠- ابن زريخ الحلبي : أَبُو الْكَارِمِ حَمْزَةُ بْنُ عَلِيٍّ ، المتوفى سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م .

- ١١- ابن شهر آشوب : شيخ راشد الدين أبو جعفر بن علي ، المتوفى سنة ٥٩٠ هـ / ١١٩٤ م .
- ١٢- ابن أدريس الحلبي : محمد بن أحمد ، المتوفى سنة ٥٩٨ هـ / ١٢٠١ م .
- ١٣- القمي : أبو الفضل شادهان بن جبرائيل ، المتوفى سنة ٦١٨ هـ / ١٢٢١ م .
- ١٤- الحلبي : نجم الدين أبو إبراهيم محمد بن أبي الباقر هبة الله بن نعمة ، المتوفى سنة ٦٤٥ هـ / ١٢٤٧ م .
- ١٥- نجم الدين جعفر الملقب بابن (النعمة) بن محمد بن جعفر ، المتوفى سنة ٦٤٩ هـ / ١٢٥٠ م .
- ١٦- ابن طاووس الحسيني : رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر ، المتوفى سنة ٦٩١ هـ / ١٢٩١ م .
- ١٧- الطوسي : الخواجة نصير الدين ، المتوفى سنة ٦٧٢ هـ / ١٢٧٣ م .
- ١٨- الحلبي (المحقق) : جعفر بن حسن بن يحيى ، المتوفى سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م .
- ١٩- الحلبي (العلامة) : جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن مطهر ، المتوفى سنة ٧٢٦ هـ / ١٣٢٥ م .
- ٢٠- الكاشاني : نصير الدين علي بن حمد البغدادي الحلبي ، المتوفى سنة ٧٥٥ هـ / ١٣٥٤ م .
- ٢١- أبو طالب محمد بن الحسن بن يوسف بن المطهر ، المتوفى سنة ٧٥٩ هـ / ١٣٥٨ م .
- ٢٢- ابن معاوية : تاج الدين أبو عبد الله محمد قاسم بن الحسين ، المتوفى سنة ٧٦٦ هـ / ١٣٦٤ م .
- ٢٣- الشهيد الأول : أبو عبد الله محمد بن جمال الدين العاملي ، المتوفى سنة ٧٨٦ هـ / ١٣٣٣ م .
- ٢٤- الحريري : أبو الحسن زين الدين علي بن كاظم ، المتوفى سنة ٨٢٠ هـ / ١٤١٧ م .
- ٢٥- المقداد : أبو عبد الله المقداد بن الحسين ، المتوفى سنة ٨٢٦ هـ / ١٤٢٢ م .
- ٢٦- أبو عيَّاش أحمد بن محمد بن فهد ، المتوفى سنة ٨٤١ هـ / ١٤٣٧ م .
- ٢٧- العاملي الشامي : شمس الدين محمد بن مكّي ، المتوفى سنة ٨٦٠ هـ / ١٤٥٥ م .
- ٢٨- الكركي : نور الدين علي عبد العلي العاملي ، المتوفى سنة ٩٣٧ هـ / ١٥٣٠ م .
- ٢٩- الأردبيلي : أحمد بن محمد ، المتوفى سنة ٩٣٣ هـ / ١٥٢٦ م .
- ٣٠- الشهيد الثاني : زين الدين بن نور الدين علي بن أحمد ، المتوفى سنة ٩٦٦ هـ / ١٥٥٨ م .

- ٣١- البلاغى : محمد بن على بن محمد ، المتوفى سنة ١٠٠٠هـ/ ١٥٩١م .
- ٣٢ - جمال الدين : أبو منصور الحسن ابن الشهيد الثاني المتوفى سنة ١٠١١هـ/ ١٦٠٢م .
- ٣٣- البهائي : محمد بن الحسين بن عبد الصمد الجباعي العاملي ، المتوفى سنة ١٠٣١هـ/ ١٦٢١م .
- ٣٤- المجلسي (الأول) : محمد تقى بن منصور علي ، المتوفى سنة ١٠٧٠هـ/ ١٦٥٩م .
- ٣٥- المازندراني : محمد صالح ، المتوفى سنة ١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م .
- ٣٦- الخوانساري : حسين بن جمال الدين محمد بن الحسين ، المتوفى سنة ١٠٩٨هـ/ ١٦٨٦م .
- ٣٧- المجلسي (الثاني) : محمد باقر بن محمد تقى بن منصور علي ، المتوفى سنة ١١١١هـ/ ١٦٩٩م .
- ٣٨- محمد بن حسن ، أصفهاني فاضل الهندي ، المتوفى سنة ١١٣٧هـ/ ١٧٢٤م .
- ٣٩- الجزائري : أحمد النجفي ، المتوفى سنة ١١٥٠هـ/ ١٧٣٧م .
- ٤٠- المازندراني الخاجوي : جمال الدين بن محمد حسين بن محمد رضا ، المتوفى سنة ١١٥٥هـ/ ١٧٤٢م .
- ٤١- مازندراني : إسماعيل بن محمد بن محمد رضا . المتوفى سنة ١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م .
- ٤٢- وحيد بهباني : محمد باقر ، المتوفى سنة ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٣م .
- ٤٣- الطباطبائي : محمد مهدي ، المتوفى سنة ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م .
- ٤٤- كاشف الغطاء : جعفر بن الشيخ خضر الخفاجي (الجناجي) المتوفى سنة ١٢٢٣هـ/ ١٨١٣م .
- ٤٥- القمي : أبو القاسم بن محمد حسن كيلاني ، المتوفى سنة ١٢٣١هـ/ ١٨١٥م .
- ٤٦- ألترقي : أحمد بن الملا مهدي ، المتوفى سنة ١٢٦٦هـ/ ١٨٤٩م .
- ٤٧- النجفي : محمد حسن ، المتوفى سنة ١٢٦٦هـ/ ١٨٤٩م .
- ٤٨- الأنصاري : مرتضى بن محمد أمين ، المتوفى سنة ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م .
- ٤٩- القزويني : محمد مهدي ، المتوفى سنة ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م .
- ٥٠- الأيرواني : محمد بن محمد الباقر ، المتوفى سنة ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م .
- ٥١- الشيرازي : ميرزا حسن ، المتوفى سنة ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م .
- ٥٢- المغمغاني : محمد حسن بن عبد الله ، المتوفى سنة ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م .
- ٥٣- الطهراني : ميرزا حسن بن ميرزا خليل ، المتوفى سنة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م .
- ٥٤- الخراساني : محمد كاظم ، المتوفى سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م .

- ٥٥- اليزدي : محمد كاظم ، المتوفى سنة ١٣٣٧هـ/١٩١٩م .
- ٥٦- الشيرازي : محمد تقى ، المتوفى سنة ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م .
- ٥٧- الأصفهاني : فتح الله شيخ الشريعة ، المتوفى سنة ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م .
- ٥٨- المغمفاني : عبد الله بن الشيخ محمد حسن ، المتوفى سنة ١٣٥١هـ/١٩٣١م .
- ٥٩- النائبي : ميرزا حسين ، المتوفى سنة ١٣٥٥هـ/١٩٣٥م .
- ٦٠- العراقي : ضياء الدين ، المتوفى سنة ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م .
- ٦١- الأصفهاني : أبو الحسن الموسوي ، المتوفى سنة ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م .
- ٦٢- القمي : حسين ، المتوفى سنة ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م .
- ٦٣- كاشف الغطاء : محمد حسين ، المتوفى سنة ١٣٥٧هـ/١٩٥٤م .
- ٦٤- البروجدي : حسين ، المتوفى سنة ١٣٨١هـ/١٩٦١م .
- ٦٥- الحكيم : محسن الطباطبائي ، المتوفى سنة ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .
- ٦٦- الصدر : محمد باقر ، المتوفى سنة ١٤٠١هـ/١٩٨٠م .
- ٦٧- الخميني : روح الله الموسوي ، المتوفى سنة ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م .
- ٦٨- الخوئي : أبو القاسم الموسوي ، المتوفى سنة ١٤١٣هـ/١٩٩٢م .

* * *

ملحق رقم (٦)



هكذا تكون الحلقات الدراسية في النجف .

صورة عن الصفحة الأولى من أحد الكتب الدراسية في الحوزة العلمية في النجف
(الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية) طبعة حجرية .



تابع للملحق رقم (٧)

صورة الصفحة الأولى من كتاب (الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية) بطبعته المحققة من قبل جامعة النجف الدينية .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدُ اللَّهِ الَّذِي شَرَحَ صُدُورَنَا (١) بِنَمْعِهِ (٢) مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ ،
كُفَيْهِ فِي بَيَانِ (٣) الْإِخْتِطَابِ ، وَنَوَّرَ قُلُوبَنَا مِنْ لَوَاعِجِ دُرُوسِ الْأَحْكَامِ بِمَافِيهِ
تَذَكُّرٌ وَذِكْرٌ لِأَوْزَانِ الْأَبْلَابِ ، وَكُرَّمْنَا بِقَبُولِ مَتْنِهِ نِهَابَةَ الْإِرْشَادِ وَغَايَةَ
الْمُرَادِ فِي الْمَعَاشِ وَالْمَلَأَبِ (٤) وَالصَّلَاةِ عَلَى مَنْ أُرْسِلَ لِتَحْرِيرِ قَوَاعِدِ الدِّينِ ؛

(١) أَي وَسَعَمَاتِهِمُ الْمَطَالِبِ .

(٢) اللمعة - بالنضم ثم التوكون - جاءت على معانٍ : القطعة ، الجراعة ،

البقعة ، البقعة ، الموضع .

وَنَدَى يَنْسَبُ انْتِقَامٌ مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي هُوَ (البقعة) بِاعْتِبَارِ أَنَّ الْبِقَاعَةَ مَا يُكْتَنَى
بِهِ ، وَهَذَا الْكِتَابُ وَافٍ بِمَهْمَاتِ الْمَسَائِلِ الْفَقْهِيَّةِ ؛ إِلَّا أَنَّ الشَّهِيدَ الثَّانِي ذَكَرَ فِي وَجْهِ
تَسْمِيَةِ وَجْهًا آخَرَ عَلَى مَا بَأْتِي ، وَهُوَ : أَنَّ أَلْمَعَةَ هِيَ الْبِقَعَةُ مِنَ الْأَرْضِ ذَاتِ
تَكْلَاهِ إِذَا بَيَسَتْ وَصَارَ لَهَا بِيَاضٌ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْإِعْمَانِ ؛ وَهُوَ الْإِضَاءَةُ وَالْبَرِيقُ ،
ذُنُ الْبِقَعَةِ مِنَ الْأَرْضِ ذَاتِ الْكِلَاءِ الْمَذْكُورِ كَأَنَّهَا نَضِيءٌ دُونَ سَائِرِ الْبِقَاعِ ؛
وَعُدَّتْ فِي ذَلِكَ إِزْمَانُ الْكَلَامِ وَبَلِيغُهُ ؛ لِاسْتِنَارَةِ الْأَذْهَانِ بِهِ وَتَمْيِيزِهِ عَنِ سَائِرِ الْكَلَامِ
فَكَتَبْتُهُ فِي نَفْسِهِ ذُو ضِيَاءٍ وَنُورٍ .

(٣) الْبَيَانُ فِي تَلْفَعِهِ هُوَ الظُّهُورُ ؛ وَلِغَلِّ الْمَقْصُودِ بِالْإِخْتِطَابِ : الْأَحْكَامُ الشَّرْعِيَّةُ

الَّتِي هِيَ الْإِخْتِطَابَاتُ الْإِفْيَتَةُ .

(٤) الْمَلَأَبُ : اسْمُ الْمَكَانِ مِنْ « الْأَوْبِ » بِمَعْنَى التَّرْجُوعِ ، كَمَا دُونَ الْعُودِ ؛

وَإِنَّكَانَ مِنَ الْكُونِ ؛ يَرِيدُ بَيَانَ نَفْعِ الْكِتَابِ فِي الْمَعَاشِ أَيْ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَالْمَلَأَبُ
أَيْ الْحَيَاةُ الْآخَرَى .

ملحق رقم (٨)

صورة عن الصفحة الأولى والأخيرة لأحد أعداد مجلة دراسات إسلامية
التي تصدرها جامعة النجف الدينية

الشمس

« إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ »
(قرآن كريم)

- التبليغ الإسلامي ليد محمد كلانتر ٢
الرابطة في المجتمع الإسلامي ليد محمد حسين الطباطبائي ٦
من ناليم الإسلام نسيخ محمد تقي الجواهري ١٢
لحة من شخصية الامام الصادق عليه السلام نسيخ مسلم السرايي ١٨
المناعة في الإسلام نسيخ غلام ومخاليقري ٢٥
حجية طواهر للكتاب ليد محمد كلانتر ٣٦
تفسير القرآن فكروم لشيخ محمد حادي سمرق ٤٤
رسالة الحياة لشيخ أحمد البهادلي ٥١
الي لقة الصاعدة (شمر) لسيد معطي جمال الدين ٦٧
من خاتم القرآن الاستاذ احمد أمين ٧١
للبدأ الأول لشيخ محمد مهدي الآصفي ٨٠
من وحى امر البيت عليهم السلام ٩٣
جامعة النجف الدينية ٩٥

دراسات اسلامية

تصدر عن جامعة النجف الدينية
في النجف الاشرف

دراسات اسلامية

تصدر عن جامعة النجف الدينية ، في النجف الاشرف
وتنشر بمتون الفکر الاسلامي

الكتاب الثاني السنة الاولى

١٣٨٤ هـ

الكتاب الثاني

طبعة النجف - النجف الاشرف - كانون - ٦٢

ملحق رقم (٩)

معاونين بمض بحوث طلاب كلية الفقه ، المقررة عليهم في مادة الكتيبة وأصول البحث مع أسماء الطلاب ودرجة التقدير ويمكن نشر البحث

عدد مجلة النجف المحجوي تلخيصاً للبحث	التقدير	إسم الطالب الباحث	عنوان البحث	مسلسل
١/س، ١/ع، ١/٤، ١/٤، في الحجة ١٣٨٥هـ/شباط ١٩٦٦م	جيد جداً	محمد الصميري	يكون والفلسفة التجريبية	١-
١/س، ٢/ع، ١/٤، محرم ١٣٨٦هـ/آيار ١٩٦٦م	جيد جداً	هاشم السيد سلمان	العقل عند ديوى وبرجسون	٢-
١/س، ٣/ع، ١/٤، صفر ١٣٨٦هـ/حزيران ١٩٦٦م	جيد جداً	جعفر الملاي	منهج البحث الفلسفي	٣-
١/س، ٤/ع، ١/٤، ربيع الأول ١٣٨٦هـ/نوز ١٩٦٦م	جيد جداً	علي عبد الحكيم الموسوي	حديث الرفع	٤-
١/س، ٥/ع، ١/٤، جادى الأول ١٣٨٦هـ/ابلول ١٩٦٦م	جيد جداً	محمد عبد الحميد ناجي	وقفه مع الرأسمالية	٥-
١/س، ٦/ع، ١/٤، شمعان ١٣٨٦هـ/تشرين الثاني ١٩٦٦م	جيد جداً	صباح الصباح	النزالي والتصوف	٦-
١/س، ٧/ع، ١/٤، رمضان ١٣٨٦هـ/كانون أول ١٩٦٦م	جيد جداً	علي السيد ناصر	نظرية المعرفة	٧-
١/س، ٨/ع، ١/٤، شوال ١٣٨٧هـ/كانون ثاني ١٩٦٨م	لم يدون	محمد رضا الحكيم	الإستثناء	٨-
١/س، ٩/ع، ٢/٤، ربيع الحجة ١٣٨٧هـ/آذار ١٩٦٨م	لم يدون	محمد كاظم البكاء	الحال والتمييز	٩-
١/س، ١٠/ع، ٢/٤، محرم ١٣٨٨هـ/نيسان ١٩٦٨م	لم يدون	محمد الحكيم	الصرفة	١٠-
١/س، ١١/ع، ٤/٤، صفر ١٣٨٨هـ/آيار ١٩٦٨م	لم يدون	سلمان البهادلي	النفس	١١-
١/س، ١٢/ع، ٥/٤، ربيع الأول ١٣٨٨هـ/حزيران ١٩٦٨م	لم يدون	عبد الأمير صفى الدين	قضية فلسطين: تاريخها وتطورها	١٢-
١/س، ١٣/ع، ٢/٤، ربيع الثاني ١٣٨٨هـ/نوز ١٩٦٨م	لم يدون	عبد العظيم محمد سعيد	قصة مولد اللغات	١٣-
رقم (٢١) السنة الثانية ، حيث توقفت ، حتى هذا الحين	لم يدون	محمد علي ابراهيم	التقليد	١٤-

ملحق رقم (١٠)

صورة الغلاف للعدد الأول من السنة الأولى لمجلة (الذكرى) التي
كانت تصدرها مدرسة الجزائري (مدرسة النجف الدينية)

الذِكْرَى

العدد الأول نشرة دينية ثقافية محرم ١٣٨٠
السنة الأولى تصدرها حزيران ١٩٦٠
لجنة طلابية من (مدرسة النجف الدينية)

كلمة الافتتاح

(بسم الله الرحمن الرحيم وله الحمد)

بجمل تاريخ مدينة النجف الأشرف الثقافي بازدهار ورواه . فقد أنجبت
كثيراً من الأعلام والأدباء ادوا من الخدمات ما يذكر لهم بالاكابر والتجلة .
واكلوا من المكتبة الانسانية جوانب عديدة ، وفلفاتهم القيمة في شتى العلوم
والمعارف ، والى جنب ذلك حفظت النجف اللغة الفصحى في أرجاء واسعة .
وأقامت محافل الأدب ما يفوق عكاظ والمربد .

واليوم و (مدرسة النجف الدينية) تقوم برسالتها التربوية وتدرّس
المعلوم الشرعية بصورة منهجية . تقدم لجنة من طلابها نشرة (الذكرى)
تشجيعاً للنشأة بعرض نتاجهم الفكري ومساهمة في رفع المستوى الديني
والتقاني ، وبمد فان (الذكرى) تنفع المؤمنين . لجنة النشرة

مصادر البحث ومراجعته

أ. المخطوطات

ب. اللقاءات والمقابلات الشخصية والإجابات
الخطية

ج. الكتب المطبوعة

د. المقالات والبحوث العلمية المنشورة في
الصحف

هـ. البحوث الجامعية والرسائل

و. المجلات

مصادر البحث ومراجعته.

القرآن الكريم .

المخطوطات .

١ - البستاني : د. مهدي جواد ، مدرسة النجف ، أدوارها العلمية وأطوارها الفكرية ، أواخر العهد العثماني (محفوظة لدى الباحث) .

ب - المقدمات والتجارب الشخصية والإجابات المخطئة .

١ - الأمين : حسن ، لقاء شخصي في بيروت ، بتاريخ ٢٧ شوال ، ١٤١٠هـ / ٢٢ / ٥ / ١٩٩٠ .

٢ - الحكيم : محمد باقر ، جواب خطي من طهران مؤرخ ١٧ شعبان ١٤٠٩هـ / ٢٤ آذار ١٩٨٩م .

جواب خطي من طهران مؤرخ ذي الحجة ١٤١٠هـ / ٣٠ / ١٩٩٠م .

٣ - طراد : حسن ، لقاء شخصي في بيروت ، بتاريخ ١٣ تموز ١٤١٠هـ / ٢٨ شباط ١٩٩١م .

٤ - فحوص : هاني ، لقاء شخصي في (جبشيت بجبل عامل) بتاريخ ١١ / ١٤١١هـ / ١١ شباط ١٩٩١م .

- ٥ - فضل الله : محمد حسين ، لقاء شخصي في بيروت بتاريخ : ١٣ رمضان ١٤١١هـ/ ٢٩ آذار ١٩٩١م .
- ٦ - الكوثرائي : محمود ، لقاء شخصي في الفسائية بجبل عامل ، بتاريخ ١٧ ذي القعدة ١٤١٠هـ/ ١٠ حزيران ١٩٩٠م .
- ٧ - ملك : حسن ، لقاء شخصي في بيروت بتاريخ ١٨ صفر ١٤١١هـ/ ٨ أيلول ١٩٩١م .

٥- الكتب المطبوعة .

- ١ - الأصفى : محمد مهدي ، الإجتهد والتقليد وشؤون الفقيه ، ط دار التعارف - بيروت (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) .
- ٢ - الأصفى : مدرسة النجف وتطور الحركة الإصلاحية فيها ، ط النعمان - النجف ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م .
- ٣ - إين حزم : أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد ، المحلّي ، دار الفكر ، بيروت (لات ، لان) .
- ٤ - ابن طاووس : غياث الدين عبد الكريم ، فرحة الغري في تعيين قبر الإمام علي . منشورات الرضى ، قم ، بليران (لات) .
- ٥ - ابن منظور : أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، ط ، دار صادر ، بيروت (لات) .
- ٦ - أبو زهرة : محمد ، تاريخ المذاهب الإسلامية (جزءان) ، ط . دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م .
- ٧ - الأصهباني : أبو الفرج ، علي بن الحسين الأغاني ، (ج ٥) ط ، إحياء التراث العربي ، بيروت ، (لات) .
- ٨ - أمين : أحمد ، فجر الإسلام ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م .
- ٩ - الأمين : حسن ، ثورة إيران في جذورها الإسلامية الشيعية ط ، دار النهار ، بيروت ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م .
- ١٠ - الأمين : دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ، ط ، التعارف ، بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

- ١١ - الأمين : محسن ، أعيان الشيعة ، ط ، التعارف ، بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م .
- ١٢ - الأمين : محسن وآخرون ، الإمام السيد محسن الأمين وسيرته ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م . (ل.ت) .
- ١٣ - الأميني : محمد هادي ، معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام . ط ، الآداب - النجف - ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م .
- ١٤ - الأنصاري : سعد ، الفقهاء حكام على الملوك . ط . الهدى - بيروت ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- ١٥ - الأهواني : أحمد فؤاد ، التعليم في رأي القاسبي ، ط . دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م .
- ١٦ - بحر العلوم : محمد ، الإجتهد أصوله وأحكامه ، ط ، دار الزهراء ، بيروت ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .
- ١٧ - بسبوني : عبد الغني عبد الله ، النظم السياسية ، ط ، الدار الخانمعية بيروت (ل.ت) .
- ١٨ - البلاذري : أبو الحسن أحمد بن يحيى ، فتوح البلدان ، ط . دار الهلال ، بيروت ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- ١٩ - البهادلي : علي ، النجف جامعتها ودورها القيادي (تقديم . د . محمد كاظم مكّي) . ط . الوفاء بيروت ، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م .
- ٢٠ - التبريزي : ميرزا علي الغروي ، التنقيح في شرح المعروة الوثقى ، ط الآداب ، النجف ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م .
- ٢١ - التكريتي : عبد الغفار ، من مذكرات حردان عبد الغفار التكريتي منشورات منظمة الطلبة المسلمين العراقيين ، (ل.ت) .
- ٢٢ - الجاحظ : أبي عثمان عمرو بن بحر ، البيان والتبيين ، (ج ٢) ط . دار الفكر للجمع ، بيروت ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .
- ٢٣ - الجواهري : محمد مهدي ، ذكرياتي (ج ١) ط ، دار الرافدين ، دمشق ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .
- ٢٤ - حرز الدين : محمد ، معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء ، (٣ أجزاء) مكتبة المرعشي النجفي ، قم إيران ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م .
- ٢٥ - الحسيني : سليم ، صراع الإرادات (دراسة في الفكر الحركي للسيد محمد

- حسين فضل الله) ط ، دار المنتدى - بيروت ،
١٤١٠هـ/١٩٨٩م .
- ٢٦ - الحكيم : محسن الطباطبائي ، مستمسك العروة الوثقى (ج١) بيروت ، ط
إحياء التراث العربي ١٣٩١هـ/١٩٧٠م .
- ٢٧ - الحكيم : محمد تقي ، الأصول العامة للفقهاء المقارن ، ط ، مؤسسة آل
البيت ، قم/إيران ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م .
- ٢٨ - الحلي : أبو منصور ، جمال الدين الحسن بن يوسف ، تهذيب الوصول إلى
علم الأصول ، ط حجرية طهران ١٠٣٨هـ/١٨٩٠م .
- ٢٩ - الحلي ، : مبادئ الوصول إلى علم الأصول ، (تحقيق عبد الحسين محمد علي
البقال) ط . الأضواء - بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
- ٣٠ - الحوماني : محمد علي ، من وحي الرافدين (ج١) ط ، الكشاف ، بيروت
١٣٦٤هـ/١٩٤٤م .
- ٣١ - الخاقاني : علي ، شعراء الغري أو النجفيات (١٢ جزء) ط . الحيدرية ،
النجف ، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م .
- ٣٢ - خدوري : د محمد العراق الإشتراكي ، ط ، المتحدة للنشر ، بيروت
١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
- ٣٣ - خلخالي : محمد مهدي ، دروس في فقه الشيعة ، ط ، الآداب ، النجف ،
١٣٠٨هـ/١٩٥٨م .
- ٣٤ - خلّاف : عبد الوهاب ، خلاصة التشريع الإسلامي ، ط ، دار القلم ،
الكويت ، (لا.ت) .
- ٣٥ - الخليلي : جعفر ، موسوعة العتبات المقدسة ، (قسم النجف ٧ و٦) ط ،
الأعلمي ، بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .
- ٣٦ - الخليلي : هكذا عرفتهم (ج٦) ، ط ، دار الكتب ، بيروت ،
١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
- ٣٧ - الخوئي : أبو القاسم الموسوي ، البيان في تفسير القرآن ، (ج١ المدخل)
ط ، الزهراء ، بيروت ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .
- ٣٨ - الخوئي : معجم رجال الحديث ، (ج١٣) ط ، الآداب ، النجف
١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .
- ٣٩ - الخوئي : منهاج الصالحين ، (ج العبادات) ط ، الزهراء - بيروت ،
(لا.ت) .

- ٤٠ - خورشيد : وآخرون ، دائرة المعارف الإسلامية ، ط ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٥٢هـ/١٩٣٣ م .
- ٤١ - الحميني : روح الله الموسوي ، كلمة بمناسبة صدور كتاب الآيات الشيطانية) ، ط ، وحدة الثقافة المركزية - لبنان - ١٤١٠هـ/١٩٨٨ م .
- ٤٢ - الحميني : تحرير الوسيلة (جزءان) ، دار الصراط المستقيم - بيروت ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣ م .
- ٤٣ - الرفاعي : د. مصطفى كامل ، إسلامنا في التوفيق بين السنة والشيعة ، ط ، الأعلمي ، بيروت ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤ م .
- ٤٤ - روحاني : حميد ، نهضة الإمام الحميني (ج٢) فارسي ، ط ٥ دار الفكر ، طهران ١٤٠١هـ/١٩٨٠ م .
- ٤٥ - زيدان : جرجي ، تاريخ التمدن الإسلامي (ج١) و(ج٢) و(ج٣) ، ط اهلال ، مصر ، ١٣٢٠هـ/١٩٠٢ م .
- ٤٦ - شبّر : حسن ، العمل الحزبي في العراق (١٩٠٨-١٩٥٨) ط . دار التراث العربي ، بيروت ، ١٤١٠هـ/١٩٨٩ م .
- ٤٧ - شبّر : عبد الله ، تفسير القرآن الكريم ، ط ، إحياء التراث العربي - بيروت (لا.ت) .
- ٤٨ - الشرقي : طالب علي ، النجف الأشرف عاداتها وتقاليدها ، ط ، الآداب ، النجف ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٧ م .
- ٤٩ - الشرقي : علي ، عواطف وعواصف (ديوان شعر) ط ، المعارف ، بغداد ، ١٣٧٣هـ/١٩٥٣ م .
- ٥٠ - الشلبي : د. أحمد ، تاريخ التربية الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٣٩٢هـ/١٩٧٣ م .
- ٥١ - شمس الدين : محمد مهدي مواقف وتأملات في قضايا الفكر والسياسة ، ط ، الزهراء - بيروت - ١٤٠٥هـ/١٩٨٤ م .
- ٥٣ - الشوكاني : محمد بن علي بن محمد ، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ، ط ، البابي ، مصر ، ١٣٥٦هـ/١٩٣٧ م .
- ٥٤ - الشوكاني : القول المفيد في أدلة الإجتهد والتقليد ، ط ، مكتبة القرآن ، القاهرة - (لا.ت) تحقيق محمد عثمان الخشب .

- ٥٥ - الصدر : محمد باقر ، خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء ، ط ، التعارف (لا.ت) .
- ٥٦ - الصدر : الفتاوى الواضحة ، (ج١) ط . التعارف ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
- ٥٧ - الصدر : المحنة ، ط ، ذو الفقار ، قم ، إيران (لا.ت) .
- ٥٨ - الصدر : المعالم الجديدة في علم الأصول ، ط ، النعمان ، النجف ، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .
- ٥٩ - الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الأمم والملوك (ج٣) ، ط ، دار الفكر - بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .
- ٦١ - الطبرسي : أبو منصور ، أحمد بن علي ، الإحتجاج ، (ج٢) ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م .
- ٦٢ - العاملي : (الشهيد الأول) ، محمد بن جمال الدين مكّي ، اللمعة الدمشقية ، تقديم (محمد مهدي الأصفي) منشورات ، جامعة النجف الدينية ، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م .
- ٦٣ - العاملي : (الشهيد الثاني) زين الدين بن علي بن أحمد الجبعي ، منية المريد في آداب المفيد والمستفيد ، ط . المرتضى ، بيروت (لا.ت) .
- ٦٤ - العبيدي : غانم سعيد ، التعليم الأهلي في العراق ، ط ، جامعة بغداد ، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .
- ٦٥ - عرفانيان : غلام رضا ، الرأي السديد في الإجتهد والتقليد ، (تقديم محمد مهدي الأصفي) ط ، النعمان ، النجف ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م .
- ٦٦ - العسكري : مرتضى ، معالم المدرستين (ج٢) ط ، النعمان ، بيروت ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .
- ٦٧ - العسكري : تقديم كتاب (أصل الشيعة وأصولها) للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء . ط . الأعلمي - بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
- ٦٨ - العلوي : حسن ، الشيعة والدولة القومية في العراق ، باريس ، فرنسا ، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م ، (لا.ن) .
- ٦٩ - الغزالي : أبي حامد ، محمد ، المستصفى في علم الأصول ، ط ، مصطفى محمد ، القاهرة ، ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م .
- ٧٠ - الفضلي : د. عبد الهادي ، دليل النجف الأشرف ، ط ، مكتبة التربية ، النجف ، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .

- ٧١ - الفقيه العاملي : محمد تقي ، جامعة النجف في عصرها الحاضر ، ط ، صور لبنان ، (ل. ات) .
- ٧٢ - فياض : د. عبد الله دخيل ، تاريخ التربية عند الإمامية وأسلافهم الشيعة ، تصدير محمد توفيق حسين ، ط ، المتحدة للنشر ، بيروت ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م .
- ٧٣ - الفيروزآبادي : مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، ط ، الحلبي ، مصر ، ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م .
- ٧٤ - القبانجي : صدر الدين ، الجهاد السياسي للإمام الصدر ، ل. ن. ، ل. ات .
- ٧٥ - القبيسي : أحمد ، حياة الإمام شرف الدين في سطور ، ط ، دار التوجيه الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- ٧٦ - القزويني : د. علاء الدين ، أمير محمد مهدي ، الفكر التربوي عند الشيعة الإمامية ، ط ، دار الثقافة ، مصر ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م .
- ٧٧ - قطب : سيد ، في ظلال القرآن ، إحياء التراث العربي ، بيروت ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م .
- ٧٨ - القمي : عباس ، الكنى والألقاب ، ط دار السوفاء ، بيروت ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- ٧٩ - الكاتب : أحمد ، تجربة الثورة الإسلامية في العراق (١٩٢٠ - ١٩٨٠) ، ط القبس ، طهران ، ١٤٠١هـ / ١٩٨٠م .
- ٨٠ - كاشف الغطاء : علي محمد رضا هادي ، أدوار علم الفقه وأطواره ، ط ، دار الزهراء ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م .
- ٨١ - كاشف الغطاء : باب مدينة علم الفقه ، دار الزهراء ، بيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- ٨٢ - كاشف الغطاء : محمد حسين ، أصل الشيعة وأصولها ، ط ، الأعلمي ، بيروت ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م / تقديم مرتضى العسكري .
- ٨٣ - ميز (Mez) : آدم ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، (ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريذة) ط ، لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م ، جزءان .
- ٨٤ - المجلسي : محمد باقر ، بحار الأنوار ، ج ١٠٥ / ١٠٧ / ١١٠ ، ط ، دار الوفاء ، بيروت ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- ٨٥ - محبوبة : جعفر الشيخ باقر ، ماضي النجف وحاضرها ، ٣ أجزاء ، ط ، الأضواء ، بيروت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

- ٨٦ - المسعودي : أبي الحسن علي بن الحسين بن علي ، مروج الذهب ومعادن
الجمهر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط ، دار المعرفة ،
بيروت ، ١٤٠٣هـ/١٩٧٢م .
- ٨٧ - مطهري : مرتضى ، الإجتهد في الإسلام ، ط ، دار التعارف
١٤٢٠ هـ / ١٩٨٢ م .
- ٨٨ - مطهري : الحركات الإسلامية في القرن الرابع عشر الهجري ، ط ، دار
الهادي - بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
- ٨٩ - مطهري : مبدأ الإجتهد في الإسلام ، ط ، دار الرسول الأكرم ، بيروت .
١٤١١هـ/١٩٩٠م .
- ٩٠ - المظفر : محمد حسين ، تاريخ الشيعة ، ط ، دار الزهراء ، بيروت ،
١٤٠٦هـ/١٩٨٥م .
- ٩١ - المظفر : محمد رضا ، عقائد الإمامية ، ط ، دار الزهراء ، بيروت .
١٤٠٦هـ/١٩٨٠م .
- ٩٢ - المظفر : المنطق (ج ١) مطبعة الزهراء ، بغداد ، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م .
- ٩٣ - المظفر : محمود ، تقديم كتاب (الإقتصاد فيما يتعلق بالإعتقاد للشيخ
الطوسي) .
- ٩٤ - معتوق : حسين ، المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية ، ط ، دار
الهدى ، بيروت ، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠م .
- ٩٥ - معروف : د . ناجي ، علماء النظاميات ومدارس الشرق الإسلامي ، ط
الإرشاد ، بغداد ، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .
- ٩٦ - معروف : مدارس قبل النظامية ، ط ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد ،
١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .
- ٩٧ - معروف : نشأة المدارس المستقلة في الإسلام ، ط ، مطبعة الأزهر ، بغداد ،
١٣٨٥هـ/١٩٦٦م .
- ٩٨ - معلوف : لويس ، المنجد في اللغة والإعلام ، ط ، دار المشرق ، بيروت ،
١٣٩٩هـ/١٩٧٨م .
- ٩٩ - مغنية : محمد جواد ، الشيعة والحاكمون ، ط ، دار الهلال ، بيروت ،
١٤١٠هـ/١٩٨٤م .
- ١٠٠ - المقرئزي : تقي الدين ، الخطط والآثار ، بيروت (لا.ت) .

- ١٠١ - مكّي العاملي : د. محمد كاظم ، السيد حسين مكّي ، سيرته وحياته ، ط ،
العصرية ، صيدا ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م .
- ١٠٢ - موسى : د. كامل ، أحكام العبادات ، ط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،
١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
- ١٠٣ - النفيسي : عبد الله فهد ، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث ،
ط ، النهار ، بيروت ، ١٣٩٣هـ/١٩٨٣م .
- ١٠٤ - النمر : د. عبد المنعم ، الإجتهااد ، ط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،
القاهرة ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م .
- ١٠٥ - هارون : عبد السلام ، تهذيب سيرة ابن هشام ، ط ، مؤسسة الرسالة ،
بيروت ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
- ١٠٦ - وجدي : محمد فريد ، دائرة معارف القرن العشرين ، (مجلد ٣) ، ط ، دار
المعرفة ، بيروت ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م .
- ١٠٧ - الوردّي : د. علي ، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، (ج٦) ط ،
بغداد ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م .
- ١٠٨ - ياقوت الحموي : شهاب الدين ، أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي
البغدي ، معجم البلدان ، ط ، دار إحياء التراث العربي ،
بيروت ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .
- ١٠٩ - اليزدي : محمد كاظم ، العروة الوثقى ، ط ، مكتب وكلاء الإمام الخميني ،
بيروت ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

* * *

١- البحوث البعثية والزّمن .

- ١ - خشيش : إنتصار ضاهر ، الحوزات العلمية في جبل عامل (جزين
وجباع) ، رسالة لنيل شهادة الدبلوم في الدراسات المعمقة في علم
التربية ، في الجامعة اللبنانية - معهد العلوم الإجتماعية - الفرع
الأول - بيروت ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م .
- ٢ - خليل : عدنان إبراهيم ، الإمام محسن الطباطبائي الحكيم ، رسالة أعدت
لنيل شهادة الدبلوم في الآداب ، قسم التاريخ - كلية الآداب -

- ٣ - زيتون : سهام محمد ، الحوزات العلمية في الضاحية الجنوبية ، لمدينة بيروت ، بحث لنيل تقدير الجدارة في علم الاجتماع التربوي ، الجامعة اللبنانية - معهد العلوم الإجتماعية - الفرع الأول - بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م .
- ٤ - علي : محمد جواد بين الجامعات والحوزات ، بحث تمهيدي لمرحلة (الماجستير) بكلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية في بيروت ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .
- ٥ - نزال : سلمان ، الدور التربوي الإجتماعي والسياسي للنجف في مطلع القرن العشرين ، رسالة أعدت لنيل شهادة الدراسات المعمقة في علم الاجتماع ، من معهد العلوم الإجتماعية في بيروت - الفرع الأول - الجامعة اللبنانية (لم يدون العام الدراسي) .

* * *

المقالات والبحوث العلمية المنشورة في الصحف

- ١ - أبو إبراهيم : جامعة الكوفة ، مجلة الإيمان (النجف) س/٣ ، ع/١-٢ ، محرم ، ١٣٨٦هـ/١٩٦٩م .
- ٢ - البلاغي : محمد جواد - كلية النجف ، مجلة الاعتدال (النجف) س/٣ ع/٢ ربيع الثاني ١٣٥٤هـ/تموز ١٩٣٥م .
- ٣ - البهادلي : علي ، الإمام المجاهد الجزائري ، مجلة الموسم (الهند) ع/٨ ، مج/٢ ، ١٤١١هـ/١٩٩٠م .
- ٤ - البهادلي : علي ، كيف وماذا يعني المرجع الأعلى للمسلمين الشيعة ، جريدة السفير ، بيروت ، س/١٨ ع/٥٨٦٦ ، ٩ شوال ١٤١١هـ/٢٣ نيسان ١٩٩١م .
- ٥ - التبريزي : علي الغروي ، الإجهاد عند الشيعة الإمامية حتى عصر السيد الخوئي ، مجلة الموسم (الهند) ع/٦ مج/٢ ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .
- ٦ - الحكيم : محمد تقي ، المتدى تاريخ وتطور ، مجلة النجف ، س/٣ ، ع/٢ ، ذي الحجة ، ١٣٨٧هـ/آذار ١٩٦٨م .

- ٧- الحكيم : العلامة الشيببي ومجالاته الفكرية الهادفة ، مجلة النجف س/ ١ ، ٧/ع ، رمضان ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م .
- ٨- الزين : علي ، بوادر الإصلاح في جامعة النجف ، مجلة العرفان ، (صيدا) ، مج/ ٢٩ ، ح/ ٢ ، صفر ١٣٥٧هـ/ آذار ١٩٣٨م .
- ٩- سبحاني : جعفر ، ومكارم : ناصر الدين ، حوار حول الحوزات ، مجلة البصائر (لندن) ، س/ ٢٠ع/ ٤ ، صيف ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .
- ١٠- سكاكيني : وداد ، إلى النجف الأشرف ، مجلة العرفان (صيدا) مج/ ٥٩ ، ج/ ١-٦ ، رجب ١٣٩١هـ/ آب ١٩٧١م .
- ١١- شمس الدين : محمد جعفر ، دور الحوزات العلمية في عملية التغيير ، مجلة المنطلق (بيروت) ع مزدوج ٤٤ - ٤٥ ، ذي القعدة ١٤٠٨هـ/ تموز ١٩٨٨م .
- ١٢- الصدر : محمد باقر ، الإتجاهات المستقبلية لحركة الإجتهد ، مجلة الهادي (قم إيران) س/ ٢٠ع/ ٣ ، صفر ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م .
- ١٣- الشيببي : محمد رضا ، صرعى الكتب والمكتبات في النجف ، مجلة لغة العرب ، (بغداد) ، س/ ٢ ، ج/ ١ ، ربيع الثاني ١٩٣٣هـ/ آذار ١٩١٣م .
- ١٤- العاملي : حبيب المهاجر ، النجف الأشرف أوقية الإسلام ، مجلة الهدى ، (العمارة - العراق) س/ ١ ، ج/ ٥ ، رجب ١٣٤٧هـ/ كانون الأول ١٩٢٨م .
- ١٥- عراقي : كتب القراءة وطريقة التدريس عند الشيعة في العراق ، مجلة لغة العرب (بغداد) س/ ٢ ، ج/ ٩ ، ربيع الأول ١٣٣١هـ/ شباط ١٩١٣م .
- ١٦- عطوي : محسن ، الحوزات العلمية في فكر الإمام الخميني ، المنطلق ، (بيروت) ع/ ٥٧ ، محرم ١٤١٠هـ/ آب ١٩٨٩م .
- ١٧- عيسى : مجيد أحمد ، الدراسة في النجف ، مجلة البيان (النجف) س/ ٢ ، ع/ ٢٧ و ٢٨ ذو القعدة ١٣٦٦هـ/ تشرين الثاني ١٩٤٧م .
- ١٨- فحص : هاني ، الشهيد مرتضى المطهري ، مجلة الفجر (قم) ع/ ١ س/ ١ .
- ١٩- كاظم : عباس ، ملاحظات على المنهج الدراسي في الحوزات العلمية ، مجلة البصائر (لندن) س/ ٣ ، ع/ ٥ ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

- ٢٠ - منطهري : مرتضى منظمة علماء الدين ، مجلة المنطلق (بيروت) ع / ٣٨ ، ربيع الثاني ١٤٠٨ هـ / كانون الأول ١٩٨٧ م .
- ٢١ - المنظر : محمد رضا ، جامعة النجف الأشرف وجامعة القرويين ، مجلة (النجف) س / ٤ ، ع / ٦٠٥ ، ٢٢ جمادى الأولى ١٣٨٠ هـ / ١٠ - ١١ - ١٩٦٠ م .
- ٢٢ - مغنية : محمد جواد ، النجف والإمتحان ، مجلة العرفان (صيدا) مج / ٤٥ ، ربيع الأول ١٣٧٧ هـ / تشرين الأول ١٩٥٧ م .
- ٢٣ - المهاجر : محمد جعفر ، إشكالية التربية والتعليم في أرض الإسلام (المنطلق)
- ٢٤ - نصر الله : حسن ، النجف الحضارية ، مجلة الغدير (بيروت) س / ١ ، ع / ٢ ، شعبان ١٤٠٢ هـ / كانون الثاني ١٩٨١ م .
- ٢٥ - الهاشمي : محمد جمال ، رسالة النجف الأشرف ، مجلة الإيمان (النجف) س / ٣ ، ع / ٧ ، محرم ١٣٨٥ هـ / أيار ١٩٦٥ م .
- ٢٦ - هالم : هاينز Heinz Halm أصول المدرسة في الإسلام ، مجلة الفكر العربي ، بيروت ، س / ٣ ، ع / ٢٠ ، آذار ١٩٨١ م .
- ٢٧ - الهلالي : جعفر ، نشأة المدارس الدينية ، مجلة النجف (النجف) س / ٥ ، ع / ٤ ، شعبان ١٣٨٢ هـ / نيسان ١٩٦٢ م .
- ٢٨ - الغروي : محمد ، الحوزة العلمية الدينية في النجف الأشرف ، مجلة الثقافة الإسلامية ، العدد / ٢٨ .

* * *

در. المجلدات .

- مجلة (النجف) يصدرها طلاب كلية الفقه في النجف الأشرف ، متوقفة عن الصدور منذ عام ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٨ م .

* * *

الفهارس الفنية

- ١- فهرس الآيات القرآنية الكريمة.
- ٢- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.
- ٣- فهرس الأعلام.
- ٤- مصادر الكتاب ومراجعته.
- ٥- محتويات الكتاب.

فهرس الآيات القرآنية الواردة

الصفحة	السورة/ الآية	الآية	١
١٨٤	آل عمران/ ٥٥	« إذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ، ورافعك اليّ آل عمران/ ٥٥ »	١
١٤٠	التوبة/ ٧٩	« الذين يلمزون المطّوعين من المؤمنين في الصدقات التوبة/ ٧٩ »	٢
١٨١	العلق/ ٨	« إن الى ربك الرجعى »	٣
٢٠٥	الحجرات/ ١٣	« إنّ اكرمكم عند الله أتقاكم »	٤
١٨٦	المائدة/ ٤٤	« إنا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا في كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون »	٥
١٥١	النجم/ ٥	« ان هو إلا وحي يوحى »	٦
٢٢٩	النساء/ ٣٥	« . . . إن يريدوا إصلاحاً يوفق الله بينهما »	٧
٤٥	هود/ ٤٣	« سأوي الى جبل يعصمني من الماء »	٨
٢١٤	هود/ ١١٢	« فاستقم كما أمرت ومن تاب معك . . . »	٩
٢٢٠	آل عمران/ ٣٦	« فلما وضعتها قالت ربّي إني وضعتها انثى والله أعلم بما وضعت »	١٠
٤٨	البقرة/ ١٨٥	« فمن شهد منكم الشهر فليصمه »	١١

- تسلسل الآية
- ١٢ - « قال يا قوم أرايتم ان كنتم على بينة من ربّي وزرقي هود/٨٨ ٢٣٠
 منه رزقاً حسناً وما اريد ان اخالفكم الى ما أنهاكم عنه
 ان اريد إلاّ الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلاّ بالله
 عليه توكلت وإليه أنيب . »
- ١٣ - « كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلوا عليكم آيتنا البقرة/١٥١ ٢٣
 ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم
 تكونوا تعلمون . »
- ١٤ - « لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من
 آل عمران/١٦٤ ٢٣
 أنفسهم يتلوا عليهم آيته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب
 والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين . »
- ١٥ - « وإذا بدلنا آيةً مكان آيةٍ والله أعلم بما ينزل . . . » النحل/١٠١ ٢٢٠
- ١٦ - « وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة البقرة/٣٠ ١٨٤
 قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن
 نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا
 تعلمون . »
- ١٧ - « وأسموا بالله جهد إيمانهم لئن جاءتهم آيةٌ ليؤمنن بها الأنعام/١٠٩ ١٤٠
 قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا
 يؤمنون . »
- ١٨ - « وأنّ لو إستقاموا على الطريقة . . . » الجن/١٦ ٢١٤
- ١٩ - « ويعولتھن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا البقرة/٢٢٨ ٢٢٩
 إصراً . . . »
- ٢٠ - « وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل الحج/٧٨ ١٨٤
 عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم
 المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً
 عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا
 الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم
 النصير . »
- ٢١ - « ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها . . . » الاعراف/٥٦ ٢٢٩
- ٢٢ - « وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلاً . » الاسراء/٨٠ ٢٢٢
- ٢٣ - « وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة التوبة/١٢٢ ١٦٥

الصفحة	السورة/ الآية	الآية	تسلسل
		منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون .	
١٥١	النجم/ ٤	« وما ينطق عن الهوى . »	٢٤ -
١٨٧	المائدة/ ٤٤	« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون . »	٢٥ -
١٨٤	ص/ ٢٦	« يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب . »	٢٦ -
٨٥	الانفال/ ١٥	« يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار . ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير . »	٢٧ -
١٠٦	البقرة/ ٢٧٣	« يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف . »	٢٨ -
١٩٣	النساء/ ٦٠	« يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به . »	٢٩ -
٢٢٩	البقرة/ ٢٢٠	« ويستلونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير . . . »	٣٠ -

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الرقم	الحديث	الصفحة
١ -	« إجتهدا فإن أصبتهما فلكما عشر حسنات ، وإن أخطأتما ، فلكما حسنة »	١٤١
٢ -	« احكم في بعض القضايا إن أصبحت فلك أجران وإن أخطأت فلك أجر »	١٤١
٣ -	« إن كان في الجنة صبرت ، وإن كان غير ذلك إجتهدت في البكاء »	١٤٣
٤ -	« إني تارك فيك الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، ما إن تمسكتم بها لن تضلوا بعدي أبداً ، إلا أنها لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض »	١٦٥
٥ -	« ألا من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله »	٢٦٥
٦ -	« الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله . . . »	١٤٢
٧ -	« العمائم تيجان العرب ، فإن وضعوا العمائم وضع الله عزهم »	٢٦٤

الرقم	الحديث	الصفحة
٨-	« من تعلم علماً ليسحاري فيه السفهاء ، أو لياهي به العلماء أو يعرف به الناس إلى نفسه يقول : أنا رئيسكم فليتوبوا مقعده من النار ، إن الرئاسة لا تصلح إلا لأهلها ، فمن دعا الناس إلى نفسه ، وفيهم من هو أعلم منه ، لم ينظر الله إليه يوم القيامة »	٢٢١
٩-	« من دخل مسجدنا هذا ليتعلم خيراً أو ليعلمه كان كالمجاهد في سبيل الله ، ومن دخل لغير ذلك كان كالناظر إلى ما ليس له »	٢٤
١٠-	« من غدا إلى المسجد لا يريد إلا ليتعلم خيراً أو يعلمه كان له أجر معتمر تام العمرة . . ومن راح إلى المسجد لا يريد إلا ليتعلم خيراً أو ليعلمه فله أجر حاج تام المحجة »	٢٤

فهرس الأعلام الواردة في هذا الكتاب

رُتبت الأعلام هنا حسب حروف الهجاء لعائلة العَلم ، مع حذف الألقاب مثل شيخ وسيد وما شابه .

		(حرف الألف)	
	- ابن الحجاج ، أبي عبد الله الحسين بن أحمد(المعروف بابن الحجاج)	١٦٣	آبادي ، الخواتون
٦٣	- ابن حسن ، محمد ، أصفهاني	٣٣٠	إبراهيم ، إبراهيم مكي
٤٣	فاضل الهندي	٢٠٠	إبن آدم ، زكريا
٢٣٦	- ابن الحسين ، فيصل	٣١٤/٢٧٧	إبن أحمد ، هشام عبد الله
٢٣٩/١٣٦	- ابن الحسين ، عبد الله		إبن يوسف
٣٦	- ابن حفص	٣٢	إبن أردشير ، أبونصر سابور
٣٦	- إيوحنيفة ، النعمان	١٦٤	إبن أعين ، زُرارة
١٩٣	- ابن حنظلة ، عمر	٢٥/٢٢	إبن جبل ، معاذ
	- ابن حبان ، عبد المسيح	١٥٩/١٥٨	إبن الجنيد ، محمد بن أحمد
٣٢٢/٤٥	ابن عمر بن قيس	(١٦٨)/	
١٦٤	- ابن خربوذ ، معروف	٤٣	إبن الجوزي
٦٦	- ابن الخمري ، أبو عبد الله	٥١	إبن حازم ، عبد الله
	- ابن زريخ الحلبي	٣٠	إبن حبان

٢٦	- أبو عيسى، القمي	٤٢٨	المكارم حمزة بن علي
	- ابنة الكاظم، فاطمة ابنة		- ابن سامان، اسماعيل بن
٩٧	الإمام موسى الكاظم (ع)	٣٠	أسد
٦٧/٦٦	- ابن الفضل، محمد بن علي		- ابن سعيد، محمد بن
٣٢	- ابن فورك،	٤١٥/١٩٢	عثمان
٣٥	- ابن ماجة،	١٧١/٢٤	- ابن سينا، أبو علي
٤٧	- ابن مسعود، عمرو		- ابن شهر آشوب، محمد بن
١٦٤	- ابن مسلم، محمد	٤٢٩/٦٣	علي
	- ابن معاوية، تاج الدين		- ابن شهر يار، أبي طالب
	أبو عبد الله محمد قاسم	٦٢	ابن أحمد
٤٢٩	ابن الحسين		- ابن شهر يار، أحمد بن
١٦٢	- ابن المظاهر، محسن	٦٢	شهر يار الخازن أبو النصر
	- ابن المغيرة، الحسين	٢٥	- ابن الصامت، عبادة
٦٧/٦٦	ابن أحمد	١٠٥	- ابن الصلاح، تقي الدين
٤٣	- ابن منذر، نعيان		- ابن طاووس، رضي الدين
	- ابن منظور، أبو الفضل		أبو القاسم علي بن جعفر
٤٠	جمال الدين، محمد بن مكرم	٤٢٩	ابن موسى
٢٧٧	- ابن الناظم،		- ابن طاووس، غياث الدين
٤٧	- ابن نضلة، خالد	٥١/٥٠	السيد عبد الكريم
٤٥	- ابن الوليد، خالد	٥٠	- ابن الطحال
	- ابن هشام، عبد الله بن	٢٦	- ابن العاص، عمر
٢٢٧	موسى بن أحمد	٣٦	- ابن العباس، قثم
١٦٤	- ابن اليسار، الفضل	٢٠٠	- ابن عبد الرحمن، يونس
٥٦	- أبي ماضي، إيليا	٢٦	- ابن عطاء، واصل
٣٧٧	- إيتفاق، محمد تقي	١٣٠	- ابن علي، عبد الإله
٤٢٩	- الأردبيلي، أحمد بن محمد	٣١	- ابن عمر، قدرخان
٢٥	- الأسدي، الكُميت بن زيد	٢٥	- ابن عمير، مُصعب
١٦٤	- الأسدي، أبو نضير	١٣٣	- ابن عواد، هاشم بن محمد
٣٢	- الإسفراييني، أبي إسحاق	١٦٣/٧٧	- إيسو عياش، أحمد ابن
١٦٨	- الإسكافي، أبو عني	٤٢٩/	محمد بن فهد

	(حرف الباء)	٣٨٤	- إسماعيل ، عناد غزوان
		٣٢١	- إسلامي ، عباس علي
		٣٤٨	- الأشكوري ، نوري
٢٤٩	- الباقرى ، محمد علي		- الأصفهاني ، أبو الحسن ١٠٨/١٣٥ /
١٩٩	- الباقرى ، أحمد حسن		- الموسوي ١٣٦/٢٣٦ / ٢٤٤/٢٣٩ /
٤٦	- البُحترى		٢٤٥ / ٢٩٠ / ٢٩١ / ٣٢٨ /
٣٠٠	- بحر العلوم ، علي		٤٣١/٣٨٦
٣١٤	- بحر العلوم ، موسى		- الأصفهاني ، فتح الله (شيخ
(المقدمة)	- بحر العلوم ، مهدي	٤٣١	الشريعة)
	- البخاري ، محمد بن		- الآصفي ، محمد مهدي ١٤ / ١٧١ /
	إسماعيل الجعفي (الملقَّب)		٣٩١ / ٣٢١ / ٢٧٣
٩٧	بالبخاري)		- الأفغاني ، جمال الدين
٣٣٠	- البدرى ، عبد العزيز	٣٤٥	- الأمدي ، عبد الواحد
٣١/٣٠	- البرُسُخي ، أبو بكر		التميمي
٤٣١	- البروجردى ، حسين	١٤٦	- أمين ، إبراهيم
/٢٢٣/١٢	- البُستاني ، محمود	٣٣٩	- أمين ، أحمد
٣٨٥/٢٧٣		٢٩	- الأمين ، حسن
٢٦	- البصري ، الحسن	٣٢١/٢٩٣/٣٠	- الأمين ، محسن
٣٩١	- البكاء ، عدنان	/٢٤٢/٢٤١	٢٩٣/٢٩٥ / ٣٢١/٣٢٠
٤٠١	- البكر ، أحمد حسن		- الأنصاري ، مرتضى بن
١٧٠	- البندقاري ، بيرس		محمد
	- البهائي ، محمد بن	١١٣/(١١٢)	أمين التستري النجفي ١٧٤/١٦٩ /
	الحسين بن عبد الصمد		٢٨٠/٢٦٨/٢١٢/١٧٤/ /
٣٨٢/١٤٦	الجبعي العاملي (المعروف)		٣٠٧/٣٤٠/٤٣٠ /
٤٣٠/ /	بالبهائي)		- الإيرواني ، محمد بن
(الإهداء)	- البهادلي ، أحمد		محمد الباقر
٣٧٤/٣٤٨ / ٣٤١/٣٨٢		٤٣٠	- الإيرواني ، محمد تقي
٣٨٥/٣٧٦		٣٨٤	
٤٣٦	- البهادلي ، سلمان		
٤٣٠	- البههائي ، محمد باقر		

٤٠٢	- الجزراوي، طه	١٣٦/١٠٩	- بهلوي، محمد رضا
٣١٠	- الجعفري، صالح		- البلاغي، محمد بن علي
٣٨٤	- الجعفري، محمد رضا	٣٣٠	ابن محمد
٣١٤/٣٧٩	- جمال الدين، مصطفى	٣١٥	- البلاغي، محمد جواد
٣٤١	- الجنائي، ابراهيم		
٣١٤/٣٧٩	- جواد، مصطفى		(حرف التاء)
٣٤١	- الجواهري، محمد تقي		
٣١٠	- الجواهري، محمد مهدي	٢٧٧/١٢١	- التفتازاني، مسعود بن
		٢٧٩	عمر بن عبد الله
	(حرف الحاء)		- التكريتي، حردان عبد
		٣٥٠/(١٤٥)	الغفار
٢٩٠	- الحائري، عبد الكريم		- التميمي، محمد بن حيان
٣٤٨/٣٤٥	- الحائري، محمد كاظم	٣١	البيسي
٢٩٤	- الحجار، عبد الحسين	٣٨٥	- تويج، محمد باقر
٣١٤/٣١٠	- الحجامي، جواد		
٣٠٠/٢٠٧	- حرز الدين، محمد		(حرف التاء)
	- الحريري، أبو الحسن		
٤٢٩	زين الدين علي بن كاظم	٣١٤	- ثامر، علي
١٧٤	- حسن، محمد		
١١٤	- الخطاب، هاشم		(حرف الجيم)
٣٨٤/٣٤٨	- الحكيم، عبد المجيد		
٣٨٨	- الحكيم، عبد الهادي	٤٣	- الجاحظ، عمرو بن بحر
٢٤١/٢٤٠	- الحكيم، محمد باقر	١٣٦/١٣٥	- جبر، صالح
٣٨٧/٣٤٩/٣٤٣/٣٤٢/		٢٦٩/٢٤	- الجرجاني، عبد القاهر
٣٨٨/		٤٣٠	- الجزائري، أحمد النجفي
/١٤٢/٦٩	- الحكيم، محمد تقي	٣٣٤/٣٣٣	- الجزائري، عبد الكريم
٢٣٧/٢٣٤/٢١٤/١٤٧		٣٣٤/٣٣٣	- الجزائري، عز الدين
٣٨٤/٣٧٥/٣٣١/٣٠٧/		٢٣٧/٢٣٥/	
٣٩٣/		٢٩٥/٢٩٢	- الجزائري، محمد جواد
٣٨٧	- الحكيم، محمد سعيد	٣٣٤/٣٣٣/	

١٢ - حيدر، أسد

(حرف الخاء)

/٢٣٩/٤٧ - الخاقاني، علي

٣٤٩/٣١٤

٢٩٣ - الخالدي، علي

٤٢ - خان، سيد علي

٢٣٦/٢٠٦ - الخالصي، مهدي

٣٧٩ - الخراساني، كاظم

/١٦٩/١١ - الخراساني، محمد كاظم

٣٠٢/٢٨٠/٢٣٥

٩٢ - خشيش، إنتصار

٥٦/١٤ - الخليلي، جعفر

/١١٥/٧٩ - الخمسيني، روح الله

٢١٥/١١١ - الموسوي

٤٣١/٢٢٣/

- الخوانساري، حسين بن

٤٣٠ جمال الدين محمد حسين

/١٠٩/٧٩ - الخوي، أبو القاسم

/٢١٦/٢١١ /١٦٩/١٤٧

/٣٤٥/٣٤٢ /٢٢٧/٢٢٣

٤٣١/٣٨٩ /٣٦٢/٣٦٠

(حرف الدال)

٣٣٠ - الدبوني، أبو علي حسين

٣٣٠ - دخيل، عبد الصاحب

٣٢٩ - الدروري، منيب

٣٨٥ - درويش، عبد الله

١٠٩/١٠٨ - الحكيم، محسن

٢٣٧/٢٣٤/٢١٨/٢١٣/

٣١٤/٢٤٥/٢٤١/٢٤٠/

٣٨٦/٣٤٩/٣٤٢/٣٢٨/

٤٣١/٣٨٨/٣٨١/

٣٨٧ - الحكيم، محمد علي

٣٤٨ - الحكيم، محمد كاظم

٣٥٢/٣٤٣ - الحكيم، مهدي

٣٨٧/٣٢٨ - الحكيم، يوسف

٣٨٥ - الحلي، حامد شاكر

- الحلي، أبو القاسم، /١٦٢/٧١

أحمد الدين، جعفر ابن /١٧٣/١٦٣

الحسين بن يحيى بن سعيد /٢٦٨/١٩١

المعروف بالمتحقق الحلي /٢٧٩/٢٧٨

٤٢٩/

- الحلي، أحمد بن فهد

- الحلي، جمال الدين، أبو

منصور الحسن /٤٢٩/٢٨١

- الحلي، عبد الحسين /٣٦٨

- الحلي، محمد بن أحمد /٧٥/٧٥

ابن إدريس /٤٢٩/١٥٩/١٣٧/١٣٥

- الحلي، محمد بن الحسن /١٤٥/٧٥

ابن يوسف بن علي المظهر /١٦١/١٦٠

(معروف بنفخر المحققين) /١٩٥/١٦٢

٤٢٩/

- حموزي، عبد الهادي /٣٨٥/٣١٤

٣٨٧/

احمدوي، ياقوت، أبو عبد الله /٤٠

- حسن، ابن الفلاح /٧٤

- الحسين، محمد علي /٣٨٦

(حرف الرّاء)

١١٤	- شاه، نادر	١٤٤	- الرّازي، أبو بكر
٣٦	- الشاشي، القفال	٢٧٩	- الرّازي، قطب الدين
٢٢١/٣٦	- الشافعي،	٣٨٧	- الرّاضي، محمد جواد
٢٩٤	- شُبر، جواد	٢٦	- الرّاوية، حمّاد
٣٣٠/٣٢٣	- شُبر، حسن	٣٩٩/٣٨٤	- الرحيم، أحمد حسن
٣٥٢	- شُبر، كاظم	٣٦٨	- الرشتي، عبد الحسين
(٣٦٣)/٥٥	- الشيببي، محمد رضا	٢٢١	- الروياني،
٣٩٣/			

(حرف الزاي)

٢٩٥/٢٩٢	- شرارة، محسن		
١٦	- شرارة، موسى		
٣١٩	- شرف الدين، عبد الحسين	١٩٧	- الزرقاء، أحمد مصطفى
٥٣	- الشرقي، علي	٣٢٩	- الزهاوي، أجمد
٣٢	- الشريف الرضي	٣١٣/١٦	- الزين، أحمد عارف
/١٥٨/٦٨	- الشريف المرتضى	٣٢٤	- الزين، علي
٢٢٢/١٦٨			

(حرف السين)

١٥٦/١٥٥	- شلتوت، محمود		
٢٧	- شلبي، أحمد		
٣٣٠	- الشّمري، عبد الغني	٣٣٠	- السامرائي، طالب
٣٧٥	- شمس الدين، محمد جعفر	٣٢٩	- السامرائي، محمد فرج
/٧٢/١٤	- شمس الدين، محمد رضا	٣٤١	- السّراي، مسلم
٣٤٥/٢٧١ / ٢٥٩/٧٦		٣٤٠	- سرّية، صالح
/١٨٢/٨٢	- شمس الدين، محمد مهدي		- السّمري، أبو الحسن علي
٢٤٢/٢٣٢		٤١٦/١٩٢	- ابن محمد
٣٥٢	- شمشاد، محمد كاظم	١٠٨	- السعدون، عبد المحسن
	- الشوكاني، محمد بن علي	٢٦١	- سكاكيني، وداد
٢١٩/١٤٦	- ابن محمد	٣٨٤	- سهاكة، علي
٣٦	- الشرباني، محمد بن حسن	٣٤٨	- سويدان، نجيب

٣٧٩	ابن مالك - الطباطبائي، محمد مهدي	٤٣٠	- الشيرازي، ميرزا حسن
٤٣٠/٧٨	ابن مرتضى	(حرف الصاد)	
٤٢٨/٢٠١	- الطبرسي، أبو علي الفضل	٤٩	- الصَّابِي، أبو إسْحَق
	- الطبري، العاملي، أبو	٥٦	- الصافي، أحمد
	جعفر بن أبي القاسم علي	٣٦٦	- صالح، سعد
٤٢٨	ابن محمد		- الصبيغي، أحمد بن اسحاق
	- الطَّحَال، الحسن بن أحمد	٣١	ابن أيوب
٦٣	ابن محمد	٣٢٩	- الصَّوَّاف، محمد محمود
٦٣/٦١	- الطَّحَال، آل	٣٦٤/(٦٨)	- الصدر، آمنة
٣٢١	- الطَّحَان، عباس حامض	/(٦٨)/١١	- الصدر، محمد باقر
/٢٣٤/٨٧	- طراد، حسن	١٥٩/١٥٣ /٧٩/٦٩	
/٤٠٣/٣٩٠ /٣٨٩/٣٤٨		/١٦٦/١٦٢ /١٦١/١٦٠/	
٤٠٦/٤٠٥		/١٩٧/١٩٥ /١٨٦/١٧٣	
٣٣٩	- الطُّفَيْلي، صبحي	/٢٣٧/٢٣٤ /٢٢٣/٢١٤	
	- الطُّهْراني، ميرزا حسن	/٢٨١/٢٨٠ /٢٥٢/٢٤٥	
٤٣٠	ابن ميرزا خليل	/٣٤٣/٣٤٢ /٣٣١/٣٣٠	
٣٦	- الطُّوسِي، جعفر بن محمد	/٣٥٨/٣٥١ /٣٤٩/٣٤٤	
	- الطُّوسِي، أبو علي، الحسن	٤١٧/٤٠٣ /٣٦١/٣٦٠	
٧٣/٧٤	ابن محمد بن حسن الطُّوسِي	٤٣١/	
٤٢٨/٧٤	- الطُّوسِي، محمد أبو منصور	/٦٦/٤٦	- الصَّدوق، أبو جعفر محمد
/٣٤/٣٣	- الطُّوسِي، محمد بن حسن	٤٤٨ ١٥٨/٦٧	ابن علي
/٦٢/٦١ /٦٠/٣٦		٢٧٦	- الصنهاجي، أبي عبد الله
/٦٧/٦٦ /٦٤/٦٣		(حرف الطاء)	
/٧١/٧٠ /٦٩/٦٨			
/١٣٧/٩٨ /٧٤/٧٣			
/٢٦٧/١٧٣ /١٦٨/١٥٩			
٤٢٩/ ٤٢٨/٤١٣			
٤٢٦/٢٨٢	- الطُّوسِي، نصير الدين	٤٦	- الطَّائِي، محمد بن أحمد
			- الطَّائِي، محمد بن عبد الله

٤١٥/١٩٢

عثمان بن سعيد

٤٠٢

- العيسمي، شبلي

(حرف العين)

(حرف الغين)

- عارف، عبد الرحمن ٣٥٢/٣٥٠

٤٠١/٣٩٩/ ٣٩٨/٣٩٧/

٣٣

- الغزنوي، محمود

٣٩٥

- عارف، عبد السلام

٤٥

- العسائي، بن بقلية

٣٠١

- العاملي، حبيب المهاجر

- العاملي، حسن بن زين

الدين الجبجي (المعروف

(حرف الفاء)

٢٨٠

بأبي منصور)

٣٢٩

- فاطن، علي

- العاملي، زين الدين بن ٢٠٩/٩٨

٣٠

- فاميري، أرمينوس

/٢٨١/٢١٠

نور الدين الجبجي

/٢٤٠/٢٣٣

- فحص، هاني

(المعروف بالشهيد الثاني) ٤٢٩/٣٧٠

٤٠٦/٣٨٦

- الفخري، تحسين عبد

- العاملي، محمد بن جمال ١٩٦/٩٨

٣٢٩

القادر

الدين بن مكي (المعروف ٢٤٣/٢٠٩

/٢٨١/٢٥١

بالشهيد الأول)

- فضل الله، محمد حسين ٢٢٤/١٨٣

٤٢٩/٣٧٩

/٣٩٥/٣٩٠ /٣٣١/٣٢٣

٤١٧/٤٠٥

- العاملي، محمد حسن (المقدمة)

- الفضلي، عبد الهادي ٢٧٨/٢٧٢

٣٣٩

- عبد الساتر، حسن

٣٣٩

- عبد الساتر، يوسف

٣٩١/ ٣٧٦/٣٧٥

٣٤٥/١٥٥

- عبده، محمد

٣٢

- الفقيه، أبو حاتم

١٦٤

- العجلي، بريد

٢٠٣/٢٠٢

- الفقيه، محمد تقي

٤٣١

- العراقي، ضياء الدين

٢٧١/

٣٢

- العزيز بالله

٢٥٨

- فياض، عبد الله

٣٦٣

- العسكري، مرتضى

٣٤١

- فياض، محمد اسحاق

/٦٤/٤٩

- عضد الدولة

٣٨٤/٣١٤

- فياض، هادي

٦٦/٦٥

١٧١

- فيثاغورس

٣٣٩

- الغفّي، علي

٤٠٢

- عمّاش، صالح مهدي

- العميري (أو العمري)

٤٠٢ - كزار، ناظم
/٣٤٠/٣٣٨ - كلانتر، محمد

٣٥٦/٣٤١

- الكَلْبَنِي، محمد بن يعقوب

٤٢٨

الرَّازِي

٢٩٣

- كمال الدين، سعيد

(٣٦٦)/٢٩٣

- كمال الدين، عيسى

٣٦٧/

٣٣٠

- الكَوَّاز، محمد

/٣٧٧/١٥

- الكوثراني، محمود

٣٨٨/

٣٤٨

- الكوراني، علي

١٣٠

- الكيلاني، رشيد عالي

(حرف القاف)

٤٩٤/٣٩٣

- قاسم، عبد الكريم

٤٤

- القاضي، شريح

٣٣٠

- القاموسي، صادق

٣٠٣/٢٧٢

- القزويني، محمد مهدي

٤٣٠/

١٨٥

- قطب، سيّد

- القَمِّي، أبو القاسم

٤٣٠

محمد حسن الكيلاني

٤٣١

- القَمِّي، حسين

٢٨٠

- القَمِّي، عباس

٤٧

- القيس، إمريء

(حرف اللّام)

- اللّخمي، عمر بن عدي

٤١

ابن نصر

(حرف الميم)

٤٣٠

- المازندراني، اسماعيل

٤٣٠

- المازندراني، الخاجوي

٤٣

- المازندراني، محمد صالح

٣٤

- المأمون

- المجلسي (الثاني)، محمد

٤٣٠/١٦٣

باقر

- المجلسي (الأول)، محمد

٤٣٠

تقي

٤٢

- محبوبه، جعفر

٤٢

- محفوظ، حسين علي

(حرف الكاف)

٤٢٩

- الكاشاني، نصيرالدين

/١٩٧/٧٨

- كاشف الغطاء، جعفر

٣١٢ / ٢٠٦/١٩٨

٥٥

- كاشف الغطاء، علي

/٢١٥/١٣٠

- كاشف الغطاء، محمد

/٣٢٧/٣٢٤

حسين

٤٣١/٣٩٥

٣٥٢

- كُبَّة، محمد صالح

- الكراجكي، أبو الفتح

٤٢٨

إبن عثمان

- الكركي، نورالدين

٤٢٩/٢٢١

العاملي

٤٠٢

- كريم، عبد الوهاب

٢٧

- كريم، فون

٤٠٢/٣٤٣	- مَلَكٌ، حسن	٣٩٩/٣٨٤	- محي الدين، عبد الرزاق
٤٣	- الموصلي، اسحاق	٣٤٥/١٥٥	- المراغي، مصطفى
	(حرف النون)	٣٣٩	- المصري، حسن
		٣٨٤	- مطر، عبد المهدي
		٣٦٣	- مطلوب، أحمد
٣٣٠	- النائب، نزار	١٦٠/١٥٦	- مطهري، مرتضى
٤٣١/٢٣٦	- النائبني، محمد حسين	٢٣٠/	
١٦٣	- النَّبِيُّ، علي	/٢٩٣/٢٨٠	- المظفر، محمد رضا
٣٣٠	- النبهان، تقي الدين	/٣١٧/٣١٦	/٣١٣/٣١٢
٤٣٠	- النجفي، محمد حسن	/٣٦٨/٣٦٧	/٣٢٢/٣٢١
	- النراقي، أحمد بن الملا	٣٩٣/٣٨٣	/٣٧٦/٣٧٠
٤٣٠	مهدي		٣٩٥/
٣٨٥	- نصّار، حسين	٣١٤/٣١٠	- المظفر، محمد حسين
	- النوبختي، حسين بن	٢٠٥	- معتوق، حسين
٤١٦/١٩٢	روح	٣٤١	- معرفة، محمد هادي
٣٨٥	- النوري، قيس	٣٥	- معروف، ناجي
٥٧	- النوري، ميرزا حسين	(المقدمة)	- معروف، نايف
٣١	- النيسابوري، حسان القرشي	٥٢	- المعري، أبو العلاء
	(حرف الهاء)	٤٣١	- المغمغاني، عبد الله
		٤٣٠	- المغمغاني، محمد حسن
		٢٦٠	- مُعَيَّنِيَّة، محمد جواد
٢٧٧	- الهاشمي، أحمد	١٦٨/٥٨	- المُفيد، محمد بن
٣١	- هالم، هاينز	٤٢٨	النعمان
٣٠٤/٢٧٧	- الهمداني، عبد الله بن	٤٢٩	- المقداد، المقداد بن
٣٧٩/	عقيل		الحسين
٢١٩	- الهندي	٣٤	- المقرزي
٥٦	- هيكل، محمد حسين	٣٤٨	- مكّي، علي
		٣٢٣	- مكّي، محمد كاظم
		٣٥٢	- مكّيّة، محمد
		٣٣٠	- الملاح، عبد الغني

(حرف الواو)

- ٤٤ - الواثق بالله
٢٣٥ - الوردى ، علي
٢٦ - الوشاء ، الحسن بن علي

(حرف الياء)

- اليزدي ، عبد الله بن
٢٧٧ شهاب الدين حسين
٢٤٣/٢٣٥ - اليزدي ، محمد كاظم
٤٣١

المحتوى

الصفحة	الموضوع
١٨ - ٩	المقدمة

مدخل البحث

ظهور المدارس الاسلامية في العالم الاسلامي

٣٦ - ٢١

٢٦	بواعث انفصال المدرسة عن المسجد
٢٩	تاريخ ظهور المدارس الاسلامية

الباب الأول

نشأة النجف وتطورها كمدينة علمية

٧٩ - ٣٧

٥٤ - ٤٠	الفصل الأول : النجف المدينة
٤٠	النجف لغة واصطلاحا
٤٢	النجف في كتب المؤرخين
٤٥	سبب تسميتها

٤٧ أسماء أخرى للنجف
٤٩ مرقد الامام علي (عليه السلام)
٥٢ مقبرة النجف
٥٥ الكتب والمكتاب في النجف
٥٨ الوضعية الادارية للنجف
٧٠ الفصل الثاني : تطوّر النجف كمدينة علمية
٦٠ النظرية الأولى في بداية الحركة العلمية بالنجف ..
٦٧ النظرية الثانية في بداية الحركة العلمية بالنجف ..
٧٠ الخلاصة ، والرأي المختار
٩٩ - ٧١ الفصل الثالث : أدوار الحوزة العلمية في النجف
٧٢ الدور الأول
٧٥ الدور الثاني
٧٧ الدور الثالث

الباب الثاني

معالم الحوزة العلمية في النجف

١٧٧ - ٨١

الفصل الأول : الحوزة ، مصطلحها .. نشوؤها . مكوّناتها . اهميتها

١١٨ - ٨٣
٨٤ الحوزة لغة
٨٥ الحوزة في القرآن الكريم
٨٦ الحوزة في الاصطلاح : عرض التعاريف ونقدها .
٩٣ الحوزة في تعريف المؤلف
٩٥ نشوء الحوزة العلمية

- مكوّنات الحوزة العلميّة ١٠٠
 صور مشرقة من زهد الحوزويّين ١١٠
 أهميّة الحوزة العلميّة في الأمة ١١٥

الفصل الثاني : استقلالية الحوزة العلميّة عن السلطة السياسيّة

- ١١٩ - ١٣٧
 توضيح مفردات العنوان ١١٩
 استقلالية المناهج الدراسيّة ١٢١
 استقلالية الطالب الحوزوي ١٢٣
 استقلالية الأساتذة العلماء ١٢٦
 استقلالية المرجعيّة الدينيّة العليا ١٢٨
 استقلالية الجانب الفكري والسياسي ١٣٢
 استقلالية الجانب المادّي ١٣٣

الفصل الثالث : الاجتهاد ودوره في ازدهار الحركة الفكرية في الحوزة

- ١٣٨ - ١٧٧
 معنى الاجتهاد وحقيقته ١٣٩
 الاجتهاد في عصر الصحابة والتابعين ١٤٣
 تطوّر مدلول كلمة الاجتهاد ١٤٤
 الاجتهاد في اصطلاح الفقهاء والأصوليين ١٤٥
 متى بدأ الاجتهاد ؟ ١٤٩
 هل كان الرسول (ص) مجتهداً ؟ ١٥١
 الاجتهاد بعد عصر الصحابة ١٥٤
 الاجتهاد لدى الاماميّة الإثني عشرية ١٥٧
 دور الاجتهاد في ازدهار الحوزة العلميّة ١٧٠

الباب الثالث

مفهوم المرجعية الدينية العليا لدى الإمامية الاثني عشرية

١٧٩ - ٢٥٣

الفصل الأول : المرجعية ، مفهومها .. شرعيتها .. مراحلها

١٩٨-١٨١

١٨١ ما هي المرجعية ؟

١٨٤ شرعية المرجعية في الرؤية الامامية

١٩٠ المرجعية في جذورها ومراحل تطورها

الفصل الثاني : المرجع الأعلى في صفاته وطريقة اختياره ١٩٩ - ٢٢٦

٢٠٧ الركائز الأساسية للشخصية المرجعية

الفصل الثالث : الحركة الاصلاحية للكيان المرجعي ٢٢٧ - ٢٥٣

٢٢٨ مفهوم الحركة الاصلاحية

٢٣٠ موضوع بحثنا

٢٣٢ موارد الاصلاح

٢٣٢ ١- العلاقة مع المقلد

٢٣٤ ٢- المرجعية الشخصية

٢٣٧ ٣- النظام المالي للكيان المرجعي

٢٤٢ ٤- وكلاء المرجعية

٢٤٧ ٥- اسلوب العمل المرجعي

٢٥١ ٦- فوضى الإنتماء للحوزة

الباب الرابع
النظام التربوي التعليمي الحوزوي في النجف
٢٥٥ - ٤٠٩

الفصل الأول : لمحة عن النظام الدراسي العام في الحوزة العلمية
بالنجف ٢٥٧ - ٢٨٥

- شروط الانتساب للحوزة ٢٦٠
نظام الزي ٢٦٣
طريقة التدريس ومميزاته ٢٦٧
المراحل الدراسية ٢٧٠
المنهج الدراسي ٢٧٥

الفصل الثاني : الحركة الاصلاحية للنظام الحوزوي وتطورها

- ٢٨٦ - ٣٦٥
معنى الاصلاح ٢٨٦
مقياس التطور والانحراف ٢٨٧
بين التقليد والتحديث ٢٨٨
الرأي النجفي العام ٢٨٩
شعب الإصلاح ٢٩١
الخطوات الأولى للإصلاح ٢٩٥
تقويمها ٣٠٧
الحركة الاصلاحية في مرحلتها الثانية ٣١١
جمعية منتدى النشر ٣١٢
نهضة الشيخ كاشف الغطاء ٣٢٤
الحركة الاصلاحية في مرحلتها الثالثة ٣٢٨
مدرسة الجزائري ٣٣٣

٣٣٧	جامعة النجف الدينية
٣٤٢	مدرسة العلوم الاسلامية
٣٥٠	الحركة الاصلاحية في مرحلتها الرابعة
٣٥٢	الغاء جامعة الكوفة
٣٥٤	تأميم التعليم الأهلي
٣٥٥	إغلاق مدارس الإصلاح الحوزوية
٣٥٨	هجرة طلاب الحوزة من النجف
٣٦٢	ملاحظات في ضوء ما تقدّم

الفصل الثالث : كلية الفقه ، نموذجاً للإصلاح الحوزوي ،

٤٠٩-٣٦٦
٤٠٩-٣٦٦	(دراسة وتقويم)
٣٦٩	الوضع القانوني والمستوى الجامعي لكلية الفقه
٣٧٠	أهداف كلية الفقه
٣٧٢	المناهج الدراسية في كلية الفقه
٣٧٢	التمويل المالي لكلية الفقه
٣٧٩	شروط القبول
٣٨٠	طلاب كلية الفقه
٣٨٣	أساتذة كلية الفقه
٣٨٥	موقف الحوزة من كلية الفقه
٣٩١	موقف الحركة الاسلامية من كلية الفقه
٣٩٢	موقف الدولة من كلية الفقه
٤٠٥	تقويم تجربة كلية الفقه
٤٢٠-٤١٣	ملاحظات واستنتاجات
٤٣٨-٤٢٢	الملاحق والوثائق
٤٤٠	مصادر البحث ومراجعته



The Scientific Haouzeh In Al-Najaf

**Its SignPosts, And Movement Of Improvement
1920 - 1980 A.C**

research with a group of conclusions , and appendixes , which enriched and supported it .

We can say that this research has been accepted by one of the lebanese Universities , and Mr . Ali has been given the Masters degree in the Isamic studies in a very good evaluation and it was in February 1992 A.C .

Here , we indicate that Mr . Ali Al Bahadli is the son of this city , Al Najaf Al Ashraf , and he has several edited books , and he has also many opinions and literary sharings : various Arab newspapers and magazines .

The introduction was written to talk about the arising of The Islamic schools , and the first part inhabited sides and its social circumstances , and how did the developement as a scientific city and how the scientific roles passed in Al Haouzeh .

Besides , The second part included the signposts Al Haouzeh in Al Najaf through its arising , its components and importance in the first chapter where as the talking in the second chapter was about the independence of this Haouzeh from the government political authority in mental and material side .

The third chapter was written to speak about of Jurisprudence as it is considered one of lofly signposts for Al Haouzeh in Al Najaf , So , Al Najaf is opening itw doors of Jurisprudence till nowadays .

The third part was put to talk about the concept of The high religious reference for the twelveth Imam of Islamic shia .

The first chapter was about the declaration of the reference concept , and the historical stages which passed in .

The fourth part chapter was put to speak about the characters of the high reference and the way which lead to this position .

In addition , the third chapter included to speak about an improvements thoughts inside the Haouzeh which is linked with the reference state ,

Perhaps , Mr . Ali Al Bahadli's attempt is the first which touch the reference state clearly and generally .

The fourth part included a study about the educational system of Al Haouzeh in Al Najaf through presentation , studying and evaluation .

Furthermore , Mr . Ali Al Bahadli ended his University

The Scientific Haouzeh In Al-Najaf

**Its SignPosts, And Movement Of Improvement
1920 – 1980 A.C**

Al Najaf is a city in Iraq, it lies to the south – west of the capital ,Baghdad, at an approximate distance 110 miles .

Why did the city «Al Najaf» occupy a holy position in the selved of the hundred Millions of people? Moreover, what did make Al Najaf to be liked by the many people, not only the alive , but also for the deads !

The auther of this book , sees and explains that holiness refers to two reasons :

The first : to the possission Al Najaf for scientific Haouzeh and religious reference for the Islamic shia , since the Haouzeh in Al Najaf didn't get its merit from research and studying , therefore , Mr . Ali Al Bahadli acted to reveal its signposts and its movement of improvement through the book which he accomplished to have Masters Certificate in the Islamic study from one of the lebanese Universities .

Divided Mr . Ali Al Bahadli his book into an introduction , and four parts , where each one consists of three chapters :